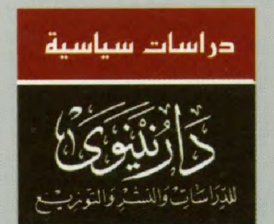
د. عبد المجيد محمد الغيلي

لغة النزاع في القضايا الدولية

من منظور اللسانيات الإدراكية والتداولية والحجاجية



دراسات سياسية





مكتبة
طريق العلم

لغة النزاع في القضايا الدولية

من منظور اللسانيات الإدراكية والتداولية والحجاجية

عنوان الكتاب: لغة النزاع في القضايا الدولية
من منظور اللسانيات الإدراكية والتداولية والحجاجية
اسم المؤلف: د. عبد المجيد محمد علي الفيلي
الموضوع: دراسات فكرية
عدد الصفحات: 432 ص
القياس: 17.5 ✥ 25 سم
الطبعة الأولى: 1000 / 2016 م - 1437 هـ
ISBN: 978-9933-536-33-6



سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

 دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
 Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

لغة النزاع في القضايا الدولية

من منظور اللسانيات الإدراكية والتداولية والحجاجية

د. عبد المجيد محمد علي الغيلي

فهرس الموضوعات

تقديم: د. محمد لطفي الزليطني(*)

لقد نزعت اللسانيات البنيوية، من خلال نظرتها إلى اللغة على أنها أداة تعبير منفصلة عن السياق، إلى اعتبار الملفوظات مجرد نتاج للنظام الذي يولّدها وتنبني عليه. ولهذا، كانت مهمة التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي في إطار البنيوية هي رصد مختلف الوحدات التابعة لها والقواعد التي تنظمها، للوقوف على دورها في بناء ذلك النظام. في المقابل، تدعونا المقاربة التداولية، بمختلف اتجاهاتها، إلى إعادة النظر في هذا التصور الذي يرى في اللغة مجرد أداة للإبلاغ، وتنبهنا إلى أن صياغة أفكارنا ونقلها عن طريق اللغة إنما هما حصيلة استراتيجيات معيّنة على مستوى الإنتاج والتأويل ينخرط فيها المشاركون في عملية التواصل ليصبح كل منهم طرفا مؤثرا في مقامات تفاعلية تحكمها شروط معلومة. ذلك لأن كل خطاب وفق هذا المنظور إنما يتم إنتاجه وتفسيره في علاقته بسياقه المباشر، وفي علاقته بخطابات وسياقات أخرى تتعاوره وتحدد وظيفته وتمنحه قيمته في سياقه الاجتماعي التواصلي المعلوم.

في هذا السياق، تأتي هذه الدراسة الجادّة للغة النزاع لتبرز دور اللغة بوصفها ليس فقط أداة إبلاغ وتواصل بل أيضا أداة للفعل والتوجيه والحوار والمناورة والسيطرة، وكذلك بوصفها أداة لتمثيل الخصم المنازَع، لتقزيمه وتهميشه، في مقابل الأنا المنازِع لتفخيمه وتعظيمه، وإضفاء الشرعية على سلوكه ومواقفه وآرائه. وبهذا تتجلى سمة اللغة في واقعها الفعليّ الحيّ، بوصفها بنية إدراكية حجاجية اجتماعية متحيزة، وأنها وعاء لما يريد كل من أطراف الخطاب إظهاره للآخرين، ولما يبطنه في نفسه تجاههم.

من هذا المنطلق، اتجهت هذه الدراسة في مرحلة أولى لتحلل لغة النزاع وفق نموذج إدراكي يسهم في بيان هوية منشئ الخطاب، ورسم تصوراته لهويته وللآخر، وكيف يبني نماذجه التواصلية وفق هذه المرجعية، وكيف يمارس حجاجه بعد ذلك وفقا لهذا المنظور. وبهذا تعكس لغة النزاع تحيزات أطرافه، وتفصح عن مواقفهم، وتكشف عن القيم التي توجه سلوكهم وقراراتهم،

(*) أستاذ الدراسات اللسانية الحديثة، وبوجه خاص: تحليل الخطاب، والدراسات الأسلوبية والتداولية، وقضايا الترجمة وعلم المصطلح، كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

وتشكل تصوراتهم، وفي ضوئها تتحدد شرعية فعل كـل مـنهم، وتظهـر علاقـات الـسلطة التـي يستندون إليها.

ثم تنطلق الدراسة في مرحلة ثانية إلى تحليل لغة النزاع وفق نموذج تواصلي تكشف من خلالـه عن العلاقات القائمة بين أطرافه، والاسـتراتيجيات التـي يـستخدمونها للتواصـل فـيما بيـنهم في مختلف مراحل النزاع، وكيف يعمل كل منهم إمّا على حل النزاع أو تأجيجه، وذلـك بنـاء عـلى مـا يراه لنفسه من أسباب السلطة، وما تتيحـه لـه مـن فـرص لإعـلاء صـوته أو إخفاتـه. وفي تلـك الجوانب كلها من لغة النزاع ما يكشف الإجراءات الخطابية (الظاهرة والخفية) التي يمارسـها كـل من أطرافه لضمان استمرار التواصل أو قطع سبل الحوار فيما بينهم.

وفي مرحلة ثالثة، تعالج هذه الدراسة لغة النزاع ضمن إطار حجاجي، فتتناول مختلف الآليات الحجاجية التي يستخدمها كل من أطرافه لإثبات مشروعية موقفه في النزاع، ودحـض مـشروعية الآخر، كما تُعنى بتحليل الأبعاد الحوارية في الخطاب، وفقا لقبول الاختلاف أو رفضه.

وبهذا تتكامل مفاصل هذه الدراسة في تحليلها لغة النزاع بعيناتها المختلفـة بنـاء عـلى نظـرة إلى الممارسة اللغوية بوصفها تجسيداً لكِفاية لـسانية متعددة الأوجه، تتطلب نشاطا للذاكرة، وعمليات استدلال وتعريض، وافتراضات مسبقة، وتأويلات وبناء تصورات. وتكون بالتـالي إضـافة قيّمـة للمكتبة اللسانية العربية، وإطلالة منهجية فريـدة عـلى لـسانيات الـتلفظ واللـسانيات التداوليـة، ونظرية الحجاج، وأفعال الكلام، واللسانيات الإدراكية.

تقديم: أ.د. رفيق بن حمودة(*)

"لغة النزاع في القضايا الدولية" بحث متميز من وجوه عدّة. فقد تناول صاحبه قضايا ما يزال المجتمع العربي الإسلامي يعيش مضاعفاتها. وهذا يعني أن الباحث قرّر أن يسهم - من وجهة نظر علمية- في التفكير في "النزاع" بوصفه ظاهرة اتسعت رقعتها وما تزال تتسع فتنتشر في عالمنا انتشار النار في الهشيم. وليس البحث في هذا الموضوع سهلا فالباحث يعيش وجوه النزاع ويدرسها في الوقت نفسه.

يتميز البحث - فضلا عن ذلك- باعتماد صاحبه أدوات تحليل نظرية صريحة وحديثة وشمولية وناجعة. فقد توسل للنظر في مسائل النزاع بوجهات نظر ثلاث تعد في اعتقادنا من أقوى ما أنتجه التفكير اللساني الحديث: الإطار الإدراكي أو العرفاني والإطار التواصلي والإطار الحجاجي.. يجمع بين هذه الأطر الثلاثة أن القائلين بها يعتقدون أن البحث في المسائل اللغوية لا يحقق الهدف إذا التزم بحدود الأدوات اللغوية المحضة. ولذلك وسع الباحث من دائرة العمل لتشمل عناصر أخرى تلقي الأضواء على ملابسات الخطاب؛ فكشف عن أسرار الصراع من خلال ما تقتضيه اللغة من معطيات نفسية وإدراكية وتواصلية.

يتميّز البحث كذلك باعتماده عينات تطبيقية واسعة متكاملة جمعها الباحث من المواقع الإلكترونية للأطراف المعنية بالدراسة. وبذلك لم يشب البحث وهن الاقتصار على المسائل النظرية. فقد حاول مراقبة سلامة الأطر النظرية باختبارها على محك العينات. ويبدو لنا أنه قد سعى بذلك إلى أن يستوفي كل جوانب البحث في المسألة مكلفا نفسه من العناء ما كان يمكن أن يخفّف لو اقتصر على وجهة نظر تأطيرية واحدة تفي بالغرض.

(*) أستاذ النحو واللسانيات التطبيقية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة. معهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود.

المقدمة

الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، وهذا يعني أن التواصل بين البشر أمر أساس لا يمكنهم الاستمرار في الحياة الاجتماعية دونه. وبهذا التواصل يتناقلون الأفكار والمعلومات، ويقيمون العلاقات، ويتبادلون المنافع والمصالح. ولأن البشر بطبيعتهم مختلفون، وأفكارهم ومصالحهم مختلفة؛ فإن النزاع والاختلاف بين البشر يصبح أمرا طبيعيا، لا مفر منه. فظاهرة "النزاع" - كما يقول علماء الاجتماع -ظاهرة متأصلة في الطبيعة البشرية.

ويعبر البشر عن نزاعاتهم بأشكال متعددة، بعضها سلمي وبعضها عنيف، وجميع هذه الأشكال صور من صور التواصل الاجتماعي. واللغة هي الأداة الأساس في التواصل. وهي "معجزة عقلية لصناعة المعنى السلمي، وحل المشاكل" (Matos, 2006). وهذا يعني أننا "نستخدم اللغة؛ فندرك من خلالها الأشياء، ونتواصل، ونبدع، ونؤسس للعلاقات السلمية فيما بيننا" (Matos, 2006).

ومن ثم فاللغة نشاط وممارسة اجتماعية وتواصلية، وليست مجرد نظام بنيوي. ويمكننا القول إن اللغة بنية إدراكية تواصلية حجاجية متحيزة. تتشكل من خلال تصورنا وسلوكنا، وتشكلهما أيضاً. ومن ثم فإنها وعاء لما يريد القائل أن يظهره للآخرين، وفي الوقت نفسه يعدها المحللون أداة كاشفة عما يبطنه مستخدم اللغة أيضاً.

ولغة النزاع تقوم بدورين بالنسبة إلى كل طرف من أطراف النزاع، فهي من جهة تعكس تحيزات الأطراف، وتفصح عن مواقفهم، وتكشف عن أفكارهم، وتنظم الأفعال والممارسات والبنى والقيم والأدوار الاجتماعية. ومن جهة أخرى، تشكل تصوراتهم وسلوكياتهم، وفي ضوئها تتحدد شرعية الفعل، وتظهر علاقات السلطة التي يستند إليها كل طرف. ومن ثم فاللغة قد تكرس النزاع، وقد تسهم في حل النزاع. وعليه فكيف نجعل اللغة عاملا من عوامل السلام، بدلا من أن تكون عاملا من عوامل الحرب.

وقد تناول الباحثون في مختلف المجالات هذه الظاهرة، ونظروا إليها من منظورات متعددة، إما من حيث طبيعة النزاع، أو شكله، أو مجاله، أو سبب نشوئه، أو استراتيجيات التعامل معه، أو

حله... إلخ. وتناول الباحثون النزاع في مختلف المجالات: السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والأنثروبولوجية، والتواصلية، واللسانية، والنفسية، والبيولوجية...إلخ.

وفي أواخر التسعينيات من القرن الماضي ازداد اهتمام اللغويين بدراسة النزاع الحقيقي، وتعددت المناهج اللسانية في دراسته (سأعرض بعض الدراسات لاحقا). وأصبح هناك اتجاه لساني عام في دراسة النزاع، وقد ظهر مصطلح "لسانيات النزاع" (Linguistics of Conflict) في كتاب اللغة والمجتمع لداونز (Downs) عام ١٩٩٨م، دلالة على هذا الاتجاه. (Putnam, 2006).

وبالرغم من تقدم الأبحاث حول ظاهرة النزاع، ومن كشفها لجوانب كثيرة في إدارة الناس للنزاع، فإن الظاهرة ما تزال بحاجة إلى كثير من الأبحاث والدراسات، وذلك في ناحيتين: الأولى دراسة النزاع في إطاره الدولي، والنظر في دور المؤسسات الدولية الكبرى في حسم النزاعات والأزمات بين الدول، أو توجيهها توجيها معينا. والثاني: بالنظر في المنهج، فما زلنا بحاجة إلى مزيد من التحليلات الإدراكية الاجتماعية للنزاعات في مجالها الحيوي التفاعلي الدولي. وسيتبين عند عرض الدراسات السابقة أن نقص الدراسات التي تتناول النزاع من منظور إدراكي ما زالت تمثل جانباً من جوانب القصور في دراسات النزاع، ولا سيما إذا ما ووزن بالمنظور الاجتماعي أو الثقافي للنزاع. ومن خلال عرض الدراسات السابقة يتبين أنها تركز كثيرا في الاستراتيجيات التواصلية، وهي تمثل المظهر الخطابي لأطراف النزاع. إلا أن ثمة حاجة إلى الكشف عن مدى تأثر خطاب النزاع بالتمثيلات الإدراكية والاجتماعية.

ومن ثم فمشكلة الدراسة تتمحور حول الحاجة إلى تحليل خطاب النزاع في القضايا الدولية من ثلاثة منظورات لسانية في الوقت نفسه، وليس من منظور واحد، وربط بعضها ببعض، وعدم الاقتصار على المنظور التواصلي أو الاجتماعي.

والخطاب الذي أوليه اهتمامي هو الخطاب الدولي في قضايا النزاع، وهو الخطاب الذي يستخدمه الفاعلون في النزاعات الدولية. والقضايا الدولية، هي القضايا التي يكون أطرافها دولا، أو مؤسسات دولية، أو أفرادا أو شركات تنتمي إلى دول مختلفة. وفي ظل العولمة فقد حدث تحول كبير في مفهوم "الأطراف الدولية"، حيث دخلت إلى الساحة منظمات دولية، لها نفوذ كبير، وحاسم في مصير كثير من النزاعات الدولية.

ويتجلى هذا الخطاب في مجالات مختلفة، سياسية واقتصادية وعلمية وثقافية وغيرها، وكلها تدخل ضمن "مجالات التواصل". ويطرح هذا الخطاب كثيرا من الإشكاليات، تتعلق بالموضوع المتنازع حوله، وبطريقة معالجته، وبالخلفيات والأهداف والثقافات والتصورات والرغبات والاستراتيجيات التي تؤطر أطراف النزاع، أو الجهات الفاعلة فيه، كما تتعلق بالمؤشرات التي يمكن ملاحظتها للتنبؤ بنتائج النزاع، وبالتغييرات على مختلف الأصعدة التي ستحدثها.

ولدراسة هذه القضية فقد اخترت هذا العنوان (لغة النزاع في القضايا الدولية – دراسة لسانية تداولية). حيث سيتم اختيار مجموعة من قضايا النزاع، بغية تحليل خطابها من ثلاثة منظورات: المنظور الإدراكي، والتواصلي، والحجاجي.

وفي الإطار المفاهيمي للدراسة سأبين أن لغة النزاع تطرح ثلاث مجموعات من الإشكاليات، الأولى تتعلق بالمرجعيات الإدراكية (كون اللغة أداة إدراكية)، والثانية تتعلق بالاستراتيجيات التواصلية (كون اللغة أداة تواصلية)، والثالثة تتعلق بموضوع الخطاب (كون اللغة أداة حجاجية).

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأطر الإدراكية للغة النزاع الدولي، وكشف الاستراتيجيات التواصلية فيها، واستجلاء الاستراتيجيات الحجاجية، ومن ثم الإسهام في تحسين مستوى التواصل البشري والعلاقات الإنسانية.

وقد كان التساؤل الرئيس للدراسة هو:

ما الأطر الإدراكية والتواصلية والحجاجية في خطاب النزاع في القضايا الدولية؟

تتفرع عن هذا السؤال الأساس ثلاثة أسئلة:

١) ما الإطار الإدراكي في خطاب النزاع؟

والسؤال الإجرائي هو: كيف يمثل أطراف النزاع في خطابهم: أنفسَهم، والفاعلين الآخرين، وأحداثَ النزاع، والقيمَ والدوافعَ والأهدافَ والتوقعاتِ، والزمن والمكانَ؟

٢) ما الإطار التواصلي في خطاب النزاع؟

والسؤال الإجرائي هو: ما الاستراتيجيات الخطابية التواصلية التي يتبناها الفاعلون في نزاعهم للوصول إلى أهدافهم؟

٣) ما الإطار الحجاجي في خطاب النزاع؟

والسؤال الإجرائي هو: ما الاستراتيجيات والبنى الحجاجية لخطاب النزاع؟ وما استراتيجيات الاختلاف أو بناء الأرضية المشتركة؟

وقد تحددت الدراسة موضوعيا بـ(لغة النزاع في القضايا الدولية – دراسة لسانية تداولية)، وتحددت فئويا بلغة النزاع في القضايا الدولية، ومعظم خطابات النزاع المختارة كانت بين عامي ٢٠١١-٢٠١٢م. وقد راعيت في اختيارها تنوع موضوعاتها (السياسي والتجاري والحضاري)، وأغلبها قضايا تمت تسويتها، إضافة إلى توفر المادة المتاحة في وسائل الإعلام.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أن دراسة لغة النزاع في القضايا الدولية تعمق فهمنا لديناميكية الخطاب الدولي، والحركة الخطابية للفاعلين في القضايا المتنازع عليها. كما تمكننا من معرفة ما يمكن أن تسهم به اللسانيات الإدراكية والاجتماعية والتحليل النقدي للخطاب في دراسات لغة النزاع والسلام. وبهذا، تطمح الدراسة إلى أن تكون لبنة في تزويد المكتبة العربية بتحليل إدراكي وتواصلي وحجاجي لخطاب النزاع الدولي.

كما أن دراسة لغة النزاع في القضايا الدولية ذات أثر في الجوانب التطبيقية، فكما يرى وليام جاي (Gay, 2008) أن "من يسيطر على لغة الحرب والسلم فإنه يمارس تأثيرا أكبر في كيفية إدراكنا للحرب والسلم، وسلوكنا تجاههما". وأيضاً الدراسة تسعى إلى تقديم نموذج تحليلي لخطابات النزاع وغيرها من الخطابات السياسية والاجتماعية، ولا سيما ذات البعد الدولي.

وأختم مقدمتي ببيان بعض الصعوبات التي يواجهها الباحثون في مثل هذه الأبحاث.

فمن الصعوبات التي واجهها الباحث: جمع العينة، فقضايا النزاع قضايا حساسة، وخطاباتها لا تظهر في الإعلام، وقد حاولت جمع ما يتعلق ببعض القضايا من مصادرها، إلا أنني لم أتمكن من ذلك، بسبب السرية التي يحيط بها أطراف النزاع خطاباتهم ومراسلاتهم. فلم يكن من بد إلا اختيار قضايا تتاح عينتها في وسائل الإعلام، وقد سعيت جهدي أن أجمع المادة من المواقع الرسمية للأطراف، وما لم يتح لي فقد جمعته من وسائل الإعلام.

وقد أبقيت نصوص العينة التي جمعتها كما هي، دون تغيير أو تصرف فيها، وتعاملت معها بوصفها مادة خاماً، ولم أعن بالأخطاء فيها، وخصوصا أن التحليل يراكز على الجوانب الإدراكية والتواصلية والحجاجية. كما أشير إلى أن النصوص المترجمة في معظمها مترجم ترجمة رسمية، ولا

سيما خطابات الرئيس الأمريكي ووزيرة الخارجية الأمريكية وغيرهم من مسؤولي الإدارة الأمريكية، فالنصوص العربية متاحة على الموقع الرسمي لوزارة الخارجية الأمريكية.

ومن الصعوبات التي عانيتها قلة توفر المراجع العربية، ولا سيما في المنظور الإدراكي، ولذلك فقد اعتمد الباحث في كثير من مراجعه في هذا الفصل على المراجع الأجنبية. ومن الإشكاليات أيضاً أن المبحث الإدراكي يعد جديدا على الدراسة العربية، ولذلك أعتذر للقارئ في عدم رجوعي إلى كتب التراث، ولا يعني هذا أن ثمة قطيعة مع التراث، بل أنطلق من التراث، كما في عامة مؤلفاتي.

ومن الإشكاليات العويصة التي واجهها الباحث: أنه يحلل عينات النزاع وهو ينتمي إلى بعض تلك الأطراف، فمن الأطراف: الطرف اليمني، والطرف العربي، والباحث يمني عربي[1]. وقد سعيت جاهدا إلى التحلي بالحياد والموضوعية، وتغيير المنظور أثناء التحليل، وتخليص الألفاظ من دلالاتها العاطفية، والتقويمية، وتخير الألفاظ المحايدة، ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وأود أن أشير إلى أن أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه ناقشتها في جامعة الملك سعود بقسم اللغة العربية، وقد أشرف علي سعادة الدكتور. محمد لطفي الزليطني، وهو من بقية العلماء الأفذاذ في اللغة العربية، وسعة علمه بقدر سعة خلقه، وكان لتقويمه أثر كبير في مسيرتي العلمية، فله شكري وتقديري. وشكري للسادة المناقشين: أ. د. رفيق عبد الحميد بن حمودة، وأ. د. حاتم عبد القادر عبيد، وأ. د. سعيد حسن بحيري، ود. ذكرى يحيى القبيلي. فهم من العلماء الأجلاء الذين قدموا ويقدمون للغة العربية ولدارسي العربية عطاء زاخرا.

أشكر كل من ساعدني حتى أتممت البحث، والديّن تحملا عناء اغتراب ولدهما، وصبرا على حرّ الفراق، ومشقة البعاد. وزوجةً صبرتْ وكابدتْ، وضحت بوقتها وجهدها، ولم تبخل علي بشيء مما يسهم في تذليل الصعاب إلا وفعلته. وأبناء تحملوا ابتعاد والدهم عنهم في غياهب البحث.

وقبل ذلك كله أشكر الله الذي بنعمته تتم الصالحات، ولا حول لي ولا قوة إلا به، فالحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) أفدت في صياغة هذه الإشكالية من ملحوظات السادة المناقشين على رسالة الدكتوراه، ولا سيما أ.د. رفيق بن عبد الحميد بن حمودة، ود. ذكرى يحيى القبيلي.

وأخيراً، فإن أكن قد وفقت فهو مبتغاي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن تكن الأخرى فإنما أنا بشر، وكل ابن آدم يخطئ ويهفو، وحسبي أن أعود من الغنيمة بعفو ربي وأجره، ولكنني "أسأل الله عصمةً من الزيغ والأشَر، وأعوذ به من العجب والبطَر، وأستهديه السبيل الأرشد، والطريق الأقصد"[1].

د. عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي

الرياض – شعبان ١٤٣٦ هـ/ يونيو ٢٠١٥م

(١) هذا الدعاء اقتبسته من أبي علي القالي في مقدمة كتابه: الأمالي.

الفصل التمهيدي: الإطار التمهيدي

- أولاً: الدراسات السابقة
- ثانياً: الإطار المفاهيمي للدراسة
- ثالثاً: الإطار المنهجي للدراسة
- رابعاً: عينة الدراسة

أولاً: الدراسات السابقة

لم أجد دراسة عربية تدرس النزاع من منظور لساني، باستثناء دراسة الدكتور حسن وجيه "أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي"، وركز فيها أساسا في لغة التفاوض والحوار، وأشكال الحجج، وإشكاليات هذه اللغة في أزمة الخليج. وكانت هذه الدراسة أساسا لكتابه اللاحق "مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي"، والكتابان من وجهة نظري يدرسان إشكالية لغة الثقافة العربية المعاصرة أثناء الأزمة، ويستخدمان أطرا عامة في ذلك. و"علم التفاوض" يركز في استراتيجيات التفاوض ومهاراته وأنماط الحجاج فيه.

أما الدراسات الأجنبية المتعلقة بالنزاع - من منظور لساني - فقد قسمتها كريستينيا كاكافا أربعة أقسام، وهي (Kakavá, 2001, p650): البحوث المتعلقة بالخواص البنيوية للنزاع، والبحوث المتعلقة بالاستراتيجيات التواصلية لإدارة النزاع، والبحوث المتعلقة بالمفاوضات وحل النزاعات، والبحوث المتعلقة بمضامين النزاع. وتشترك البحوث المتعلقة بالخواص البنيوية للنزاع في كونها تسعى إلى الكشف عن كيفية بدء النزاع، وديناميكيات تطوره. أما البحوث المتعلقة بالاستراتيجيات التواصلية لإدارة النزاع فتسعى إلى الكشف عن ظاهرة النزاع على المستوى الخطابي، نحو: التهكم، والمزاح، والكلام غير المباشر،...إلخ، كما تدرس العوامل السياقية؛ لتحديد آثارها في الاستراتيجيات المعارِضة المختارة، ومن تلك العوامل: الأدوار التفاعلية الثقافية، والأسلوب، والجنس، والأهداف التفاعلية للمتكلمين. والبحوث المتعلقة بحل النزاع تركز في التفاوض حول النزاع، وحله. وأخيرا، البحوث المتعلقة بمضامين النزاع تكشف عن المضامين الاجتماعية والثقافية للنزاع، وبهذا تعطينا رؤية نافذة حول نظرة المجتمعات والثقافات المختلفة للنزاع. وتبين إلى أي مدى تقيم المجتمعات النزاع باعتباره حدثا إيجابيا أو سلبيا.

والملاحظ أن هذا التقسيم راعى طرق معالجة الدراسات للنزاع، بغض النظر عن المناهج المستخدمة، أو العينات المطروحة. وأميل إلى القبول بهذا التقسيم مع إدخال بعض التحويرات عليه في التسمية، وتوسيعه إلى مجالات أخرى. فأرى أن الدراسات المتعلقة بالنزاع ذات أربعة اتجاهات عامة، وهي: نشوء النزاع وديناميكيات تطوره، واستراتيجيات التواصل لإدارة النزاع،

وأساليب تسوية النزاع، ومضامين النزاع. وأغلب دراسات اللسانيين تركز في الاتجاه الثاني، وهو استراتيجيات التواصل.

(١) الاتجاه الأول: نشوء النزاع وديناميكيات تطوره

تدرس بحوث هذا الاتجاه النزاع من حيث النشوء والتطور، كيف ينشأ، وكيف يتصاعد. ومن أمثلته دراسة (Brenneis & Lein's) عام ١٩٧٧م، بعنوان (A sociolinguistic approach to children's dispute settlement)، (Kakavá, 2001, p651)، [تسوية الخلاف بين الأطفال – دراسة من منظور اللسانيات الاجتماعية] حول النزاع عند الأطفال، أجريت الدراسة على النزاعات التي تحدث بين الأطفال البيض، وكانت العينة من الصفوف: الأول والثالث والرابع من مدرسة ابتدائية، في ولاية ماسشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد وجد الباحثان أن التتابعات الحجاجية (argumentative sequences) للأطفال تأخذ ثلاثة أنماط بنيوية، وهي: التكرار، والتصعيد، والتقديم والتأخير. كما وجدا أن العلاقة بين المحتوى والأسلوب عكسية، فكلما كان الكلام ذا محتوى قليل، يكون الأسلوب أكثر تفصيلا وتكراراً. وكلما كان المحتوى ذا دلالات كثيرة، يكون الأسلوب أقل تفصيلاً.

وأكثر دراسات اللغويين في هذا الاتجاه (نشوء النزاع) تركز في مجال النزاعات عند الأطفال، وبعضها درست النزاع من خلال الوسيط الحاسوبي (كالرسائل المتبادلة عبر البريد الإلكتروني).

(٢) الاتجاه الثاني: استراتيجيات التواصل لإدارة النزاع

ويعد هذا الاتجاه من أكثر الاتجاهات التي يهتم بها الباحثون، وهناك عشرات الدراسات التي حاولت الكشف عن مختلف استراتيجيات التواصل التي يتبعها أطراف النزاع، أو الوسطاء. وتسعى هذه البحوث إلى الكشف عن استراتيجيات التواصل في خطاب النزاع، نحو: التهكم، والمزاح، والكلام غير المباشر،...إلخ، كما تدرس العوامل السياقية المؤثرة في استراتيجيات التواصل، نحو: الدور الاجتماعي للمتكلم، والأسلوب، والجنس.

وقد بدأ علماء التواصل بدراسة النزاع منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي (Putnam, 2006)، وكان تركيزهم حول بلاغة اللغة المستخدمة في المواجهات، ومن ذلك بحث بلاغة التحريض والسيطرة لباورز وأوكس (Bowers, J. W. , & Ochs, J. 1971. The rhetoric of agitation and control). ثم توجه علماء التواصل إلى دراسة الحركات الاحتجاجية وأعمال

الشغب، وركزوا في دراسة الإقناع، والبلاغة في الخطاب، واستراتيجيات التصعيد، وردود الفعل الدفاعية. ومن الدراسات في هذا الإطار: تحليل الخطاب في النزاع العربي الإسرائيلي، كدراسة هيسي (Heisy D. R. The rhetoric of the Arab-Israeli conflict, Quarterly Journal of Speech). ودراسة شويتزل للكفاية(*) الحجاجية في مفاوضات كيسنجر (Argumentative competence and the negotiation of Henry Kissinger). (Putnam, 2006).

ومن نماذج هذا المجال دراسة (Kuo, 1992)، وهي أطروحة دكتوراه بعنوان " Conflict And Its Management In Chinese Verbal Interactions: Casual Conversations And Parliamentary Interpellations"، (النزاع وإدارته في التفاعلات الصينية اللفظية: المحادثات العادية ومساءلات البرلمان). ودرس الباحث محادثات النزاع السياسي والشخصي في الصين الحديثة ممثلة بتايوان، وبحث كيفية التعبير عن النزاع اللفظي، وكيفية إدارته، من خلال الاستراتيجيات اللغوية المحددة ثقافيا. وقد تم تبني منهج اللسانيات الاجتماعية التفاعلية (Interactional sociolinguistics) في تحليل الخطاب، للكشف عن الخيارات الاستراتيجية في النزاعات اللفظية.

وقد بينت الدراسة أن الأصدقاء في الجدالات الودية يستخدمون استراتيجيات مستفزة لمواجهة خصومهم مباشرة، مثل: صيغ المعارضة المأثورة، ومقاطعة المتحدث. وأثبتت الدراسة أن الجدالات الودية غالبا ما تكون في اختلافات الرأي، ولا تؤثر سلبا في استمرار التفاعل بين المتجادلين. أما فيما يتعلق بالمساءلات البرلمانية في المجلس التشريعي بتايوان، فقد توصلت الدراسة إلى أن المساءلات قد تتطور إلى الغضب والعداء؛ نظرا إلى العداء بين أحزاب المعارضة والحكومة. وغالبا ما كان أعضاء البرلمان من المعارضة يستخدمون استراتيجيات من قبيل: الأسئلة الاتهامية، أو السخرية؛ لإذلال المسؤولين الحكوميين المساءلين أو إحراجهم.

ومن النماذج أيضا (Takamiya, 2010)، وهي أطروحة دكتوراه بعنوان: " Conflict Management in Japanese: An Examination Of Native Non-Native Speakers"، (إدارة النزاع في اليابانية: دراسة موازنة بين الناطقين الأصليين والأجانب)، والدراسة توازن بين

(*) يشيع على الألسنة لفظ: الكفاءة، بمعنى: امتلاك القدرة على الشيء. وهو لفظ خاطئ، والصحيح أن نقول: "كِفاية" فهي اللفظ الذي بمعنى: امتلاك القدرة على فعل الشيء جيدا، أما "الكفاءة" فهي بمعنى المماثلة، والكفء هو المماثل، ومن الخطأ استخدامه بمعنى: الجدير.

الناطقين الأصليين باللغة اليابانية، والناطقين بها لغةً ثانية، وقد أجريت على مجموعة من المعلمين اليابانيين في إحدى الجامعات الأمريكية، حيث وازن الباحث بين المجموعتين من حيث استراتيجياتهم التفاعلية في التفاوض، والنزاع الشخصي المُلطّف، باستخدام منهج تحليل المحادثة، ونظرية المناورة لبراون وليفنسون. وقد تم فحص الاستراتيجيات الكلامية، وغير الكلامية. وقد توصلت الدراسة إلى أن الفئتين استخدمتا خمس استراتيجيات كلامية، وهي: الاستراتيجيات الملطفة وغير المباشرة، وتغيير أسلوب الكلام، والتصريحات المباشرة التي لا تسبب تهديدا، والدعابة. وبالنسبة إلى الاستراتيجيات غير الكلامية فهي: إشارات العين، وإيماء اليد أو الرأس، والضحك.

(٣) الاتجاه الثالث: أساليب تسوية النزاع

تناولت بحوث هذا الاتجاه أساليب تسوية النزاعات، والوصول إلى مرحلة اتخاذ القرار، سواء أكانت أساليب لفظية أو غير لفظية، سلمية أو عنيفة، وسواء أنهت النزاع إنهاء تاما أو مؤقتاً. وقد حدد عالم الاجتماع كينيث توماس (Thomas, 1976) مجموعة من استراتيجيات الناس في التعامل مع النزاع وتسويته، وهي: المنافسة: (السعي إلى تحقيق الحد الأقصى من المصلحة الذاتية، ولو على حساب الآخرين). والتعاون: (التعاون مع الطرف الآخر لإيجاد أرضية للتسوية، وحلول وسط). والتهدئة: (هو الاستسلام أمام الطرف الآخر). والتجنب (أو: الانسحاب): (وهو تجنب الدخول في النزاع، أو الانسحاب منه). والتشارك: (السعي في تحقيق مكاسب مشتركة لكل الأطراف، دون إلحاق الضرر بالغير، أو تقديم تنازلات لا داعي لها، أو الاستسلام).

ومن النماذج دراسة فوسينيتش (Vuchinich) عام ١٩٩٠م، وهي موازنة بين الأسر الأمريكية البيض والسود، وخلافاتهم أثناء تناول العشاء (The sequential organization of closing in verbal family conflict)، وقد وجد أن "التحفظ" - وهي الحالة التي يغير فيها المشاركون موضوع الحديث - هو النوع الأكثر شيوعا لإنهاء النزاع، وقد توصل إلى خمس صيغ يتم بها إنهاء النزاع، وهي: الاستسلام، وتدخل طرف ثالث، والتسوية، والتحفظ، والانسحاب. كما وجد أن السلطة أحد العوامل أحيانا في حسم النزاعات، كسلطة الآباء مع الأبناء، ولكنها لم تكن عاملا مهيمنا في بعض الحالات، ولا سيما في المناقشات الودية (Kakavá, 2001).

(٤) الاتجاه الرابع: مضامين النزاع

ويقصد بها: المضامين الاجتماعية والثقافية للنزاع، حيث تبين بحوث هذا الاتجاه نظرة المجتمعات والثقافات المختلفة للنزاع. وتبين إلى أي مدى تقيم المجتمعات النزاع باعتباره حدثا إيجابيا أو سلبيا (Kakavá, 2001, p650). ومن ذلك:

دراسة (Emihovich) عام ١٩٨٦، حول الجدال بين الأطفال البيض والسود في رياض الأطفال (Argument as status assertion: Contextual variations in children's disputes) – وفيها ربطت الباحثة بين النزاع والمكانة، وقد افترضت أن الأطفال أثناء لعبهم يتخذون من النقاش وسيلة لتعزيز المكانة، ومن ثم يقومون بتوجيه الآخرين، أو معارضة التوجيهات وعدم الانصياع لها، باعتبار ذلك من وسائل الحفاظ على المكانة. كما أن جدالات الأطفال تهدف أيضا إلى إقامة "تراتبية الهيمنة"، التي تساعدهم على تأطير أدوارهم في العلاقات (مثلا: من يكون القائد؟)، وفي نتائج الجدالات (فالشخص الصلب عادة ما يستخدم وسائل مادية عنيفة وينهي النزاع) (Kakavá, 2001).

وفي دراسة قام بها (Beisecker) بعنوان: استعارات النزاع (Conflict metaphors: The importance of naming)، بين أن تحليل الاستعارة في لغة أطراف النزاع، يكشف عن توقعاتهم لنتائج النزاع، كما يكشف عن طبيعة النزاع القائم بينهم (Putnam, 2006). ومثال ذلك، استعارة لفظ (الحرب) في جدال أو حوارٍ ما، فهذه الاستعارة تعني أن كل طرف يرى الجدال حربا، ولذلك (يعد عدته للحرب)، فالحجج كالأسلحة، وكل طرف يسعى إلى (القضاء على خصمه)... فهذه استعارات تبين طبيعة هذا الجدال.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال هذا العرض يلحظ أن الدراسات تختلف فيما بينها من حيث: الاتجاه، والمنهج، والعينة. وقد أوضحت الاتجاهات العامة، أما المناهج فهي مختلفة أيضا، فبعضها يعتمد أطروحات اللسانيات الاجتماعية، وبعضها نظريات تحليل الخطاب،...إلخ. كما أن معظم عينات الدراسات تركز في الأطر العائلية أو الأسرية، وبعضها خرج إلى الإطار الإداري أو العمالي وهي أقل بكثير من الأولى. أما الفضاء الدولي فالدراسات فيه نادرة، وأغلبها جاء من علماء الأنثروبولوجيا. وتؤكد (Kakavá, 2001) أننا بحاجة إلى "إعادة تركيز جهودنا في المحادثات

العامة، التي هي أكثر تعقيدا من المحادثات التي تمت دراستها في الإطارات المحلية (الأسرة مثلا)، وهذا لو كنا نريد حقا الإسهام في حل مشاكل البشرية".

ومن ثم فهذه الدراسة تهدف إلى التعرف على لغة النزاع الدولي، وذلك بالكشف عن أطرها الإدراكية، واستراتيجياتها التواصلية، وتقنياتها الحجاجية. ويؤكد ماتوس (Matos, 2006) أن الأبحاث اللسانية التي تدرس قضايا النزاع والسلام تهدف إلى أن "تسهم في تحسين التواصل البشري، والعلاقات الإنسانية، والسعي لتكون أداة للتغيير الاجتماعي".

كما أن الدراسة تهتم بتحليل اللغة في بيئة حيوية، مليئة بالصراع والتعاون في الوقت نفسه. والكشف عن التمثيلات الإدراكية للخطاب، والاستراتيجيات التواصلية والحجاجية عند الجهات الفاعلة في النزاعات الدولية.

ثانياً: الإطار المفاهيمي للدراسة

(١) النزاع (conflict)

عرف معجم اللغة العربية المعاصرة النزاع بأنه: "خصومة بين أفراد أو جماعات قد تقتصر على تبادل الشتائم، وقد تمتدّ إلى التماسك بالأيدي أو استخدام أداة ما في المشاجرة، أو تُفضي إلى الحرب بين الدول" (عمر، ٢٠٠٨، مادة: ن ز ع).

وعرفه مورتنسن (Mortensen) في بداية السبعينيات، بأنه: "صراع واضح على المصالح المتعارضة، في توزيع الموارد المحدودة" (Putnam, 2006). وقد تطور مفهوم النزاع لدى الباحثين كثيرا بعد مورتنسن.

ومن التعريفات – التي حاولت استقصاء عناصر النزاع – تعريف تينغ تومي ١٩٨٥م (Ting-Toomey)، وهو: "النزاع: تنافر شديد (توتر أو عداء)، ذاتي أو واقعي، بين طرفين مترابطين أو أكثر؛ نتيجة للتعارض في الأهداف، أو الاحتياجات، أو الرغبات، أو القيم، أو المعتقدات، أو المواقف" (Putnam, 2006). ويقصد بالتنافر الذاتي: التنافر الذي يحصل بين الشخص وذاته، فهو نزاع يتصوره عقل الشخص، بغض النظر عن حدوثه في الواقع. أما التنافر الواقعي فهو الذي يحدث بين الناس، فهو نزاع يحدث في الواقع. فالتعريف يصف حالة النزاع، ومحله، وأطرافه، ودوافعه.

والمفهوم الذي يتبناه الباحث في الدراسة أن النزاع هو: **توتر العلاقات بين طرفين أو أكثر؛ لتعارض مُتَصَوَّر، في الدوافع، أو القيم، أو الأهداف.**

فهذا التعريف يوضح مستويات العلاقة بين الأطراف وطبيعة النزاع في كل مرحلة، وحقيقة التعارض، والإطار الإدراكي لجذور النزاع.

(أ) مستويات العلاقة بين الأطراف

(توتر العلاقات بين أطراف النزاع) درجات عديدة، تبدأ بالسلام المستقر ثم السلام غير المستقر ثم الأزمة وتنتهي بالحرب، فوفقاً لنموذج "منحنى النزاع" لمايكل لاند (Institute of Peace, 2008, p8 – 13)، فإن للعلاقات بين أطراف النزاع خمس مراحل: السلام الدائم، ثم السلام المستقر، ثم السلام غير المستقر، ثم الأزمة، ثم الحرب (سأعرض للمنحنى في المدخل التالي: تحليل النزاعات).

(ب) حقيقة التعارض

ومن ناحية ثانية، فالتعريف يشير إلى أن التوتر بين الأطراف حادث فعلا، بمعنى أن النزاع حقيقي وليس مُتَصَوّرا، والنزاع الذي يحدث بين الأطراف مرده إلى تعارض الدوافع والقيم والأهداف بينهم، وهذا التعارض ينشأ في الإدراك أولا، فالأطراف يتصورون أن ثمة تعارضا بين مصالحهم، فهو (تعارض مُتَصَوّر)، فإذا تمكن التعارض من الأطراف انتقل إلى الواقع، فظهر في صورة التوتر في العلاقات. ومن ثم يجب التفريق بين طبيعة النزاع وطبيعة التعارض، النزاع حقيقي، والتعارض تصوري.

وقد صنف عالم النفس الاجتماعي الأمريكي مورتن (Morton Deutsch) النزاع إلى حقيقي واحتمالي، فيرى أن النزاع الحقيقي (Veridical Conflict): هو ما تتطابق فيه التصورات مع الحقائق، كنزاع طرفين أو أكثر حول استخدام الموارد النادرة نفسها، للأغراض نفسها، (مثلا: النزاع بين أعضاء الحكومة حول كيفية تخصيص الميزانية للدولة، ونحو نزاع أكثر من دولة حول كيفية تقاسم مياه نهر يجري في أراضيهم جميعا). أما النزاع الاحتمالي (Contingent Conflict) فلا تتطابق فيه التصورات مع الحقائق الموضوعية، أي أن النزاع يكون في التصورات، ومن ثم فتغيير الموارد، أو التصورات يمكن أن يسهل حل النزاع، (فالأمثلة السابقة يمكن أن يكون النزاع فيها احتماليا، فالنزاع بين أعضاء الحكومة حول كيفية تخصيص الميزانية، مع وجود مال أكثر، يسهم في دفع التعارض. وكذلك نزاع أكثر من دولة حول كيفية تقاسم مياه نهر يجري في أراضيهم جميعا، مع وجود ماء بكمية أكبر، فإنه يسهم في الحل) فالوفرة في المال أو الماء الذي يتنازعون بسببه تجعل من النزاع احتماليا لا حقيقيا؛ إذ يمكن الوصول إلى حل، ودفع التعارض (Menkel-Meadow, 2003).

وكما أسلفتُ، ينبغي التفريق بين النزاع والتعارض، فالنزاع توتر حقيقي، أما التصورات فإنه يمكن تغييرها، ومن ثم فالأطراف تتصور التعارض بينها. ولا نستطيع أن نفترض أن التصورات تتطابق مع الحقائق، أو لا تتطابق معها؛ فهذا الافتراض يعكس إدراك الشخص ووجهة نظره.

وقد فرق روبين (Ruben, 1978)، بين النزاع (conflict) والنزاع المتصوّر (para-conflict)، فهو يرى أن النزاع يحدث على المستوى الواقعي الفعلي، بينما النزاع المتصوَّر يحدث على المستوى الرمزي (أي في المستوى الإدراكي وليس في المستوى الواقعي، فالإنسان يدرك الواقع من خلال الرموز، والنزاع يحدث في مستوى الرموز). ويرى روبين أن دراسات النزاع بشكل عام إنما تدخل في "النزاع المتصور"، وليس في "النزاع الحقيقي"، بمعنى أنها تدرس النزاع في المستوى الرمزي، أي كما يتصوره أطراف النزاع. ومن ثم فاعتبار النزاع بنّاء أو مدمرا، وظيفيا أو غير وظيفي، مفيدا أو لا -يعتمد على تعريف النزاع: هل هو عملية رمزية أو عملية فعلية. وبعبارة أخرى: كيف يتصور الأطرافُ النزاعَ (Nicotera, & Maydan, 1995, p10).

(ج) الإطار الإدراكي لجذور النزاع

عادة ما ينشأ النزاع لتعارض يتصوره الأطراف، إما في الدوافع (الاحتياجات والمصالح والرغبات)، أو القيم، أو الأهداف. وهذه الجذور تنشأ في الإدراك أولا، فيتصور طرفان (أ) و(ب) أن احتياجاتهما أو مصالحهما أو أهدافهما... متعارضة، فيبنيان على هذا التصور مواقف وسلوكيات، تؤدي إلى توتر العلاقات بينهما، وقد يبدأ التصور من طرف ثم يتبعه الطرف الآخر... وسأدرس هذه المسائل إن شاء الله في الإطار الإدراكي.

❖ ❖ ❖

(٢) النزاع الدولي (International conflict):

حين يقترن "النزاع" بـ"الدولي" فإن المتغير الغالب في التعريف هو أطراف النزاع، حيث تكون الأطراف دولا، أو منظمات تنتمي إلى دول مختلفة. وفي ظل العولمة فقد حدث تحول كبير في مفهوم "الأطراف الدولية"، وقد عبر عن هذا التحول كيت مالك (Malek, 2011) حيث أبان أن مصطلح "النزاع الدولي"، كان مقصورا على النزاعات التي تحدث بين الدول القومية ذات السيادة، والتي عادة ما يصعب حلها. ولكن توسع إطلاق المصطلح في العقدين الأخيرين ليشمل نزاعات حدثت بين مجموعات داخل البلد الواحد، أو نزاعات طائفية في الوطن الواحد. وقد ظل مفهوم السيادة حتى وقت قريب يفرض عدم تدخل الدول الأخرى في النزاعات الداخلية. إلا أن العولمة والمنظمات الدولية، قد جعلت التدخل الدولي في هذه النزاعات الداخلية أمرا شائعا.

ونظرا إلى ضعف النظام الشرعي الدولي، فإن المصالح بين الدول تتضارب، والقيم تختلف، ويتجلى ذلك عادة في النزاع الدولي (Goodman, 2005). وبسبب ضعف النظام الدولي، فإن كثيرا من حالات النزاع يُتعامل معها بالقوة العسكرية، التي تتجاهل الأنظمة الدولية (غزو أمريكا للعراق ٢٠٠٣، مثلا)، أو بالتعذيب، أو بالإرهاب (Jeong, 2008, p8).

ومن ثم فإن النزاع الدولي يقصد به: النزاع الذي تكون أطرافه دولا، أو منظمات تنتمي إلى دول مختلفة، أو النزاعات الداخلية التي تتدخل فيها دول أخرى.

❖ ❖ ❖

(٣) لغة النزاع، وإشكالياتها.

أقصد بلغة النزاع: الخطاب الذي يستخدمه أطراف النزاع في نزاعهم.

واللغة بنية إدراكية حجاجية اجتماعية متحيزة - كما ذكرت ذلك في المقدمة. وأشرت إلى أن لغة النزاع تقوم بدورين بالنسبة إلى كل طرف من أطراف النزاع، فهي من جهة تعكس تحيزات الأطراف،

ومن جهة أخرى، تشكل تصوراتهم وسلوكياتهم، وفي ضوئها تتحدد شرعية الفعل، وتظهر علاقات السلطة التي يستند إليها الأطراف. ومن ثم فاللغة قد تكرس النزاع، وقد تسهم في الحل.

واللغة - مثلها مثل المعرفة - سلطة، ومن ثم يؤكد وليام جاي أن "من يسيطر على لغة الحرب والسلم فإنه يمارس تأثيرا أكبر في كيفية إدراكنا للحرب والسلم، وسلوكنا تجاههما" (Gay, 2008, p1115). وقدرة البشر على حل النزاعات أو الاستمرار فيها تعود إلى "امتلاكهم السلطة لفعل أي من هذين الخيارين: التدمير أو التعمير، ومرد هذه السلطة إلى السلطة الرمزية التي تمتلكها اللغة" (Mortensen, 2008, p1144). ومثل هذه السلطة الهائلة تعد سلاحا ذا حدين، فمثلما هي قادرة على حل المشاكل المستعصية، هي أيضا قادرة على نشر الدمار، وإعادة إنتاج المشكلات في العالم. ومن ثم فسلطة اللغة العادية قد تكون إما شفاء أو شقاء.

ولغة النزاع – بوصفها تواصلاً، تمثل وسيلةً لنقل التهديدات، وعرض المصالحة، وتقديم العروض المقبولة، وغير المقبولة، وتأجيج الوضع المتوتر، أو نزع فتيل الأزمة. والتواصل من شأنه أن يسهل الوصول إلى الحل، إذا تحققت رغبة الأطراف. وثمرة التواصل هو إنشاء التفاهم بين الأطراف، بل وتغيير الوضع بصورة غير مباشرة، أو التأثير في نتائج النزاع الناشئ بسبب الأهداف المتناقضة. وإذا كان التواصل الجيد من شأنه تسهيل الوصول إلى الحل، فإن سوء التواصل يزيد من احتمالية استمرار النزاع، وتفاقمه (Krauss, & Morsella, 2006, p156).

تطرح لغة النزاع ثلاث مجموعات من الإشكاليات:

أولاها: تتعلق بالمرجعيات الإدراكية التي يستند إليها أطراف النزاع، وتتمثل في دوافعهم وقيمهم وأهدافهم وتوقعاتهم. وكون اللغة أداة إدراكية فإنها تساعدنا على الكشف عن هذا الإطار الإدراكي.

والثانية: تتعلق بالتواصل بين أطراف النزاع، والاستراتيجيات التي يسلكونها في تواصلهم. وكون اللغة أداة اجتماعية تواصلية فإنها تساعدنا على الكشف عن تلك الاستراتيجيات التواصلية.

والثالثة: تتعلق بالقضايا التي يتحاور بشأنها أطراف النزاع، وكيفية إثبات حججهم وعرضها، وكيفية إبطال حجج الأطراف الأخرى. وكون اللغة أداة حجاجية تحاورية فإنها تساعدنا على الكشف عن آليات الحجاج والحوار.

سأنطلق من هذه الإشكاليات لوضع رباعية تحليلية للغة النزاع. ولكن قبل أن أعرض هذا الرباعية، سأتوقف قليلاً عند مناهج ونماذج تحليل النزاع اللسانية وغير اللسانية.

ثالثاً: الإطار المنهجي لتحليل النزاع

يكاد النزاع يسيطر على العلاقات القائمة بين الشركات، أو المنظمات، أو الدول، وقد أصبح حقلا واسعا، تتناوله نظريات ومناهج عديدة ومتنوعة، ويقوم أطراف النزاع عادة بالإفادة من خبراء في تحليل النزاعات، وإدارتها، وحلها؛ من أجل تحقيق الأهداف التي تصبو إليها. ويرى المحللون أن تحليل النزاعات لا يؤدي بالضرورة إلى فهم موضوعي للنزاع، إلا أنه يوضح إدراكاتنا الذاتية، ويجعلها محسوسة، بحيث يمكن مناقشتها والتواصل بشأنها بوضوح (Mason, & Rychard, 2005, p1). ومن ثم فتحليل النزاع يتأثر بإدراك المحلل، ووجهة نظره.

هناك عديد من النظريات والمناهج التي تعنى بتحليل النزاع، وأخرى تعنى بإدارته (كنظريات المباريات، والتصعيد، والردع، والاحتواء)، وأخرى تعنى بحله (كنظريات التفاوض والتحكيم، أو نظرية توازن القوى..). وسأقتصر على النظريات التي تحلل النزاع.

(١) المناهج غير اللسانية:

تعد تلك النظريات والمناهج التي تفسر النزاعات وتحللها وتديرها وتتنبأ بنتائجها، أدوات مفاهيمية ترشد المحللين وصناع القرار إلى التشخيص الصحيح للأسباب الجذرية وديناميكية النزاع، على مختلف المستويات في العلاقات البشرية (Jeong, & Michael, 2008, p2105)، وتساعد نظريات النزاع على فهم الأسباب المختلفة للنزاع، وديناميكيات تطوره، وتصعيده أو انهياره، وكيف تتم معالجته وحله. وليس من غرض هذا البحث تفصيلها أو تتبعها، ولكن سأكتفي بالإشارة الموجزة إلى بعض منها. وأقسمها قسمين، قسماً يرد النزاع إلى العلاقات، وقسماً يرد النزاع إلى الحاجات. ثم أعرض لمنحنى النزاع.

أ - نظريات العلاقات:

هنالك مجموعة من نظريات العلاقات تقدم تفسيراً للنزاع، ومنها: النظرية الواقعية السياسية، ونظرية الصراع الطبقي، ونظرية بنية السلطة، ونظرية العلاقات الاجتماعية، ونظرية الحدود، وسأعرضها باختصار. (Jeong, & Michael, 2008, p 2107-2111).

يرى أنصار النظرية الواقعية السياسية (Political Realism) أن النزاعات عبر التاريخ تنشأ من علاقات السلطة غير المتوازنة بين القوى، ولأن الاندفاع وراء السلطة المطلقة طبيعة متأصلة في الإنسان، فإن النزاع أمر حتمي بين البشر، وهو ظاهرة طبيعية مقبولة. ومن ثم فالحروب أمر (طبيعي)، تبررها المصلحة الذاتية للدول وسلطتها، بغض النظر عن القيم والأخلاق.

وقدم المنظور الماركسي تفسيرا للنزاع وفقا لنظرية الصراع الطبقي، حيث يرى أن البنى (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) التراتبية تنتج علاقاتٍ عدائيةً بين الطبقة الأكثر سلطة والطبقات التي دونها، وهكذا يستمر الصراع بين كل طبقة والتي دونها. ومن ثم فإن الظلم الاجتماعي والاقتصادي يولد صراعا طبقيا في الاقتصاد السياسي الحديث، يهدف إلى التغيير الطبقي. وفي النموذج الماركسي، فإن علاقات السلطة بين الطبقات المختلفة تحددها البنيةُ الاقتصاديةُ الاستغلالية. ويتم استخدام "الإكراه" للحفاظ على العلاقات غير المتساوية بين الأغنياء والفقراء. ومن ثم فالنزاع يعد ظاهرة اجتماعية مرضية.

ووفقاً لنظرية "بنية السلطة" (Structure of Authority)، فإن اختلال ميزان القوى بين الفئات الاجتماعية هو مصدر النزاعات. ومن ثم فأي مجتمع به نوعان من القوى المتنازعة: (المجموعات المهيمنة) وهي مجموعات تريد استقرار الوضع للحفاظ على سلطتها، ومن ثم تتفق على مصالح مشتركة، وتقاوم التغيير، و(المجموعات الخاضعة) وهي مجموعات تريد تغيير موازين القوى؛ إذ تعتبر الوضع القائم ظلما واستغلالا. وتسمى المجموعات المهيمنة (مجموعات المحافظين على الوضع الراهن)، وتسمى المجموعات الخاضعة (مجموعات التغيير)، ويدور نزاعهم حول إضفاء شرعية السلطة القائمة وعلاقاتها أو نزع تلك الشرعية. وحل النزاع يحتاج إلى تغيير البنى التي تؤدي إلى تغيير موازين القوى، والمساواة بين الأطراف.

ونظرية "العلاقات الاجتماعية" تفترض أن هناك تراضيا متبادلا بين المجموعات، ومن ثم تحاول النظرية تحليل أنماط النزاع بالنظر في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المجموعات، فمثلا: يتم الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي من خلال مجموعة من القواعد والإجراءات التي تحتوي النزاعات، مما يضفي الشرعية على العلاقات السلطوية بين المجموعات النافذة والخاضعة، وأي محاولة لتغيير هذه المعادلة تعد تمردا، ومن ثم تُقمَع. وتفسر النظرية كيفية الحفاظ على العلاقات

التوافقية، بالتحذير من أن التفكك الاجتماعي سيكون ناتجا عن فشل الوظائف الأساس للنظام الاجتماعي. ومن ثم فإن النزاع ينظر إليه على أنه مظهر من مظاهر الاضطراب الاجتماعي.

ونظرية "الحدود" تفترض أن النزاع يحدث بسبب الطريقة التي يربط بها الناس بين التفاعل والحدود. وحياتنا ممتلئة بحدود مختلفة، كالقواعد، والقوانين، والعقود، والتوقعات الثقافية، والمعايير...إلخ. وبناء على النظرية فالنزاع يحدث عندما يختلف الأطراف حول هذه الحدود، أو يريدون توسيع الحدود أو كسرها، أو يرفضون قبول السلطة أو سلطة القضاء في الحدود (Furlong, 2005).

ب - نظريات الحاجات:

أشهر نظريات الحاجات، هي "النظرية الاجتماعية"، وترد أسباب النزاع إلى الحاجة الاجتماعية والنفسية للمجموعات، فأعضاء هذه المجموعات بحاجة إلى الحفاظ على الهوية الجماعية، والاعتراف بهم، والأمن، والمشاركة السياسية، والعدالة في التوزيع، وهم بحاجة أولاً إلى الضروريات المادية الأساس كالمأوى والغذاء...إلخ. ومن ثم فتعارض حاجاتهم مع طرف آخر (السلطة) يدفعهم إلى النزاع. ويرى أنصار النظرية أن نزاعات الهوية، والنزاعات الداخلية لا يمكن حلها بالقمع العسكري أو السلطوي، وإنما بإعادة صياغة مفاهيم الدولة التي تلبي احتياجات كل الأفراد، وتمنح العدالة لجميع الفئات، ولا سيما المهمشين الذين يشعرون أن الهياكل المؤسسية القائمة لا توفر حاجاتهم (Jeong, & Michael, 2008, p2106).

أما علماء النفس فيردون نشأة النزاع إلى البيئة النفسية الداخلية للأفراد، ومن ثم يرون أن العنف متأصل في الطبيعة البشرية. وبعضهم يرى أن السبب يعود إلى مشاعر الحرمان والإحباط الناجمين عن التغير الاجتماعي السريع، إذ غالبا ما يؤدي مثل هذا الانهيار إلى التعبير عن مشاعر الإحباط بأشكال عنيفة. ومن ثم يمكن الحدّ من هذا السلوك العدواني بإيجاد عالم أكثر حناناً ورعاية (Furlong, 2005).

ج - منحنى النزاع:

منحنى النزاع هو أداة تحليلية قدمها مايكل لاند (Institute of Peace, 2008, p 8 – 13)، لتحليل التطور التاريخي للنزاع، بالنظر في علاقات الأطراف في كل مرحلة، وفي استراتيجيات المرحلة. والمنحنى له بعدان: محور رأسي يتعلق بحدة الصراع، ومحور أفقي يتعلق بمدة الصراع.



شكل (١): منحنى النزاع لمايكل لاند (المصدر: معهد السلام الأمريكي، تحليل الصراعات).

تسود في مرحلة السلام الدائم مستويات عالية من التعاون والثقة والتحالف العسكري والتبادل الاقتصادي والتفاهم السياسي، واحترام متبادل للقيم والأهداف.

أما السلام المستقر فالعلاقة فيه تتسم بالحذر، والتعاون محدود، ولا يوجد تحالف عسكري، وهناك اختلاف في القيم والأهداف، وتعد المرحلة المبكرة للنزاع، وتحل النزاعات غالبا فيها بالدبلوماسية السلمية، دون اللجوء إلى العنف، واحتمال نشوب الحرب ضعيف جدا.

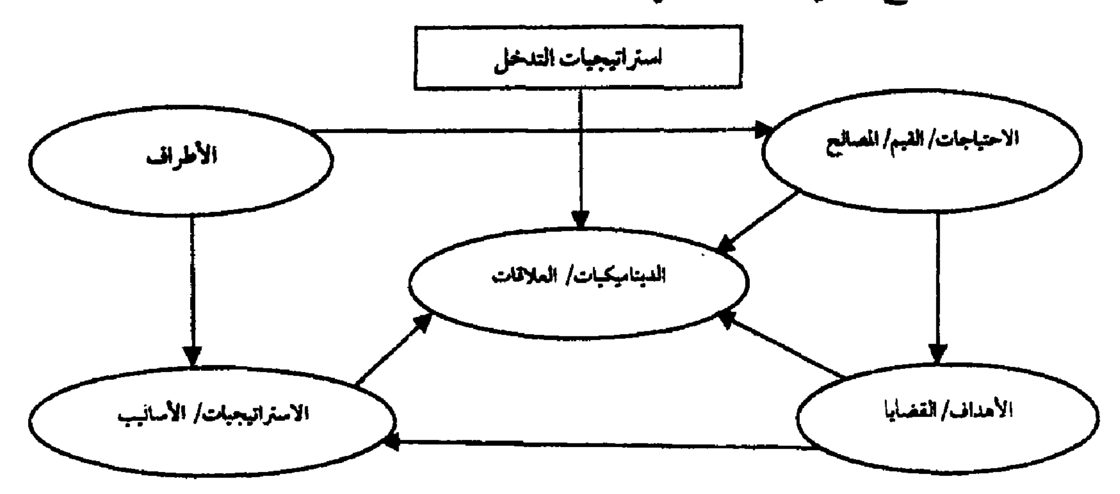
والسلام غير المستقر، هي مرحلة تتصاعد فيها حدة التوتر، والشكوك بين الأطراف، وكل طرف يتربص بالآخر، وينظر إليه بوصفه عدواً، وثمة استعداد لاستخدام السلاح، وفي الغالب لا تستخدم القوة. وتحل النزاعات في هذه المرحلة بالدبلوماسية الوقائية (منع النزاع)، بهدف تقليل حدة التوتر، ومنع تطورها إلى الأزمة.

ثم الأزمة، وهي مناوشات مسلحة بين قوات الطرفين، وتكون مستعدة للقتال، واحتمال اندلاع الحرب مرتفع جدا. وعادة ما يتدخل وسطاء لوضع مبادرات تهدف إلى نزع فتيل التوتر، واحتواء الأزمة.

ثم الحرب، وهو قتال متواصل بين قوات الطرفين، وتتفاوت الحرب من قتال متواصل منخفض الحدة إلى حرب شاملة، ويدخل فيها الحروب الأهلية، والفوضى المدنية. ودور الوسطاء في هذه المرحلة هو إدارة الصراع بتهدئة النزاع، ثم إنهائه، ثم إعادة بناء السلام.

د. خريطة النزاع:

وهي أداة تحليلية تستخدم لتوضيح نطاق النزاع، من خلال تحديد أهداف الأطراف، ونوع العلاقة بينهم، وقضايا الخلاف. توضح "جيونج" (Ho-Won Jeong) في كتابها (فهم النزاع وتحليله) خريطة النزاع كما في الشكل التالي:



شكل (٢): خريطة النزاع (المصدر: Jeong, 2008, p21)

الخطوة الأساس في فهم النزاع هي تحديد أطراف النزاع، حيث تمكن هذه الخطوة من فهم مواقفهم ومصالحهم وقدراتهم، ومستوى الدعم الخارجي. ويمكن دراسة تطور العلاقات بين الأطراف، والسياق الاجتماعي، من حيث ديناميكية المدى القصير، وطويل الأجل (Jeong, 2008, p21).

وعلى الرغم من أن كل موقف نزاع له طابعه الخاص، إلا أنه يمكن تطوير مؤشرات لتوضيح ديناميكية العلاقة في مختلف السياقات. وهذه المؤشرات تسهم في تقليل نسبة التعقيد، كما أنها تُعَرِّف كل طرف بالطرف الآخر، من منظور مختلف، وتبين تصور كل طرف عن الآخر. ومن ثم يتم المزج بين المؤشرات الذاتية القائمة على التصورات (كما يراها الأطراف أنفسهم)، والمؤشرات الموضوعية (كما يراها الآخرون الذين لا صلة لهم بالنزاع) (Jeong, 2008, p21).

كما تحدد الخريطة فاعلي النزاع الأساسيين، ولاسيما من المنظورات التالية: ١) المصالح والقيم والاحتياجات الكامنة وراء الدوافع. ٢) الأهداف: وتمثلها الأغراض والطموحات. ٣) القضايا: وهي مستمدة من الاهتمامات. وهذه العوامل تؤدي دورا مهما - ليس فقط في تشكيل استراتيجيات النزاع، وإنما أيضا - في تصميم قواعد العلاقات المتبادلة. وهي قواعد مبنية على هوية كل طرف، واحترامه، وإدراك الواقع الذي يفسر مستويات انتشار النزاع، ومدته. والعلاقات بين الطرفين تشكلها - إلى حد كبير - استراتيجية الصراع، وطبيعة القضايا الخلافية.

ومن ثم يختار كل طرف منهما الاستراتيجية التي يرى أنها تناسبه (التجنب، أو الاستسلام...الخ) (Jeong, 2008, p21).

وبالنسبة إلى الأطراف يمكن تحديد الفروق بينهم من خلال أهدافهم، ومواقفهم تجاه قضايا معينة، ودوافعهم لتحقيق مصالحهم، وقدرتهم في إدارة العلاقات مع الأطراف الفاعلة الأخرى. ومن ثم فأهداف كل طرف توحي بتوقعاته لنتائج النزاع (Jeong, 2008, p24).

(٢) المناهج اللسانية في تحليل النزاع

تعاني معظم الدراسات اللغوية للنزاع من: عدم وجود بيانات أولية مفصلة، ذلك أن حساسية النزاعات، والنظرة السلبية إليها في بعض المجتمعات، تجعل من بياناتها سرية، فيلجأ الباحثون إلى البحث عن البيانات في وسائل الإعلام (Jacquemet, 2006, p400).

وسأعرض هنا بعض الملامح العامة لتحليل النزاع من منظور لساني.

أ - منظور اللسانيات الاجتماعية:

الأبحاث التي تدرس النزاع من منظور اللسانيات الاجتماعية تكشف عن الاستراتيجيات المختلفة في التعبير عن النزاع: مباشرة أم غير مباشرة، مُلطَّفة أم عنيفة، دفاعية أم هجومية، اندفاعية أم انسحابية أم تجنبية...إلخ، واختلاف تلك الاستراتيجيات بحسب المواقف، والأطراف، والجنس، والسياقات الثقافية...إلخ. واعتمد أصحاب تلك الدراسات على تحليل المحادثة وأفعال الكلام والتداولية. وقد ركز الباحثون دراساتهم في النزاعات التي تحدث بين الأطفال.

وكثير منهم رأى أن النزاعات بين الأطفال يؤدي بطريقة خفية إلى: "تطوير الإحساس بالبنية الاجتماعية، والمساعدة على إعادة إنتاج السلطة، وإنشاء الصداقات" (Kakavá, 2001, p660)، كما أن النزاعات تساعد الأطفال على تأطير أدوارهم في العلاقات (مثلا: من يكون القائد؟)، وفي نتائج الجدالات (فالشخص الصلب عادة ما يستخدم وسائل مادية عنيفة وينهي النزاع) (Kakavá, 2001, p660).

ب - المنظور التواصلي:

ركزت البحوث التواصلية بداية في الرسائل اللفظية وغير اللفظية في التواصل، والدور الضمني والصريح في التواصل. كما درس الباحثون أيضا: البنى الحجاجية، واستراتيجيات الإقناع (Putnam, 2006). كما اتجه الباحثون إلى دراسة النزاع في المجموعات التعاونية والتنافسية،

وأغلب موضوعاتهم تركز في النزاعات العاطفية، ودرجة الودية بين الأطراف أثناء النزاع، وأثرها، وأثر الموضوعية في اتخاذ القرارات. (Putnam, 2006).

وتوظف بحوث التواصل والنزاع متغيرات مختلفة: نفسية واجتماعية وتفاعلية. وتشمل المتغيرات النفسية: الحالات والسمات الانفعالية، والشخصية، ومستوى الدوافع وأنواعها، ودرجة المعرفة ونوعها. كالعداء، والتعصب، والوقاحة. وتشمل المتغيرات التفاعلية: سمات السلوك التواصلي اللفظي وغير اللفظي. وتشمل المتغيرات الاجتماعية: سمات الجماعات، والمنظمات، والدول، والثقافات (Fink, at el, 2006).

ج - منظور اللسانيات الإثنوغرافية:

أسهم التحليل اللساني الإثنوغرافي للنزاع في تقديم كثير من النتائج التي تكشف عن دور الثقافات في إدارة النزاع. والتحليل اللساني الإثنوغرافي يسلط الضوء على الأنماط التواصلية في المجتمع، ويكشف عن أسباب النزاع في المجتمعات.

فعلى سبيل المثال، ميز إدوار هول (Edward Hall) عام ١٩٧٦، بين السياقات العالية والمنخفضة للجماعات اللغوية، فالسياقات العالية تبنى على استخدام الخطاب غير المباشر، واستخدام الأفكار في صيغ مجازية ومجردة، وتفضيل العموميات في الحديث بدلا من التفاصيل الدقيقة. أما السياقات المنخفضة فتبنى على التوصيل المباشر للمعلومات، بوضوح تام، وعادة ما يتم تجاهل بعض خصوصيات أساليب التواصل (Kyrou, & Rubinstein, 2008, p518).

ومن الدراسات التي استخدمت هذا المنظور دراسة كوهين (Cohen, 1990) في تفسير تعثر المفاوضات بين "الإسرائيليين" والمصريين لما يزيد عن خمسين عاما، من خلال دراسة الفروق التاريخية والثقافية والاجتماعية، بين المجتمعين؛ لإيضاح التصورات المتباينة للزمن، ودور العنف، وعرقلة المجتمع لعملية التفاوض. إضافة إلى التناقض بين السياق العالي في أسلوب التواصل المصري، والصيغة الإسرائيلية للسياق المنخفض المباشر في أسلوب الخطاب.

وأما "زوبنيك" (Zupnik, 1995) فقد أظهر في دراسته عن النزاع بين الفلسطينيين و"الإسرائيليين"، أن الطرفين يشتركان في هدف أن كلا منهما يريد معرفة الطرف الآخر، ويختلفان في أهداف أخرى، فالجانب الفلسطيني يريد نقل رسائله السياسية إلى الرأي العام، والجانب "الإسرائيلي" يريد أن يقوي علاقته بالجانب الفلسطيني (كما يقول زوبنيك). وهذه

الأهداف تشكل المكونات الأخرى للحدث الكلامي، نحو: نوع المبادرات التفاعلية، ونتائجها. كما ركز "زوبنيك" على تحدي الهوية، حيث يرى التركيز في التفاعل بين هوية المجموعات، بدلا من التركيز في التفاعل بين الأفراد، وقد بينت الدراسة أن "الإسرائيليين" يشكلون تحديا للوحدة الفلسطينية، بينما الفلسطينيون يبحثون عن الالتزامات السياسية من جانب "الإسرائيليين".

د - منظور الأنثروبولوجيا اللغوية:

في المنظور الأنثروبولوجي، يتشكل النزاع والعنف، نتيجة لاختلاف المعايير والقيم والأيديولوجيات ووجهات النظر - المحددة ثقافيا. وينشأ النزاع في المجتمعات من خلال التفاعلات، مستنداً إلى المعرفة الثقافية الاجتماعية المؤسسية التي يشترك في معرفتها أفراد المجتمع. وهذه المعرفة الثقافية - التي تبرر النزاع لطرف، وتدينه في حق الطرف الآخر - يعدها الأفراد المشتركون حقيقة موضوعية (Kyrou, & Rubinstein, 2008, p517).

ومن ثم يهتم علماء الأنثروبولوجيا بالنظر في كيفية إضفاء الطابع المؤسسي على النزاع والعنف - داخل الثقافات، وذلك بالتساؤل عن الطرق التي يتم من خلالها الحفاظ على علاقات النزاع، أو التعبير عنها، أو تمويهها، بواسطة الوسائل الرمزية، والسلوك الرمزي.

ومن الأعمال المبكرة في هذا المجال دراسة عالم الأنثروبولوجيا (Abner Cohen) في فهم العلاقة بين الرمزية (التعبير أو التلاعب بالصيغ الرمزية وأنماط الحدث الرمزي) وصراع المجموعات على السلطة السياسية والاقتصادية (Kyrou, & Rubinstein, 2008, p517). وتوصل إلى أن الرموز لا تنشأ تلقائيا، ولكنها تنتج من خلال عملية إعادة الهيكلة المستمرة لتوزيع الموارد الموجودة في المجتمع.

ومن جهة أخرى، فإن دراسة "الشعائر الثقافية" (Ritual) تقدم أرضية خصبة لتحليل العلاقات بين الصراع السياسي والسلوك الرمزي. فالأنشطة السياسية (كالخطب، والاحتفالات الوطنية، و...) هي شعائر سياسية، تعتمد على الرموز اللغوية (الكلمات)، ويقوم سدنة هذه الشعائر بصناعة المعاني لتلك الرموز اللغوية؛ ومن خلال الرموز ينقلون رسائل تضفي الشرعية على سلطتهم، وتضمن الحصول على تفويض شعبي لممارسة السلطة (Kyrou, & Rubinstein, 2008, p517).

ومن الدراسات في هذا الإطار دراسة ماري (Mary Catherine Bateson) في استكشاف الثقافة الشعبية الإيرانية، وتأثيرها في العلاقات الدولية، وقد بينت "ماري" في تحليلها أن هناك منهجين

إيرانيين مختلفين في صنع القرار. الأول يستمد جذوره من البراغماتية، وقواعد التسوية، والآخر يستمد جذور من مراعاة الاحترام، بالرغم من العواقب السلبية المحتملة. وفهم هذا من شأنه أن يساعد على فهم العلاقات الدولية بين إيران وأمريكا، ويبرر الحاجة مستقبليا إلى التركيز في الدوافع بدلا من الاقتصار على نتائج السلوك السياسي (Kyrou, & Rubinstein, 2008, p517).

هـ - منظور اللسانيات الإدراكية:

استخدم بعض الباحثين اللسانيات الإدراكية، في تحليل النزاع، ولا سيما: الاستعارات المفهومية. للكشف عن نماذج النزاع السائدة لدى الأفراد، والطرق التي يستحثون بها خبراتهم لاستبعاد بعض الأساليب في إدارة النزاع. والاستعارة هي طريقة لرؤية الشيء كما لو كان شيئا آخر. وبذلك فهي تربط بين المفاهيم المجردة (كالنزاع)، والأشياء المحسوسة (كالحرب).

وقد أشرتُ سابقا – في الدراسات السابقة – إلى دراسة بيسكر (Beisecker)، حيث بين أن تحليل الاستعارة في لغة أطراف النزاع، يكشف عن توقعاتهم لنتائج النزاع، كما يكشف عن طبيعة النزاع القائم بينهم.

وفي دراسة قام بها (Buzzanell & Burrell, 1997) لاستكشاف وجهة نظر أعضاء بعض المنظمات إلى النزاع. تبين أن لديهم ثلاث صور ذهنية عن النزاع: النزاع = حرب/ دمار، والنزاع = عجز/ تحيز، والنزاع = فرصة/ قرار (Putnam, 2006). ويختلف نظرهم في هذه الصور باختلاف أطراف النزاع، فيمثلون النزاع بين زملاء العمل على أنه حرب ودمار. ويصورون النزاع بين المشرفين والمديرين على أنه فرصة لاتخاذ قرارات قادمة، وإعادة النظر في قرارات سابقة. ويمثلون النزاع بين أعضاء القسم الواحد على أنه عجز وتحيز وغير متكافئ. وقد تبين عموما أن الاستعارات السلبية أكثر ظهورا من الاستعارات الإيجابية، وكثيرا ما تصور النزاعات باستعارات من عالم الحيوانات، كالإطلاق على العنيد بأنه "بغل"، أو استعارات من الكوارث الطبيعة، نحو: "عاصفة، إعصار، تحت الماء" – أكثر من استخدام استعارات العنف والحرب.

(٣) رباعية تحليل خطاب النزاع

ذكرت سابقاً أن لغة النزاع تطرح ثلاث إشكاليات:

الأولى: تتعلق بالمرجعيات الإدراكية التي يستند إليها أطراف النزاع، وتتمثل في دوافعهم وقيمهم وأهدافهم وتوقعاتهم، فهي مرجعيات تكشف عن جذور النزاع وخلفياته.

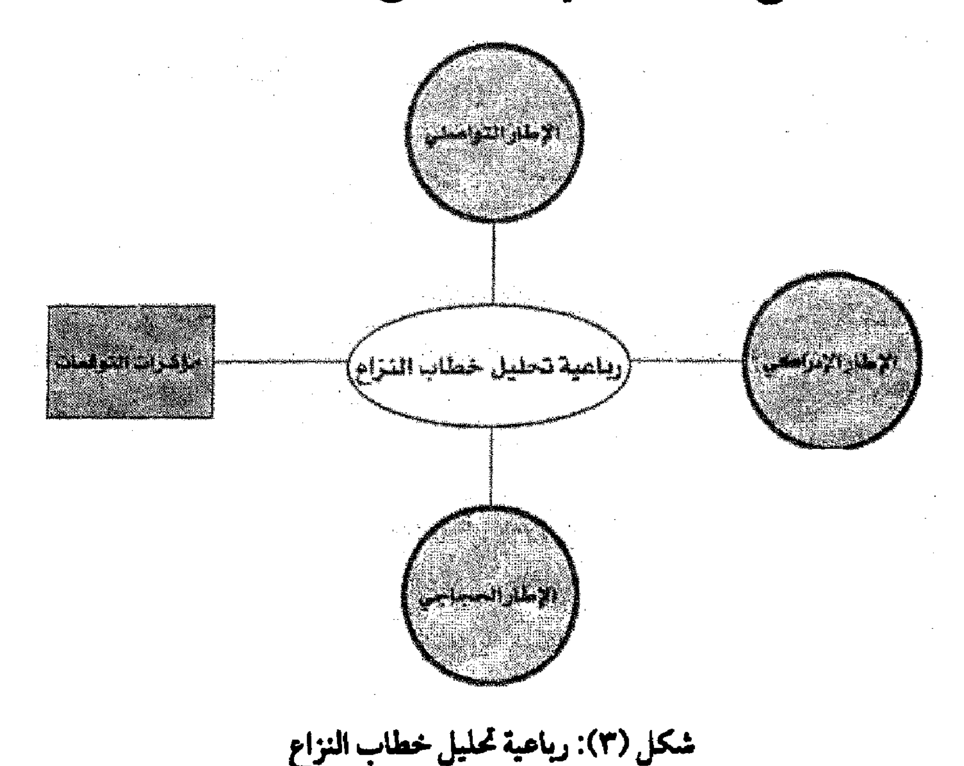
والثانية: تتعلق بالتواصل بين أطراف النزاع، والاستراتيجيات التي يستخدمونها في تواصلهم.

والثالثة: تتعلق بالقضايا التي يتحاور بشأنها أطراف النزاع، وكيفية إثبات حججهم وعرضها، وكيفية جدال حجج الأطراف الأخرى.

ومن ثم فتحليل خطاب النزاع يتطلب إطارا تحليليا يتناول هذه الإشكاليات، ويرى الباحث أن الإطار التحليلي يرتكز على ثلاثة منظورات لسانية، هي: المنظور الإدراكي، والمنظور التواصلي، والمنظور الحجاجي. كل منظور منها يمثل إطارا للتحليل، وبهذا فالإطار التحليلي للنزاع يتكون من ثلاثة أطر: الأول: (الإطار الإدراكي)، والثاني: (الإطار التواصلي)، والثالث: (الإطار الحجاجي).

فـ(الإطار الإدراكي) هو المرجعية الرمزية التي تحدد هوية منشئ الخطاب، و(الإطار التواصلي) هو استراتيجيات العلاقة بين أطراف الخطاب، و(الإطار الحجاجي) هو الاستراتيجيات والبنى الحجاجية في الخطاب.

يُستخدَم الإطار الإدراكي للكشف عن جذور النزاع وخلفيات أطرافه، والإطار التواصلي والإطار الحجاجي يستخدمان لتحليل استراتيجيات الوضع الراهن للنزاع، فيما يتعلق بالأطراف، وفيما يتعلق بالموضوع. ونظل بحاجة إلى مؤشرات التوقعات التي تحاول التنبؤ بمآل النزاع. وهذا الشكل يوضح الإطار التحليلي لخطاب النزاع:



شكل (٣): رباعية تحليل خطاب النزاع

وسأتحدث بإيجاز عن مكون كل إطار من هذه الأطر التحليلية.

أ - الإطار الإدراكي

الإطار الإدراكي هو مرجعية رمزية لتحديد هوية منشئ الخطاب، ورسم تصوراته لهويته وللآخر، وكيف يبني نماذجه التواصلية وفق هذه المرجعية، وكيف يمارس حجاجه بعد ذلك وفقا لهذا الإطار.

ويؤدي الإدراك دورا مهما في إعادة إنتاج الأيديولوجيات؛ فالإدراك وفقا لهذا المنظور يعد متجذرا اجتماعيا في المبادئ المشتركة للمجموعة، ومعتقداتها، ومواقفها وأيديولوجياتها. ويشكل الخطاب مساحة مهمة؛ تنشر فيها المعتقدات والمبادئ، ويعاد إنتاجها، من خلال الوسائل العامة للتواصل التي تسيطر عليها النخب، فتتحكم في تشكيل الرأي العام، وإنتاج المعتقدات المنحازة، وترسيخ التمييز العرقي أو الفئوي، وتوجيه المواقف، وصناعة الأيديولوجيات (van Dijk, 1989).

الإطار الإدراكي كما عرفته في المقدمة، هو: مرجعية رمزية تحدد هوية منشئ الخطاب، وذلك بالكشف عن تمثيلاته الإدراكية للفاعلين في النزاع، ولأحداث النزاع، وللقيم والدوافع والأهداف والتوقعات، وللزمن والمكان.

ومن ثم سأتناول الإطار الإدراكي من أربع زوايا، الأولى: إطار الفاعلين، والثانية: إطار الأحداث، والثالثة: الإطار المرجعي، والرابعة: الإطار الظرفي.

وتزودنا اللسانيات الإدراكية بأدوات جيدة لدراسة هذه الأطر؛ فاللغة -في نظر اللسانيات الإدراكية- "أداة لتنظيم المعلومة ومعالجتها ونقلها، وهي مستودع للمعرفة العالمية، ومجموعة منظمة من فئات معبرة، تساعدنا على التعامل مع التجارب الجديدة، وتخزين المعلومات عن التجارب القديمة" (Geeraerts & Cuyckens, 2007, p35).

ومن ثم فاللسانيات الإدراكية تعالج اللغة من وجهة نظر نفسية، بمعنى أن اللغة جزء من تنظيم المعرفة في عقل الفرد. "فالخطاطة الإدراكية[1] تهيكل استخدام الفرد للغة، ولغته

---

(١) الخطاطة الإدراكية (cognitive schema)، أبنية إدراكية تجريدية، تستند على عدد محدود من الأنظمة في ذهن الإنسان، وتوفر التمثلات الإدراكية للإنسان، حيث تنظم إدراك الإنسان واستدلاله، فكل إنسان لديه أبنية سابقة، فينظمها للوصول إلى معارف واستدلالات جديدة (Evans, 2007a, p189).

تكشف عن نظمه الإدراكية التي تؤطر رؤيته وتمثيلاته تأطيرا مفهومياً وقيمياً" (Dirven, & Wolf, 2007).

وأهم مناهج اللسانيات الإدراكية التي سأستخدمها في التحليل، هو "تحليل الإطار"، و"الأفضية الذهنية"، و"الاستعارات المفهومية".

أ - ١ - تحليل الإطار:

تكشف نظرية تحليل الإطار عن العمليات الإدراكية التي تنظم تفسير المعلومات (Suurmond, 2005, p12). وهو منهج مشترك تتعاوره أبحاث اللسانيات الإدراكية، والتواصل، والبلاغة، وعلم النفس الإدراكي. ومفهوم الإطار استخدم في حقول مختلفة، كعلم اللغة وعلم النفس الإدراكي، والذكاء الصناعي، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع...إلخ. والقاسم المشترك بينها هو أن "الخطاطات الإدراكية تهيكل استخدامنا للغة، وتقودنا إلى الاستخدام اللغوي" (Cienki, 2010, p73).

وقد استخدم تشارلز فلمور (Charles J. Fillmore)، مصطلح "تحليل الإطار" ليصف البنى الإدراكية. فاللغة - كما يرى فيلمور - "ذات بنية إطارية، تعد انعكاسا طبيعيا للطرق التي نؤطر بها معارفنا". ويرى هيدسون أن "البنية اللغوية تعمل بالطريقة نفسها التي تعمل بها البنى المفهومية غير اللغوية" (Cienki, 2010, p171,173).

والإطارات - كما يرى قوفمان (Goffman, 1986) - هي "البنى الإدراكية الأساس التي توجه تصور الواقع وتمثيله. وهذه الإطارات لا تنشأ بوعي، وإنما تُتَبنى بغير وعي في سياق عمليات التواصل، وبواسطتها تُحدَّد أي الأجزاء من الواقع أصبح ملاحَظا، أو مدرَكا".

وتمثل نظرية الأفضية الذهنية تطويرا لسانيا لـ"تحليل الإطار". وهي نظرية مبنية على أعمال عالم اللغة الفرنسي فوكونييه (Fauconnier). وترتبط تلك الأفضية بالمعرفة التخطيطية طويلة المدى (كإطار المشي للطريق)، وترتبط أيضا بالمعرفة الخاصة طويلة المدى (كذاكرة الاحتفاظ بزمن حدث فيه حدث ما). وحين يتم تنظيم العناصر والعلاقات في الفضاء الذهني كحزمة واحدة حول شيء ما، فإننا نقول إن الفضاء الذهني قد تم تأطيره، ونسمي ذلك التنظيم إطارا. وهناك مصادر عدة لبناء هذه الأفضية، ومنها: المجالات المفهومية للشيء (كالأكل ومجاله المفهومي)، والتجارب المباشرة، وما يقوله الآخرون لنا عن الشيء (Fauconnier, 2010, p351).

والمبدأ الأساس في النظرية (وبشكل عام في الروابط المفهومية) هو الربط، ويسمى مبدأ الوصول (Access Principle)، ويعني أن "التعبير الذي يسمي أو يصف عنصرا في فضاء ذهني ما، يمكن استخدامه للوصول إلى نظير ذلك العنصر في فضاء ذهني آخر" (Fauconnier, 2010, p351).

و"تحليل الإطار" يرسم إطار النزاع لدى الأطراف، فيساعد أطراف النزاع على تفسير النزاع، وإدراك الصورة التي يفكر بها كل طرف، ويقدم لهم رؤية لحل المشاكل بإعادة رسم إطار النزاع، وتغيير الإطار غير المرغوب فيه (Rothman, 1997). والوسطاء أو الأطراف يمكنهم الإفادة من هذه النظرية في معرفة العوامل والسياقات التي تؤدي إلى تغيير الإطار، وإعادة رسم إطار آخر؛ مما يسهم في حل النزاع.

أ - ٢ - الاستعارات المفهومية:

أما الاستعارات المفهومية، فهي نظرية تعود إلى لايكوف، وتقوم على اعتبار أن المجاز مكون مركزي في العقل، وليس مجرد قسيم للحقيقة. وقد بين لايكوف أن الاستعارات تنتظم فكر الإنسان، ويحيا بها في جميع تفاصيل حياته (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩). وتمثل الاستعارة "الأداة الأساس التي نتمثل بها المفاهيم المجردة، وبها نفكر، وهي لذلك متجذرة في الذهن، وما جريانها في اللغة إلا وجه من وجوهها، فالاستعارة مفهومية بالأساس وليست لغوية" (الزناد، ٢٠١٠، ص١٥٧). والتحليل الذي قدمه لايكوف للاستعارة، لا يجعلها مجرد ظاهرة لغوية أساس، ولكنها عناصر أساس في البنى المفهومية، تعكس الطرق التي يجرب بها الناس عالمهم (Grady, 2007, p192).

وتحليل الاستعارة المفهومية يكشف نماذج النزاع السائدة لدى الأفراد، ورؤيتهم لطبيعة النزاع، وأساليب إدارته، وطرق حله.

ب - الإطار التواصلي

يهدف الإطار التواصلي إلى الكشف عن العلاقات بين أطراف النزاع، والاستراتيجيات التواصلية التي يستخدمونها في تواصلهم أثناء النزاع. حيث يتبع أطراف النزاع استراتيجيات مختلفة؛ للوصول إلى غاياتهم وتحقيق أهدافهم من النزاع. واستراتيجيات التواصل تُعنَى أساسا بطبيعة العلاقة بين الأطراف، والضوابط التي يراعيها كل طرف في تعامله مع الآخر، ومدى فعاليتها في تحقيق هدفه الذي يسعى إليه. سأتحدث في هذا المدخل عن بعض جهود التداولية التي أسهمت في تقدم دراسة استراتيجيات التواصل في النزاع، وبالتحديد: نظرية المناورة، والأفعال الكلامية.

ب – ١ – نظرية المناورة[١]:

---

(١) فيما يلي بيان موجز عن هذا المصطلح.

أولاً: مصطلحات النظرية

هذه النظرية تشتمل على خمسة مفاهيم، تعبر عنها المصطلحات التالية: (Face Theory)، و(Face-Threatening Acts)، و(Face-Saving)، و(Positive Face)، و(Negative Face).

ثانياً: الترجمات الشائعة

الترجمة الشائعة لهذه النظرية (Face Theory) هي: "نظرية الوجه"، (انظر: الشهري، ٢٠٠٤، ص١٠٤) وترجمها د. طه عبد الرحمن (١٩٩٨، ص٢٤٣) إلى "مبدأ التواجه". وبين أنه استعمل لفظ التواجه لأن دلالته لغة (مقابلة الوجه للوجه). وكنت اقترحت ترجمته إلى (نظرية ماء الوجه).

والمصطلح (Face-Threatening Acts) شاعت ترجمته: "أفعال تهديد الوجه"، وكنت اقترحت ترجمتها سابقا بـ(إراقة ماء الوجه). في مقابل: (Face-Saving) الذي اقترحت ترجمته إلى: (الحفاظ على ماء الوجه).

والمصطلح (Positive Face) شاعت ترجمته بـ: "الوجه الإيجابي" والمصطلح (Negative Face) شاعت ترجمته بـ: "الوجه السلبي". في حين ترجم د. طه عبد الرحمن الأول بـ: "الوجه الجالب"، والثاني بـ"الوجه الدافع". (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٤٣).

ثالثاً: نقد د. الزليطني للترجمة الشائعة

ورأى د. محمد لطفي الزليطني أن "مصطلح (الوجه) غير مستساغ في العربية، رغم تداوله، فهو ترجمة حرفية، ولا تلاءم أسلوب العربية؛ فنحن لا نقول في العربية: نهدد الوجه، مثلا، مع أن الناطقين بالإنجليزية يقولون: (Face-Threatening) في مقابل (Face-Saving)، وأعتقد أن مصطلح الوجه هذا بحاجة إلى إعادة نظر".

رابعاً: الترجمة البديلة:

واقترح د. محمد لطفي الزليطني أن يترجم مصطلح (Face Theory) إلى: (نظرية المناورة)، فحياتنا كلها مناورات، وحواراتنا كلها مناورات، والمتحاورون يناورون؛ للإقناع، وللطلب، وللسخرية... إلخ. وللمناورة خطتان: المواجهة (Face-Threatening Acts)، والمصانعة (Face-Saving). والمواجهة هي تصريح المتكلم بالقول المهدد، أما المصانعة فهي امتناع المتكلم عن إيراد القول المهدد.

ورأى أن هذه الترجمة ترجمة بالمعنى، تراعي المفهوم، وتلاءم أسلوب العربية، ومستمدة من الألفاظ العربية، كما أنها سهلة التصريف والاشتقاق منها، فنقول: ناور يناور مناورة، فهو مناور. بخلاف (نظرية الوجه)، فلا نستطيع أن نشتق منها.

وهذه الترجمة هي ما اعتمدته في هذه الدراسة، فهي أدلّ معنىً، وأكثر سلاسة، وأيسر تصريفاً، وأنسب أسلوباً، وأفصح لفظاً، وأحكم مصطلحاً.

وبناء على مقترح د. محمد لطفي الزليطني، فقد اقترحتُ ترجمة المصطلح: (Positive Face) إلى: (حب المصانعة)، و(Negative Face) إلى: (كراهية المواجهة).

(Positive Face): حب المصانعة؛ فمفهومه إرادة المرء أن يعترف الآخر بفعله، أو يحترمه، أو يقدره... إلخ، وهذه كلها تعني أنه يحب مصانعة الآخرين له. ومن ثم فالسخرية والنقد.. تهدد هذه الإرادة.

(Negative Face): كراهية المواجهة، فهو رغبة الشخص أن يفعل ما يريد باختياره دون أن يواجهه أحد باعتراض، أو يفرض عليه أحد اختياراً ما، ومن ثم فأفعال الطلب... تهدد هذه الإرادة.

من أشهر استراتيجيات التواصل ما عرف باستراتيجيات التأدب، وقد أسهم العديد من العلماء فيها، بدءا بجرايس (مبدأ التعاون)، ثم روبين لاكوف التي صاغت (مبدأ التأدب)، ثم براون وليفنسون (نظرية المناورة)، ثم ليتش (مبدأ التأدب الأقصى). سأكتفي بعرض نظرية المناورة لارتباطها بدراسة النزاع.

نظرية "المناورة" لبروان وليفنسون، إحدى نظريات التأدب التي تتعلق باستراتيجيات التواصل بين الناس، ومدى مصانعة كل منهم للآخر، أو مواجهته له. فالمتكلم والمستمع بالرغم من ممارستهما السلطة إلا أنهما يراعيان هذا المبدأ؛ حفاظا على التوازن الاجتماعي، وللحيلولة دون وقوع نتائج سلبية من الطرف الآخر. فمراعاة التأدب قيمة اجتماعية معتبرة، يهتم بها كل طرف، كما يهتم بممارسة السلطة.

و"نظرية المناورة Face Theory" - كما يرى براون وليفنسون – تنطلق من أن كل امرئ يناور الآخرين، إما بـ(المواجهة)، وإما بـ(المصانعة). (Brown, & Levinson, 1987, p61).

فالمواجهة (Face-Threatening Acts)، تشتمل على أربع استراتيجيات:

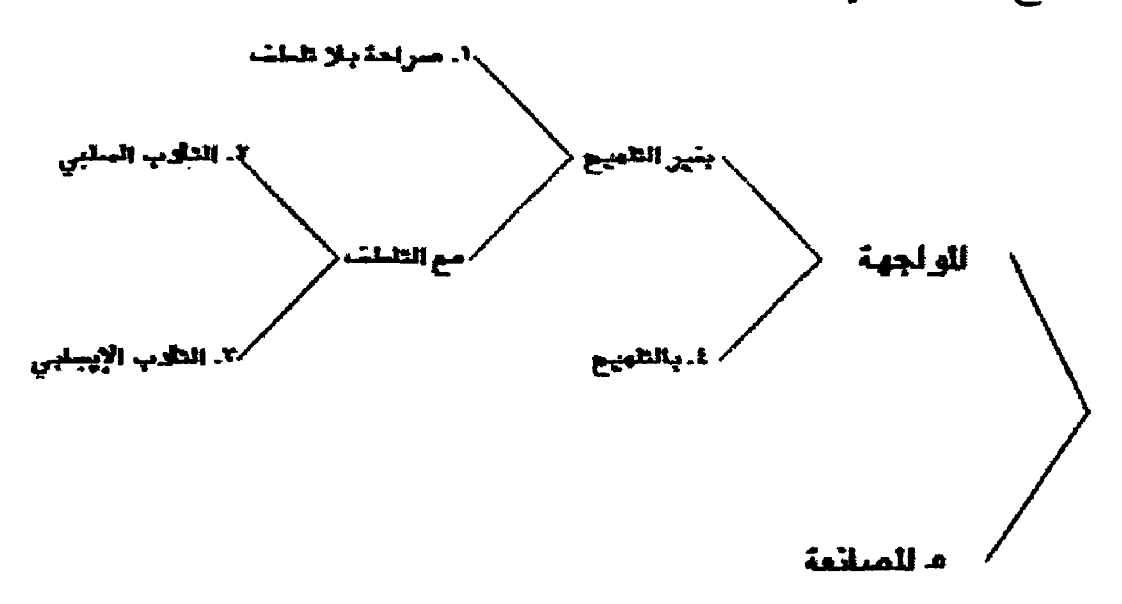
الأولى: الاستراتيجيات الصريحة (عمل الشيء بصراحة، دون تلطيف، أو اعتذار، أو تحفظ)، والثانية: استراتيجيات التأدب الإيجابي (التلطف، وتقوم الاستراتيجية على التضامن، وصناعة أرضية مشتركة معه، وبناء جسور التعاون)، والثالثة: استراتيجيات التأدب السلبي (تسعى إلى التلطيف من أفعال المواجهة، بتقليلها، أو التحفظ، أو الاعتذار)، والرابعة: استراتيجيات التلميح (استخدام أسلوب غير مباشر من خلال الاستعارات والمجازات، والأسئلة غير المباشرة).

والمصانعة (Face-Saving) وهي استراتيجية التجنب (وتتمثل في: تغيير الموضوع، أو تبديل المعنى، أو تجاهل المقصود، ومن ذلك: ابتلاع المشاعر ومحاولة إخفائها وراء أمر آخر، أو عدم التعبير بوضوح عنها. ومنه: إيثار عدم التصادم مع الغير، ومحاولة امتصاص الاستفزاز).

فالخلاصة أن ترجمة المصطلحات كما يلي:

- نظرية المناورة: (Face Theory).
- المواجهة: (Face-Threatening Acts).
- المصانعة: (Face-Saving).
- حب المصانعة: (Positive Face).
- كراهية المواجهة: (Negative Face).

ويوضح المخطط التالي هذه الاستراتيجيات:



شكل (٤): استراتيجيات نظرية المناورة، وفقاً لبراون وليفنسون

(المصدر: Brown, & Levinson, 1987, p69)

ويرى براون وليفنسون أن لكل امرئ إرادتين، حيث إنه يكره أن يواجهه الآخرون، ويحب أن يصانعوه. (كراهية المواجهة: Negative Face) و(حب المصانعة: Positive Face)، فالأول (كراهية المواجهة): إرادة المرء أن يفعل ما شاء دون اعتراض أحد، حيث يمثل الاعتراض إساءة بالنسبة إليه، ويكره أن يواجهه الآخرون. والثاني (حب المصانعة): إرادة المرء أن يقدره الآخرون. فهو يحب أن يصانعوه. (Brown, & Levinson, 1987, p61)..

ومن ثم فهناك "مقصد" يستهدفه المشارك في الخطاب، وهو: جلب التقدير للذات (حب المصانعة)، ودفع اعتراض الآخرين لها (كراهية المواجهة). ووسيلة يصل بها إلى هذا المقصد، وهي الاستراتيجيات الخمس السابقة. (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٤٣).

وتُختار إحدى الاستراتيجيات وفقا لأحد المعايير السياقية، وهي: علاقة السلطة، والمسافة الاجتماعية، والمرتبة الاجتماعية (Goldsmith, 2009). فالمتكلمون الأكثر سلطة هم أقل قلقا حول أفعال (المواجهة) من المتكلمين الأقل سلطة. والمسافة الاجتماعية كلما اقتربت بين المتخاطبين تلاشى القلق بينهم حول أفعال المواجهة. والرتبة تشير إلى المفاهيم الثقافية التي تحدد مدى خطورة أفعال المواجهة.

تركز هذه النظرية في أفعال المواجهة، وقد انتقدها بعض النقاد لاقتصارها على "أفعال المواجهة"، فليست جميع الأقوال حاملة للمواجهة (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٤٥).

إلا أن هذه النظرية يفيد منها الباحثون في تحليل النزاع، من حيث إن "المواجهة" هي أهم الأفعال الكلامية في خطابات النزاع. فهي تساعد على إدراك الطرق التي يستجيب بها أطراف النزاع في السياق التواصلي.

ب – ٢ - الأفعال الكلامية:

انبثقت نظرية "الأفعال الكلامية (speech act theory)" مع دراسة الفيلسوف الإنجليزي أوستين في كتابه: (كيف ننجز الأشياء بالكلام، ١٩٦٢م)، ثم تطورت مع الفيلسوف الأمريكي سيرل. ويراد بالفعل الكلامي أن المتكلم ينجز أفعالا بالكلمات التي يتلفظها، كالأمر والنهي والوعيد... إلخ، ومن ثم فهو فعل تلفظي إنجازي تأثيري، يهدف إلى إحداث تأثير في المخاطَب. وتهتم النظرية بدراسة المقاصد التواصلية وارتباطها بالمضامين (موشلر، وريبول، ٢٠١٠، ص ٥٦ – وما بعدها).

وقد قام أوستين بتصنيف (الأفعال الإنجازية) خمسة أصناف (أوستين، ١٩٩١، ص١٧٥ – وما بعدها): أفعال الأحكام، والممارسات، والوعد، والسلوك، والتبيين. غير أن سيرل أعاد تصنيفها إلى: التمثيليات، والتوجيهيات، والوعديات، والتعبيريات، والإيقاعيات. يراد بالتمثيليات (الأخبار القابلة للتصديق والتكذيب)، والتوجيهيات (المتكلم يريد من المخاطب أن يقوم بشيء ما)، والوعديات (المتكلم يلتزم بتحقيق عمل ما)، والتعبيريات (التعبير عن الحالة النفسية)، والإيقاعيات (الإنشاءات) (موشلر، وريبول، ٢٠١٠، ص٧٦).

ثم جاء سبربر وولسون وقدما تصنيفا للأفعال الكلامية، يقوم على ثلاثة أعمال: الخبريات، والتوجيهيات، والاستفهامات (موشلر، وريبول، ٢٠١٠، ص٨٠).

أما فيركلاف فقد ميز بين نمطين من أنماط التبادل الحواري (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٢٠٥)، وهما: التبادل المعرفي (أي: تبادل المعلومات واستيضاحها وتقديمها ووصف الوقائع... إلخ)، والتبادل الأدائي (ويقصد به النشاط، أي: ما يفعله الناس، أو ما يجعلون غيرهم يفعله). واستنادا إلى هذين النمطين فقد صنف الوظائف الكلامية أربعة أصناف: أقوال خبرية، وأسئلة، ومطالب (تتضمن

الأمر والطلب والاستجداء...)، وعروض (تتضمن: الوعد والتهديد والاعتذار والشكر...).
وقد اعتبر أن للأقوال الخبرية ثلاثة أنماط: قول خبري وقائعي (يخبر عن واقع الحال، مثل: التقيت أحمد البارحة)، وقول خبري غير وقائعي: إما توقع (سألتقيه غدا)، أو افتراضات (قد ألتقيه غدا)، والثالث: التقييمات: مثل: أحمد شخص جيد.

ويتطلب تحليل استراتيجيات التواصل في خطاب النزاع نموذجاً يراعي صراع قصديات الأطراف واستجاباتهم. ومن ثم يقترح الباحث (نموذج الوظائف التواصلية)، (سأتحدث عنه في مدخل الفصل الثاني). والنموذج يشتمل على ثلاث وظائف: المعرفة والتصديق والتوجيه. والوظيفة التواصلية الأساس هي وظيفة التوجيه؛ ومن ثم فتركيزي في تحليل خطاب النزاع سيكون في استراتيجيات التوجيه في خطاب النزاع؛ باعتبارها المقصد الأساس للتواصل.

ج - الإطار الحجاجي

يُعنَى هذا الإطار بتحليل موضوع النزاع، ويتناول التقنيات الحجاجية التي يتبعها كل طرف لإبراز مشروعية موقفه في النزاع، ولدحض مشروعية الطرف الآخر، كما يُعنَى بتحليل الأبعاد الحوارية في الخطاب، وفقا لقبول الاختلاف أو رفضه. سأتحدث في هذا الإطار عن الحجاج، والحوارية.

ج - ١ - الحجاج:

الحجاج فعل لغوي، يستخدمه المرسِل لإقناع المتلقي برسالته، كما أنه فعل سلطوي، يحاول المرسل أن يؤثر بواسطته في المتلقي.

وقد أسس الفيلسوف الفرنسي أوزفالد ديكرو نظريته في الحجاج انطلاقا من أن الحجاج فعل لغوي، فاللغة بطبيعتها ذات وظيفة حجاجية، ومنشئ الخطاب إنما أنشأ الخطاب ليقيم حجةً ما. ومؤشرات هذه الوظيفة الحجاجية - كما يرى ديكرو - متمثلة في بنية الأقوال اللغوية نفسها، وفي تسلسلها داخل الخطاب، حيث إن الحجاج يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها حجج وبعضها نتائج. فالطابع الحجاجي للغة يقوم على المنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني (العزاوي، ٢٠٠٦). والحجة - عند ديكرو - هي عنصر دلالي يقدمه المتكلم لمصلحة عنصر دلالي آخر، وقد تكون فقرة أو نصا أو مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي... إلخ.

أما من المنظور السلطوي، فيرى الباحثون أن الحجاج عملية شرعنة، بواسطته تُضفَى الشرعية على أمر ما، أو تُنزَع عنه.

وهناك عديد من الباحثين اقترحوا استراتيجيات عديدة للشرعنة، كماكس فيبر، وبورديو، وفان دايك، وأشهرها تلك التي اقترحها: فان ليوين (سأتناولها في الفصل الثالث).

وتحليل الحجاج في الخطاب يتطلب إطاراً يجمع بين النظر في الحجاج باعتباره فعلا لغويا وفعلا سلطويا، وقد اقترح الباحث: الإطار الشجري الهرمي لدراسة الحجاج، وهو يحلل: العناصر الحجاجية، والروابط بينها، والقوالب الحجاجية، والقيمة الحجاجية، والاستراتيجيات الحجاجية (سأتناوله في الفصل الثالث).

ج - ٢ - الحوارية:

يرتبط مصطلح "الحوارية" بـ(ميخائيل باختن)، حيث استخدمه للدلالة على العلاقة بين خطاب الشخص وخطاب الآخرين، "فكل خطاب يدخل في علاقات حوارية مع الخطابات الأخرى" (تودوروف، ١٩٩٦، ص١٢١)، ويرى باختن أن أي خطاب يتضمن بُعْد التناصّ، وقد أسس باختين لمفهومين أساسين يعنى بهما محللو الخطاب، الأول: التناص (Intertextuality)، "فأي خطاب يرتبط بالخطابات السابقة من النوع نفسه، ولا يوجد خطاب مجردا من التناص، ربما خطاب آدم فقط" (تودوروف، ١٩٩٦، ص١٢٥). والثاني: تعدد الأصوات (Polyphony)، أي أن "خطاب الآخرين يظهر في خطاب الشخص، فأي خطاب يتضمن صوتين على الأقل" (تودوروف، ١٩٩٦، ص١٣٨). وخلاصة المبدأ الحواري كما يرى باختين أن "كل تلفظ مهما كانت دلالته واكتماله اكتمالا ذاتيا لا يكون إلا جزءا من تيار تواصل كلامي لا ينقطع (متعلق بالحياة اليومية، والأدب، والمعرفة، والسياسة.. الخ). لكن هذا التواصل الكلامي غير المنقطع لا يمثل إلا عنصرا من تطور غير منقطع، وفي كل الاتجاهات لفئة اجتماعية معينة" (شارودو، ومنغنو، ٢٠٠٨، ص ١٧١).

ويرى فيركلاف أن التناص يفتح النص أمام الأصوات الأخرى، وهذا يمهد للاختلاف، بخلاف المسلمات التي تفترض وجود أرضية مشتركة فتختزل الاختلاف. ومن هذا المنطلق فقد اقترح أساسا يقَيّم بواسطته درجة حضور البعد الحواري في النص (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٩٤) (سأتناوله في الفصل الثالث).

سأنطلق من إشارة فيركلاف بأن البعد الحواري يمهد للاختلاف في النص، وأُعَرّف الحواريـة – كمفهوم في دراستي المتعلقة بخطاب النزاع – بأنها "مستوىً قبول خطاب الآخر". وبـالنظر في هذين المنطلقين سأقترح سلما حواريا لدراسة البعد الحواري في الخطاب (الفصل الثالث).

رابعاً: عينة الدراسة

ثمة كثير من الإشكاليات تعترض الباحثين في حقل النزاع، فالعينة التي تتاح لهم للتحليل هي ما يرشح من الأطراف إلى وسائل الإعلام، ومن ثم فهي عينة محدودة، ومجال البحث فيها ضيق. وكنت أود أن أكتفي بدراسة قضية واحدة من قضايا النزاع الدولي، إلا أن مشكل عدم توفر بيانات كافية عن عينة واحدة حال دون ذلك. ومن ناحية ثانية فضلت أن تتنوع العينات فتشمل أكثر من مجال، بالرغم من أن أي قضية نزاعية تتشابك مع قضايا أخرى، مما يصعب حصرها في مجال معين، فقد يبدأ النزاع بين طرفين مثلا حول قضية حدودية، ثم يتصاعد وتدخل فيه قضايا أخرى تاريخية أو سياسية... إلخ، وقد تدخل أطراف أخرى جديدة.

عينات النزاع التي سأحللها في هذه الدراسة، هي:

١ - النزاع بين الحكومة اليمنية والإيرانية: (٦٩ خطاباً)

النزاع بشأن اتهام الطرف اليمني للطرف الإيراني بالتدخل في اليمن، خلال المدة (٣/ ٢٠١٢م - ١٠/ ٢٠١٢م)، وتشتمل العينة على التصريحات الرسمية بين الطرفين، وكذلك الأطراف الأخرى التي تدخلت في الموضوع، كالطرف الخليجي، والأمريكي.

٢ - النزاع بين الحكومة اليمنية وشركة موانئ دبي: (٢٧ خطاباً)

النزاع بشأن ميناء دبي، واتهام الطرف اليمني لشركة موانئ دبي بالتقصير في إدارة الميناء، والإخلال بالتزاماته، ثم انتهاء النزاع بتسليم ميناء عدن. خلال المدة (١٢/ ٢٠١١م - ١٠/ ٢٠١٢م).

٣ - النزاع بين حكومتي الصين وأمريكا بشأن الناشط الصيني: (٢٣ خطاباً)

نشأ النزاع بسبب هروب الناشط الصيني (شين غوانغشينغ) واختفائه في السفارة الأمريكية في بكين. وقد استمر النزاع لمدة شهر (٢٠١٢/ ٤/ ٢٣ - ٢٠١٢/ ٥/ ٢٠).

٤ - النزاع بين أمريكا والصين بشأن الاستراتيجية الأمريكية في آسيا: (٢١ خطاباً)

وبدأ النزاع حين ألقى الرئيس الأمريكي كلمة في البنتاغون، في ٥ يناير ٢٠١٢، وأعلن فيها عن استراتيجية أمريكا الدفاعية الجديدة في آسيا، فبدأت موجة من حروب التصريحات بين الطرفين. سأقتصر على المدة (٢٠١٢/ ١/ ٥ - ٢٠١٢/ ١/ ١٠).

٥ - النزاع بين أمريكا والصين بشأن قيمة اليوان: (٦ خطابات)

سأقتصر على التصريحات الرسمية في المدة (٢٠١١/ ١١/ ١١ - ٢٠١١/ ١١/ ١٤).

٦ - النزاع بين الحكومة التركية والحكومة المصرية الحالية بشأن ما حدث في مصر في ٣ يوليو ٢٠١٣م. (١١ خطاباً)

٧ - النزاع بين الأطراف الدولية بشأن التدخل الدولي في ليبيا من (١٧/ ٢/ ٢٠١١م) يوم اندلاع الثورة الليبية، إلى (٣١/ ٣/ ٢٠١١م). (١٥٥ خطاباً)

٨ - النزاع بشأن إنتاج الفلم المسيء (براءة المسلمين): (١١٥ خطاباً)

والفلم أنتجه نكولا باسيلي (مواطن أمريكي من أصل مصري)، ونشره في يوتيوب في أول سبتمبر ٢٠١٢م، ثم اندلعت مظاهرات عنيفة في العالم المسلم وأدت إلى مقتل دبلوماسيين أمريكيين.

وتحتوي هذه العينات على (٤٢٧ خطاباً)، واعتمدتُ في جمعها على المواقع الرسمية للأطراف، وما لم يُتَحْ منها جمعته من المواقع الإخبارية على الإنترنت.

وهذه العينات تمثل مادة خصبة، لدراسة لغة النزاع، وتحليلها من المنظور الإدراكي والتواصلي والحجاجي. كما أنها مادة متنوعة، فهناك نزاعات سياسية وثقافية واقتصادية.

وأود أن أشير إلى أنني اخترت في الإحالة إلى المراجع: طريقة جمعية علم النفس الأمريكية (APA)؛ اختصارا، وقصرت الهوامش على الإيضاحات والتعليقات الجانبية. فأقتصر في الإحالة على اسم المؤلف الرئيس وسنة النشر ورقم الصفحة. وللقارئ العودة إلى قائمة المراجع لمعرفة المراجع مفصلة.

الفصل الأول: الإطار الإدراكي

- تمهيد
- المبحث الأول: إطار الفاعلين: أطراف النزاع
- المبحث الثاني: الإطار المرجعي: القيم والدوافع والأهداف والتوقعات
- المبحث الثالث: الإطار السردي: أحداث النزاع
- المبحث الرابع: الإطار الظرفي: المكان والزمن
- خاتمة الفصل

تمهيد

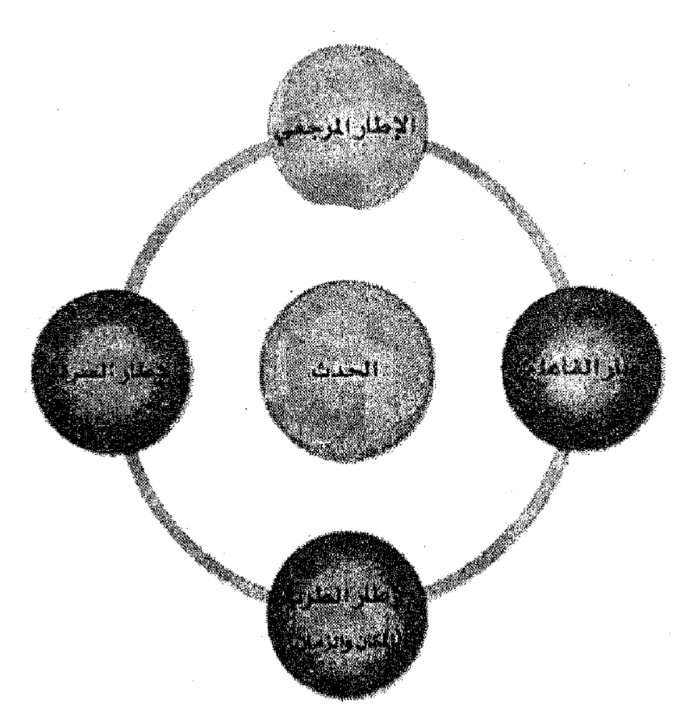
أبحث في هذا الفصل كيف يمثل أطراف النزاع مختلف قضايا النـزاع، وسـوف أحللهـا وفـق إطار الحدث، إطار الحدث يشتمل على مجموعة من الأسئلة، هي:

١ - الفاعل (مَنْ؟): وهو سؤال يتعلق بالفاعلين الاجتماعيين، سواء أقـائما بالحـدث كـان، أم متأثراً، أم مستفيدا.

٢ - الإطار المرجعي: (لماذا؟): وهو سؤال يتعلق بالإطار المرجعي للحـدث، ويـشمل: القـيم (حيث تمثل مرجعية عامة تفسر الحدث)، والدوافع (المحركة والمحفزة للحدث، وما يتعلق بها من مصالح وحاجات واهتمامات)، والأهداف (الغاية المرجوة من الحدث)، والتوقعات.

٣ - الإطار السردي: (ماذا؟ وكيف؟ وبماذا؟): وهي أسئلة تتعلق بسيرورة الحدث والطريقـة والأسلوب، والوسيلة، والأطر الاجتماعية والإجرائية للحدث.

٤ - الإطار الظرفي: (متى [مِنْ متى وإلى متى؟] وأين؟) وهو يتعلـق بظرفيـة الحـدث المكانيـة والزمنية.



شكل (٥): إطار الحدث

ومن ثم فسأدرس أربع قضايا في هذا الفصل:

١ - أطراف النزاع. كيف يمثل كل طرف ذاته (كيف ينظر إلى نفسه)، وكيف يمثل الآخر (كيف ينظر إلى الآخر).

٢ - القيم والدوافع والأهداف والتوقعات. كيف يتم تمثيل القيم والدوافع والأهداف؟

٣ - أحداث النزاع. كيف يقوم أطراف النزاع بتمثيل أحداث النزاع.

٤ - ظرفية النزاع: كيف يقوم أطراف النزاع بتمثيل الزمن والمكان.

التحليل الإدراكي لخطاب النزاع لا ينظر في حقيقة الحدث، ولكنه ينظر في كيفية تمثيله، وكيف يدرك كل طرف من أطراف النزاع القضايا المشار إليها آنفا، وكيف يمثلها في خطابه.

سأحلل (تمثيل أطراف النزاع) وفقا لاستراتيجيتين، الأولى استراتيجية فان ليوين في تمثيل الفاعل الاجتماعي، والثانية استراتيجية مستنبطة من تحليل العينة، تتعلق بمضمون نظرة كل طرف إلى الطرف الآخر. وتحليل الأطراف يهدف إلى كشف نظرة كل طرف إلى الآخر، وإلى أي مدى يساعد ذلك على بناء الثقة، ومن ثم يضع بين يدي الطرف الثالث إطارا مهما يساعده على حل النزاعات، وإعادة تأطير النظرة، وتقريب المسافات الإدراكية بينهم.

أما الإطار المرجعي، فسأتناول فيه القيم والدوافع والأهداف والتوقعات في ضوء الاستعارة المفهومية؛ التي تهدف إلى الكشف عن الأنساق التصورية والإدراكية لدى المتحدث من خلال الاستعارات التي تؤطر تفكيره، وتظهر إلى السطح في الخطاب.

وأما الإطار السردي، فأحلله في ضوء الكشف عن: الإطار السياقي (ما الأولويات والاهتمامات لدى أطراف النزاع؟)، والإطار الاجتماعي (كيف ينظر أطراف النزاع إلى علاقة الأحداث بالواقع؟)، والإطار الإجرائي (كيف ينظر أطراف النزاع إلى إدارة أو حل النزاع؟).

وأخيراً، فالإطار الظرفي، يحلل المكان والزمن في الخطاب من منظور إدراكي اجتماعي.

المبحث الأول: إطار الفاعلين: أطراف النزاع

- المطلب الأول: الهوية والتنميط
- المطلب الثاني: استراتيجيات تمثيل الذات والآخر
- المطلب الثالث: الخطاطات الإدراكية لتمثيل الفاعل الاجتماعي

المطلب الأول: الهوية والتنميط

يمكن القول إجمالاً إن الهوية: تمثيل الذات، والتنميط: تمثيل الآخر؛ فـ(نحن) نختلف عن (هم)، وما لديـ(نا) يختلف عما لديـ(هم). والمتحدث عادةً ما يطرح نفسه فاعلا إيجابيا، ومن ثم يضخم نموذجه، ويعلي من شأنه، في حين يظهر الطرف الآخر بوصفه فاعلا اجتماعيا سلبيا، مشوها، كارثيا...إلخ. وعادة ما يقترن بهذه الآلية السلطوية: (التوجيه)، حيث يعتبر صاحب الخطاب أنه يمتلك الحق في توجيه الطرف الآخر إلى ما ينبغي عليه أن يفعله، أو إلى ما ينبغي عليه أن تكون هويته.

يطرح خطاب "الهوية" نفسه بوصفه خصوصية "على المجتمع في صيرورته أن يحافظ عليها، وعلى الآخر ألا يهددها أو يعمل على اختراقها، فتصبح الهوية بذلك بنية مصمتة غير قادرة على التواصل والمثاقفة، على اعتبار أن الآخر دوماً راغب في محو ثقافتها، وجادّ في العمل على تغيير حضارتها ومعالم وجودها" (العجمي، ٢٠٠٧، ص٧٩). ويقوم الخطاب السلطوي بتصنيف ثقافة الآخر على أساس "مواءمتها أو تعارضها مع الثقافة الذاتية، يتبع ذلك عملية فرز وإقصاء لما يغاير الثقافة المحلية بوصفه خاطئاً أو منحرفاً عن الطريق القويم" (العجمي، ٢٠٠٧، ص٨٧).

ومن هذا المنطلق يُنظر إلى الذات مقابل الآخر، فيختزل الآخر في أنماط معينة ليسهل إدراكه والتعامل معه، وعادة ما يكون التنميط بناء على رؤية الشخص لنفسه، ومن ثم فالهوية والتنميط ليستا مكونا جاهزا، ولكنهما إطاران مركبان يتم إنتاجهما وإعادة إنتاجهما باستمرار، باستخدام الأنظمة الرمزية، في عملية تصنيفية مستمرة. وفي خطاب النزاع يحدث النزاع حول هذه التصنيفات، فتتنازع الأطراف حولها، وكل طرف يعيد إنتاجها ورسمها من جديد.

والناس يتمثلون الهويات والتنميطات من خلال أطر إدراكية، تؤطر إدراكهم لذواتهم ولغيرهم.

ووفقا لترنر (Turner, 1999)، في نظريته (تصنيف الذات)، فإن عملية تصنيف الذات تعد "عملية دينامية تعتمد على السياق، وتتحدد بعلاقات المقارنة داخل السياق" (نقلاً عن: زايد، ٢٠٠٦، ص ٤٢). ويرى ترنر أن التصنيف متغير يعتمد على السياق في إدراك أوجه التشابه

والاختلاف، فالأفراد الذين يدركون أنفسهم على نحو مختلف في سياق ما (كالبيولوجيين والفيزيائيين داخل كلية العلوم)، يمكن أن يدرَكوا كأفراد متشابهين في سياق آخر (إذا ما قورنوا بعلماء الاجتماع داخل الجامعة)، من دون أي تغيير حقيقي في أوضاعهم (زايد، ٢٠٠٦، ص ٤٢).

وأما التنميط فهو مبني على الصور النمطية (Stereotype)، ويعد والترليبمان أشهر الصحفيين الذين تكلموا عنها، وعرفها بأنها: "الصور الموجودة في أذهاننا"، وهو تعريف يتسم بالعموم؛ فليست كل الصور التي في أذهاننا نمطية. وتعني عند علماء النفس الاجتماعيين: "الصور والمعتقدات التي نتمسك بها عن الآخرين، أفرادا أو جماعات، وتتكون من مجموعة من السمات أو الخواص (قد تكون إيجابية أو سلبية) (زايد، ٢٠٠٦، ص١٢٧). ويرى بوتنام (Putnam) أن الصورة النمطية هي تمثيل ذهني للحالات العادية، وهي تمثيلات قد تكون غير دقيقة. والصور النمطية الاجتماعية هي حالات خاصة من مفهوم "الصورة النمطية" (Lakoff, 1990, p116).

سأقتبس من "ترنر" عبارة "السياق الاجتماعي"، وأعرف إطار الهوية بأنه: **التمثيل الإدراكي للذات في سياقها الاجتماعي**. وأعرف إطار التنميط بأنه: **التمثيل الإدراكي للآخر في السياق الاجتماعي**. (أي سياق الشخص المتصوِّر). فهو تصور إدراكي (يوجد في عالم الإدراك)، ويتشكل ويتعدل وفق المتغيرات والأدوار الاجتماعية، ووفق الاختيارات الشخصية لتلك المتغيرات والأدوار، ووفق العوامل البيئية. فإطار الهوية حالة غير قارّة، يتشكل نفسيا ومجتمعيا وبيئيا. وتلك العوامل وراء تشكيل أطر هوياتنا وتنميطاتنا.

وقد يكون أساس هذا التمثيل: إدراكاً مباشراً، أو علاقات اجتماعية، أو تراثاً اجتماعياً.. إلخ، فهي إدراكات فردية، تحولت مع مرور الوقت إلى إدراكات جمعية، تمثل منطلقات ومبادئ مرجعية في الحكم على الآخر. (زايد، ٢٠٠٦، ص ٤٢).

ويلجأ أحدنا إلى التنميط، حتى يستطيع التعامل مع الآخر، وفق النمط الذي تصوره. ذلك أن جهلنا بالآخر يرتبط بعدم الثقة فيه، مما يؤدي إلى نشوء ردود فعل بيولوجية تتعلق بالخوف أو الهزيمة أو الهجوم الدفاعي، وحتى ينتقل الفرد من الحالة المجهولة إلى المعلومة فإنه يسعى إلى إصدار أحكام عن الآخر تساعده على تعريفه. وتحدث هذه العملية بناء على نماذج إدراكية معقدة تتميز بخاصية الفورية والشمولية (ميكشيللي، ١٩٩٣، ص٥٦). تختلف هذه النماذج من شخص إلى آخر، وتخضع لخبراتهم ونضجهم الاجتماعي.

وبالرغم من أن التنميط قد يساعدنا على تنظيم العالم من حولنا، وتحديد الأدوار، فإنه قد يشوش العالم من حولنا أيضاً، ويشوه الواقع، ويؤدي إلى مشكلات اجتماعية خطيرة. ومن أخطر مساوئ التنميط التي أشار إليها ليبمان: أنه يبرر العدوان، أو الاستبداد (زايد، ٢٠٠٦، ص ١٢٨).

لن أناقش - في هذا المدخل - الهوية من منظور أنها تصور للجوهر، وأكتفي باعتبار أن إطار الهوية هو تصور لها في إطار نظام الفعل والقيم؛ فالهوية تتشكل من قيم الشخص ومرجعياته الثقافية التي يعبر عنها في فعله وخطابه (الذي يقوله والذي يسكت عنه) والتزاماته بها. وهو إطار نسبي الحركة يتجاذب مع إطار التصور المشترك لهوية الجماعة حول الالتزامات والقيم والمعتقدات، وإطار الجماعة أقرب إلى الثبات من إطار الفرد. أما إطار هوية الشخص فهو حالة غير قارة، بمعنى أنها تبنى وترمم وتهدم باستمرار، وتتغير بتغير تصوراتنا وإدراكنا للفعل والالتزام والقيم. ومن ثم فهي في حالة انزياح مستمر، مرتبط بالتنميط. فمسافة النزاع بين الأطراف تتحكم في توسيعها أو تضييقها أطر الهوية والتنميط. فكلما ابتعد الإطاران توسع النزاع، وكلما اقترب الإطاران قلّ النزاع، واقترب من الحل.

وإذا كانت "الهويات التي نشكلها بالنسبة إلى أنفسنا والهويات التي نشكلها بالنسبة إلى الآخرين، لا تبدو كأنها مختلفة من حيث النوع، فالهوية هي الهوية، وإنما الذي يتغير هو الوضعية التي نمنحها لهم" (جوزيف، ٢٠٠٧، ص٩) - فإن ذلك يعني أنه بإمكاننا التحكم في النزاع إذا استطعنا أن نتحكم في إعادة تأطير الهوية والتنميط، بفعل إزاحة الإطار، وتغيير مواقع الأطراف.

فإدراك تمثيل الذات والآخر لكل طرف، هو المرتكز الأول في بناء الثقة بين أطراف النزاع، والمرتكز الآخر هو إعادة بناء هذه الأطر.

المطلب الثاني: استراتيجيات تمثيل الذات والآخر

تتعدد استراتيجيات تمثيل الفاعل الاجتماعي في الخطاب، ويهدف هذا التمثيل إلى فرض السلطة والهيمنة في اتخاذ موقف ما من الفاعل الاجتماعي. ومن ثم فهو يعكس أيديولوجية صاحب الخطاب.

ومن المهم أن يتم تحليل العملية التمثيلية للذات والآخر في الخطاب من خلال معايير محددة، تمثل البؤرة المركزية لنظرة صاحب الخطاب إلى ذاته وإلى الآخر، وإلى أي مدى يرفض هوية الآخر أو يتقبلها؟

أولاً: استراتيجيات تمثيل الفاعل الاجتماعي (شكلاً):

(١) تحديد الاستراتيجيات:

تحدث فان ليوين عن استراتيجيات تمثيل الفاعل الاجتماعي. وقد ذكر (Leeuwen, 2008, p23-53) أن لتمثيل الفاعل الاجتماعي في الخطاب مجموعة من الاستراتيجيات يمكن هيكلتها ضمن خمسة متغيرات:

١ - الإقصاء (Exclusion)، والإدماج (inclusion).

فالفاعل الاجتماعي إما يُقصَىٰ من الخطاب، أو يُدمَج فيه.

أما إقصاء الفاعل الاجتماعي، فله نوعان: الأول: الإلغاء (suppression): [لا يحضر في النص، ولا يكون له أي أثر في النص]، وأسميه (الإقصاء التام).

والثاني: إقصاء إلى الخلف (backgrounding) [يذكر المستبعد في مكان ما في النص، لا يكون بارزا فيه، فقد يأتي بعد المجهول، أو بعد العبارات غير المحدودة، أو في ذيل الجملة... الخ]. وأسميه (الإقصاء الجزئي).

والإقصاء التام له آليات لغوية، منها:

- البناء للمجهول، ويهدف إلى "توجيه الاهتمام من الفاعل إلى المفعول، كالضحية، أو لإخفاء هوية الفاعل، وعملية الحذف التي يقوم عليها البناء للمجهول تجعل مصدر الفعل أو فاعله غير

محدد، فقد يكون أي شخص وكل شخص، مما يسبغ نوعاً من الضبابية أو الغموض على الجهة التي قامت بالفعل. وهو غموض لدى المتلقي فقط، وليس لدى الجهة التي صدرت عنها التعليمات، مما يمنحها نوعاً من الهيمنة أو السلطة الناجمة عن "العلم بالشيء"، حتى ولو كان ذلك العلم غير ذي بال في ظاهر الأمر" (الزليطني، ٢٠١٤، ص١٦).

- العبارات غير المحدودة (Non-finite clauses)[1]، فهي تتيح للفاعلين المسؤولين أن يتواروا خلف الحدث، مثلا: (الحفاظ على السياسة)، بدلا من: (المحافظين على السياسة).

- التحويل إلى اسم (Nominalizations)، وهي ظاهرة "تحويل الأحداث والعمليات إلى أسماء ومصادر"، أي إلى أوضاع ثابتة لا حركة فيها. وتحويلات من هذا القبيل هي في الوقت نفسه عبارة عن اختزال للتركيب النحوي وإعادة صياغة (Relexicalization)، بحيث تختفي الأطراف المشاركة في الجملة، أو تُحذف، وتتحول الجملة إلى اسم (Fowler and Kress, 1979– نقلا عن: الزليطني، ٢٠١٤، ص١٧). كما يسهم ذلك في التعتيم على الأدوار الفاعلة، ويخفي هوية "الفاعل" الكامن وراء تلك الأفعال، والمسؤول عنها (الزليطني، ٢٠١٤، ص١٨). والتحويل الاسمي "مصدر تعميم وتجريد انطلاقا من أحداث معينة، وهو لذلك مورد مهم في الخطاب العلمي والتقني والحكومي" (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٢٧٢).

وبالنظر في التراث البلاغي العربي، فإن علماء المعاني يقررون أن الفاعل يحذف لأغراض، أجملها السيوطي (ت: ٩١١هـ) في قوله: "يحذف [الفاعل] لغرض: كعلم، وجهل، وضعة، ورفعة، وخوف [منه، أو خوف عليه]، وإبهام، ووزن، وسجع، وإيجاز" (السيوطي، ١٩٩٨، ج١، ص٥١٨). وقبله أكد عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) أن حذف الفاعل أو المفعول قد يكون لإفادة الحدث مجردا عن غيره، فالاهتمام يكون بالحدث نفسه، يقول: "إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة، من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول، أو يتعرض لبيان ذلك، فالعبارة فيه أن يقال: (كان ضربٌ، أو وقع ضربٌ أو وُجد ضربٌ)، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء" (الجرجاني، ٢٠٠٤، ص١٥٤). كما يحذف الفاعل "ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة" (القزويني، ٢٠٠٢، ص٣٩). وقد يحذف لأنه "لا يتعلق بذكره غرض" (ابن هشام، ج٢، ص١٣٥).

---

(١) العبارة غير المحدودة هي عبارة لا تتضمن فعلا محدودا (مثل: telling the truth)، بخلاف العبارة المحدودة (مثل: He is there). (بعلبكي، ١٩٩٠، ص٣٣٤).

وأرى أن هذه الآلية بحاجة إلى قسيم ثالث، وهو: الإيهام، وأقصد به: إدماج فاعل اجتماعي آخر، ليس هو الفاعل الحقيقي، ويهدف الخطاب من وراء ذلك إلى إلقاء التهمة على آخر، أو إلى صرف الأنظار عن الفاعل الحقيقي... إلخ.

٢ - الدور الاجتماعي: فاعل (Activated)، أم منفعل (Passivation)؟

هذه الاستراتيجية تبين إعادة ترتيب العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين من خلال أدوارهم. فتجيب عن:

هل الفاعل الاجتماعي:

- فاعل للأحداث [أن يكون قائما بالفعل أو مشاركا فيه]؟

- أو منفعل بالأحداث: (ويشمل ذلك أن يكون متأثراً بها (Subjected)، أو مستفيداً منها (Beneficialized).

٣ - التخصيص (Personalization)، أم التعميم (Impersonalization)؟

تختص هذه الاستراتيجية بدراسة نسبة الأحداث إلى فاعليها: هل تنسب إلى الفاعلين (التخصيص)؟ أو تنسب إلى أطراف غير محددة (التعميم)؟ و"التعميم" يتحقق من خلال التجريد (abstraction)، أو المعنى المرجعي (objectivation)، كأن يُشار إلى مكان أو شيء يرتبط بالفاعل أو بنشاطه. أما التخصيص فهو تحديد الفاعل من خلال التسمية أو التصنيف (وهو المتغير التالي).

٤ - التسمية (Nomination)، أم التصنيف (categorization)؟

تختص هذه الاستراتيجية بدراسة التسمية والتصنيف: هل يذكر الفاعل الاجتماعي باسم صريح أو عن طريق التصنيف؟ وفي حال التسمية: هل تذكر الأسماء صراحة أو لا، (مع ألقابها)، أو دون ألقاب، أو ألقاب فقط (مع التشريف أو دونه)؟ ويراد بالتصنيف (الإشارة إلى الشخص من خلال الصفات التي يشترك فيها مع غيره)، ويتم تحليل التصنيف في ضوء: هل يُذكرون بأفعال أم بصفات؟ وهل الصفات تخصهم أو تشمل فئات أخرى؟ وهل الفئات التصنيفية معينة محددة (نسبته إلى منظمة أو مؤسسة ينتمي إليها) أو شاملة غير محددة؟

٥ - الإضمار والإظهار

هل يتحقق الفاعل الاجتماعي كاسم ظاهر؟ أو ضمير (متكلم، أو مخاطب، أو غائب).

وبالنظر في هذه الاستراتيجيات فإنها تتعلق بتمثيل الفاعل الاجتماعي من حيث الشكل، (هل يذكر أو يحذف؟ هل يسمى أو يصنف؟ هل يخصص أو يعمم؟ كيف يعرض: فاعلا أو منفعلا؟). وسوف أستخدم هذه الاستراتيجيات في دراستي، ولكنها تحتاج أن أضيف إليها بعدين هما: الذات والآخر. ومن ثم كيف يمثل الطرف ذاته وكيف يمثل الآخر في ضوء هذه الاستراتيجيات؟

(٢) تحليل الأمثلة:

وفيما يلي تحليل بعض الأمثلة:

> **تصريح وزير الخارجية اليمني في (٢٢/ ٠٣/ ٢٠١٢)، بشأن التدخل الإيراني في شؤون اليمن، على هامش الاجتماع الأول لصندوق الاستجابة الطارئة في اليمن ٢٠١٠، الذي عقد بمقر الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي بالرياض: "إن الأمور أضحت على نحو حقيقي يدركه الجميع، وعلى الدول الكبرى التحرك الفعلي لمنع ذلك، فالتدخل الإيراني في اليمن يضر بأمن واستقرار المنطقة"، وأكد أن "الدعم الخليجي والمساعدة في التنمية الاستثمارية سيساعدان في إزالة التدخلات الإيرانية".**

في هذا المثال: ستة فاعلين اجتماعيين: إيران، ودول الخليج، والدول الكبرى، واليمن، والمنطقة، والجميع.

الخطاب "يُدمج" الفاعلين الاجتماعيين: (التدخل الإيراني)، و(الدعم الخليجي)، و(الدول الكبرى)، وكل هؤلاء فاعلون اجتماعيون، ويُصنَّفون في الخطاب إلى فئتين، فاعل اجتماعي له دور سلبي يتمثل في (إيران)، وفاعل اجتماعي له دور إيجابي أو ينتظر منه أن يقوم بدور إيجابي: الدول الكبرى، والخليج، و(الجميع) ويقصد بالجميع جميع الدول، ويريد من استخدام هذا اللفظ أن يبين أن الأمر واضح في غاية الوضوح للجميع، والجميع يوافقه في رفض التدخلات الإيرانية. و"إدماج" الفاعلين الاجتماعيين فيه تحميل للأطراف المسؤولية، فإيران تتحمل مسؤولية تدخلها، والدول الكبرى تتحمل مسؤولية منع ذلك، ودول الخليج تتحمل مسؤولية الدعم.

أما الإقصاء، فنلحظ أن ثمة إقصاء جزئيا للذات، فـ(اليمن) أقصيت إلى الخلف (في اليمن) في عبارة (فالتدخل الإيراني في اليمن يضر بأمن واستقرار المنطقة)، ثم أقصيت في آخر الجملة، واستُخدم لفظ (المنطقة) التي تدل على اليمن ودول الخليج كلها، وفي الجملة الأخيرة إقصاء تام للذات، (الدعم الخليجي والمساعدة في التنمية الاستثمارية سيساعدان في إزالة التدخلات

الإيرانية) فلم يقل: دعمنا.. مساعدتنا، أو مساعدة اليمن... إلخ. وهذا الإقصاء للذات يهدف إلى أن يبين أن المستهدف ليس اليمن وحده، وإنما دول الخليج كلها، ومن ثم فالدعم والمساعدة يعودان بالنفع على الجميع. كما أنه يصور اليمن بوصفها فاعلاً اجتماعياً متأثراً بالأحداث (فالتدخل الإيراني في اليمن)، وكذلك بوصفها مستفيداً منها (الدعم الخليجي والمساعدة) والمستفيد المباشر منه هو اليمن.

والخطاب "يخصص" الفاعلين الاجتماعيين، فهو يحددهم ولكن دون تسمية، فهم أشخاص واضحون، ويشير إليهم كفئات تصنيفية (الدول الكبرى)، (التدخل الإيراني)، (الدعم الخليجي)، ولم يسمّ سوى الفاعل المقصى (اليمن). وحتى إيران لم يشر إليها بالاسم، ولكن بوصف الحدث منسوبا إليها (التدخل الإيراني)، وكذلك الخليج (الدعم الخليجي). وهو يريد أن يؤكد أنه لا يتحدث عن أشخاص، إنما عن أفعال وأدوار، سواء أكانت أدوارا إيجابية (الدعم الخليجي)، أو سلبية (التدخل الإيراني)، فالوصف للفاعل الاجتماعي المرتبط بالحدث يهدف إلى صرف الاهتمام إلى الحدث نفسه، بدلا من الاهتمام بالفاعل. ولذلك استخدم لفظ (إزالة التدخلات الإيرانية)، (ومنع ذلك) في إشارة إلى التدخل الإيراني. ولم يقل: منع إيران من التدخل، أو إيقافها... إلخ.

ثم نقرأ الرد الإيراني على هذا التصريح:

> **حيث جاء على لسان مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية، أمير عبد اللهيان، (٢٣/ ٠٣/ ٢٠١٢)، فوصف تصريحات القربي بـ«المزاعم الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة»، داعيا الحكومة اليمنية إلى «تلبية مطالب شعبها بدلا من توجيه اتهامات كاذبة للآخرين»، وقال بأن "إيران تدعم المطالب المشروعة للشعب اليمني، وترى بأن الخيار السياسي والحوار الوطني هو الأنسب للخروج من الوضع القائم، مؤكدا بأن إيران مهتمة بمصالح دول المنطقة والأمن والاستقرار الإقليمي، والشعب اليمني سيحافظ على ثورته ولن يسمح لأعداء المنطقة بالتدخل في شؤونهم الداخلية".**

الخطاب الإيراني فيه: خمسة فاعلين اجتماعيين: إيران، والحكومة اليمنية، والشعب اليمني، ودول المنطقة، وأعداء المنطقة.

والخطاب "يدمج" الفاعلين الثلاثة: إيران، والحكومة اليمنية، والشعب اليمني. أما (أعداء المنطقة) فيقصيهم إلى الخلف (إقصاء جزئي). ويُمثل الخطاب (إيران) بوصفه فاعلاً اجتماعياً قائماً

بالأحداث الإيجابية ومسؤولاً عنها، في حين تصور (الحكومة اليمنية) بوصفها فاعلا اجتماعيا قائما بالأحداث السلبية (توجه الاتهامات الكاذبة، ولا تلبي مطالب شعبها...). أما الشعب اليمني فيُصور بوصفه فاعلاً ذا دور إيجابي، أو ينتظر منه أن يكون كذلك. وهذا التصنيف التمثيلي يجعل إيران في خانة واحدة مع الشعب اليمني.

أما (دول المنطقة) فهو فاعل اجتماعي مقصئ من الحديث إقصاء جزئيا، حيث ذُكر في الخلف (إيران مهتمة بمصالح دول المنطقة)، فالفاعل هنا متأثر بالأحداث، فمصالحه موضع اهتمام إيران، وهو يرد ضمنا على التصريح الأول الذي يتهم إيران بزعزعة أمن المنطقة. و(أعداء المنطقة) فاعل اجتماعي ورد ذكره في الخلف، وكأنه كالمتربص في الخفاء الذي يتحين الفرصة للتسلل إلى الواجهة، ومن فالشعب اليمني متيقظ ولن يسمح لهم بالتدخل.

وجاء في الخطاب الإيراني (داعيا الحكومة اليمنية إلى "تلبية مطالب شعبها بدلا من توجيه اتهامات كاذبة للآخرين")، وهذا يكشف عما سميته: الإيهام، فهو يتهم الطرف اليمني بأنه يلقي التهمة على الآخرين؛ إيهاما وصرفا للأنظار عن فشله في تلبية مطالب الشعب. ومن ثم فإيران ليست الفاعل الحقيقي، ولكنها فاعل يتهمه الطرف اليمني إيهاما وإخفاء للفشل.

والخطاب "خصص" بعض الفاعلين: إيران، والحكومة اليمنية، والشعب اليمني. ويهدف من هذا "التخصيص" إلى الدفاع عن إيران وتبرئتها وإبراز دورها الإيجابي، ورسم صورة إيجابية عنها، كون إيران فاعلا معروفا. وفي المقابل أراد رسم صورة سلبية للطرف المقابل (الحكومة اليمنية)، وإلقاء اللوم عليها، وإدانتها إدانة واضحة. كما أنه أشار إلى إيران في قوله (توجيه اتهامات كاذبة للآخرين)، فالآخرون هم: إيران، ولكنه جاء باللفظ غير "مخصص"، بل "عممه"، وكأنه يريد القول إن هذا هو دأب الحكومة اليمنية مع الجميع، وليس مع إيران وحدها، فاللفظ هذا معادل موضوعي لقول الوزير اليمني (يدركه الجميع)، فالوزير اليمني أراد القول إن هذا شأن إيران من التدخل لا يخفى على الجميع، والتصريح الإيراني أراد القول إن هذا شأن الحكومة اليمنية في إلقاء التهم الكاذبة على الجميع.

وأما بقية الفاعلين فقد مثلهم بمتغير "التعميم" (دول المنطقة)، و(أعداء المنطقة)، أما (دول المنطقة) فيقصد بها: دول الخليج، وهو يرد على تصريح الوزير اليمني الذي حاول تأليب دول المنطقة وتخويفها من الخطر الإيراني. وأما (أعداء المنطقة) فيقصد بها: الدول الكبرى التي طلب منها

وزير الخارجية اليمني التحرك لمنع التدخل الإيراني. ومن ثم فنلحظ أنه لم يخصصها بالتحديد، بل قال: (أعداء المنطقة)؛ فأضاف الأعداء إلى المنطقة، ويفهم منه أنه يقصد: الدول الكبرى.

موازنة بين الخطاب اليمني والإيراني من خلال المثالين السابقين:

في حين نجد أن التصريح اليمني أقصى الذات فلم تكد تذكر، فإن الخطاب الإيراني أدمجها في الخطاب وكرر ذكرها مرتين، وأشار إليها بضمير الغائب مرة.

وهذا الجدول موازنة بين التصريحين:

م	الاستراتيجية	معيار التمثيل	الخطاب اليمني			الخطاب الإيراني		
			الذات	الآخر	طرف ثالث	الذات	الآخر	طرف ثالث
١.	الإقصاء والإدماج	الإقصاء التام	٢			٠		
٢.		الإقصاء الجزئي	١		١			٢
٣.		الإدماج		٢	٢	٣	٣	
٤.		الإيهام				١		
٥.	دور الفاعل الاجتماعي	فاعل للحدث		٢	٣	٣	٢	
٦.		متأثر بالحدث	١		١		١	٢
٧.		مستفيد من الحدث	١					
٨.	التخصيص والتعميم	مخصص	١	٢	٢	٣	٣	
٩.		معمم			٢			٢
١٠.	التسمية والتصنيف	مسمى	١			٣	٣	
١١.		مصنف		٢	٤			٢
١٢.	الإظهار والإضمار	اسم ظاهر	١	٢	٣	٢	٣	٢
١٣.		ضمير متكلم						
١٤.		ضمير مخاطب						
١٥.		ضمير غائب				١		

جدول (١): معايير تمثيل الذات والآخر - شكلاً (تطبيق على مثال)

ثانياً: استراتيجيات تمثيل الفاعل الاجتماعي (مضموناً):

(١) تحديد الاستراتيجيات:

الاستراتيجية السابقة – كما بينت – تتعلق بشكل تمثيل الفاعل الاجتماعي في الخطاب. غير أن دراسة أطراف النزاع تتطلب استراتيجية أخرى تكشف مضمون تمثيل الفاعل الاجتماعي. بمعنى: كيف يتم تمثيل الفاعلين الاجتماعيين بالنظر في أفعالهم ودوافعهم وأهدافهم... إلخ.

للإجابة عن هذا التساؤل، هنا نموذج تحليلي يكشف عن تمثيل الفاعل الاجتماعي، أعده الباحث انطلاقا من تحليل العينة.

الجدول التالي يبين معايير التمثيل في العينة:

م	الاستراتيجية	معيار التمثيل	الذات	الآخر
١.	الانتماء	الانتماء	+ شرعي	- غير شرعي
٢.	الفعل	طبيعة الفعل	+ الصواب	- الخطأ
٣.		نتائج الفعل	+ إيجابية	- سلبية
٤.		المسؤولية	+ التزام	- عدم التزام
٥.		الحجة	+ قوية	- ضعيفة أو منعدمة
٦.	الملكية	مؤهلات (الكفاية، الخبرة، القدرة...)	+ أمتلك	- لا يمتلك
٧.		شرعية الملكية/ الممارسة	+ مشروعية	- لا مشروعية
٨.		أهمية ما يملك (سواء الأشياء المادية أو غيرها كالخبرات والمؤهلات والقدرات)	+ التعظيم من شأنها	- التقليل من شأنها
٩.	الأهداف والدوافع	الأهداف	+ النفع	- الضرر
١٠.		الدوافع	+ المصلحة	- المفسدة
١١.	القيم	القيم	+ الخير	- الشر
١٢.	التصورات والمعتقدات	التصورات والمعتقدات والمعارف	+ العلم	- الجهل
١٣.		الصورة عند الآخرين (غير أطراف النزاع) لي/ له	+ إيجابية	- سلبية

جدول (٢): معايير تمثيل الذات والآخر - من حيث المضمون

هذه المعايير تحدد الإطار الذي يمثل ضمنه كُلّ طرف ذاتَه، أو الآخرَ، وكيف يهدف من خلال تمثيل الذات إلى تعزيز موقفه وانتمائه، ويضفي الشرعية على فعله، وملكيته، ودوافعه وأهدافه، وإعلاء قيمه وتصوراته ومعتقداته، وفي المقابل يهدف من التنميط إلى التشكيك بالآخر وانتماءاته، وتقويض شرعيته، والتقليل من شأنه، والطعن في دوافعه وأهدافه، والحط من قيمه وتصوراته. وكيف يتعامل الطرف الآخر مع تمثلات الطرف الأول، وهكذا. فهو نزاع على مستوى تمثلات الذات والآخر.

وقد تبين من خلال الأمثلة أن ثمة ست استراتيجيات لتمثيل الفاعل الاجتماعي من حيث المضمون، هي: استراتيجية الانتماء، واستراتيجية الفعل، واستراتيجية الملكية، واستراتيجية الأهداف والدوافع، واستراتيجية القيم، واستراتيجية التصورات والمعتقدات[1].

(٢) تحليل الأمثلة:

سيتم عرض الأمثلة بحسب كل استراتيجية.

أ - الاستراتيجية الأولى: الانتماء

تتمثل هذه الاستراتيجية في الخطاب السياسي في ما يتضمنه من الحديث عن: الانتماءات السياسية (كالولاءات، أو التحالفات)، وكذلك أشكال الانتماءات الأخرى: البيولوجية، والاجتماعية، والدينية، والتاريخية...إلخ.

وآلية التصنيف تجعل من الانتماءات التي تمارسها الذات انتماءات شرعية، بينما انتماءات الآخر (تحالفاته مثلا) غير شرعية. كما في تصريح وزير الإعلام اليمني بشأن النزاع مع إيران:

> **"كان المتوقع أن يدعموا استقرار اليمن ووحدتها وتنميتها ويقفوا مع الدولة اليمنية وقيادتها ومع خمسة وعشرين مليون إنسان، بدلاً من إسنادهم فئات محدودة وشراذم متطرفة، هنا وهناك".**

يستخدم في الخطاب عبارة (فئات محدودة وشراذم متطرفة)، وهي ألفاظ تصنيفية، تعيد رسم خارطة التصنيف؛ فإيران اختارت أن تتحالف مع شراذم متطرفة وفئات محدودة، وبذلك فهي تضع نفسها في خانة واحدة معهم. وهذه العبارة تؤدي إلى مقتضاها الدلالي، بأن ولاءات إيران مشبوهة، وخارجة عن شرعية الدولة، في حين أنها تركت التحالف الشرعي مع الدولة، ومع الشعب، وقد استخدام العدد (٢٥ مليون)؛ ليؤكد الدلالة التصنيفية في الانتماء، فهو المقابل الدلالي للشراذم المتطرفة.

وكما في تصريح مساعد وزير الخارجية الإيراني:

---

(١) هذه الاستراتيجيات كما ذكرت، مستنبطة من تحليل العينة، وهي متعلقة بتمثيل الفاعل الاجتماعي. وثمة استراتيجيات وضعها فان دايك ذات علاقة بالشرعنة، (van Dijk, 1998, p259)، وهي ست: (الانتماء، والفعل، والأهداف، والمبادئ والقيم، والموقف الاجتماعي، والحصول على الموارد الاجتماعية)، وسأتحدث عنها في الفصل الثالث عند حديثي عن الاستراتيجيات الحجاجية.

"الجمهورية الاسلامية في إيران وقفت على الدوام إلى جانب اليمن ودعمت استقراره وأمنه ووحدته واستقلاله".

في هذا الخطاب ألفاظ دالة على الانتماء السياسي: (وقفت.. ودعمت استقراره..)، فدعم الأمن والاستقرار، والمساندة هو مقتضى الانتماء السياسي. ومن ثم فإيران حين تدعم اليمن وتدعم استقراره وأمنه، فإنها تختار الانتماء إلى اليمن.

ب - الاستراتيجية الثانية: الفعل

تدور كثير من التصنيفات حول ما يقوم به أطراف النزاع، من أفعال، وممارسات، وما ينتج عنها من نتائج، أو ما يمكن أن ينتج عنها، ومن مدى الالتزام بالمسؤوليات، ومن قوة الحجة والدليل الذي يسند الفعل. والفعل يشمل النشاطات والخطابات وما فيها من ادعاءات أو اتهامات...إلخ.

فطبيعة الفعل تصنف إلى صواب أو خطأ (ما نفعله: صواب، وما يفعله الآخر: خطأ). ونتائج الفعل تصنف إلى إيجابية وسلبية (ما نفعله: إيجابي، وما يفعله الآخر: سلبي). ومن حيث مسؤولية الفعل: (نحن نلتزم بالمسؤولية، بينما هم لا يلتزمون)، ومن حيث الحجة التي وراء الفعل: (حجتنا قوية، وحجتهم ضعيفة). سأستعرض بعض الأمثلة (ملحوظة: ما بين الأقواس وضعته لتوضيح معيار التصنيف):

(مثال: ١)

قال وزير النقل واعد باذيب: "إن الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين" (طبيعة فعلنا: الصواب)...

وقال وزير النقل "شركة موانئ دبي أخلت بالتزاماتها ولم تنفذ الشروط المنصوص عليها في العقد، (الطرف الآخر: عدم التزام بالمسؤولية)، وقد عملت على وضع شروط وجزاءات أمام شركات الملاحة العالمية (طبيعة فعل الطرف الآخر: الخطأ)، ويشكل عمل على تنفير شركات الملاحة العالمية" (نتيجة فعل الطرف الآخر: سلبية)... وأضاف: إن الشركة تسوق مبررات واهية لتتنصل عن التزاماتها، في حين أن الميناء الذي تديره في جيبوتي يحقق تزايدا ملحوظا في نشاطه على حساب ميناء عدن (يثبت اتهامه

للطرف الآخر بالبرهان)... وستتخذ كافة الإجراءات التي تضمن إعادة الاعتبار لميناء عدن وتاريخه وموقعه الاستراتيجي" (مسؤوليتنا: الالتزام).

(مثال: ٢)

الرئيس الأمريكي: "الولايات المتحدة محبطة إزاء السياسات التجارية والاقتصادية للصين، وأنها تفقد صبرها في هذا الشأن" (طبيعة فعل الطرف الآخر: خطأ). مشددا على "الحاجة إلى إعادة التوازن في الاقتصاد العالمي" (نتيجة فعل الطرف الآخر: سلبية؛ حيث أخلت بتوازن الاقتصاد العالمي)... وقال: "نريدكم أن تلتزموا بقواعد اللعبة وربما كانت العملة مثالا جيدا" (الطرف الآخر: عدم التزام بالمسؤولية)... وقال: "السياسة التي تتبعها الصين إزاء عملتها "تشوه التجارة العالمية" (نتيجة فعل الطرف الآخر: سلبية). وقال أوباما في وقت سابق: "إن الصين لم تقم بما فيه "الكفاية" لرفع سعر اليوان، رغم التحسن الطفيف الذي طرأ على قيمة العملة الصينية، وإن على بكين التصرف كشخص بالغ، والتقيد بمعايير المجتمع الدولي في الشأن الاقتصادي" (الطرف الآخر: عدم التزام بالمسؤولية). وقال الرئيس الأمريكي: "إن معظم الاقتصاديين متفقون على أن سعر صرف العملة الصينية يقل بنسبة ٢٠ إلى ٢٥ في المئة عن قيمتها الحقيقية؛ وذلك يرفع أسعار البضائع الأمريكية في الأسواق الصينية ويخفض أسعار الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة؛ مما يمنح الصين أفضلية غير عادلة" (يثبت اتهامه للطرف الآخر بالبرهان).

(مثال: ٣)

وصف مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية تصريحات القربي بـ«المزاعم الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة» (الطرف الآخر لا برهان لديه فيما يدعيه)، داعيا الحكومة اليمنية إلى «تلبية مطالب شعبها (الطرف الآخر لم يلتزم بمسؤولياته)، بدلا من توجيه اتهامات كاذبة للآخرين» (الطرف الآخر لا برهان لديه فيما يدعيه)، (طبيعة فعل الآخر: الخطأ). وقال بأن "إيران تدعم المطالب المشروعة للشعب اليمني (طبيعة فعلنا: الصواب)، (الانتماء الشرعي: للشعب اليمني، وليس للحكومة)...".

يتضح من الأمثلة السابقة أن المتحدث يستخدم العبارات التي تعيد منظومة التصنيف في ما يخص الفعل، وكلها تدور حول ثنائية الذات/ الآخر، فالصواب والإيجابية والمسؤولية والبرهان يقابلها الخطأ والسلبية واللامسؤولية واللابرهان.

ففي المثال الأول، يتحدث وزير النقل أن الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل اليمنية (أعادت الثقة)، إذن فهي أفعال صائبة أدت إلى (إعادة الثقة لدى الشركات). ثم يتهم الطرف الآخر صراحة بأنه أخل بالتزاماته، فهو يقول إن الطرف الآخر لا يلتزم بمسؤولياته، وهذا يقتضي ضمناً أن المتحدث (وزير النقل) التزم بمسؤولياته... إلخ. وأكتفي بالإشارات التي وضعتها بين الأقواس.

ج - الاستراتيجية الثالثة: الملكية

يحاول كل طرف من أطراف النزاع أن يثبت امتلاكه لمؤهلات الفعل: (القدرة على الفعل، والكفاية، أو الخبرة... الخ)، وتجريد الطرف الآخر منها. كما يسعى الطرف إلى تبيين مشروعية ما يمتلك، أو ما يفعل، في حين يجرد الطرف الآخر من هذه المشروعية، فيستخدم ألفاظاً دالة على القانونية أو المشروعية، أو يحيل إلى اتفاقيات سابقة. كما يسعى كل طرف إلى التعظيم من شأن الأشياء التي تنتسب إليه، سواء الأشياء المادية أم غيرها كالخبرات والمؤهلات والقدرات، وتقليل شأنها بالنسبة إلى الطرف الآخر.

هنا بعض الأمثلة على ذلك (ملحوظة: ما بين الأقواس وضعته لتوضيح معيار التمثيل):

(مثال: ١)

بيان وزارة النقل اليمنية بخصوص موانئ دبي: "إنه في عام ٢٠٠٨م اتفقت مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية مع مجموعة موانئ دبي العالمية على مشروع تجاري مشترك. وبمقتضى ذلك المشروع كان على موانئ دبي العالمية أن تقوم بتشغيل وتحديث وتوسعة مرافق ميناء عدن، بحيث يتم تطوير عدن لتصبح ميناءا عالميا ومحوريا لتجارة الترانزيت وفقا للمعايير الدولية. ولكن وبكل أسف لم تقم مجموعة موانئ دبي العالمية بالوفاء بالتزاماتها التعاقدية (الطرف الآخر لم يلتزم بمسؤولياته) (قيم الطرف الآخر: عدم الوفاء)، وكنتيجة لعدم تحديث وتوسيع مرافق ميناء عدن فإن النشاط التجاري للميناء قد تدهور بشكل كبير (نتيجة فعل الطرف الآخر: سلبية - تدهور الميناء) (الطرف الآخر: لا يمتلك مؤهلات الفعل - تشغيل الميناء، بدليل النتيجة السلبية).

ولذلك فوزارة النقل تؤيد قرار مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية بممارسة كامل حقوقها (طبيعة فعلنا: الصواب) بموجب اتفاقيات المشروع ذات العلاقة، (لدينا شرعية الممارسة) وأن تقوم من الآن فصاعدا باتخاذ الخطوات اللازمة (نمتلك مؤهلات الفعل) لتحسين التشغيل في ميناء عدن (هدفنا: النفع) الذي يخدم مصالح اليمن (دوافعنا: المصلحة). هذا ويعتبر ميناء عدن من أهم المرافق والأصول الاستراتيجية لليمن، (ما نمتلكه مهم) وستعمل الحكومة على تقديم الدعم الكامل للخطوات التي تتخذها المؤسسة (نمتلك مؤهلات الفعل)، والتي تمكن ميناء عدن من النهوض بإمكانيات ميناء عدن الحقيقية (نتيجة فعلنا ستكون: إيجابية)".

(مثال: ٢)

قال وزير الخارجية الصيني بشأن النزاع مع أمريكا في منطقة بحر الصين الجنوبي: "موقف الصين من الأزمة ثابت، وإن الصين تتمتع بالسيادة الكاملة على المنطقة المتنازع عليها" (لدينا شرعية سيادية قانونية على المنطقة).

(مثال: ٣)

قالت وزارة الخارجية الصينية في بيان لها: "أن بإمكان المنشق الصيني الضرير تشن غوانغ تشنيغ إكمال دراسته في الخارج وفقا للقوانين المعمول بها" (لدينا شرعية الممارسة، فتشن يمكنه السفر وفقاً لقوانيننا، وليس بناء على تدخل أمريكي).

(مثال: ٤)

قال الناطق باسم وزارة الخارجية الصينية بشأن المنشق الصيني: "إن الصين غير راضية بالمرة من الموقف الأمريكي، وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين" (لدينا شرعية الممارسة، وليس لدى أمريكا أي شرعية، ولذا عليها أن تعتذر).

(مثال: ٥)

وزير الخارجية اليمني: "إيران دولة إسلامية ذات ثقل وذات إمكانات ومن مصلحة اليمن ومصلحة العالم الإسلامي أن نرى إيران دولة فاعلة في تعزيز العمل الإسلامي المشترك وفي بناء قدرات الدول الإسلامية، وتحقيق شراكة حقيقية بين الدول الإسلامية".

الوزير يريد أن يقول إن المكانة التي يملكها الطرف الآخر: ذات أهمية. وفي هذا المثال يشيد المتحدث بأهمية ما يمتلك خصمه، فدرجة المعيار إيجابية (+)، وليست سلبية (-)، ومن ثم

فالسلطة غير حاضرة في هذه العبارة، ولكنها حاضرة في التوجيه غير الصريح لإيران بأن تؤدي دورا إيجابيا يتناسب مع مكانتها. وهو يهدف من التنميط الإيجابي إلى بناء أرضية مشتركة مع الطرف الآخر وتعزيز الثقة.

(مثال: ٦)

تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية بشأن النزاع مع الصين: "أصبح بإمكاننا معرفة نقاط الاتفاق والاختلاف بيننا بما يدل على مدى نضج العلاقة بين البلدين ويجعلنا نسعى إلى دفعها قدما في المستقبل".

الوزيرة تريد أن تقول إن ما يمتلكه الطرف الآخر من معرفة وتقييم للعلاقات: ذو أهمية. ويمكننا البناء على ذلك، فدرجة المعيار إيجابية (+)، وليست سلبية (-)، فليس في الخطاب ما يوحي بممارسة السلطة وإنما هو خطاب "مهادن"، يهدف إلى بناء أرضية مشتركة.

د - الاستراتيجية الرابعة: الأهداف والدوافع

يرى كل طرف من أطراف النزاع أن أهدافه واضحة، وأنها تحقق النفع العام، بينما أهداف الطرف الآخر مشبوهة، ومضرة، ومؤذية، وتبث الفوضى، وتعرقل التقدم... إلخ. كما أنه يرى أن دوافعه تنطلق من المصلحة العامة، ودوافع خصمه تنطلق من المفسدة العامة. [ملحوظة: سأورد شواهد على هذه الاستراتيجية مع الاستراتيجية التالية].

هـ - الاستراتيجية الخامسة: القيم

يرى كل طرف من أطراف النزاع أن قيمه تدور حول قيم الخير، وأنه أقرب إلى الفضيلة. بينما قيم الآخر هي الشر المطلق، التي لا تمت إلى الخير بصلة.

سأمثل على الاستراتيجيتين (٤، ٥) معاً، (ملحوظة: ما بين الأقواس وضعته لتوضيح معيار التمثيل):

(مثال: ١)

تصريح وزير الإعلام اليمني: "سياسة ايران في اليمن تقوم على استغلال الظروف التي تمر بها البلاد (دوافعها: المفسدة – استغلال الوضع)، والبحث عن الجماعات المتطرفة التي لها مصالح خاصة (انتماء: غير شرعي)، وتقدم لها كافة أشكال الدعم

السياسي والإعلامي والمادي (فعل الطرف الآخر: الخطأ)، بهدف الإضرار بمصالح اليمن (هدف الطرف الآخر: الإضرار بنا)".

(مثال: ٢)

تصريح الرئيس التنفيذي لموانئ دبي:

"نحن منذ دخلنا إلى اليمن لم نخل ببنود الاتفاق (التزمنا بالمسؤولية)، فقمنا بضخ الاستثمارات هناك، ومضينا قدماً في تنفيذ المرحلة الأولى، ووسعنا ساحة الحاويات من ٤٠٠ ألف إلى ٩٥٠ ألف حاوية (نتيجة فعلنا: إيجابية). لقد نفذنا بنود الاتفاق وأكثر منها (نمتلك مؤهلات الفعل، تحت أي ظرف)، حتى خلال الأزمة العالمية لم نتوقف عن التوسعة وتدريب الموظفين (براهين على التزامنا بالمسؤولية) (لقد فعلنا الصواب).

لكن بعد ذلك (يؤكد، ويبرهن: أنه لا يتحمل مسؤولية النتائج السلبية لتشغيل ميناء عدن، وما وصل إليه من تدهور، بل يتحملها الطرف الآخر) بدأت الأزمة اليمنية الحرب ضد الإرهابيين والثورة، الأمر الذي أثر في نمو اليمن وعلى نشاط الموانئ، فبرغم أن الطاقة الإجمالية للميناء ٩٥٠ ألف حاوية لكن التشغيل لم يكن يتجاوز ٢٠٠ ألف حاوية، وكان من المفترض بحسب بنود الاتفاق أن نقوم ببناء رصيف إضافي، لكننا فضلنا أن تهدأ الأمور، ويجب أن يكون الاستثمار كذلك مجدياً، وبالفعل حاولنا وطرحنا مناقصة لبناء الرصيف الجديد، لكن شركات المقاولات لم تتقدم للمناقصة، لم يتقدم أحد للمناقصة خشية الوضع الأمني في اليمن.

ونحن من دون شك يهمنا استقرار الوضع في اليمن(دوافعنا: المصلحة)، ولقد دخلنا من الأساس إلى اليمن بناء على طلب من الحكومة اليمنية (مشروعية الفعل). لكننا في الأخير تفهمنا الوضع ونحن ندرك أن الحكومة الجديدة واقعة تحت ضغط شعبي ومطالب متجددة بالتغيير السريع وحصل التفاوض بالتالي على إلغاء الصفقة، وكان قرار الانسحاب إيجابيا علينا حيث ارتفعت أسهمنا مباشرة بعد الإعلان عن إلغاء الصفقة، كما أننا استعدنا كامل استثماراتنا في الميناء. إن قرار الدخول في صفقة عدن كان سلبياً في وقتها وقائماً على دراسة جدوى، لكن أحداً لم يكن يتوقع ما حدث بعد ذلك من أزمات، كما أن قرار الانسحاب بالمثل كان في مصلحة الجميع (فعلنا الصواب).

إن موانئ دبي العالمية حريصة على دعم النمو الاقتصادي في اليمن (هدفنا: النفع)، ولها أنشطة هناك ضمن نطاق المسؤولية الاجتماعية للشركات؛ فلدينا هناك مبادرات

لتدريب وتعليم طلاب (قيمنا: الخير)، لكن الوضع لم يساعدنا للاستمرار هناك (نحن ملتزمون بمسؤوليتنا).

(مثال: ٣)

تصريح مصدر دبلوماسي إيراني: «المسؤولون اليمنيون يتصورون أن بإمكانهم الحصول على المساعدات المادية والسياسية من الغرب، من خلال توجيههم الاتهامات إلى الدول» (دوافع الطرف الآخر: المفسدة، تتمثل في محاولة الحصول على مساعدات الغرب من خلال الاتهامات لإيران).

(مثال: ٤)

تصريح الجنرال الصيني رين ردا على وزير الدفاع الأمريكي في إعلانه الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية: "أولا، ينبغي ألا ننظر إلى هذا القرار الأمريكي بوصفه كارثة (بالنسبة إلى الصين)، فأنا أعتقد أن هذا التغيير يمثل تعبير الولايات المتحدة عن مصالحها القومية، وهو ردها على المشاكل المالية التي تمر بها، إضافة إلى كونه ردا على التطورات الأمنية على النطاق الدولي" (دوافع الطرف الآخر: محاولة التخلص من مشاكلها بإلقائها على الآخرين، وهي دوافع تحمل طابع رد الفعل أيضاً).

(مثال: ٥)

صرحت الناطقة باسم وزارة الخارجية الاميركية فيكتوريا نولاند: "أن شين وزوجته وأطفاله بإمكانهم السفر إلى الولايات المتحدة الأميركية فور السماح لهم بمغادرة بكين (قيمنا: الخير، تتمثل في الرعاية والاهتمام). وأضافت "نحن جاهزون عندما يكون هو وحكومته جاهزين"(نمتلك مؤهلات الفعل: الجاهزية والقدرة وتحمل المسؤولية).

(مثال: ٦)

قال الناشط الصيني تشين: "إنه يخشى على أسرته وإنه يريد مقابلة وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون التي تزور الصين". وقال: "إنه لم يعلم بالتهديدات التي تلقتها أسرته إلا بعد مغادرة السفارة الأمريكية. وأشد ما يقلقني الآن هو أمن أمي إخوتي. أريد حقا أن أعرف كيف حالهم" (قيم الطرف الآخر -الحكومة الصينية: الشر، فهم يهددون الآمنين، ولا أمان لنا أن نعيش بينهم).

و – الاستراتيجية السادسة: التصورات والمعتقدات

تتدرج أوصاف الأطراف لتصورات بعضهم بعضاً من العلم إلى الجهل (المعرفة)، ومن الحق إلى الباطل (الاعتقاد)، ومن البصيرة إلى العمى (التصورات)، فيضفي كل طرف الجانب الأفضل عليه، ويضفي على خصمه الجانب الأسوأ. كما في تصريح وزير الخارجية اليمني:

"كنا دائما الداعين من فترة طويلة إلى انخراط حركة الحوثيين في الحياة السياسية، ونحن نعتقد بأن الحل الأمثل للظاهرة الحوثية في دولة ديمقراطية يتمثل في الانخراط الفاعل في العمل السياسي (تصورنا للحل أفضل؛ فهو قائم على العلم)، واليوم نتطلع إلى مشاركة الحوثيين في الحوار السياسي الشامل وعرض أفكارهم ورؤاهم لجميع القوى في الوطن، ولا نعتقد أن المراهنة على العنف سيحقق أي أهداف وستعود الأطراف في نهاية المطاف إلى طاولة الحوار(تصور الطرف الآخر للحل من خلال العنف: تصور جاهل، ولن يحقق أي أهداف، ويرجعون إلى تصورنا)".

وكما في كلمة الرئيس الأمريكي التي أعلن فيها الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية:

"أضف إلى ذلك أن علينا أن نتذكر دروس التاريخ. فليس بوسعنا أن نكرر أخطاء الماضي- بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد فيتنام- حينما تُركت قواتنا العسكرية دون جهوزية مناسبة للمستقبل. وبصفتي القائد الأعلى، لن أدع ذلك يحدث مرة أخرى. لن يحدث خلال رئاستي" (خبراتنا ومعارفنا تقوم على العلم والبصيرة، وأخذ الدروس من التاريخ، وعدم تكرار الأخطاء).

وكما في تصريح مساعد وزير الخارجية الايراني للشؤون العربية والأفريقية:

"كان من المتوقع أن لا يواصل حكام اليمن الجدد النهج الخاطئ لأسلافهم، وأن يتطابقوا مع الحقائق الجديدة نظرا إلى حجم التغييرات التي حدثت في حكومة هذا البلد، ولكن للأسف نشاهد أن البعض ينتهج نفس سلوك المسؤولين السابقين" (خبرات ومعارف الآخر تقوم على الجهل والعمى، وعدم أخذ العبر والدروس، وتكرار الأخطاء).

ومن التصورات أن يتحدث أحد أطراف النزاع عن صورته لدى الآخرين (ممن ليسوا منخرطين في النزاع)، فيبين أن صورته لدى الآخرين إيجابية، وتقوم على علاقات متينة، ومبنية

على الثقة... إلخ، وكأنه يقول للطرف الآخر: (ذوو الشأن يثقون فيّ، وينظرون إليّ نظرة إيجابية، فعدم ثقتك فيّ؛ إنما يدل على أن الخلل عندك، وأن المشكلة ليست فيّ بل فيك). كما أن هذا الطرف يتحدث عن الصورة الذهنية للطرف الآخر لدى أطراف أخرى، ويبين أنها صورة سلبية، وأن الآخرين لا يثقون فيه، (فلست أنا وحدي من يفعل ذلك؛ إذن المشكلة فيه وليست فيّ). فهو يضفي الشرعية على موقفه باستدعاء مواقف الآخرين (المحايدين). كما في تصريح نائب الرئيس الأول ومدير عام موانئ دبي العالمية بمنطقة الشرق الأوسط (٢٠/ ٠٤/ ٢٠١٢):

"نتقدم بالتهنئة إلى (باسيفيك إنترناشيونال لاينز) وإلى سفينتها (كوتا كاروم) على زيارتها الأولى إلى ميناء عدن وإلى منطقة البحر الأحمر التي تعتبر من أكثر الممرات التجارية البحرية حيوية في العالم في وقتنا الراهن". وقال آرثر فلين، مدير عام موانئ دبي العالمية- عدن: "تعتبر سفينة الشحن كوتا كاروم واحدة من أكبر السفن التي تقوم بزيارة محطتنا، ونود أن نشكر باسيفيك إنترناشونال لاينز على الثقة التي وضعتها في قدرات وخدمات موانئ دبي العالمية - عدن"

فهو يريد القول: نحن محل ثقة أكبر السفن العالمية؛ فالميناء غير متدهور، كما يدعي الطرف الآخر، ونحن على قدر المسؤولية.

وفي تصريح وزير النقل اليمني رد ضمني على بيان موانئ دبي (٢١/ ٠٤/ ٢٠١٢):

"إن الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية، وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين"

فهو يقول: إجراءاتنا هي التي أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية، (بالطبع كشركة باسيفيك إنترناشيونال لاينز، وغيرها)، وليس ما يدعيه الطرف الآخر.

المطلب الثالث: الخطاطات الإدراكية لتمثيل الفاعل الاجتماعي

أولاً: تحديد الخطاطات:

يقدم لايكوف (Lakoff, 1990, p271-276) نظريته (الخطاطة الإدراكية)، حيث يرى أنها تشكل مدركاتنا وصورنا الذهنية، ويتم تمثلها على أساس الجسد (أي: بناء على الأبعاد التي يدركها الجسد). وقدم أمثلة على ستة نماذج استعارية تتحقق فيها الخطاطة، وهي: خطاطة الحاوية (وعناصرها: داخل، وخارج، وحدود، فتميز بين الداخل والخارج، حيث تمثل المفاهيم على أساس الاحتواء، فكل شيء كائن في حاوية أو خارجها). وخطاطة الكل - الجزء (وعناصرها: كل، وأجزاء، وتكوين، حيث تتمثل المفاهيم على أنها كل لها أجزاء). وخطاطة الربط (عناصرها: وحدتان بينهما رابط، حيث تتمثل المفاهيم على أنها روابط بين الوحدتين، أو منقطعة الصلة بينهما). وخطاطة المركز-الأطراف (عناصرها: مركز، وطرف، تتمثل المفاهيم بناء على أساس العلاقة بين المركز والأطراف، فالمركز هو الأساس والأطراف هوامش). وخطاطة المصدر - المسلك - الهدف (عناصرها: نقطة بداية، ونقطة نهاية، ومسلك، واتجاه، حيث تتمثل الأهداف على أنها نقاط وصول تتحقق من خلال مسالك). وهناك خطاطات أخرى، نحو: خطاطة الأعلى - الأسفل، وخطاطة الأمام - الخلف.

وبالعودة إلى الأمثلة السابقة التي حللت في ضوئها الإطار الإدراكي لأطراف النزاع، فإنه يتبين من خلالها أن تمثيل الفاعل الاجتماعي يتم في إطار خمس خطاطات إدراكية، وهي: خطاطة الامتلاك، وخطاطة المقياس، وخطاطة الاتجاه، وخطاطة الجهات، وخطاطة الحاوية. وقد قمت بإعادة تصنيف خطاطات لايكوف، وأبقيت (خطاطة الحاوية)، وأضفت إليها خطاطات أخرى، فخلصت إلى هذه الخطاطات الخمس، وهذا إيضاح لها:

١ - خطاطة الامتلاك: وعناصرها: (يمتلك، ولا يمتلك)، حيث ينظر إلى الفاعل الاجتماعي في ضوء ما يمتلكه وما لا يمتلكه، وفي حال الامتلاك يكون السؤال: هل يمتلك شيئا مهما أو لا؟ (انظر الخطاطة التالية: خطاطة المقياس).

٢ – خطاطة المقياس: وعناصرها: المقابلات المختلفة في المقاييس: الكمية، والحجم، والثمن.... الخ. وهذه الخطاطة تقييمية تمثل الفاعل الاجتماعي في ضوء ما يمتلك، أو ما يفعل، فهي تقييم لممتلكاته ولأفعاله.

٣ – خطاطة الاتجاه: وهي خطاطة متحركة، تنظر في فعل الفاعل، منذ انطلاقه من المصدر (نقطة الانطلاق)، وحتى وصوله إلى الهدف، والمسار الذي يسلكه. وهذه الخطاطة هي خطاطة المصدر – المسلك – الهدف، التي أشار إليها لايكوف.

٤ – خطاطة الجهات: وهي خطاطة ساكنة، تقييمية، حيث تمثل الفاعل الاجتماعي في ضوء التقييمات الإيجابية أو السلبية. فالتقييمات الإيجابية (+): فوق، يمين، أمام، تقابلها التقييمات السلبية (–): تحت، يسار، خلف. وهناك التقييمات المحايدة (+–): وسط. ومن منظور آخر فإن الوسط قد يكون تقييما إيجابيا أو سلبيا بحسب سياقه. وهناك التقارب والتباعد في الجهات (المركز والأطراف).

٥ – خطاطة الحاوية: وهي كما أوردها لايكوف، وهذه الخطاطة تعنى بالانتماء وشرعيته.

وهذا الجدول يبين مسار الخطاطات، فكل خطاطة له مساران: إيجابي (+)، أو سلبي (–)، وعادة ما يتم تمثيل "الذات" بالمسار الإيجابي، وتمثيل "الآخر" بالمسار السلبي.

م		+	–	التطبيقات
١.	الامتلاك	نعم	–لا –(نعم) ولكنه غير مهم (خطاطة المقياس)	مؤهلات (الكفاية، الخبرة، القدرة...) شرعية الملكية/ الممارسة الحجة التصورات والمعتقدات والمعارف الأهداف والقيم.
٢.	المقياس	كثير، غالي، كبير...	قليل، رخيص، صغير...	أهمية ما يملك
٣.	الاتجاه	يتحرك ويصل	–لا يتحرك –(يتحرك) ويفشل في الوصول	البداية: الدوافع والقيم المسار: الفعل: طبيعة الفعل / نتائج الفعل/ المسؤولية النهاية: الأهداف
٤.	الجهات	(فوق، أمام، يمين) المركز	(تحت، خلف، يسار) الأطراف	الأهداف والدوافع والقيم التصورات والمعتقدات والمعارف الصورة عند الآخرين
٥.	الحاوية	داخل	خارج	الانتماء، والإدماج والإقصاء

جدول (٤): الخطاطات الإدراكية في تمثيل الفاعل الاجتماعي

سأتناول هذه الخطاطات بإيجاز.

ثانياً: تحليل الأمثلة:

سيتم تحليل الأمثلة بحسب الخطاطات.

(١) خطاطة الامتلاك:

يتمثل الإنسان ذاته (والآخر) عادة في ضوء ما يمتلك وما لا يمتلك، ويطبق هذه الخطاطة في مختلف الجوانب المادية والمعنوية، ولذلك تجد الإنسان حين يتعرف على غيره يحاول التعرف على ما يمتلك وما لا يمتلك، كالسيارة أو البيت، أو المؤهلات أو القدرات... والسيرة الذاتية ليست إلا أحد الأمثلة على هذه الخطاطة، فالإنسان يقدم نفسه بما يمتلكه من خبرات ومؤهلات... الخ. وفي حال الاعتداء على الملكية يغضب الإنسان ويطالب الطرف الآخر بالاعتذار، أو إنه يسعى لاستردادها بالقوة. كما تتعلق الخطاطة بتمثيل طرق الحصول على الملكية ومدى شرعيتها، ومدى جدواها في الوصول إلى الملكية.

في خطاب النزاع، يمثل كل طرف ذاته والآخر في ضوء ما يمتلكه من: أشياء مادية (كالأرض، والقوة، والثروة...)، أو أشياء معنوية، وتشمل: التصورات والمعتقدات والقيم، والأهداف، والحجج، ومؤهلات الفعل (الكفاية، والخبرة، والقدرة)، وشرعية الملكية أو الممارسة...الخ.

هذه بعض الأمثلة:

(مثال ١):

(وزارة النقل تؤيد قرار مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية بممارسة كامل حقوقها بموجب اتفاقيات المشروع ذات العلاقة، وأن تقوم من الآن فصاعدا باتخاذ الخطوات اللازمة). يشتمل هذا الخطاب على تمثيل الفاعل الاجتماعي (الذات)، في ضوء ما يمتلك، فهو يمتلك الاتفاقيات التي تمنحه مشروعية الفعل، كما يمتلك مؤهلات الفعل التي تجعله قادرا على اتخاذ الخطوات اللازمة.

(مثال ٢):

وفي تصريح موانئ دبي (ونحن من دون شك يهمنا استقرار الوضع في اليمن، ولقد دخلنا من الأساس إلى اليمن بناء على طلب من الحكومة اليمنية)، فهو يمثل (الذات) في ضوء ما تمتلكه؛ فهي تمتلك المشروعية، مشروعية الممارسة، فاستثمار الموانئ في اليمن إنما جاء بناء على (طلب الحكومة اليمنية)، وهذا الطلب هو الذي منح الموانئ حق الممارسة.

(مثال ٣):

تصريح موانئ دبي: "لدينا هناك مبادرات لتدريب وتعليم الطلاب"، فهو يمثل الذات بما تمتلكه من مبادرات إيجابية، تعكس تحملهم المسؤولية الاجتماعية.

(مثال ٤):

تصريح الناطق باسم وزارة الخارجية الصينية: "إن الصين غير راضية بالمرة من الموقف الأمريكي، وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين". هذا الخطاب تؤطره خطاطة الامتلاك، فالولايات المتحدة (الآخر) لا تملك شرعية الموقف الذي اتخذته، وقد انتزعت ملكية ليست لها، انتزعتها من الصين (الذات)، ومن هنا فعليها أن تعتذر، والاعتذار هو تسليم الملكية المعنوية المنتزعة، (ملكية السيادة).

(مثال ٥):

وصف مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية تصريحات وزير الخارجية اليمني بـ«المزاعم الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة»، فهو يتمثل الآخر أنه بلا حجة، وأن ما يمتلكه من حجج إنما هو أوهام ومزاعم كاذبة.

(مثال ٦):

تصريح وزير الخارجية اليمني: "واليوم نتطلع إلى مشاركة الحوثيين في الحوار السياسي الشامل وعرض أفكارهم ورؤاهم لجميع القوى في الوطن، ولا نعتقد أن المراهنة على العنف سيحقق أي أهداف وستعود الأطراف في نهاية المطاف إلى طاولة الحوار")، فهو يبين الملكية الوهمية، فحين يظن الطرف (الآخر) أنه يمتلك حلاً للمشكلة، يحقق من خلاله الوصول إلى هدفه، وهذا الحل هو (العنف)، فإنه يمتلك شيئا وهميا، فالمراهنة على العنف لن تقدم حلا، كمن يظن أن بيده نقودا، فإذا هي تراب!!

(مثال ٧):

صحيفة "يومية الشعب" الناطقة باسم الحزب الشيوعي الصيني: إن "البيان الأمريكي يخلط بين الصواب والخطأ". فالخطاب يمثل الفاعل (الآخر)، من خلال ما لا يمتلكه، فهو لا يمتلك معيارا دقيقا يمكنه من تمييز الصواب من الخطأ، ومن ثم يقع في الخلط بينهما.

(مثال ٨):

تصريح مصدر دبلوماسي إيراني: «المسؤولون اليمنيون يتصورون أن بإمكانهم الحصول على المساعدات المادية والسياسية من الغرب، من خلال توجيههم الاتهامات إلى الدول»)، هنا يمثل الطرف الآخر في ضوء خطاطة الامتلاك، وقد استخدم لفظ (الحصول على)، فهو يمثله في

صورة من يريد أن يشتري سلعة وبدلا من أن يشتريها بنقود يسعى للحصول عليها بأوراق غير نقدية. فالخطاب يمثل الآخر بأنهم يريدون الحصول على مساعدات غربية، ولكنهم يخطئون في الوصول إليها، ويعتقدون أن اتهام الاخرين يمكنهم من الحصول عليها.

(مثال ٩):

تصريح الرئيس الأمريكي: "الولايات المتحدة محبطة إزاء السياسات التجارية والاقتصادية للصين، وأنها تفقد صبرها في هذا الشأن. وأن ثمة حاجة إلى إعادة التوازن في الاقتصاد العالمي، وأن على بكين التصرف "كشخص بالغ"، والتقيد بمعايير المجتمع الدولي في الشأن الاقتصادي".

لفظ (إعادة التوازن)، تمثيل للفاعل الاجتماعي الصيني (الآخر)، أنه نزع ملكية بغير حق، فسياساتها التجارية أدت إلى ذهاب التوازن. فالتوازن في الاقتصاد العالمي يُتصور على أنه شيء ثابت، وأن ثمة من سرقه، أو أذهبه، وأن ثمة حاجة إلى إعادته. فالتركيب (أعاد الشيء) يقتضي أنه أخذه أولاً، ثم أعاده. وكذلك (إعادة التوازن) فكأن ثمة شيئا أُخذ، وينبغي إعادته. والمقصود: إعادة التوازن للاقتصاد العالمي.

وقوله (وأنها تفقد صبرها في هذا الشأن)، فالصبر يُصور على أنه ملكية، وهذه الملكية تدعم الطرف الآخر، إلا أن سياساته ستؤدي إلى فقدان هذه الملكية (نفقد الصبر)، وإذا فقدت هذه الملكية فإن ذلك يعني مزيدا من المشاكل والتعقيدات، وهو تهديد مبطن.

وقوله (وإن على بكين التصرف كشخص بالغ)، فتمثيل الفاعل الاجتماعي هنا يقوم على الامتلاك، فهو يقول أن الصين تمتلك الكثير، وبإمكانها امتلاك أكثر، ولكنها ستفقد كل ما تملك، ويُحجَر عليها حين لا تتصرف كـ"شخص بالغ" يُقدر ما يمتلكه.

(٢) خطاطة المقياس:

خطاطة الامتلاك – كما بينت – يتم من خلالها إثبات وجود الشيء أو نفيه، أو إثبات وجود وهمي له. أما خطاطة المقياس فتصف الشيء الممتَلَك، أو الفعل، ومن أمثلة خطاطة المقياس:

- الكمية (كثير/ قليل)، نحو: الأغلبية والأقلية، معظم الناس وأقلهم، الإجماع والتأييد.

- والوزن (ثقيل/ خفيف)، شخصية ذات ثقل، – مقابل: لا وزن لرأيه، وقد يكون التقييم مختلفا، في نحو: ثقيل الدم وخفيف الدم (وذلك بتمثل القاعدة التي يكون عليها الوزن، فهي قاعدة رقيقة مرهفة، كالقلب مثلا، فكلما خف على القلب كان متصوراً إيجابيا).

- والثمن (غالٍ / رخيص)، نحو: هو تافه حقير، لا قيمة له، ومنه قولهم: (إن أرخصت نَفْسَك أرخصك الناسُ) - مقابل: عظيم الشأن، ذو أهمية، نفيس... الخ.

- والحجم (كبير / صغير)، كبير القدر، أو صغير العقل، وقد تنعكس العلاقة كما في قول حسان بن ثابت: (جسم البغال وأحلام العصافير)، فهو يقول ألا فائدة من الكبر في أحجام أجسامهم فعقولهم صغيرة كعقول العصافير (أو لا وزن لها).

- والمساحة (واسع / ضيق)، تفكير منفتح، وشخص منغلق (والانغلاق هو أشد الضيق). ونحو: رجل واسع الصدر، رحب الذراع، ونحو: يده مقبوضة، ويده مبسوطة.

- والأبعاد (الطول: طويل / قصير، والعرض: عريض / ضيق، والارتفاع: مرتفع / منخفض).

- والشدة (قوي / ضعيف)، نحو: حجة واهية، أو قوية.

التمثيل الإيجابي لهذه الخطاطة يبين أن الشيء الممتلَك (أو الفعل) (أو الفاعل) ذو أهمية، كبير القدر، عظيم الشأن، ذو ثقل، نفيس،... الخ. والتمثيل السلبي يكون بنفي تلك الأهمية، فهو يسلم بالملكية، ولكنه يقلل منها. فمثلا: قد يعترف أحد الأطراف بأن الطرف الآخر يمتلك حجة، ولكنه يقلل منها، فهي حجة ضعيفة لا قيمة لها، ولا تؤثر في سير القضية.

ومن أمثلة ذلك:

(مثال ١):

تصريح وزارة النقل اليمنية: "الشركة تسوق مبررات واهية لتتنصل عن التزاماتها")، فهي تمتلك مبررات، ولكنها واهية، و(واهية) أشد الضعف، وهي تقابل (الحجة القوية). ولو تخيلنا أن خطاطة (الشدة) تقيس شدة الشيء من الضعف إلى القوة، فإن (واهية) في هذا القياس ستكون في أسفل السلم.

(مثال ٢):

تصريح وزارة النقل اليمنية: "هذا ويعتبر ميناء عدن من أهم المرافق والأصول الاستراتيجية لليمن"، فالمتحدث يمثل ذاته من خلال قياس الملكية بالثمن، فما يمتلكه ليس مهما فقط، بل هو من أهم المرافق....

(مثال ٣):

تصريح مساعد وزير الخارجية الايراني للشؤون العربية والأفريقية: "كـان مـن المتوقـع أن لا يواصل حكام اليمن الجدد النهج الخاطئ لأسلافهم، وأن يتطابقوا مع الحقـائق الجديـدة نظـرا إلى حجم التغييرات التي حدثت في حكومة هذا البلد، ولكن للأسف نشاهد أن البعض ينتهج نفـس سلوك المسؤولين الـسابقين"، فهـو يقـول أن حكـام الـيمن (الآخـر)، يمتلكـون نهجـا في التعامل، ولكنه نهج خاطئ، إلا أن (الآخر) ما زال أعمى عن رؤية هذا النهج.

(مثال ٤):

تصريح وزير الخارجية اليمني: "إيران دولة إسلامية ذات ثقل وذات إمكانات ومن مصلحة اليمن ومصلحة العالم الإسلامي أن نرى إيران دولة فاعلة في تعزيز العمل الإسـلامي المشترك".
التمثيل الإيجابي للآخر في ضوء خطاطة الوزن بالوصف: ثقيل (في مقابل: خفيف)، كما في التصريح: إيران ذات ثقل، فالأوزان تميل بالثقل إلى ترجيح الكفة، فمن ثقل وزنه رجحت كفته، ومن خف وزنه خفت كفته، فيقال: هذه الدولة لا وزن لها.

(٣) خطاطة الاتجاه:

هذه الخطاطة تمثل الفاعل الاجتماعي في ضوء فعله، فالفعل حركـة، لـه بدايـة ولـه نهايـة ولـه مسار، فالبداية تتعلق بالدوافع التي تحرك الفعل وتبعـث الفاعـل عـلى اختيـاره، والمسار يتعلـق بطبيعة الفعل والممارسات التي تتم وطبيعة العقبات والعراقيل المعترضة للفعل... والنهاية تتعلـق بأهداف الفعل ونتائجه، ومن ثم تحمل الفاعل مسؤولية فعله. التمثيل الإيجـابي للفاعـل في ضـوء هذه الخطاطة، يبين سلامة الدوافع المحركة والقيم المرجعية، وسـلامة المسار، وسـمو الأهـداف وصواب النتائج المتحققة. أما التمثيل السلبي فيشكك في الدوافع والقيم المحركة، كما يـشكك في طبيعة الفعل، ويشكك في الأهداف والنتائج.

(مثال ١):

تصريح وزير النقل اليمني: "إن الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركـة مـوانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية وسيرت أكثر من ٣٧٧ سـفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين". وقال: "شركة موانئ دبي أخلت بالتزاماتهـا ولم تنفـذ الشروط المنصوص عليها في العقد، وقد عملت على وضع شروط وجزاءات أمـام شركـات الملاحة العالمية، وبشكل عمل على تنفير شركات الملاحة العالمية".

هذا التصريح يمثل مسار الفعل لدى "الذات" (أي الحكومة اليمنية) و"الآخر" (أي: موانئ دبي)، وكذلك نتائجه، فالذات اتخذ إجراءات سليمة أدت إلى إعادة الثقة وتسيير أكثر من ٣٧٧ سفينة. أما الآخر فإن مساره غير سليم، فهو يضع العراقيل أمام شركات الملاحة، مما يضعف الثقة، وينفر السفن.

وأيضا في تصريح آخر لوزير النقل اليمني: (الشركة تسوق مبررات واهية لتتنصل عن التزاماتها)، فهو يمثل الآخر (أي: شركة موانئ دبي) أنه يتحرك، (يسوق)، فهو سائق مركبة، وهذه المركبة هي عبارة عن مبررات واهية. فهو يمثله على أنه سائق لأشياء غير مرغوبة؛ مما يعني أن ثمة خللا في مساره.

(مثال ٢):

تصريح الرئيس الأمريكي: "الولايات المتحدة محبطة إزاء السياسات التجارية والاقتصادية للصين، وأنها تفقد صبرها في هذا الشأن، وثمة حاجة إلى إعادة التوازن في الاقتصاد العالمي".

فالرئيس الأمريكي يمثل الآخر (الصين)، من خلال وصفه لمشاعره إزاءها، فهو يقول أن أمريكا محبطة إزاء هذا المسار الذي تتخذه الصين (السياسات التجارية والاقتصادية للصين)، وأنها تفقد صبرها، فالرئيس الأمريكي يمثل مسار الصين مسارا سيئا؛ يؤدي إلى نشوء المشاكل والعراقيل للآخرين. فالصين تتحرك ولكنها تتحرك باتجاه خاطئ، وبطريقة خاطئة، وحركتها أدت إلى اضطراب التوازن العالمي.

(مثال ٣):

قول الرئيس الأمريكي للصين: "نريدكم أن تلتزموا بقواعد اللعبة وربما كانت العملة مثالا جيدا؛ فالسياسة التي تتبعها الصين إزاء عملتها تشوه التجارة العالمية). فهو يمثل الفاعل هنا أنه لاعب يتحرك ويمارس ألعابا، ولكنه غير ملتزم في مساره بقواعد اللعبة، ومن ذلك عدم التزامه بقواعد اللعبة في ما يخص العملة الصينية.

(مثال ٤):

تصريح وزير الإعلام اليمني: "سياسة ايران في اليمن تقوم على استغلال الظروف التي تمر بها البلاد، والبحث عن الجماعات المتطرفة التي لها مصالح خاصة، وتقدم لها كافة أشكال الدعم السياسي والإعلامي والمادي، بهدف الإضرار بمصالح اليمن).

فهو يمثل الفاعل الاجتماعي الآخر وفقا لخطاطة الاتجاه: المصدر، والمسار، والهدف. فالمصدر سيء، فسياسة إيران تقوم على دوافع سيئة (استغلال الظروف...)، كما أن المسار أيضاً سيء (فهي تدعم بمختلف اشكال الدعم الجهة الخاطئة)، والهدف أيضا (الإضرار بمصالح اليمن). فالفاعل الاجتماعي هنا تم تمثيله تمثيلا متحركاً من البداية إلى النهاية، ولكنه تمثيل سيء، يشكك في النوايا، ويخطئ المسار، ويتهم الأهداف.

(مثال ٥):

كما أن الفاعل أحيانا يتم تمثيله من خلال تجميد الحركة، لا "تسييلها" أو "انسيابيتها"، وقد يكون ذلك في التمثيل الإيجابي، مثلا: (تصريح وزير الخارجية الصيني: "موقف الصين من الأزمة ثابت، وإن الصين تتمتع بالسيادة الكاملة على المنطقة المتنازع عليها"). فهو يجمد الحركة، ويصف الموقف بأنه (ثابت)، وتجميد الحركة هنا يُتمثل بصورة إيجابية، فالثبات في مقابل الاضطراب، والثبات يلغي الحركة، ويعطي صورة نهائية للموقف، صورة ثابتة لا تحتاج إلى حركة أو تغيير.

(مثال ٦):

وقد يتم تمثيل الفاعل أيضاً من خلال (الفعل ورد الفعل)، حيث تفسر حركة الفاعل: هل هي فعل أو رد فعل، فمثلا (تصريح الجنرال الصيني رين ردا على وزير الدفاع الأمريكي في إعلانه الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية: "أولا، ينبغي ألا ننظر إلى هذا القرار الأمريكي بوصفه كارثة (بالنسبة إلى الصين)، فأنا أعتقد أن هذا التغيير يمثل تعبير الولايات المتحدة عن مصالحها القومية، وهو ردها على المشاكل المالية التي تمر بها، إضافة إلى كونه ردا على التطورات الأمنية على النطاق الدولي"). فهو هنا يجرد الموقف الأمريكي عن الفعل أصالة، ويضعه في خانة رد الفعل، ومن ثم فالفاعل الاجتماعي (الآخر) تم تمثيله كشخص يتحرك بلا بصيرة أو هدف، وحركته تأتي كرد فعل لمشاكل أحاطت به. وهو تمثيل سلبي لحركة الآخر.

(٤) خطاطة الجهات:

هذه الخطاطة تقييمية، فالإنسان يتمثل الجهات ليس على أنها حيزات فضائية فقط، بل على أنها تقييمات، ولذلك الأعلى والأفضل يمثل على أنه (فوق)، فنقول: المسؤول الأعلى، هرمية السلطة، الترقية الوظيفية، عالي المستوى، أخلاق راقية... في مقابل (تحت): أخلاق منحطة، قيم سافلة،

أدنىٰ السلم الوظيفي، سقط من عيني، إسقاط النظام،... الخ. و(أمام) إطـار لتمثيـل الأفـضلية، فتقول: هذا سابق، فاز بالمركز الأول، أمة متقدمة،.. في مقابل (خلف): رجل متخلـف، رجعـي، جاء في آخر القائمة، مشدود إلىٰ الماضي، تخلف عن الركب،...الخ. كذلك (يمين/ يـسار)، وهـذا يخضع للقيم الثقافية، فثقافة ما قد تجعل من اليمين أفضلية دون اليسار، فمن السنة لدىٰ المسلمين: التيمن، والبدء باليمين، وتسقي أولا مـن هـو عـلىٰ يمينـك، وتنـاول الطعـام بـاليمنىٰ، وتقـول: ساعدي الأيمن (للمعاون الأول)... الخ. وقد لا تنطبق هذه الخطاطة في ثقافات أخرىٰ.

كما تتعلق هذه الخطاطة بمدىٰ القرب أو البعد في الجهة، فكلما اقتربنـا مـن المركـز كـان لـذلك تقييم إيجابي، وكلما ابتعدنا إلىٰ الأطراف كان لذلك تقييم سلبي. نحو: هو في قلب الحدث، النقطـة المحورية... في مقابل: أمة تعيش علىٰ هامش التاريخ، إنما يأكل الـذئب مـن الغـنم القاصـية، لـن يسمح الحزب بتهميشه... الخ.

هذه الخطاطة تمثل الفاعل الاجتماعي في ضـوء دوافعـه وقيمـه وأهدافـه وأفعالـه وتـصوراته، وتقيمها سلبا أو إيجابا.

(مثال ١):

تصريح مساعد وزير الخارجية الإيراني: "الجمهورية الاسلامية في إيران وقفت على الدوام إلى جانب اليمن ودعمت استقراره وأمنه ووحدته واستقلاله".

الخطاطة الجهوية واضحة جدا في هذا الخطاب، فيمثل الفاعل الاجتماعـي (الـذات) يقـف إلىٰ جانب اليمن، هو هنا يمثل مدىٰ القرب، فهي قريبة جدا، وتمثيل القرب هنا إيجابي، وقد بنىٰ عليـه تمثيلا آخر وهو (دعم اليمن)، والدعم هي حركة باتجاه الأمام وليس الخلـف، فهـو تمثيـل إيجـابي يرتكز علىٰ خطاطة الجهة (أمام/ خلف).

(مثال ٢):

وزير النقل اليمني: "وقد عملتْ [أي: موانئ دبي] على وضع شروط وجزاءات أمام شركات الملاحة العالمية، وبشكل عمل على تنفير شركات الملاحة العالمية".

تمثيل الفاعل (الآخر) في هذا الخطاب ينحو منحىٰ سلبيا، بنـاء عـلىٰ خطاطـة الجهـة، فـالآخر يقف معرقلا التقدم (يضع العراقيل أمام..)، فهو لا يكتفي بالتأخر بـل يـؤخر غـيره. وأيـضا تـم تمثيل الفاعل من خلال البعد (تنفير)، فأفعال الآخر أدت إلىٰ تنفير الـشركات، و(تنفيرهـا) يفهَـم

منه أنها حركة تبتعد عن المركز في اتجاه الأطراف، فبدلا من أن يقوم (الآخر) بالتقريب (الحركة باتجاه المركز)، يقوم بالتنفير. واستخدام هذا اللفظ يعني أن الذات يرى أنه (أو قضيته: الميناء) هي المركز، والآخر يصد المستثمرين عنها.

(مثال ٣):

وزير النقل اليمني: "كان على موانئ دبي العالمية أن تقوم بتشغيل وتحديث وتوسعة مرافق ميناء عدن، بحيث يتم تطوير عدن..." ... "وكنتيجة لعدم تحديث وتوسيع مرافق ميناء عدن فإن النشاط التجاري للميناء قد تدهور بشكل كبير".

التمثيل هنا يبين أولاً الإطار المتوقع (تطوير الميناء)، والتطوير اتجاه إلى الأعلى، وإلى الأمام أيضا (تحسين وتقدم). ثم يكشف عن الواقع (تدهور)، والتدهور حركة باتجاه الخلف والأسفل. والمسؤول عن هذه الحركة هو الطرف الآخر، فهو يتحمل مسؤولية كاملة.... هناك عبارات أخرى في التصريح، فهو يدعو الشركة اليمنية إلى أن (أن تقوم من الآن فصاعدا باتخاذ الخطوات اللازمة)، فلفظ (من الآن فصاعدا) حركة زمنية متجهة إلى الأعلى. كذلك يرى أن إجراءات الوزارة سوف (تمكن ميناء عدن من النهوض بإمكانيات ميناء عدن الحقيقية)، فالنهوض حركة باتجاه الأعلى... وهكذا فالتصريح يمثل الذات بأنه يسعى للأعلى وللأمام، ويريد للميناء (النهوض)... أما الآخر فهو سبب (تدهور الميناء)، وتخلفه.

(مثال ٤):

تصريح المدير التنفيذي لموانئ دبي: "موانئ دبي العالمية حريصة على دعم النمو الاقتصادي في اليمن"). يتم تمثيل الفاعل (الذات)، على أنه حريص على دعم النمو، والدعم حركة دافعة باتجاه الأمام، وهو يدعم النمو، والنمو: حركة متجهة للأعلى.

وأحياناً يتم تمثيل الجهات بصورة مختلفة عن الحالات السابقة، فالخلف هو الأفضل، والأمام هو الأسوأ. مثال ذلك: (تصريح وزير الخارجية اليمني: "ولا نعتقد أن المراهنة على العنف سيحقق أي أهداف وستعود الأطراف في نهاية المطاف إلى طاولة الحوار"). فالإطار هنا يتمثل الأمام كحالة تم الاندفاع إليها دون بصيرة، وبلا روية، ومن ثم فلن يصل إلى نقطة نهاية. وليس أمام هؤلاء إلا العودة إلى (طاولة الحوار)، ولكن بعد أن يدركوا أنهم توجهوا إلى الأمام المجهول.

(٥) خطاطة الحاوية:

خطاطة الحاوية كما هي لدى لايكوف، (Lakoff, 1990, p272) تقوم على منطق: كل الأشياء موجودة إما داخل الحاوية أو خارجها، ونحن نتمثل كثيرا من المفاهيم المجردة على هذا الأساس. وخطاطة الحاويات تعمل من خلال تقسيمها إلى فئات، وإذا كان ثمة أجزاء فتقسم إلى فئات فرعية، والموجودات التي داخل فئات الحاويات تعتبر أعضاء منتمية إلى تلك الفئات، والموجودات التي خارجها تنتمي إلى الفئات المقابلة (Lakoff, 1990, p457).

وتمثيل الآخر في ضوء خطاطة الحاوية يتم من خلال التصنيف الفئوي بحسب المرجعيات الرمزية، فالمرجعية الرمزية تمثل الحاوية، ويتم تصنيف الناس بحسب انتمائهم إلى الحاوية (منتمي: داخل الحاوية، وغير منتمٍ: خارج الحاوية)، ومن ثم يحدث الإدماج للمنتمين، والإقصاء لغير المنتمين.

يتمثل الناس الحاويات -كما ذكرت – في مرجعيات رمزية، غالباً ما تستنبط من الخطاب، وتمثل حجر الزاوية في التمثلات. ويتم بناء التمييز على مرجعيات مختلفة: المرجعية الاقتصادية (الغنى والفقر)، أو الاجتماعية (الجنس، العرق، اللغة، الجنسية، الأنظمة الإدارية...)، أو الثقافية (العادات، والقيم، التاريخ...)، أو السياسية (المواقف والأحداث والأدوار السياسية). فالمرجعية الرمزية تمثل حدود الحاوية الذي يفصل بين الانتماء (الإدماج) وعدم الانتماء (الإقصاء).

والإدماج والإقصاء آلية تمثيل رمزي، يتم من خلالها "التمييز" بين ما ينتمي إلى الفئة "أ" (وهي المرجعية)، وبين ما لا ينتمي إليها، ومن ثم يمارَس الإدماج والإقصاء وفقاً لتلك المرجعية. فهذا التمييز هو "تصنيف"، والذي يمارِس هذا التصنيف لا يرى الفئة "أ" التي يريد أن يجعل هويات الآخرين تنتمي إليها، فمن لم ينتمِ إليها يصنف أنه غير منتمٍ.

وإذا كان الإقصاء يستبعد فئة ما وفقا لهذه المرجعيات، فإن الإدماج احتواء لفئة ما وفقا للمرجعيات نفسها؛ فينتج عن الإقصاء إحساس بالتباين، وينتج عن الإدماج إحساس بالتماثل.

يستخدم لاكلو وموف مصطلحا آخر للتعبير عن هذه الآلية، وهو "منطق الاختلاف والتساوي"، فيريان أن سياسة الهيمنة تعتمد منطقين مختلفين، يتزامنان فيها، وهما "منطق الاختلاف" و"منطق التساوي"، الأول يولد الفوارق والانقسامات بين الموجودات والكينونات والناس، والثاني يلغي الفوارق ويقوضها. وهذه العملية هي عملية تصنيفية، تبلور طرق الناس

في التفكير والعمل كفاعلين اجتماعيين (Laclau, & Mouffe, 1985, p149). ويمكن القول إن العمل على التصنيف أمر مستمر داخل النصوص، بالتفريق بين الكيانات، أو إقامة تقابل بينها، أو مساواتها بعضها ببعض (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص ١٧٦).

(مثال ١):

تصريح وزير الخارجية اليمني في (٢٢/ ٠٣/ ٢٠١٢)، بشأن التدخل الإيراني في شؤون اليمن، على هامش الاجتماع الأول لصندوق الاستجابة الطارئة في اليمن ٢٠١٠، الذي عقد بمقر الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي بالرياض: "إن الأمور أضحت على نحو حقيقي يدركه الجميع، وعلى الدول الكبرى التحرك الفعلي لمنع ذلك، فالتدخل الإيراني في اليمن يضر بأمن واستقرار المنطقة، وإن الدعم الخليجي والمساعدة في التنمية الاستثمارية سيساعدان في إزالة التدخلات الإيرانية".

هذا الخطاب يفتح حاوية ذات مرجعية رمزية سياسية فقط "أمن اليمن وتنميتها هو أمن واستقرار لدول المنطقة"، ومن ثم فالعناصر المترابطة داخل هذه الحاوية تمثلها مصطلحات: الأمن والتنمية اليمنية مرتبطة بأمن المنطقة واستقرارها. ولنفترض أن داخل الحاوية هو الفئة (+أ)، وخارج الحاوية هو (-أ).

يستثمر المتحدث هذه المشروعية للانتقال إلى آلية الإدماج والإقصاء، فدعم الحكومة اليمنية يحقق الأمن والاستقرار (فهو انتماء إلى الحاوية)، ودعم الجماعات المسلحة تهدد الأمن وتزعزع الاستقرار (فهو خارج الحاوية، أو اللا-انتماء). فالدول الخليجية منتمية؛ لما تقدمه من دعم ومساعدة (للحكومة بالطبع). أما إيران فغير منتمية؛ بسبب تدخلها، أو بعبارة أخرى (بدعمها ومساعدتها ليس للحكومة، وإنما لبعض الفصائل المسلحة). فهو يقول إن "التدخل الإيراني في اليمن يضر بأمن واستقرار المنطقة"، بينما "الدعم الخليجي والمساعدة في التنمية الاستثمارية سيساعدان في إزالة التدخلات الإيرانية".

تتجلى آليات التصنيف من خلال العلاقات الدلالية في الخطاب، علاقة التماثل في الأهداف بين "الدول الكبرى" وبين اليمن؛ ولذلك يوجه الخطاب الدول الكبرى بضرورة (التحرك الفعلي لمنع التدخل الإيراني)، والتماثل أقيم أساسا على التباين، ولذلك ربطه بالعلاقة السببية (فالتدخل الإيراني في اليمن يضر بأمن واستقرار المنطقة)، وهو يفترض (كما سبق في المرجعية الرمزية) أن

الدول الكبرى تريد أمن اليمن واستقرار المنطقة، ومن هنا ينشأ التباين والتماثل في الأهداف، بين دول تتفق أهدافها مع أهداف اليمن، وأطراف تتباين أهدافها عن أهداف اليمن. ومن ثم فالمجتمع الدولي أمام خيارين، إما "+ أ" أو "- أ"، فإذا اختار "+ أ" فإن واجبه التحرك الفعلي لمنع ذلك التدخل، وقد أكد هذا بعبارة "إن الأمور أضحت على نحو حقيقي يدركه الجميع"، فهي واضحة ويدركها الجميع، ولا تحتاج إلى مزيد من الخطابات والأدلة.

(مثال ٢):

ثم نقرأ الرد الإيراني على هذا التصريح، حيث جاء على لسان مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية، أمير عبد اللهيان، (٢٣/ ٠٣/ ٢٠١٢)، فوصف تصريحات القربي بـ«المزاعم الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة»، داعيا الحكومة اليمنية إلى «تلبية مطالب شعبها بدلا من توجيه اتهامات كاذبة للآخرين»، وقال بأن "إيران تدعم المطالب المشروعة للشعب اليمني، وترى بأن الخيار السياسي والحوار الوطني هو الأنسب للخروج من الوضع القائم، وأن إيران مهتمة بمصالح دول المنطقة والأمن والاستقرار الإقليمي، وأن الشعب اليمني سيحافظ على ثورته ولن يسمح لأعداء المنطقة بالتدخل في شؤونهم الداخلية".

ورد الرد الإيراني على لسان مساعد وزير الخارجية، وفي هذا رسالة ضمنية بأن التصريح اليمني ليس بتلك الأهمية التي تستدعي أن يرد عليها وزير خارجية إيران.

ينطلق الخطاب الإيراني من مرجعية ثقافية (وليس سياسية)، كما يعيد صياغة المرجعية السياسية الواردة في تصريح وزير الخارجية اليمني ويعيد آلية الإدماج والإقصاء. فالخطاب الإيراني يعيد تشكيل الحاوية، ويعيد تشكيل عناصرها، ومن ينتمي إليها ومن لا ينتمي إليها.

(المرجعية الثقافية): "الحكومة الصادقة لا تحتاج إلى مزاعم كاذبة"، فالحاوية إذن تمثلها هذه المرجعية، وهو يخص "الحكومة اليمنية" بالذكر، ومن ثم فهو يقصي الحكومة اليمنية من الانتماء إلى هذه الحاوية؛ إذ إنها توجه اتهامات كاذبة للآخرين، وفي الوقت نفسه فهو يمنح نفسه الحق في ملكية هذه المرجعية، وتصنيف الآخرين: من ينتمي ومن لا ينتمي؛ وذلك ما يفيده مضمون التصريح، إذ وصف تصريحات الوزير اليمني بأنها "مزاعم كاذبة لا أساس لها من الصحة".

(المرجعية السياسية): (١) "المطالب المشروعة للشعب اليمني (وليس للحكومة) تستحق الدعم". (٢) "مصالح دول المنطقة وأمنها والاستقرار الإقليمي تستحق الاهتمام". ويعبر عنها

بالعبارات "إيران تدعم المطالب المشروعة للشعب اليمني"، و" إيران مهتمة بمصالح دول المنطقة والأمن والاستقرار الإقليمي". فهي إعادة صياغة للمرجعية السياسية الواردة في خطاب الوزير اليمني.

الفئة "+ أ" [أي ما ينتمي للحاوية]، تمثل المطالب المشروعة للشعب (وليس للحكومة)، كما تمثل مصالح دول المنطقة وأمنها والاستقرار الإقليمي. والفئة "-أ" [أي ما هو خارج الحاوية] تمثل الوضع القائم في اليمن، ويقصد أن اليمن في حالة فوضى سياسية وتهديدات أمنية.

ثم يقوم بإدماج جهتين ضمن الفئة "+ أ"، الأولى: إيران؛ بدعمها لمطالب الشعب (وليس للحكومة)، واهتمامها بأمن واستقرار المنطقة. والثانية: الشعب اليمني الذي يعي المخاطر، ويحافظ على ثورته، ويمنع تدخل الآخرين. ومن ثم فإيران والشعب اليمني كلاهما يسعيان لتحقيق المطالب المشروعة، ويحافظان على أمن واستقرار المنطقة.

وأما الفئة "-أ"، فيَدمج فيها جهتين (وهما مُقصاتان من الفئة + أ)، الأولى الحكومة اليمنية، حيث يعتبرها غير عابئة بمطالب شعبها، بل تقوم باتهام الآخرين ونسج الأكاذيب لتتنصل من تحقيق مطالب شعبها، ومن ثم فإيران حين تقدم الدعم فإنما تدعم مطالب الشعب. والجهة الثانية أعداء المنطقة، ولم يحدد من هم، فهم من يقومون بالتدخل في شؤون اليمن (وليس إيران).

ومن ثم فالموقف الذي تتخذه إيران (في نظر وزير الخارجية اليمني)، موقف سياسي يدمجها ضمن الفئة "- أ"، بخلاف الموقف السياسي لدول الخليج، وبالمقابل يعيد التصريح الإيراني تموضع الجهات، فهو يؤكد أن موقفهم السياسي ضمن الفئة "+ أ"، وهو الموقف الذي يريده الشعب، أما الحكومة فمواقفها السياسية قائمة على الاتهامات التي تعتقد أنها تدر عليها المساعدات.

(مثال ٣):

بشأن النزاع التجاري بين الصين وأمريكا – قال الرئيس الصيني (١١/ ١١/ ٢٠١١): "إذا ما قامت الولايات المتحدة بتخفيف القيود التي تفرضها على تصدير التكنولوجيا إلى الصين، سيكون ذلك أمرا جيدا ليس لمعالجة العجز في ميزانها التجاري فحسب، بل بتعزيز الاقتصاد الأمريكي وفرص العمل في الولايات المتحدة". وأضاف: "إن حجم واردات الصين سيتجاوز ٨ تريليونات دولار في السنوات الخمس المقبلة، منها ٥ ترليونات على شكل مواد استهلاكية؛ مما يجعل الصين سوقا جبارة للمنتجات الأمريكية ستساعدها على إحياء صناعتها وتحقيق الهدف الذي وضعه الرئيس أوباما بمضاعفة حجم الصادرات".

(مثال ٤):

أبلغ الرئيس الأمريكي نظيره الصيني أثناء لقاء جمع الزعيمين على هامش قمة التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ (ابيك) في هاواي: "أن الولايات المتحدة محبطة إزاء السياسات التجارية والاقتصادية للصين وأنها تفقد صبرها في هذا الشأن". وحث أوباما نظيره الصيني كذلك على "السماح برفع قيمة اليوان" مشددا على "الحاجة إلى إعادة التوازن في الاقتصاد العالمي".

وقال أوباما في اجتماع مع مدراء تنفيذيين لشركات أمريكية "بالنسبة إلينا فإن عدم الحصول على الميزة التنافسية التي نحتاجها في سوق كبيرة كالصين هو أمر غير مقبول". ومضى أوباما موجها خطابه للصين بقوله: "نريدكم أن تلتزموا بقواعد اللعبة وربما كانت العملة مثالا جيدا".

وكان الرئيس الأمريكي قد حذر في كلمة ألقاها في قمة دول آسيا والمحيط الهادئ التي عقدت في ولاية هاواي الامريكية من أن السياسة التي تتبعها الصين إزاء عملتها "تشوه التجارة العالمية". وقال أوباما في وقت سابق: "إن الصين لم تقم بما فيه "الكفاية" لرفع سعر اليوان رغم التحسن الطفيف الذي طرأ على قيمة العملة الصينية، وإن على بكين التصرف (كشخص بالغ) والتقيد بمعايير المجتمع الدولي في الشأن الاقتصادي".

وقال الرئيس الأمريكي: "إن معظم الاقتصاديين متفقون على أن سعر صرف العملة الصينية يقل بنسبة ٢٠ الى ٢٥ في المئة عن قيمتها الحقيقية؛ وذلك يرفع أسعار البضائع الأمريكية في الأسواق الصينية ويخفض أسعار الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة؛ مما يمنح الصين أفضلية غير عادلة". وقال: "لقد تحسن الوضع نسبيا في السنة الاخيرة، ولكن ليس بالقدر الكافي".

النزاعات التجارية مثال جيد على تقنيات السلطة، فالصين تفتح مرجعية مشتركة مع أمريكا، حيث يُذَكّر الرئيس الصيني أمريكا أنها تعاني من العجز في ميزانها التجاري، وأنها تريد أن تعزز اقتصادها، وتضاعف حجم صادراتها، وتحمي صناعتها، وتقضي على البطالة... الخ، وطريق ذلك من وجهة نظر الصين هو إقامة علاقات تجارية أفضل بين الصين وأمريكا. ما مضى يمثل حاوية ذات مرجعية رمزية اقتصادية، ويعطي أرضية لإضفاء الشرعية، ثم يقفز الخطاب إلى تقنية "ينبغي أن"، فلكي تحصل أمريكا على كل ذلك، ينبغي أن تخفف القيود التي تفرضها على تصدير التكنولوجيا إلى

الصين. كما أن الخطاب يمارس سلطة التوجيه من خلال الحديث عن القوة الاقتصادية الهائلة للصين، متمثلة في حجم وارداتها، وهي فرصة لأن تكون سوقا ضخمة جدا لأمريكا.

لقد انطلق الرئيس الصيني في خطابه من نقاط ضعف الولايات المتحدة الأمريكية التجارية (واقعها: عجز تجاري، وركود اقتصادي، وبطالة...)، و(أهدافها: تعزيز اقتصادها، وإنعاش صناعتها، ومضاعفة صادراتها...) في مقابل عرضه لنقاط القوة الاقتصادية لدى الصين (واردات تتجاوز ٧ تريليون، وسوق جبارة قادرة على مساعدة الآخرين)، وبين هاتين النقطتين يربط خيط التوجيه السلطوي، إذا أرادت أمريكا أن تتجاوز نقاط ضعفها، وتستفيد من نقاط القوة لدى الصين. تحدث الرئيس الصيني عن ما يريده من أمريكا (وهو: تخفيف القيود على تصدير التكنولوجيا إلى الصين)، ولم يتحدث عما تريده أمريكا منه، وهو (تحرير العملة الصينية). وبناء على ذلك صاغ الحاوية، وحدد ما ينتمي إليها وما لا ينتمي إليها، وفتح الباب أمام الولايات المتحدة الأمريكية للانتماء إلى الحاوية (ذات المرجعية الاقتصادية).

ينطلق الرئيس الأمريكي من التقنيات السلطوية نفسها، مع اختلاف المرجعية، فهو يُذَكر الصين بما سكت عنه الخطاب الصيني، فيبين أن اقتصاد الصين "يشوه التجارة العالمية"، وأن ممارساتها الاقتصادية من تخفيض العملة وغيرها هي التي رفعت مكانتها الاقتصادية، ولكنه ارتفاع على حساب معايير المجتمع الدولي، وعلى حساب اقتصاديات أمريكا، ومن ثم فهو اقتصاد قائم على ممارسات غير قانونية، وبذلك فما اعتبره الرئيس الصيني نقاط قوة، إنما هو في حقيقته نقاط ضعف، ذلك أن الصين دولة غير مسؤولة، ونموذجها لا يرقى إلى مستوى العالمية الذي يتطلب التزاما بمعايير المجتمع الدولي. بهذه المرجعية يمثل الصين بأنها "غير ناضجة"؛ لتهربها من المسؤولية الدولية، وتصرفاتها عابثة، وهي أرضية تعطيه الحق في أن يستخدم سلطة التوجيه، وربما الإلزام معها. وهذا الإطار يمثل حاوية انتماء مختلفة عن تلك الحاوية التي رسمها الرئيس الصيني.

بناء على ذلك يستخدم تقنية "ينبغي أن": (نريدكم أن تلتزموا بقواعد اللعبة... على بكين التصرف كشخص بالغ، والتقيد بمعايير المجتمع الدولي في الشأن الاقتصادي). ويؤكد في حديثه على ما يريده من الصين، ويتجاهل ما تريده الصين منه.

يتكئ الرئيس الأمريكي في فرض سلطته على بعض المسلمات، ومنها: مقولة "معظم الاقتصاديين"، وهم "متفقون" على ذلك. فالصين وممارساتها في كفة، والمجتمع الدولي ومعاييره،

ومعظم اقتصادييه في كفة أخرى، فالاقتصاديون هم الحكم والفيصل والمرجع في قضية اقتصادية، وهذا اتفاقهم. ومن ثم فالحاوية ذات إطار دولي، يتفق عليها المجتمع الدولي والخبراء الدوليون.

كما يستند إلى مسلمة "معايير المجتمع الدولي"، ويشهرها في وجه الصين، وكأن هناك مجتمعا دوليا منسجما متماسكا، له معايير تعود بالنفع للدول المنضوية تحته. وهذه مقولة عولمية تتكرر كثيراً في الخطاب السياسي، ويستخدمها كسلاح قوي، فيصنف الآخرين في ضوئها، ويمارس عنفا رمزيا تجاههم.

ومن المسلمات التي استند إليها لممارسة سلطته: "الميزة التنافسية"، وحق أمريكا في الحصول عليها، بل وكون الصين لا تمنحها لأمريكا أمراً غير مقبول، فليس النقاش حول أحقية أمريكا فيها، بل حول أحقية الصين في منع أمريكا منها. ويرفض توقف منح الصين لهذه الميزة على أن ترفع أمريكا قيودها عن تصدير التكنولوجيا، ويغفل هذه القضية، وكأنها لا تستحق الذكر.

من خلال الأمثلة السابقة يتضح لنا أن لغة النزاع تتغلغل إلى أعماق الخطاب، فثمة نزاع في السطح وثمة نزاع في الجذور، يتنازع الأطرافُ المرجعياتِ نفسها، ويتنازعون عباراتِ الإدماج والإقصاء، فيقبلون بعضا ويرفضون بعضا. فتصريح ينطلق من "مرجعية رمزية سياسية"، والطرف الآخر ينطلق من مرجعية رمزية ثقافية، ويعيد صياغة المرجعية السياسية، ويعيد تشكيل الفئات المدمجة والمقصاة... الخ.

المبحث الثاني: الإطار المرجعي: القيم والدوافع والأهداف والتوقعات

- المطلب الأول: مدخل نظري
- المطلب الثاني: نموذج للتحليل

المطلب الأول: مدخل نظري

أولاً: الإطار الاستعاري:

يبين المثل العربي القديم (كل إناء بما فيه ينضح)، أننا إذا أردنا أن نعرف ما في الإناء فعلينا أن نعرف ما الذي ينضح به، إنه مثل واضح، ولكنه يحمل دلالات عميقة. وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [سورة محمد، آية ٣٠]، وهذا تعبير يؤكد أن معرفة حقيقة الشخص، ومعرفة تصوراته وقيمه ودوافعه ومعتقداته، إنما تكمن من خلال قوله. ولحن القول: "ما يبدو من الكلام الدال على المقاصد" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧، ص٣٢١).

ويبدو أن نظرية (الاستعارة المفهومية) التي نبه لها الدرس اللغوي الحديث هي في صميم (لحن القول)، فهي تهدف إلى الكشف عن الأنساق التصورية والإدراكية لدى المتحدث من خلال الاستعارات التي تؤطر تفكيره، وتظهر إلى السطح في خطابه.

لقد كانت النظرة السائدة أن العالم الخارجي عبارة عن موضوعات ذات خواص مستقلة عن الإنسان، وأنها حقائق ثابتة، وأن العقل الإنساني يدركها كما هي، والرموز التي يستخدمها الذهن مطابقة للواقع، (الأشياء في العالم الخارجي)، فتمثيل الذهن هو تمثيل داخلي صادق للواقع الخارجي، ومن ثم فالذهن مرآة للطبيعة يكرر ما هو موجود في العالم، وجميع الناس يستعملون نسقا تصوريا موحدا، ذلك هو المنظور الكلاسيكي الأرسطي الذي عرفه الناس منذ القِدَم (لايكوف، ٢٠٠٥، ص٨).

وإزاء هذا التصور برز في الثمانينيات من القرن الماضي تصور جديد، تبلور لدى لايكوف وجونسون في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، وأساس هذا التصور هو التجربة والحس الإدراكي والجسدي.

يرى التصور التجريبي أن الفكر ذو أرضية جسدية إدراكية (embodied)، فالأنظمة المفهومية عند البشر تتبلور وتكتمل بناء على تجربة الفرد الجسدية في العالم. ومن ثم فتنظيم العالم الخارجي يتم بطريقة تنتج عن تفاعل التجربة الإنسانية الفيزيائية (إدراك الأشياء والأنشطة الحركية

والثقافية) مع عناصر العالم الخارجي. فالتجربة الإنسانية ذات وظيفة مركزية في تنظيم العالم وتصنيفه. والخيال الذهني الذي يتألف من الروابط الاستعارية مركزي في هذه العملية أيضا (لايكوف، ٢٠٠٥، ص٨)، و(الزناد، ٢٠١٠، ص١٤٣).

والاستعارة ليست مقتصرة على اللغة، ولكنها موجودة في التفكير وفي السلوك اليومي. فتصوراتنا تعكس بنية طريقتنا في التعامل مع العالم، والناس، وتحدد حقائقنا اليومية. والنسق التصوري – في جزء كبير منه – ذو طبيعة استعارية، وعليه فكيفية تفكيرنا وسلوكنا وتعاملنا ترتبط بالاستعارة ارتباطاً وثيقاً (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩، ص٢١).

وتقرر نظرية (الاستعارة المفهومية) أن الرموز والاستعارات التي يستخدمها الإنسان ترتبط بنسقه التصوري، فالإنسان لا يستخدم الاستعارة لعلاقة المشابهة، ولكن لعلاقة الربط، فهو يربط تجربته مع العالم الخارجي، وتقوم الروابط بعملية اختراقية بين مجالين أحدهما (هدف)، والآخر (مصدر). فالاستعارة المفهومية إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، والعبارة الاستعارية إنما هي تحقق سطحي لتلك العمليات التي يجري بها الإسقاط المفهومي في الذهن (الزناد، ٢٠١٠، ص١٤٣).

ثانياً: القيم والدوافع والأهداف والتوقعات:

للإطار المرجعي أربعة جوانب: القيم، والدوافع، والأهداف، والتوقعات.

(١) القيم:

تتضمن القيم التمثيلات الإدراكية، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات، بخلاف الحاجات التي توجد لدى جميع الكائنات الحية (خليفة، ١٩٩٢، ص٥٠).

ويمكن تعريف القيم – في ضوء علم النفس الاجتماعي (خليفة، ١٩٩٢، ص٥١) بأنها "الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء. وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء. وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه، ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف".

وتحدث المواجهة الاجتماعية عندما يتهم طرف طرفا آخر بانتهاكه للقواعد الاجتماعية، أو السلوك المتوقع. والمعاني الاجتماعية – تشكلها أنظمة الاستعارات والأنظمة الرمزية. وفي الوقت

نفسه فإن هذه المعاني الاجتماعية تشَكّل الأنظمة الاجتماعية، من خلال تشكيل الأيديولوجيات، والأدوار المهنية، وبنية النزاعات الأخلاقية. فالنزاعات حول المسارات المناسبة للأعمال تشتمل عادة على خلافات قيمية، أو يكون التنازع على الأنظمة الأخلاقية. وتتأسس الأنظمة الأخلاقية على افتراضات قيمية، من قبيل: الحق والباطل، والخير، والفضيلة، التي تشكل الشخصية والأعمال الاجتماعية أيضا (Putnam, 2006).

وفي ضوء الدرس اللساني، فإني أتبنى التصنيف الأولي للقيم، وهو تصنيفها إلى قيم مرغوب فيها، وقيم غير مرغوب فيها، وتحليل القيم يبين طريقة تمثيلها في الخطاب، وطريقة توظيفها في الإطار المرجعي.

(٢) الدوافع:

أما الدافع، (جابر، وكفافي، ١٩٨٨، ج٥، ص٢٢٧٢)، فهو "سبب أو مبرر شعوري أو لا شعوري للسلوك، يوجه أنشطة الفرد نحو الهدف". والدوافع عبارة عن ضغوط لتوجيه السلوك في اتجاه معين، أما القيم فتشتمل على التصور أو المفهوم خلف هذا السلوك بإعطائه المعنى والتبرير الملائم (خليفة، ١٩٩٢، ص٥٠).

وهناك كثير من النظريات النفسية والاجتماعية التي تفسر الدوافع، وتصنفها. ومن أشهرها نظرية الهرم لماسلو، التي ترى أن دوافع الإنسان تتدرج في شكل هرم من الأدنى إلى الأعلى، وهي: الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمن، وحاجات الحب والانتماء، وحاجات تقدير الذات، وحاجات تحقيق الذات، ثم أضيف إليها حاجات المعرفة والفهم (خليفة، ١٩٩٢، ص١٢٠). وقد تعرضت نظرية الهرم لكثير من الانتقاد، وتم اقتراح بدائل عديدة، ومنها: القائمة التي اقترحها (ستيفن رايس)، وحصرها في ستة عشر دافعا: "السلطة والاستقلالية والفضول والاعتراف والنظام والتوفير والكرامة والمثالية والعلاقات والأسرة والمكانة والثأر والرومانسية والتغذية والنشاطات الجسدية والهدوء" (هوبر، د.ت).

(٣) الهدف:

أما الهدف فهو "النتيجة النهائية التي يكافح الكائن الحي لبلوغها، ما يرضي الدافع ويشبعه. ويرى أدلر أن الهدف هو أساس تفسير سلوك الإنسان" (جابر، وكفافي، ١٩٨٨، ج٣، ص١٤١٩). ويكون الهدف في العادة شيئا خارجيا، ويتم التمييز بينه وبين الغرض (purpose)، فالغرض هو ما

يتصوره الفرد في ذهنه من أهداف يقصد بلوغها أو يعتزم تجنبها. ومن خواص سلوك الإنسان أنه غائي، فهو نشاط يهدف إلى غاية؛ ولذلك يتسم النشاط بالمرونة والتغير والتنوع وقابلية التكيف وفق الظروف المتغيرة (راجح، ١٩٦٨، ص٦٧).

(٤) التوقع:

وأما التوقع فإنه "حالة داخلية أو اتجاه نفسي أو تهيؤ لدى الفرد يؤدي به إلى توقع حدث معين. وبالنسبة إلى علماء النفس المعرفي فيقصد بالمصطلح التهيؤ العقلي مع قدر كبير من المعالجة المعرفية الشعورية" (جابر، وكفافي، ١٩٨٨، ج٣، ص١٢١١). ومن أشهر النظريات التي تعالج ظاهرة التوقع هي نظرية التوقع لعالم الإدارة فروم، وتفسر النظرية العملية السلوكية التي تدفع الأفراد لاختيار نمط سلوكي دون أنماط أخرى. وتربط نظريته بين التوقع والجهد والأداء، فيرى أن التوقع هو الاعتقاد بأن الجهد الذي يبذله الفرد سيؤدي إلى تحقيق الأهداف من خلال الأداء المطلوب، فالأداء هو الوسيلة لتحقيق الأهداف. وكل هذه العناصر: المجهود والأداء والهدف عناصر إدراكية، قائمة على التوقعات (Redmond, 2013).

ثالثاً: تحليل الهدف والغرض في ضوء اللسانيات الإدراكية:

وأما تحليل (الهدف) في ضوء اللسانيات الإدراكية، فقد ناقش فان ليوين ذلك في كتابه (الخطاب والإجراء) (Leeuwen, 2008, p126)، فهو يرى أن هناك ثلاثة عناصر أساس تمثل (التركيب النحوي للأغراض)، وهي:

(١) الحدث الغرضي (purposeful action)، وهو الحدث الذي يراد بيان القصد منه، نحو: الولد ذهب إلى الصالة ليتناول الطعام. فالحدث (ذهاب الولد)، وقد جيء به لبيان القصد منه، والقصد هو (تناول الطعام).

و(٢) الغرض (purpose)، وهو الهدف من الحدث، مثل: تناول الطعام، في المثال السابق.

و(٣) الرابط (purpose link)، الذي يربط بين الحدث والغرض، كحرف اللام في المثال السابق (ليتناول الطعام)، وقد يكون صريحا أو ضمنيا. فالصريح يكون بذكر الروابط التعليلية، أو الألفاظ الدالة على الهدف، نحو: يهدف إلى، أو الغرض منه كذا... إلخ، فهو يعبر عن القصد صراحة. وأما الضمني فلا يعبر عن القصد صراحة، بل يفهم من الاقتران التأويلي أو الظروف

الزمنية (مثل: أو في نحو: لألزمنك أو تقضيني حقي[1])، فهو مفتوح على التأويلات العديدة، وهناك مجال لإنكاره أو افتراض غيره، ويترك القارئ أو المستمع متحيرا حول الارتباط بين الحدث والغرض من عدمه.

وبالنظر في الأغراض فقد قسمها ليوين ثلاثة أقسام (Leeuwen, 2008, p124-135): فهي إما لبيان الهدف (Goal)، وإما لبيان الوسيلة (Means)، وإما لبيان الأثر (Effective).

هذه ثلاثة أمثلة توضح الفرق بين الأغراض التي تكون لبيان الهدف والوسيلة والأثر:

١ - "ذهبت الأم بطفلها إلى العيادة؛ لتطمئن على صحته"

(هدف)، والهدف يكون جوابا للسؤال: (لماذا؟)، فهي تبين مقصد الفاعل الاجتماعي من الحدث.

٢ - "اطمأنت الأم على صحة طفلها؛ من خلال ذهابها به إلى العيادة"

(وسيلة)، والوسيلة تأتي جوابا للسؤال: (كيف؟)، أو: (من خلال ماذا؟)، نحو: (هذه العربة لحمل كل أدواتك إلى المدرسة).

٣ - "ذهبت الأم بطفلها إلى العيادة؛ فقام الطبيب بفحصه"

(أثر)، والأثر يأتي جواباً للسؤال: (ما النتيجة؟). فالآثار نوع من التوقعات، ولا يمكن الجزم بها. نحو: (إرسال الطفل في وقت مبكر إلى المدرسة يبني شخصيته)، ونحو (إذا ضبط طفلك تصرفاته فسوف يحظى برضا الآخرين).

رابعاً: نموذج لتحليل القيم والدوافع والتمثلات السلوكية

والحقيقة أن ثمة ارتباطا بين تصنيف الدوافع والقيم، والسلوك، وعليه يمكن إعادة تصنيفها كلها في ضوء منظومة واحدة، تجعل تحليلها ميسرا، ويمَكّن من كشف التوقعات. وذلك في إطار استعاري يربط بين القيمة ودوافعها وتمثلاتها السلوكية (كما سيتبين عند تحليل العينة أدناه).

---

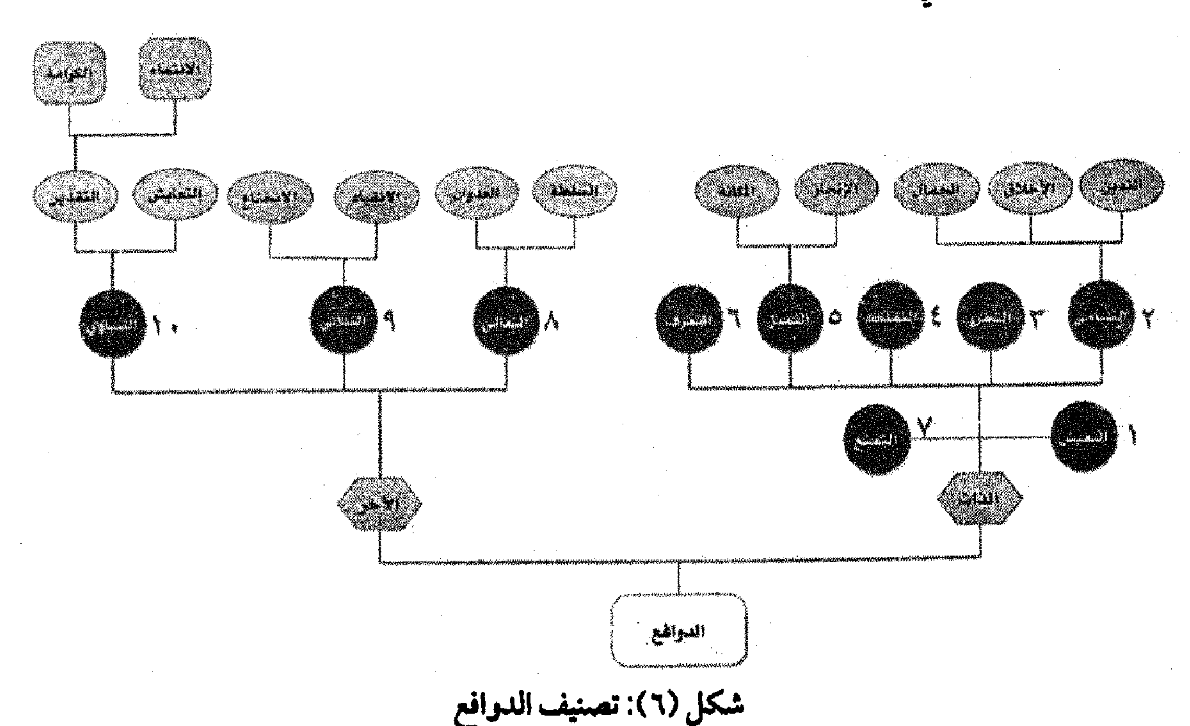
(١) (أو) في هذا المثال قد تكون للتعليل بمعنى: (كي)، والتقدير: لألزمنك كي تقضيني حقي، وقد تكون بمعنى (إلى) فتفيد الغاية، والتقدير: سأستمر في لزومك إلى أن تقضيني حقي، وقد تكون بمعنى (إلا) فتفيد الاستثناء، والتقدير: لألزمنك إلا أن تقضيني حقي. (الصبان، ١٩٩٧، ج٣، ص٤٣٢).

م	القيمة	الدافع	التمثل السلوكي
١.	قيمة الحياة	(١) التعيّش	الحد الأدنى من الحياة، يتمثل في تلبية الحاجات الأساسية، وتوفير القوت، والأمن، والكسب، والكفاح من أجل العيش... الخ.
٢.	قيمة الدين	(٢) التسامي: الدين	الالتزام بالشعائر والتعاليم الدينية، وتعظيمها... الخ.
٣.	قيمة الأخلاق	التسامي: الأخلاق	الالتزام الأخلاقي: الصبر والاستقامة والصدق والأمانة والعطف والرحمة... الخ.
٤.	قيمة الجمال	التسامي: الجمال	القيم الجمالية على المستوى الشخصي (الحسي كالنظافة، والمعنوي كتذوق مختلف الفنون)، أو على المستوى المجتمعي، أو المستوى البيئي.
٥.	قيمة الحرية	(٣) التحرر	الاستقلال، والإرادة الحرة للفعل أو التعبير، والتحرر من الأذى... الخ.
٦.	قيمة الملكية	(٤) التملك	التوفير، والادخار، والحيازة، والثروة، وحيازة كافة حقوق الملكية المادية والمعنوية... الخ.
٧.	قيمة الإنجاز	(٥) التميز: الإنجاز	النجاح، وتحقيق الفعل، والعمل، والإبداع، والأداء، والدقة، والإتقان، والجودة، والالتزام بالمواعيد، والتنظيم، والتغلب على الصعاب، ومواجهة التحديات، والتميز من خلال المواهب... الخ.
٨.	قيمة الشهرة	التميز: المكانة	البحث عن الصيت الاجتماعي، والمنزلة الاجتماعية، ولفت النظر العام، وترك الانطباع، وإدهاش الآخرين... الخ.
٩.	قيمة المعرفة	(٦) التعرف	التعلم، والفهم، والتوصل إلى المعرفة، والاستكشاف، والاستنباط، والتفكير، والتحليل، والتأمل... الخ.
١٠.	قيمة المتعة	(٧) التمتع	المتعة واللذة، والراحة، والاسترخاء، والتسلية، واللعب... الخ.
١١.	قيمة السلطة	(٩) التعالي: السلطة	التأثير والنفوذ والسيطرة والقيادة، وإصدار الأوامر والنواهي،... الخ.
١٢.	قيمة الغَلَبَة	التعالي: العدوان	الصراع، والهجوم العدواني، والثأر، والانتقام... الخ.
١٣.	قيمة الاتّباع	(٩) التداني: الانقياد	الولاء، ومتابعة الرأي العام، وموافقة الأغلبية، ومسايرة التقاليد، والتأثر بالشخصيات البارزة أو الأفكار، والخضوع للقانون، والتقيد بالنظام... الخ. فهو يشمل الانقياد الاختياري (مثل: مسايرة التقاليد)، والانقياد الإجباري (مثل الخضوع للقوانين والأنظمة).
١٤.	قيمة الهوان	التداني: الاستكانة	الاستسلام، الاستكانة للذل أو الضيم، الخضوع لإرادة الآخرين، الاعتراف بالدونية، تقليل من شأن النفس... الخ.
١٥.	قيمة العيش	(١٠) التساوي:	المساواة، والتسامح، والسلام، واحترام الآخرين، والاعتراف

	المجتمعي	التعايش	بحقوقهم... الخ. كما يشمل كل ما يحفظ الحقوق بين الناس، كالعدل، والشورىٰ،...الخ.
١٦.	قيمة الانتماء	التساوي: التقدير: الانتماء	الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية، وتنميتها، والحفاظ عليها، وما يلزم ذلك من آداب الانتماء، كالولاء، والتضحية، والمساعدة، والحسب،... الخ. ويشمل مختلف الانتماءات الاجتماعية والسياسية والفكرية وغيرها.
١٧.	قيمة الكرامة	التساوي: التقدير: الكرامة	تقدير الذات، والدفاع عن النفس، والتبرير، والتغلب على الضعف، وكبت المخاوف، والحفاظ على الكبرياء، وإخفاء التصرفات المشينة، والابتعاد عنها، وتجنب الدونية، والامتناع عن التصرف خوفا من الفشل... الخ.

جدول (٥): منظومة القيم والدوافع والتمثلات السلوكية

في الجدول السابق (١٧ قيمة)، و(١٠ دوافع). فكل قيمة لها دوافع ترتبط بها. فهذا الجدول يتميز بالربط بين القيم والدوافع والتمثلات السلوكية. مع مراعاة أن القيمة قد يحققها أكثر من دافع. وقد أفدت في تصنيف الدوافع من القوائم السابقة وغيرها، وراعيت في التصنيف الدوافعَ التي يغلب عليها اعتبار الذات، والتي يغلب عليها اعتبار الآخر (سلبا أو إيجابا)، مع إضافة بعض الدوافع الأخرىٰ، وقد راعيت في صياغة الدافع أن يكون بصيغة المصدر من (تفعّل، أو: تفاعل). وخرجت بالقائمة التالية، أوضحها في الشكل التالي: (وهذه القائمة هي ما أعتمده في تحليل الإطار الإدراكي).



شكل (٦): تصنيف الدوافع

وهذا إيضاح موجز للدوافع:

١ - التعيش: يشمل كافة الدوافع التي تدفع الإنسان إلى العيش، والحفاظ على الحياة، لفرده أو لنوعه، والدوافع التي تجعل الإنسان يواجه ما يهدد حياته من جوع أو خوف... الخ.

٢ - التسامي: الدوافع التي تجعل من الإنسان كائنا يبحث عن السمو الروحي والنفسي. سواء بالتدين كان ذلك التسامي أو بالأخلاق. ودوافع التسامي تفسر حب التدين والتخلق بالأخلاق الفاضلة، دون أن يكون لذلك مقابل دنيوي. وهذه الدوافع يتجاهلها باحثو علم النفس. كما يكون التسامي بالجمال أيضاً.

٣ - التحرر: الدافع نحو حرية الفعل والترك، والاستقلال، وتجنب الأذى.

٤ - التملك: الدافع نحو الحيازة المادية أو المعنوية.

٥ - التميز: الدافع نحو أن يكون ذا شأن في المجتمع، وهذا الدافع يتحقق بطريقين:

أ - الأول: الإنجاز: حيث يحقق الإنسان تميزه بجده وإنجازاته.

ب - الثاني: المكانة: حيث يحقق الإنسان التميز من خلال المكانة الاجتماعية، متمثلة في الجاه أو الثروة أو المنزلة الاجتماعية...

٦ - التعرف: الدافع نحو المعرفة، والتعلم، والاستكشاف، وحب الاستطلاع.

٧ - التمتع: الدافع نحو اللذة والمتعة واللهو واللعب، وما يرتبط بذلك من الراحة والاسترخاء...

٨ - التعالي (من العلو): وهي دوافع العلو على الآخرين (أنا الأعلى، أنا الأفضل)، ويتحقق بطريقين:

أ - الأول: السلطة: التأثير في الآخرين، والنفوذ، والسيطرة...(رمزية أو غير رمزية).

ب - الثاني: العدوان: الهجوم (لفظيا أو غير لفظي)، ويشمل احتقار الآخرين.

٩ - التداني (من الدنو): وهذا الدافع عكس سابقه، (الآخر أعلى أو أفضل مني)، ويتحقق بطريقين:

أ – الأول: الانقياد: فيسلم الإنسان بسلطة أعلى من سلطته، فينقاد لها، قد تكون سلطة شخص، أو دين، أو سلطة القانون، أو سلطة القيم... الخ. فالانقياد عادة ما يكون صورة إيجابية؛ تدفع المرء إلى احترام سلطة قائمة.

ب – الثاني: الاستكانة: وهي الصورة السالبة للتداني، فتمثل: خضوع المرء لقوة خارجية، يتقبل اللوم، أو النقد، يستسلم، يقلل من شأن نفسه... الخ.

١٠ – التساوي: وهذا الدافع يقف وسطا بين الدافعين السابقين، فالإنسان يريد أن يحترم حق الآخر ويحترمه الآخر، دون غلبة أحد على أحد (نحن – أنا والآخر – معا). ولهذا الدافع صورتان:

أ – الأولى: التعايش: فيتعايش الطرفان في تكافؤ، كل منهما يحترم حق الآخر في العيش السلمي الآمن.

ب – الثانية: التقدير: والتقدير دافع أعلى من مجرد التعايش، فهو يريد أن يقدر الآخر، ويقدره الآخر، ولهذه الصورة وجهان:

A – الأول: الانتماء: وهذا يمثل تقدير الإنسان للآخر، فهو بانتمائه يعلن تقديره لما ينتمي إليه، سواء الأسرة أو المجتمع أو الدولة... الخ.

B – الثاني: الكرامة: وهذا يمثل رغبة الإنسان في أن يقدره الآخر، ويكون مقبولا اجتماعيا.

خامساً: إطار التحليل المرجعي:

وما أعنَى به في هذا البحث هو التحليل الإدراكي للقيم والدوافع والأهداف والتوقعات، لدى أطراف النزاع. كيف يتم تمثيلها؟ وكيف يتم توظيف هذا التمثيل؟ وسأحاول في تحليلي الإجابة عن الأسئلة التالية:

١ – ما التمثلات السلوكية التي تظهر من خلالها الاستعارة؟

٢ – سؤال القيم: ما التمثلات القيمية وراء الاستعارة؟ وكيف يتم تمثيل أحكام التفضيلات الموجهة للنزاع (ما يرغب فيه وما لا يرغب فيه)؟

٣ - سؤال الدوافع: كيف يتم تمثيل الدوافع الموجهة للنزاع؟

٤ - سؤال الأهداف: كيف يتم تمثيل الأهداف التي يسعى إليها المتنازعون؟

٥ - سؤال الأغراض: كيف يتم تمثيل الأغراض؟ (الأهداف هي ما يعلنون عنها، والأغراض هي أهداف غير معلن عنها).

٦ - سؤال التوقعات: كيف يتم تمثيل التوقعات التي يعول عليها أطراف النزاع؟

سأدرس عينة من خطاب النزاع، وأحللها في ضوء هذه التساؤلات.

المطلب الثاني: نماذج للتحليل

(١) النموذج الأول: تحليل خطاب القذافي:

خطاب القذافي الذي ألقاه في الساحة الخضراء بطرابلس، بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠١١م، وهو خطاب طويل جدا، يقارب ٧٠٠٠ كلمة. وسأنقل منه محل الشاهد.

الخطاب تؤطره ثلاث استعارات، مقسمة وفقاً لثلاث فئات: (الذات، والآخر، والطرف الثالث).

١ - استعارة الذات: (أنا ليبيا، وليبيا مجد العالم).

٢ - استعارة الآخر: (من أنتم؟)

٣ - استعارة الطرف الثالث: (المجتمع الدولي شخص شرير).

أولاً: استعارة الذات: أنا ليبيا، وليبيا مجد العالم

هذه الاستعارة تطغى على خطاب القذافي، وتؤطر القيم والدوافع والأهداف والتوقعات. فالتمثلات السلوكية لهذه الاستعارة تبدو في إظهار الفخر والاعتزاز بالذات، على سبيل المثال:

- **أنا أرفع من المناصب التي يتقلدها الرؤساء والأبهات، أنا مقاتل، مجاهد، مناضل، ثائر من الخيمة.. من البادية، والتحمت معي المدن والقرى والواحات، في ثورة تاريخية جاءت بالأمجاد لليبيين، سيتمتعون بها جيلا بعد جيل، وستبقى ليبيا في القمة، تقود إفريقيا، وتقود أمريكا اللاتينية، وتقود آسيا بل تقود العالم.**
- **وحكام العالم كلهم بقواهم الكبرى النووية، يتقاطرون على ليبيا، على بلدكم، على طرابلس، على سرت، على بنغازي.**
- **أصبح الليبي الآن يُشار إليه بالبنان في جميع أنحاء العالم، بعد أن كان الليبي بالأمس ليس له هوية، فعندما تقول "ليبي" ، يقولون لك "ليبيريا؟، لبنان؟"، لا يعرفون ليبيا. أما اليوم فعندما تقول "ليبيا"، يقولون لكم آه ليبيا القذافي؛ ليبيا الثورة.**

هناك كثير من العبارات التي تظهر الفعل السلوكي لهذه الاستعارة، فهو يفتخر ويضفي على نفسه صفات المجد المطلق والعزة المطلقة والقوة والجبروت، ويتحدث عن تاريخه ونضاله، وعن دوره في إبراز ليبيا ورقيها وجعلها دولة قائدة للعالم... إلخ. وهو يجعل من نفسه ليبيا ويجعل من

ليبيا القذافي، في توحد مطلق بين شخصه والدولة، حيث لم يعد يرى نفسه مجرد شخص بل هو الدولة والشعب والمجد.

هذا الإطار الاستعاري يؤطر القيم المستخدمة، فأول تلك القيم - كما أشرت - هي القذافي نفسه، فهو ليس مجرد شخص، ولكنه قيمة وطنية وعربية وإسلامية وعالمية، قيمة لها مكانتها، ينبغي المحافظة عليها وحمايتها وتقديسها، وهذا خرق لقانون القيم التي لا تتمركز حول الأشخاص أو الذوات، إنما ترتكز حول مبادئ ومفاهيم:

- **نعم.. أنا "معمر القذافي" قائد أممي، أنا تدافع عني الملايين.**
- **القبائل الليبية، قبائل شريفة ومجاهدة ومكافحة، تتقاطر عليّ في هذا الشهر.**
- **"١٧٠" مائة وسبعون طائرة، تخطت الملوك؛ وتخطت الرؤساء، وتخطت القصور في كل الوطن العربي، وجاءت إلى خيمة "معمر القذافي" وبيت "معمر القذافي"، هذا مجد لا تفرط فيه ليبيا، ولا يفرط فيه الشعب الليبي، ولا الأمة العربية، ولا الأمة الإسلامية، ولا إفريقيا ولا أمريكا اللاتينية، ولا كل الشعوب التي تريد الحرية والكرامة للإنسان وتقاوم الجبروت.**
- **أنا لما أذهب، تحرسني اجدابيا. ولو أذهب إلى الزنتان، يحرسني الزنتان.**

ومن القيم التي يتغنى بها قيم الفروسية من تضحية وشجاعة وصبر وجلد وصمود... إلخ. وهذه القيم يتغنى بها، وكأنه يبرر بها قيمة الذات، كما أنها تعكس قيمة الزعيم الفارس البطل الذي يربطنا بالعصور الوسطى، صورة الزعيم المقاتل المكافح الذي يتحدى أمم الأرض قاطبة، وتتغنى بفروسيته ومجده شعوب الأرض كلها.

وتحليل القيم يرينا إلى أي حد تغيب قيم الزعيم المعاصر، الزعيم الذي يستند إلى قيم القانون والحرية والعدالة وقيم المساواة، وقيم الدولة المدنية. فهذه القيم كلها تكاد تغيب من خطاب القذافي، فالخطاب لا يدور حول القيم، ولكنه يدور حول الذات المتضخمة، ومن ثم فالقيم المعروضة هي قيم الذات وليست قيم الدولة، قيم المقاتلين وليست قيم بناة دولة.

وحتى قيمة القانون التي استدعاها، فإنه لم يستدعها إلا في إطار التبرير لسحق خصومه وإعدامهم، ولهذا لم يقرأ إلا نصوص الإعدام (الحالات التي يعدم عليها القانون الليبي)، فقط تلك هي قيمة القانون لديه. ففي خطابه:

- **هؤلاء عقوبتهم في القانون عن جرائمهم في قانون العقوبات الليبي الصادر قبل الثورة، تقول:**

"- رفع الليبيين السلاح ضد الدولة: عقوبته الإعدام، يُعاقب بالإعدام كل ليبي رفع السلاح على ليبيا.

- دس الدسائس مع الدول الأجنبية لإثارة الحرب ضد ليبيا: يُعاقب بالإعدام كل من فعل ذلك.

- المساس بأراضي الدولة وتسهيل الحرب ضدها: يُعاقب بالإعدام؛ كل من سهّل دخول العدو البلاد أو سلمه مدنا أو حصونا أو منشآت أو مواقع أو موانئ".

وأما الدوافع، فإن هذا الإطار الاستعاري يحمل دوافع التعالي بقوة، فهو فوق الآخرين، وسلطته مقدسة، لا يمكن المساس بها أو الاقتراب منها، والخطاب ينضح بدوافع التعالي متمثلا في شقيه التنظيمي (السلطة)، والعدوان.

وقد حاول إخفاء هذه الدوافع، وذلك بحديثه المتكرر أنه ليس رئيسا، وقال: (نحن تركنا السلطة للشعب الليبي من عام ٧٧، أنا والضباط الأحرار، ولم يعد لنا أي منصب ولا أي صلاحية ولا نصدر أي قانون ولا أي قرار)، وقد تكرر هذا المعنى كثيرا. فهو يريد صرف الأنظار عن هذا الدافع، إلا أن هذه الطريقة تكاد تظهر ولا تخفي، فالخطاب كله، وإصدار أوامره للجيش وللشعب... بإيقاف المتظاهرين، والزحف المقدس، هي من صميم السلطة، فهو يمارسها في خطابه. وحتى الطريقة التي يستخدم بها تلك الأوامر تنبئ عن نزعة شديدة التسلط، كما يظهر ذلك في استخدام لفظ (بسرعة) وتكراره في هذا المقطع: (وكأنه أب غاضب يخاطب أطفاله).

- كل النساء اللائي عندهن أولاد يطلعن بسرعة، والتي عندها أخ تطلع بسرعة، والتي عندها قريبها والتي حبيبها تطلع بسرعة. والرجال الذين عندهم أولاد يطلعون بسرعة، والأمهات والأخوات والبنات كلهن يطلعن بسرعة إلى الشوارع. اطلعوا بسرعة إلى الشوارع، سيطروا على الشوارع.

وأما دافع العدوان فيبدو من الاستعارة الثانية (من أنتم؟)، فهذه الاستعارة فيها عدوان شديد على الآخر، عدوان لفظي، حيث وصفهم بالجرذان والمأجورين...، والعدوان اللفظي يشمل الاحتقار والتهديد. وقد هددهم بشتى أنواع التهديد، ومنه التهديد بالإعدام. كما يتمثل في استدعاء تاريخه الشخصي القتالي، وتحديه لجبروت الدول... إلخ.

ومن أشد أنواع العدوان التي مارسها في خطابه بلا وعي، هو بيانه أن الحياة لم تعد تمثل لديه قيمة، وأنه مستعد أن يموت (أنا كمّلت عمري؛ لست خائفا من شيء، أنتم تواجهون صخرة صماء، صخرة صلبة تحطمت عليها أساطيل أمريكا، ألا تتحطم عليها شراذمكم أنتم؟!)، وهذا في خطاب

أبناء شعبه، وليس محتلا خارجيا؛ فهو يقول لهم: سأقتلكم، فالحياة لم تعد تدفعني إلى البقاء. بعبارة أخرى يقول: ليس لدي ما أخسره، فحين تضع حياتك على المحك، فكل شيء دون ذلك هين.

حاول القذافي أن يظهر بعض القيم ذات الدوافع الإيجابية، كالتعايش، والانتماء، والحرية (أنا أعرف أن العبيدات في القبة، لا يريدون الانضمام إلى درنه، يريدون شعبية وحدهم، وأنا إلى جانب إرادة الشعب، فلتكن شعبية للعبيدات، شعبية للقبة، ومن غد يمكن أن يعلنوا الشعبية ويعملوا فيها السلطة الشعبية، ويطهروها ويقيموا فيها كل شيء بأنفسهم)، وغير ذلك من الأمثلة. إلا أن الدوافع المهيمنة في الخطاب جاءت منسجمة مع الإطار الاستعاري (أنا ليبيا)، فهو إطار التعالي بالسلطة والعدوان.

وبالنسبة إلى الأهداف، فقد أعلن القذافي عن مجموعة من الأهداف، ولخصها في آخر خطابه، وهي:

- أخيرا يا سادة، مالم تتحقق هذه الأشياء: تسليم الأسلحة، تسليم الأسرى، تسليم المشاغبين، القبض على الذين غرروا بأولادنا، وإزالة كل شيء وإعادة الحياة الطبيعية إلي الموانئ والمطارات والطرق والمخابز والتموين والمواصلات والاتصالات، وتعد الحياة هانئة، والعائلات عائشة في أمان، وأطفالنا عايشون في أمان ويذهبون إلي الشارع وإلي المقهى وإلي الملاهي وإلي المطاعم، مالم يتحقق هذا، ونرى أن وحدة ليبيا تتعرض للخطر، أو أن قوى معادية للديمقراطية معادية للحرية تريد أن تشوه الإسلام؛ القاعدة بالذات نراها، إذا كانا سنرى أن هذا سيتحقق فسنحول دون تحقيقه.... عندئذ نقول لكم، سيعلن الزحف، سيعلن الزحف المقدس،...

هذه الأهداف المعلنة، وهي: تسليم الأسلحة، والأسرى، والقبض على (المتمردين)، وعودة الحياة إلى ما كانت عليه... فهو يقول إنه ما لم تتحقق هذه الأهداف فإنه سيعلن الزحف على بنغازي لتحريرها من (المتمردين).

إلا أن الإطار الاستعاري للخطاب (أنا ليبيا)، والإطار الآخر (من أنتم؟)، يبين أن الأغراض الحقيقية من النزاع لا تتوقف عند هذا الحد، فالإطار العام جاء بإعلان (الزحف المقدس)، ومن ثم أعطى لنفسه الحق في إعلان الجهاد وتحديد خصومه، وتحديد مصيرهم، واستدعى لذلك الشواهد التاريخية، واستدعى المصطلح الديني لتأجيج الشعب. وقد استخدم عبارة (تطهير البلد من الجرذان)، فأغراضه تتحقق باستئصال المعارضين، ومن ثم فمن تسول له نفسه معارضة القذافي فيجب استئصاله وسحقه وتطهير البلاد منه، ولفظ (التطهير) يحيل إلى أن الآخر ليس إلا نجاسة

عالقة في ليبيا، لا ينبغي الصبر عليها. ومن ثم فالغرض الحقيقي أن يظل الوضع كما هو، رفض التغيير، ومهاجمة المعارضين بشدة، والإحساس بأنهم يزعزعون ملكه.

أخيراً، فإن الخطاب صريح، صريح بأهدافه وقيمه ودوافعه وحتى توقعاته، وسبب ذلك أنه كان يلقي الكلمة ارتجالا، وغلبه الانفعال، والانفعال يفضح دخائل المتكلم، ولا يحتاج إلى محللين. وعلى أي حال فإن التوقعات كانت واضحة تشير إلى أن القذافي عازم على القتال وسحق المعارضة، وإعدام من يقبض عليه منهم. وهذا ما حدث فعلا، قاتلهم حتى قُتل.

ثانياً: استعارة الآخر: مَنْ أنتم؟

تطغى هذه الاستعارة على خطاب القذافي تجاه الآخر، ولتحليلها سأبين التمثلات السلوكية، والقيم، والدوافع، والأهداف، والتوقعات.

(من أنتم!)، هذا إطار استعاري استخدمه القذافي في مخاطبة الآخر، وأقصد بالآخر: المعارضين الذين خرجوا في مظاهرات ضد نظام القذافي. وهذا الإطار يحيلنا مباشرة إلى فضاء احتقاري، فضاء يحتقر فيه القذافي خصومه، بل ينكر وجودهم، ويرفض حقهم في التعبير عن الرأي. وقد جاءت التمثلات السلوكية لهذا الإطار تصفهم بأنهم (جرذان)، و(مأجورين)، و(فئران)، والدعوة إلى (تطهير البلاد منهم)، وأنهم (حفنة من شذاذ الآفاق)، وأنها (عصابات لا تمثل شيئا، لا تمثل واحدا على المليون من الشعب الليبي، لا تساوي شيئا، فهم حفنة من الشبان الذين يقلدون الذي يجري في تونس وفي مصر، والذين أعطوهم الحبوب)... إلخ. وأفعالهم كلها مدمرة لليبيا، وهم يقومون بدس الدسائس، وتمزيق وحدة الوطن... إلخ. فهو يقلل منهم ومن أفعالهم ومن مكانتهم.

إلا أن هناك تناقضا استعاريا، ففي الوقت الذي يحتقرهم خطاب القذافي كل الاحتقار، ويرى أنهم لا شيء، إذا به يدعو الشعب بأكمله لإعلان الزحف المقدس ضدهم، والنفير لمقاتلتهم. كيف يكون الزحف المقدس وهم ليسوا إلا (واحداً بالمليون)، أو (١٠٠ شخص) كما قال. فهذا العدد الضئيل لا يحتاج إلى زحف مقدس، إنما يكفي إرسال كتيبة للقبض عليه. وهذا يكشف أن القذافي داخل نفسه يعلم أنهم عدد كبير، وأن تأثيرهم يزداد، ونفوذهم يتصاعد، وأنهم يمثلون خطرا حقيقيا عليه، إلا أنه يحاول إخفاء كل ذلك، ويحاول أن يظهر أنه غير آبه بهم، وفي الحقيقة أنهم مثلوا كابوسا بالنسبة إليه، وإلا لما احتاج أن يدعو الشعب بل ملايين الصحراء، إلى الزحف المقدس.

ويجرد خطابُ القذافي الآخرَ من كل القيم، بل يرى أنهم العار، وأن ما يحملونه من قيم إن هي إلا قيم الركس والنجاسة التي ينبغي تطهير البلاد منها. كما في هاتين الفقرتين:

- نحن أجدر بليبيا من تلك الجرذان وأولئك المأجورين، من هم هؤلاء المأجورون المدفوع لهم الثمن من المخابرات الأجنبية؟!، لعنة الله عليهم تركوا العار لأولادهم إذا عندهم أولاد ،تركوا العار لعائلاتهم إذا كان عندهم عائلات، تركوا العار لقبائلهم إذا كان عندهم قبائل.
- كل العائلات، كل الجماهير في درنة، اذهبوا ازحفوا عليه، طهّروا درنة.

الخطاب مليء بقيم الدناءة والضعة الملصقة بالآخر: الخيانة، والعمالة، والفتنة، والضعف وإرادة الشر... والأمثلة على ذلك كثيرة. وهو لا يكتفي بذلك بل يجرد حتى آباءهم وأجدادهم منها، فهم ليسوا إلا جبناء (ويوازن بينهم وبينه، وفي الوقت نفسه يربط بينه وبين مناضلي التحرير في ليبيا):

- أين كنتم؟! أين كان آباؤكم وأجدادكم أنتم يا مرتزقة عندما كانت قواعد أمريكية فوق الأرض الليبية؟! من منكم فقس وجه بارود؛ فجّر قنبلة واحدة؟!

وأما الدوافع، فالقذافي يثبت للآخر الدوافع التي نفاها عن نفسه، فهو - كما رأينا - نزه نفسه عن دافعي السلطة والعدوان، وألصقها بخصومه، فهم - في نظره - يبحثون عن السيطرة والسلطة السياسية والدينية، ويدفعهم العدوان إلى تدمير البلاد ونشر الفوضى، ويبحثون عن المكانة ولو على حساب المجتمع، والمكانة تشمل المنزلة الاجتماعية والثروة، ومن ثم فهم مأجورون يبيعون أسرار البلاد ويريدون تسليمه للمحتل مقابل حفنة من المال.

- درنة، أصبحت خرابا، وحاكمها الآن واحد عامل لحية، ويقول للنساء "لا تخرجن اعتبارا من اليوم"، رأيتم هذه النكسة؟!، وقال لهم "هاتوا لي التبرعات، أنا خليفة وتبع بن لادن وتبع الظواهري"!!.
- من هم هؤلاء المأجورون المدفوع لهم الثمن من المخابرات الأجنبية؟!،
- لكن هناك مجموعة قليلة مريضة مندسة في المدن، تعطي الحبوب؛ وأحيانا حتى النقود، هؤلاء الشبان الصغار اليافعين؛ وتزج بهم في هذه المعارك الجانبية. لكن هؤلاء الشبان، ليس لهم ذنب أبدا؛ فهم صغار السن "١٦ سنة، ١٧، ١٨"، أحيانا يقلدون ما يجري في تونس وما يجري في مصر، وهذا شيء عادي، وأحيانا يسمعون أن في مدينة ما في ليبيا هناك شبانا سطوا على محكمة؛ فيقولون "حتى نحن نمشي نسطو على المحكمة التي عندنا" تقليد.. قالوا "حصلوا على سلاح، لماذا حتى نحن ما نحصل على سلاح"!.

وهنا مرة أخرى يبدو التناقض الاستعاري، فهو يتهمهم بالدوافع السلبية، من عدوان، ولهث وراء السلطة والمال، وهذا يعني أنه ليس لهم الحق في ما يقومون به؛ فليست هناك دوافع وطنية أو

خيرة. ولكنه يعود – لا شعوريا – فيعترف بأن دوافعهم وراءها مشكل، وأن هذا المشكل يمكن حله بطريقة سلمية.

– المظاهرات السلمية التي تكلم عنها العالم، هذا شيء آخر، نطلع مظاهرة سلمية على شأن غزة، مظاهرة سلمية على شأن العراق. أما مشكل ليبي، فلا نذهب إلى الشارع، بل إلى المؤتمر الشعبي أو اللجنة الشعبية؛ لكي تنحل المشاكل، فيها الفلوس، وفيها القرارات، وفيها التوقيعات، وفيها الإدارة.

فهو هنا يعترف بأن ثمة مشكلا، ولكنه يرفض السلوك الذي يعبر عن هذا الدافع. والخطاب كله يطعن في دوافعهم، ويحرض الشعب ضدهم.

بناء على هذه الدوافع، فإن أهدافهم (كما يصورها القذافي) ليست إلا تمزيق البلد، وتخريب منجزاته، ونشر الفوضى، والتمهيد للاحتلال الأمريكي. وهو بهذا يجردهم من أي هدف سام، وهذه الأهداف هي نتاج طبيعي للدوافع التي صورها. وفي هذا مزيد من التحريض ضدهم، والعدوان عليهم. كما في الأمثلة التالية:

– ولكن مظاهرات سلمية حتى لو كانت في ليبيا شيء، والتمرد المسلح الذي يجري الآن، ومحاولة فصل درنة أو فصل البيضاء أو فصل بنغازي، فهذا شيء آخر.. من يسمح به؟!.

– لا يمكن أن يُعطّل هذه المسيرة الظافرة، حفنة من شذاذ الآفاق المأجورين من هؤلاء القطط والفئران التي تقفز من شارع إلى شارع، ومن زنقة إلى زنقة، في الظلام

– وهذه الجرذان يمكن أن تصل إلى البترول، وتنسف البترول، وتعودون إلى الظلام؛ إلى عام ٥٢.

– هم قلة إرهابية تريد أن تحول ليبيا إلى إمارات تبع الظواهري أو تبع بن لادن، أهذه آخرتها، لكي تدخل أمريكا، وتقول إنها لن تسمح بأفغانستان جديدة هنا في شمال إفريقيا؟!.

مرة أخرى نجد أن ثمة تناقضا استعاريا، حيث يعترف القذافي ضمنيا بأن ثمة أهدافا مشروعة، فيقول:

– عندنا مطالب داخلية نريد دستورا، نريد شعبيات، نريد بلديات، نريد منظمات مجتمع مدني، عادي جدا جدا، شيء سلمي ومقبول، أما التآمر مع الخارج باسم هذه الأشياء فهذا شيء آخر مختلف.

إذن فهو يدرك حقيقة أن أهداف المعارضة تغيير النظام القائم، وليس ما يتحدث عنه. وحديثه عن أهدافهم إنما يريد تأجيج الشعب ضدهم.

وأخيراً، فإن التوقع الذي يمكن أن يستنتج من الإطار الاستعاري (من أنتم؟!)، هو أن تستسلم هذه الحفنة، وتأتي راكعة إلى القذافي، كما يوحي بذلك خطابه في أكثر من موطن. كما أنه يتوقع من شعبه أن يهب للقضاء على هذه (العصابات):

- **ماذا أصابكم؟ ما هذا الخوف؟ ما هذا الرعب من هذه العصابات؟ إنها عصابات مثل الجرذان، لا تمثل شيئا، لا تمثل واحدا على المليون من الشعب الليبي، لا تساوي شيئا، فهم حفنة من الشبان الذين يقلدون الذي يجري في تونس وفي مصر، والذين أعطوهم الحبوب، والذين أمروهم من الداخل وقالوا لهم "احرقوا؛ اسلبوا؛ اعملوا" تقليد، جرذان.**
- **بسرعة، خلوا عندكم شجاعة، أنتم أكثر منهم، أنتم ملايين وهم (١٠٠) شخص، أمسكوهم في الشوارع، وافتحوا المطارات، أفتحوا الموانئ، أرجعوا السلطة الشعبية، أرجعوا الأمن.**

ثالثاً: استعارة الطرف الثالث: المجتمع الدولي شخص شرير

ينظر خطاب القذافي إلى المجتمع الدولي على أنه شخص شرير، ذو معايير مزدوجة، يتربص بليبيا، وبشعبها، وما يدفع المجتمع الدولي إلى ذلك هو الرغبة في السيطرة على ليبيا وثرواتها، وتمزيقها، وتخريبها...

- **بغداد دُمرت بالكامل، كم من مدنيين ماتوا، عائلات ماتت، ومناسبات أفراح ضُربت قالوا إنهم حسبوا أنها تجمع معادٍ، وعمارة قالوا إن فيها إرهابيا، دمروها على من فيها، وسوق دمروه قالوا إن فيه إرهابيين اندسوا في السوق، وضربوا كل الذين في السوق**
- **ورأيتم ما حدث لغزة، ولا أحد أدان الإسرائيليين، والأمريكان يدافعون عنهم حتى الآن، وقالوا إن الإسرائيليين عندهم الحق، دفاع عن النفس، يجب أن يحاصروها بالبر وبالبحر والجو، ويجب أن يدكوها بالقنابل، دبابات تسحل داخل شوارع غزة وتقتل كما تشاء**

كما أن وسائل الإعلام الدولية تتعمد تشويه صورة ليبيا النقية، وإهانة شعبها، فهي أجهزة خائنة ورجعية، وتريد أن تمزق الشعب الليبي.

- **أنتم من الساحة الخضراء، تقدمون الحقيقة التي تحاول أجهزة الخيانة والعمالة والنذالة والرجعية والجبن أن تغطيها وتشوه صورتكم أمام العالم**
- **أجهزة عربية للأسف شقيقة، تغدركم وتخونكم؛ وتقدم صورتكم بشكل يسيء إلى كل ليبي وليبية**

- هذه المحطات العربية، أكبر عدو، شامتة بكم. تريدكم أن تدمروا النفط، وتدمروا الحرية، وتدمروا السلطة الشعبية، وتدمروا ليبيا، وأن لا تبقى ليبيا قلعة عالمية. مغتاظون منكم، لذلك يشوهونكم

- شوّهوا صورتكم في إذاعات عربية شقيقة للأسف، يخدمون الشيطان، يريدون إهانتكم

المجتمع الدولي يندر ذكره في الخطاب، إلا أنه حضر في قفص الاتهام، والتشكيك في دوافعه، وقيمه، وأهدافه. وقد سلط القذافي هجومه على المجتمع الدولي، ولا سيما أمريكا وقناة الجزيرة. كما أنه استند إلى المجتمع الدولي بوصفه دليلاً تاريخياً وقانونياً يتيح له استخدام القوة ضد المتظاهرين، وكأنه يقول: ليس من حق المجتمع الدولي أن يعترض علي وقد استخدم القوة (يلتسن، والصين، وأمريكا..)، وإذا حدث أن اعترض المجتمع الدولي فإنه يكيل بمكيالين، ويتعامل بمعايير مزدوجة، وهذا هو النفاق.

والخلاصة أن الأطر الاستعارية في خطاب القذافي أطر حادة، تضع حدودا واضحة بينه وبين الآخرين، فيها تعالٍ مطلق للذات، واحتقار مطلق للآخر، وهذا الخطاب لا يمكن أن يبني الثقة، أو يسد الهوة، بل إنه يوسع الفجوة، ويباعد المسافة بين المتنازعين. ولعل مرد ذلك إلى أنه لم يستسغ أن ينظر إلى المعارضة بوصفها طرفاً في النزاع، وإنما نظر إليهم بوصفهم متمردين على شرعيته، ومن ثم رأى أن اعترافه بمطالبهم اعترافٌ بتمردهم، وتقويض لسلطته.

(٢) النموذج الثاني: تحليل النزاع بين الحكومة اليمنية وموانئ دبي

(مثال ٢):

النزاع بين الحكومة اليمنية وموانئ دبي بشأن تشغيل ميناء عدن.

(١) الإطار الاستعاري في خطاب الطرف اليمني

يمثل الطرف اليمني في النزاع: وزير النقل، وبالنظر في خطابه، فإنه يمكن الخروج بإطار استعاري، كالتالي: **(الميناء ولدنا، أصبح مريضا)**. هذا الإطار الاستعاري مركب من مفهومين، المفهوم الأول: أن ميناء عدن مثل الولد، وحق الولد على الوالد أن يرعاه وأن ينميه ويغذيه حتى يشب، والتوقع أن يطرد هذا المفهوم لنرى في فضائه الولد صحيحا، منطلقا بحيوية ونشاط...الخ. والمفهوم الثاني يكسر هذا التوقع، فيبين أن هذا الولد قد أصبح مريضاً، ومن ثم ندخل في فضاء آخر، فنرى ذلك الولد وقد أصبح هزيلا ضعيفا... والرابط بين هذين الفضاءين في خطاب الوزير هو الطرف الإماراتي، الذي يُتّهم بأنه المسؤول عما آل إليه حال الولد.

وننتقل في الخطاب باستمرار من فضاء ميناء عدن إلى فضاء (الولد الذي أصبح مريضا)، ويتبين ذلك من خلال وصف الحالة وبيان أعراضها وآثارها (التمثلات السلوكية)، ثم تشخيص المرض وبيان أسبابه (دوافع الطرف الآخر وقيمه)، ثم بيان المعالجات (الأهداف المطلوب تحقيقها)، والتوقعات.

(مثال)

(وزير النقل اليمني في مقابلة صحفية بتاريخ: ٣١/ ١٢/ ٢٠١١م):

بدأنا في حكومة الوفاق الوطني خلال هذا العمر القصير التي أتت فيه ومنذ تولينا وزارة النقل، في بذل الجهود وكشف اللثام عن كل المشاريع المتعثرة أو الاتفاقيات أيضا، والعمل على بحث الحلول واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناءها الذي كان يمثل محورا اساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا.

وكنا قمنا بعد تولينا الوزارة بأيام بزيارة إلى ميناء عدن ثم كررنا الزيارة أكثر من مرة، ولمسنا كيف أصيب الميناء بشلل، ووجدنا شكاوى من العمال بمختلف الاستحقاقات التي كانوا يحصلوا عليها، لكل ذلك ولما شاب الاتفاقيات وبعض تساؤلات أثيرت في البرلمان وخارج البرلمان في الأروقة السياسية قررنا أن نشارك في هذا الوفد الذي ذهب إلى دبي والذي كان يفترض أن يذهب قبل تشكيل حكومة الوفاق الوطني. وكان قرار ذهابنا يهدف إلى الاطلاع عن كثب على الموقف الحقيقي الذي تنظر إليه شركة موانئ دبي تجاه ما وصل إليه ميناء عدن.

قلنا لهم جئنا كحكومة وفاق وطني ومعنا الإرادة الصادقة للانتصار لهذا الوطن والإصلاح الشامل وأن موانئ عدن وحضرموت هي تتبع في الأخير حكومة الوفاق والجمهورية اليمنية، لا سيما أن ما يحصل في موانئ عدن شابه الكثير من التساؤلات الملحة التي توجه لنا نحن كمسؤول أول عن قطاع النقل في الجمهورية اليمنية.

وتم طرح نقاط عليهم ونحن ننتظر ردا كتابيا على النقاط الأساسية التي وضعناها تعبيرا عن حسن النية من الطرف اليمني.

وتتمثل النقاط في تنفيذ كل متعلقات المرحلة الأولى من الاتفاقية، وضخ السيولة النقدية في مشروع توسيع رصيف ميناء الحاويات، وإطلاق خطة تسويقية ترويجية لميناء عدن يلتزم فيها شركة موانئ دبي برفع نسبة الحاويات إلى ٢٠٠ ألف حاوية تتزايد سنويا. على أن يتم تنفيذ هذه النقاط قبل ٢١ فبراير القادم، موعد الانتخابات الرئاسية.

لأنه لا يمكن الوقوف أمام حالة الشلل التام التي يعانيها الميناء. لأن ميناء عدن لو عمل بكل طاقته حتى الموجودة سيلعب دور الرئة التي سيتنفس منها كل الموانئ والدول المطلة

على الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي كنقطة مفصلية لحركة التجارة العالمية ويجب ان يعود إلى ذلك ونحن ما يمكن أن نوصل له هو أن يدفع بعجلة الاقتصاد الوطني وسيوفر على الأقل من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة من المستفيدين من حركة ونشاط ميناء عدن. ونحن لن نخفي على شعبا وثوارنا الذين لهم الحق في معرفة حقيقة ما يجري وتظل كل الخيارات مفتوحة، وسنعلن عن كل شيء بعد تلقينا الرد.

أ - الإطار الاستعاري لمرجعية الخطاب:

في الخطاب السابق نجد أن الإطار الاستعاري ينطلق من المنطلقات التالية:

أولا: وصف الحالة. يتحدث الوزير عن (مشاريع متعثرة) و(ميناء مشلول)، و(عمال يشتكون)، و(اتفاقيات حولها أسئلة)، فهو يصف الحالة المرضية التي وصل إليها الميناء، ويبين مسؤوليته (كمسؤول أول عن قطاع النقل)، ومن ثم فهو الراعي الذي عليه أن ينظر في الحالة المرضية، ويقدم العلاج الشافي، للميناء. فهو كالأب المسؤول عن حالة ابنه (المسؤول الأول).

ثانيا: أعراض المرض. ألمح الوزير إلى مجموعة من الأعراض، التي أجبرته على أن يتحمل مسؤوليته، فالميناء قد أصيب (بشلل)، وهذا ينقلنا إلى فضاء استعاري لمريض أصبح مشلولا، لا يستطيع أن يحرك يديه أو رجليه، ووظائفه معطلة. ويعود مرة أخرى فيبين مسؤوليته إزاء هذه الحالة (لا يمكن الوقوف أمام حالة الشلل التام التي يعانيها الميناء)، فالميناء يعاني من هذه الحالة، ولا بد من وضع حد لهذه المعاناة.

وفي تشخيص الحالة، يبين الوزير بدء المرض، فهو لم يأت من فراغ، ولكن لأن الاتفاقية أصلا بها شبهات كثيرة، ويوضح ذلك لاحقا (اتفاقية بنيت على أهداف سياسية). كما يتحدث عن مسؤولية موانئ دبي عن الحالة التي وصل إليها ميناء عدن، وتقصيرها، وإخلالها بالتزاماتها، وفي ضوء ذلك يكشف عن دوافعها إزاء ذلك.

والوزير يقدم نفسه في إطار الطبيب المشخص، الذي يستقصي ويبحث المشاكل والحلول، وينفذ زيارات ميدانية لمعرفة الوضع عن قرب، ثم يذهب إلى دبي بهدف (الاطلاع عن كثب على الموقف الحقيقي الذي تنظر إليه شركة موانئ دبي تجاه ما وصل إليه ميناء عدن). وهو يتحدث عن قيمة المعرفة التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب المداوي المشخص، أو الأب المسؤول عن ولده، والدافع إلى ذلك هو التعرف، حتى يصل إلى تشخيص دقيق للحالة، قبل أن يصدر أي حكم. وهو لا يكتفي بذلك، بل يعلن أنه سيشارك أبناء شعبه ما توصل إليه من معرفة (ونحن لن نخفي

على شعبنا وثوارنا الذين لهم الحق في معرفة حقيقة ما يجري وتظل كل الخيارات مفتوحة، وسنعلن عن كل شيء بعد تلقينا الرد)، ويقرر أن هذه القيمة هي حق ينبغي أن يفصح عنه، ولا يخفيه، ولكنه يريد التبين حتى يصل الرد.

ومن تشخيصه للمرض يكشف عن الآثار والمضاعفات التي يسببها بقاء الميناء مشلولا، وفي المقابل يكشف عن التوقعات في حال تحسن الحالة الصحية للميناء (لأن ميناء عدن لو عمل بكل طاقته حتى الموجودة سيلعب دور الرئة التي سيتنفس منها كل الموانئ والدول المطلة على الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي كنقطة مفصلية لحركة التجارة العالمية ويجب ان يعود إلى ذلك ونحن ما يمكن أن نوصل له هو أن يدفع بعجلة الاقتصاد الوطني وسيوفر على الأقل من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة من المستفيدين من حركة ونشاط ميناء عدن). فالميناء هو الرئة، وإذا كانت الرئة معلولة فإن الجسم لن يؤدي وظائفه.

ثالثا: العلاج. شخص الحالة، فحدد المسؤول عن (معاناة) الميناء، وحدد أعراض المرض، ومن أجل ذلك قدم رؤيته في العلاج، فهو لم يقدمه إلا بصورة ودية، يعبر عن رغبة في الإصلاح، وتحقيق للانتماء الوطني، وحسن نية بالطرف الإماراتي أنه يريد مصلحة الشعب اليمني (وتم طرح نقاط عليهم ونحن ننتظر ردا كتابيا على النقاط الأساسية التي وضعناها تعبيرا عن حسن النية من الطرف اليمني. وتتمثل النقاط في تنفيذ كل متعلقات المرحلة الأولى من الاتفاقية، وضخ السيولة النقدية في مشروع توسيع رصيف ميناء الحاويات، وإطلاق خطة تسويقية ترويجية لميناء عدن يلتزم فيها شركة موانئ دبي برفع نسبة الحاويات إلى ٢٠٠ ألف حاوية تتزايد سنويا. على أن يتم تنفيذ هذه النقاط قبل ٢١ فبراير القادم، موعد الانتخابات الرئاسية). فهي أهداف محددة، وتحديد الأهداف (أو العلاج) ناتج عن التشخيص الدقيق للحالة المرضية.

وفي ضوء هذا الإطار الاستعاري يتبين ما يلي:

(القيم والدوافع)، القيمة الجوهرية لدى المريض هي الصحة، والصحة قيمة من قيم الحياة، فاستمرار المرض طريق إلى الموت، والعافية طريق إلى الحياة. وكذلك الميناء، فاستمراره مشلولا سيؤدي إلى مزيد من الموت والمعاناة للجسم (اليمن) الذي ينتمي إليه، فهو رئة مصابة. ومن ثم فلا بد أن ينقل من المعاناة والشلل إلى الحركة والحيوية، والإسهام في رفد البلاد بموارد اقتصادية. فالدافع الذي يدفعه هو (التعيش)، أي أن تعود للميناء صحته، ويكون مصدرا من مصادر العيش الكريم للشعب اليمني.

وهذا ما يتبين في تصريح الوزير اليمني: (إن هذا اليوم يعني إعادة الحياة في قطاعات النقل البحري والجوي والبري)، و(ميناء عدن عاد لأهله). إذن فالحياة عادت إلى الميناء، كان الميناء ميتا، أو مشلولا لا حراك ولا حياة به، وكان الميناء عند غير أهله، والآن عاد إلى أهله الذين سيرعونه حق رعايته.

وهناك قيمة أخرى أساسية، تتمثل في (الكرامة)، وهذه القيمة ناتجة عن إطارين، الأول: أن الحكومة مسؤولة عن معاناة الميناء، فالميناء كولد ينتمي إليها، والإطار الآخر: أن المتهم عن المعاناة شخص غريب، أوكلت إليه مهمة رعاية الولد ولكنه تسبب في معاناته. ومن ثم فإن الطرف الأول يرى أنه قد مست كرامته، وإن استمر في الصمت عن المعاناة إنما يترك كرامته تستنزف. ومن ثم نجد أن دافع (التقدير) يسيطر في خطاب الطرف اليمني، ولا سيما في المراحل التصعيدية اللاحقة.

هاتان هما القيمتان الأساسيتان في خطاب الطرف اليمني، وهناك قيم أخرى، ولكنها عرضية، كقيمة الانتماء، وقيمة المعرفة، وقيمة الملكية، وقيمة الإنجاز.

(الأهداف والتوقعات):

يتصل الإطار الاستعاري للأهداف بالإطار الاستعاري العام، فهو يبحث عن إعادة الحركة والحياة للميناء، وإنهاء معاناته، ومن ثم فإنه يحدد أهدافه بـ(ضخ السيولة النقدية في مشروع توسيع رصيف ميناء الحاويات)، و(إطلاق خطة تسويقية ترويجية لميناء عدن يلتزم فيها شركة موانئ دبي برفع نسبة الحاويات إلى ٢٠٠ ألف حاوية تتزايد سنويا). وضخ السيولة يعادل استعاريا ضخ الدم إلى الجسد المريض لاستعادة عافيته، وإطلاق الخطة التسويقية لرفع نسبة الحاويات يعادل إعادة تنشيط الجسم لرفع قدرته وكفاية وظائفه.

ب - الإطار الاستعاري ومراحل النزاع:

حافظ الخطاب اليمني على الإطار الاستعاري الذي أوضحته، إلا أنه مع تصاعد حدة النزاع، يصل إلى درجة عالية من الحدة، داخل الإطار نفسه.

المثال السابق يعبر عن الإطار الاستعاري بطريقة فيها كثير من التهذيب الخطابي، واللين الاستعاري. وفيما يلي خطاب آخر يمثل مرحلة من التصعيد في الإطار الاستعاري نفسه.

(وزير النقل اليمني في تصريح صحفي بتاريخ: ١٧/ ٣/ ٢٠١٢م) [أي بعد أربعة أشهر من تاريخ الخطاب الأول]:

إنه سيُعاد النظر في العقود والاتفاقيات التي أبرمتها الوزارة ومراجعتها بما فيها الاتفاقية المتعلقة بشركة موانئ دبي لما فيه خدمة الصالح العام، مجدداً عزمه على مواصلة الانتصار لحقوق العمال في كافة القطاعات، والعمل على محاربة الفساد ومن يقفون وراءه حتى تتحقق كافة أهداف الثورة ومطالب الشعب اليمني.

وإن الاتفاقية الموقّعة بين شركة موانئ دبي وميناء عدن بُنيت على أهداف سياسية بعيدة عن الجدوى الاقتصادية أو التجارية ما دفع الشركة الإماراتية إلى التنصل من بنود الاتفاق وأوصلت الميناء إلى حالة مزرية انعكست سلباً على معيشة آلاف العمال في الميناء..

وأردف: "عندما أتينا إلى الوزارة كان الاطلاع على الاتفاقية الموقعة بين موانئ دبي وميناء عدن جرماً يعاقب عليه القانون".. معتبراً أن كشفه ملفات الفساد في هذه الاتفاقية وإظهارها إلى الشعب اليمني يعد إنجازاً بحد ذاته!!.

وأشار إلى أن الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي حتى عام ٢٠١٤ وهي الموقّعة على اتفاقية بشأن تشغيله وتطويره.

وقال باذيب: "إننا نحترم كل العلاقات التجارية والإنسانية والأخوية مع كل الدول والأطراف؛ لكن عندما يصل الأمر إلى حد المساس بقوت أولادنا ومستقبل شعبنا فيجب ألا نصمت".

يلاحظ هنا أن قيمة (الحياة) للميناء تتراجع، وتأتي أولا (قيمة الكرامة)، بتمثلاتها السلوكية: الانتصار لحقوق العمال، ومحاربة الفساد، وإعادة النظر في اتفاقيات الفساد، ويجب عدم الصمت عن ما يمس مستقبل أولادنا... الخ (لن نسمح بالعبث بميناء عدن وهذه قضية سيادة وطنية لأن عدن هي الميناء والميناء هو الجنوب والجنوب هو الوحدة الوطنية)، (العمال في ميناء عدن يستلمون أقل من أي عمال في ٥٥ ميناء عالمي تديره شركة موانئ دبي، وهو ما يعد امتهانا للعامل اليمني). بل إنه حين يقارن بين قيمتي (الكرامة)، و(العيش المجتمعي) القائم على احترام العلاقات، فإن الأولوية لقيمة الكرامة (إننا نحترم كل العلاقات التجارية والإنسانية والأخوية مع كل الدول والأطراف؛ لكن عندما يصل الأمر إلى حد المساس بقوت أولادنا ومستقبل شعبنا فيجب ألا نصمت).

وانتقل التصعيد هنا من الحديث عن (معاناة الميناء)، إلى الحديث عن معاناة الشعب اليمني جراء اتفاقية (فاسدة)، وانتقل من الحديث عن التشخيص اللطيف لسبب تدهور حالة الميناء، إلى الهجوم المباشر الحاد على شركة موانئ دبي؛ باعتبار أنها المسؤول الأول عن تردي وضع الميناء، (الاتفاقية الموقّعة بين شركة موانئ دبي وميناء عدن بُنيت على أهداف سياسية بعيدة عن الجدوى الاقتصادية أو التجارية؛ ما دفع الشركة الإماراتية إلى التنصل من بنود الاتفاق، وأوصلت الميناء

إلى حالة مزرية انعكست سلباً على معيشة آلاف العمال في الميناء). فالذي أوكلت إليه مهمة رعاية (الميناء)، هو للأسف المسؤول عن تدهور حالتها. التشخيص هنا يسمّي الجاني بوضوح، ويطعن في دوافعه، فهو يجرده من دافع الإنجاز (إهمال الميناء... الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي)، ويجرده من دافع التعايش المجتمعي الذي يقوم على احترام الآخرين وحقوقهم (وأوصلت الميناء إلى حالة مزرية انعكست سلباً على معيشة آلاف العمال في الميناء)، ويتهمه بدافع العدوان، (التنصل من بنود الاتفاقية)...

في هذا الخطاب تبدو الحالة التصعيدية أيضاً من الموازنة المستمرة بين الذات والآخر، حيث تبدو الموازنة بينهما حادة، وتعكس صراعا على مستوى القيم والدوافع والأهداف، فالذات تبدو بصورة الأب الراعي لمصلحة أولاده، الساهر على حمايتهم، المكافح من أجل راحتهم. الذي يكافح من أجل (خدمة الصالح العام)، و(مواصلة الانتصار لحقوق العمال)، و(محاربة الفساد ومن يقفون وراءه)، و(عندما يصل الأمر إلى حد المساس بقوت أولادنا ومستقبل شعبنا فيجب ألا نصمت). ("عندما أتينا إلى الوزارة كان الاطلاع على الاتفاقية الموقعة بين موانئ دبي وميناء عدن جرماً يعاقب عليه القانون".. معتبراً أن كشفه ملفات الفساد في هذه الاتفاقية وإظهارها إلى الشعب اليمني يعد إنجازاً بحد ذاته).

وفي المقابل فإن الآخر يبدو بصورة عدوانية، فهو المسؤول عن المعاناة التي وصل إليها (الميناء)، وأنه يتآمر ضد مصلحة الشعب، فالاتفاقية (بُنيت على أهداف سياسية بعيدة عن الجدوى الاقتصادية أو التجارية)، وأنه يفرط في مسؤولياته وإنجازاته، ويضحي بقيم التعايش المجتمعي مع الآخرين، قيم احترام الحقوق، وقيم المسؤولية والرعاية... (التنصل من بنود الاتفاق)، (الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي حتى عام ٢٠١٤ وهي الموقّعة على اتفاقية بشأن تشغيله وتطويره)، (حالة مزرية انعكست سلباً على معيشة آلاف العمال في الميناء). كما يوازن الخطاب بين الموانئ التي تديرها شركة موانئ دبي (الشركة تسوق مبررات واهية لتنصل عن التزاماتها في حين ان الميناء الذي تديره في جيبوتي يحقق تزايدا ملحوظا في نشاطه على حساب ميناء عدن). هذه المقارنة تجعل من دوافع موانئ دبي مقصودة وعدوانية تجاه الطرف اليمني، فهو ينفي عنها دافع عدم الإنجاز، ويثبت لها الدافع العدواني.

هنا صورتان متناقضتان تناقضاً حادا في القيم والدوافع والتمثلات السلوكية، صورة من يريد عافية المريض، وصورة من يزيد في معاناته. ومن ثم ستختلف أهداف كل منهما، وقد أعلن الوزير اليمني عن هدفه بوضوح في أول خطابه (إنه سيُعاد النظر في العقود والاتفاقيات التي أبرمتها

الوزارة ومراجعتها بما فيها الاتفاقية المتعلقة بشركة موانئ دبي لما فيه خدمة الصالح العام).
فالفاعل الاجتماعي (اليمني) يحدد هدفه (إعادة النظر في الاتفاقية... التي تبين فسادها). وفي خطابات أخرى يؤكد هذا الهدف، ويبين توقعاته جراء تعافي الميناء: (ميناء عدن يعد من أفضل الموانئ العالمية، والحكومة عازمة على إعادة قيمته التاريخية والعالمية وخلق مناخات وجسور الثقة مع شركات الملاحة العالمية، باعتباره احد اهم الموانئ العالمية التي يمكن ان تسهم في رفد الاقتصاد الوطني وتلبية الحقوق المشروعة لأبناء عدن واليمن بشكل عام).

أما الآخر فإن هدفه هو الاستمرار في إهمال الميناء (الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي حتى عام ٢٠١٤)، فذكر الأجل التاريخي (٢٠١٤) هنا يبين أن موانئ دبي مصرة على إهمال الميناء. والتوقعات مفتوحة أمام هاتين المرجعيتين المتنازعتين، من يهدف إلى إيقاف تدهور الميناء ومن يهدف إلى إهماله.



(٢) الإطار الاستعاري في خطاب الطرف الإماراتي (موانئ دبي)

انتهج الطرف الإماراتي نهج الصمت، فطوال الأزمة لم نجد له تعليقات أو تصريحات منشورة في وسائل الإعلام، ولم يكن الطرف الإماراتي يرد على أي من تصريحات الطرف اليمني. وفي حوار بعد حوالي شهر من تسوية الخلاف (بتاريخ: ١٦/ ١٠/ ٢٠١٢)، أجرته صحيفة الخليج مع الرئيس التنفيذي لشركة "موانئ دبي"، كان من ضمن الأسئلة:

> **سؤال الصحيفة: لماذا تؤثرون دوماً عدم الإجابة عما يوجه لكم من اتهامات سواء على مستوى ميناء عدن أو حتى في مصر؟**
>
> **وكان جوابه: موانئ دبي العالمية شركة مساهمة عامة وبالتالي يصعب علينا الحديث عن الكثير من الأمور، وبالنسبة لليمن قدرنا نحن صراحة وضع الحكومة هناك ولم نرغب في زيادة الضغوط عليهم.**

فهم ينتهجون نهج الصمت، ويبدو أن الصمت لم يقتصر على الجانب الإعلامي، بل حتى على مستوى التواصل المباشر بين الطرفين، وهذا ما أثار الطرف اليمني الذي صرح أكثر من مرة أنه لم يتلق ردا على رسائله من الطرف الإماراتي. واستمر الوضع كذلك حتى تمت تسوية الخلاف برعاية تركية، في ٢٠/ ٩/ ٢٠١٢م.

المبحث الثالث: الإطار السردي: أحداث النزاع

- المطلب الأول: مدخل نظري

- المطلب الثاني: تحليل نموذج (الفلم المسيء)

المطلب الأول: مدخل نظري

هذا المبحث يعنى بتحليل تمثيلات الحدث من خلال الإطار السردي، ويعنى الباحث في تحليله للإطار السردي بالإجابة عن ثلاثة تساؤلات:

١- الإطار السياقي: ما الأولويات والاهتمامات لدى أطراف النزاع؟

٢- الإطار الاجتماعي: كيف ينظر أطراف النزاع إلى علاقة الأحداث بالواقع؟

٣- الإطار الإجرائي: كيف ينظر أطراف النزاع إلى إدارة النزاع أو حله؟

أولا - الإطار السياقي:

السرد شكل من أشكال التمثيلات (representation) التي تظهر تمثلات البشر من خلال تصرفاتهم (Ryan, 2010, p477). وهو محاولة لتفسير ما يحدث في الواقع أو تطبيعه؛ حيث يكشف: لماذا الأمور على ما هي عليه، أو لماذا أصبحت كذلك. والخطاب (بوعي أو بدون وعي) يدمج الأحداث المتسلسلة ويرتبها بالطريقة التي تعكس الغرض. ومن ثم فغرض الخطاب يُدرك من السرد كله؛ إذ يضفي المعنى على مكونات القصة، وترتيبها المتسلسل؛ حيث إن ترتيب مكونات القصة تؤدي وظيفة في السرد كله (Michael, 2010). في حين يرى فلودرنك (Fludernik) أن الوعي هو الذي يحدد السرد، وليس أي شيء آخر. وعليه فالسرد يعرف من حيث تجربة الإنسان نفسه للأحداث، وليس من حيث تسلسل الأحداث، أو حتى من حيث الروابط السببية بين الأحداث (McHale, 2013). ومن ثم فتحليل البنية السردية لخطاب النزاع، يكشف عن أولويات كل طرف من أطراف النزاع، والطريقة التي تعكس اهتماماته بالحدث.

والكلمات - كما يرى فيلمور - تفهم في سياقها الإطاري المفهومي، ويُسَمَّى مجموع الكلمات في مجال ما (الحقل الدلالي)، ويفهم الإطار من خلال إدراك الأدوار فيه مع سيناريو الأحداث. فمثلا كلمات نحو: التكلفة، والبيع، والسلع، والسعر، والشراء... تفهم في الإطار نفسه، والأدوار في هذا الإطار هي: البائع، والمشتري، والسلع والنقود. وسيناريو الأحداث: المشتري لديه النقود ويريد السلع، والبائع لديه السلع ويريد النقود، وعندئذ يحدث تبادل السلع والنقود، فتصبح النقود لدى البائع، والسلع لدى المشتري. هذا الإطار هو أساس فهمنا للأحداث التجارية (Lakoff, 2009, p22).

ويتمثل الإطار البسيط للسرديات في وجود بطل للرواية تجري الأحداث من وجهة نظره، والأحداث (الوقائع الجيدة أو السيئة التي تحدث)، والعواطف (التي تلائم أنواعا معينة من الأحداث في السيناريو) (Lakoff, 2009, p23). إذن فلدينا ثلاثة عناصر سردية: الشخصية، والأحداث، والعواطف.

أما الشخصية فإن تحليلها السردي يكشف المقاصد والأحداث التي يمكن أن تقع أو لا تقع؛ استنادا إلى بواطن عقول الأشخاص وعواطفهم (Michael, 2010). كما أن معرفة معتقدات الآخرين ينبني عليه إدراك مدى التعاون، وبناء الثقة (Ryan, 2010, p477).

وأما الأحداث، فيبين لايكوف أن الدراسات المتخصصة بالدماغ كشفت عن آلية "الربط العصبي" (neural binding)، حيث توجد الروابط بين الهياكل العامة للأحداث مع أنواع معينة من الأفعال أو السرد. كما تقوم باستكمال سيناريوهات الأحداث، في ظل أطرها المناسبة. وعلى سبيل المثال، فإن المراحل الزمنية للسرد (الهيكل العام للأحداث)، هي: (Lakoff, 2009, p26)

أ - الظروف السياقية: السياق الأولي للسرد.

ب - التراكمية: أحداث مختلفة تقود إلى الأحداث الرئيسة.

ج - الأحداث الرئيسة: الأحداث التي يدور حولها السرد أساسا.

د - الغرض: الشيء الذي يتحقق (إذا كان هناك غرض).

هـ - نحو النهاية: الأحداث التي ينتهي بها السرد.

و - النتيجة: السياق النهائي.

ز - العواقب المترتبة.

فمثلا، الانتخابات، يتم ربط الهيكل العام للأحداث مع حدث خاص وهو الانتخابات، والمسؤول عن الربط هي خلايا الربط العصبي بالدماغ. ونتيجة الربط ما يلي:

(الظروف السياقية): وجود أحزاب سياسية، وترشيح المرشحين...إلخ. (التراكمية): الحملات الانتخابية. (الحدث الرئيس): الانتخابات. (الغرض): شغل المنصب العام. (النتيجة): ترتيب السلطة بعد الانتخابات. (العواقب): ما سيأتي بعد ذلك بوصفه نتيجة لهذه الانتخابات.

وأما العواطف، (Lakoff, 2009, p27) فإن الربط العصبي يربط الخبرات العاطفية مع الأحداث ولا سيما في هياكل الأحداث الدرامية.

كما يتعلق الإطار السردي بتسييق الحدث، ويُقصَد به (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٢٦٣): أن يتم دمج الحدث في سياق حدث اجتماعي آخر، فيكون بذلك قد جدد سياقه... حيث تُنتقى عناصر

الأحداث الاجتماعية وتُغربل وفق مبادئ تجديد السياق (وهي: استبعاد بعض العناصر واحتواء أخرى، وإبرازها بدرجات متفاوتة)، كما تؤثر هذه المبادئ في ترتيب وضع الأحداث، وإمكانية تقييم الأحداث وشرحها وشرعنتها.

ثانيا - الإطار الاجتماعي:

سرد الحدث في إطاره الاجتماعي يُعنى بتحليل حركة الحدث في المجتمع، ومعرفة اتجاهه، وعلاقته بالسلطة القائمة، ويكشف عن العلاقات القائمة بين الأطراف المشاركة في الحدث، وعن تصنيفها للأحداث. ومن ثم فهو يجيب عن مجموعة من الأسئلة، مثل: هل الحدث ساكن أو متحرك؟ وأين اتجاه الحركة؟ هل يُغير السلطة أو يُثبّتها؟ هل يُعرّف أو يُبهم؟ هل يُقوّي أو يُضْعف؟... إلخ. كيف ينظر في العلاقات القائمة بين المشاركين وارتباطهم بالأحداث؟ وتصنيف الأحداث والأشياء في ضوء ذلك؟

ويرتبط الإطار الاجتماعي بالأيديولوجيا، ومن ثم فمحلل الخطاب يسعى إلى الكشف عن علاقة الحدث بالأيديولوجيا وحركتها تجاه الواقع: هل يمثّل الحدث لتثبيت الواقع؟ أو لتغييره؟ وكيف يتم ذلك؟

ويرى غيرتز أنه لا يمكن اعتبار الأيديولوجيا مجرد صراع بين المصالح، ونضال في سبيل السلطة؛ لأن ذلك يصرف أعيننا عن الدور الذي تؤديه الأيديولوجيات في: تعريف الأصناف الاجتماعية (أو إبهامها)، وفي تثبيت المطامع الاجتماعية (أو تقويضها)، وفي صيانة المعايير الاجتماعية (أو تدميرها)، وفي تعزيز الوفاق الاجتماعي (أو إضعافه)، وفي حلحلة التوترات الاجتماعية (أو تأزيمها) (غيرتز، ٢٠٠٩، ص ٤١٥).

غير أن ريكور يعيد تقسيم هذه الوظائف بين الأيديولوجيا واليوتوبيا، حيث يرى أن المخيلة في الحياة الاجتماعية تعمل بطريقتين مختلفتين، فهي من جهة يمكنها أن تقوم بعمل صيانة النظام والمحافظة عليه، ويمكنها من جهة أخرى أن تتولى دور المقاطعة مع النظام، فتخترقها. وتمثل الأيديولوجيا الجانب الأول من المخيلة، سواء في وظيفة التشويه أو إضفاء الشرعية أو الدمج، في حين تمثل اليوتوبيا الجانب الثاني من المخيلة، وتؤدي ثلاثة أدوار أيضا تقابل أدوار الأيديولوجيا، وهي: الخيال الجامح، والشكل البديل عن السلطة، واستكشاف الممكن (ريكور، ٢٠٠٢، ص٤١١).

ثالثاً - الإطار الإجرائي:

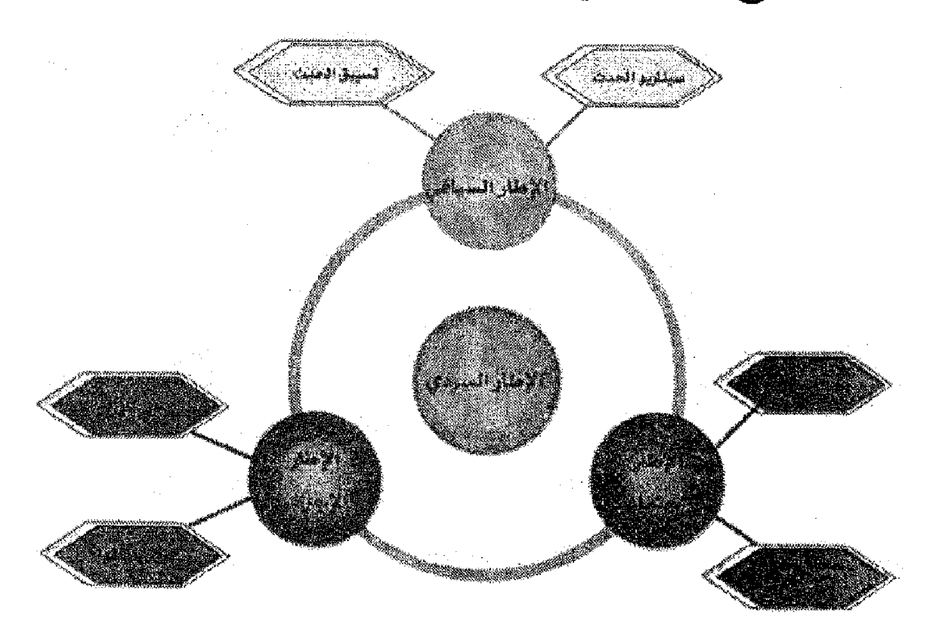
كذلك يتصل الإطار السردي بما يمكن تسميته: الإطار الإجرائي، ويبين هذا الإطار الطرق والوسائل التي يفضلها الفاعلون الاجتماعيون، والإجراءات التي يعتزمون تنفيذها، أو التي يرفضونها. وما الذي يتم تغليبه في الخطاب: الهدف أم الوسيلة.

ويكشف محلل خطاب النزاع عن الكيفية التي يرىٰ المتنازعون أنها أفضل السبل لإدارة النـزاع أو حله. فاعتمادا علىٰ اختلاف الأطر لدىٰ الأطراف فإنهم سيبحثون عن طـرق مختلفـة لعـلاج النـزاع، مثل: العنف، أو العصيان المدني، أو التحاكم، أو التفاوض... وبسبب التعقيد الواسـع للإجـراءات الممكن اتخاذها، وعدم يقينية نتائجها؛ فإن المجموعات ذات القيم والمصالح المشتركة عادة مـا تتبنـىٰ رؤىٰ مختلفة، ترىٰ أنها هي الأفضل لحل نزاع معين (Kaufman, & Shmueli, 2003).

والنزاعات غالبا ما تكون نضالا يهدف إلىٰ تغيير المؤسسات القائمة، أو إجراءات اتخاذ القرار. ومن ثم فتصور المتنازعين للسلطة والسيطرة الاجتماعية له دور مهـم في ديناميـات النـزاع. وأطـر السلطة تساعد المتنازعين علىٰ أمرين، أولهما تحديد الأشكال التي تعطي السلطة مـشـروعية (مثـل العصيان المدني)، والثاني، وهو الأهم، تحديد أشكال السلطة التي تسوغ موقـف الـشخص نفـسه (مثل: بناء التحالفات، والتهديدات، والتصويت..) (Kaufman, & Shmueli, 2003).

إطار التحليل:

بالعودة إلىٰ التساؤلات الواردة في مقدمة الإطار السردي، فإنه من الممكن الخروج بإطار تحليلي لسردية الحدث من منظور إدراكي، يكون له ثلاثة محاور: الإطار السياقي (ويجيب عـن تـساؤلين: سيناريو الحدث، وتسييق الحدث)، والإطار الاجتماعي (ويجيـب عـن تـساؤلين: علاقـة الحـدث بالفاعلين، وتصنيف الحدث)، والإطـار الإجرائـي (ويجيـب عـن تـساؤلين: رؤىٰ حـل النـزاع، والرؤىٰ الموقفية). ويوضح الشكل التالي هذه المحاور:



شكل (٦): نموذج تحليل الإطار السردي

المطلب الثاني: تحليل نموذج (الفلم المسيء)

العينة التي أحللها، هي خطاب النزاع المتعلق بأحداث "الفلم" الذي أنتجه نكولا باسيلي (أمريكي من أصل مصري) بعنوان (براءة المسلمين)، وقد نشره في يوتيوب أول سبتمبر ٢٠١٢م، واشتهر باسم "الفلم المسيء". وفي ١١ سبتمبر اندلعت مظاهرات عنيفة في ليبيا ومصر واليمن وسائر العالم المسلم، وفي ليبيا هاجم المتظاهرون القنصلية الأمريكية؛ مما أدى إلى مقتل السفير الأمريكي (كريستوفر ستيفنز) وثلاثة أمريكيين آخرين. وقد أدى ذلك إلى تصريحات عالمية متباينة، وقد اخترت ستة خطابات، خطابين يمثلان الطرف الأمريكي (خطابا للرئيس الأمريكي، وآخر لوزيرة الخارجية الأمريكية)، وأربعة خطابات تمثل العالم المسلم (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وهيئة كبار العلماء بالأزهر، والرئيس المصري في خطابه أمام جمعية الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامية).

سيتم تحليل الخطابات كالتالي:

أ - الإطار السياقي:

أ-١- سيناريو الحدث:

أ-١-١- السيناريو العام

أ-١-٢- الشخصية

أ-١-٣- الأحداث

أ-١-٤- العواطف

أ-٢- تسييق الحدث

ب - الإطار الاجتماعي:

ج - الإطار الإجرائي:

ج-١-الرؤى الموقفية

ج-٢- حل النزاع

أولا: خطاب الطرف الأمريكي

(خطاب الرئيس الأمريكي: الملحق ٢، وخطاب وزيرة الخارجية الأمريكية: الملحق ٣)

أ - الإطار السياقي:

أ-١- سيناريو الحدث:

أ-٢-١- السيناريو العام:

بدأ خطاب الرئيس الأمريكي مباشرة بسرد قصة (كريس ستيفنز) حتى مقتله، ثم تخليدها كنموذج أمريكي، ثم انتقل إلى الحدث: الهجمات على أمريكا، وأنها تستهدف قيمها، ومُثُلَها التي تعد مثلا عالمية، ثم استفاض في الحديث عن الدعم الأمريكي للتغيير وقيمة الديمقراطية لدى الشعوب، والوقوف مع مصالح الشعوب وحرياتها، ورد تفسير الصراع إلى الصراع بين القيم، قيم التقدم والتأخر، بين المستقبل والماضي. ثم تحدث عن قيمة التسامح والتسامح الديني وألا علاقة لأمريكا بالفلم المسيء، ووصل الكلام بالحديث عن حرية التعبير، وحماية هذه الحرية مهما كانت الإساءة. ومن ثم رفض تبرير العنف والقتل بحجة الإساءة، واعتبر أن الدافع إنما هو كراهية أمريكا والغرب وقيم أمريكا والغرب وإسرائيل، وأنهم لا يستخدمون سوى خطاب الكراهية والتحريض، وأن هذا لن يلوي ذراع أمريكا، ثم تحدث أن العنف يعاني منه المسلمون أيضا. ثم تحدث عن البحث عن مستقبل التسامح والقيم والمثل، مستقبل الديمقراطية، مستقبل اختيار الشعوب، مستقبل القانون الدولي، ثم تحدث عن أن القوات الأمريكية تصنع هذا المستقبل، وأن الدول العشرين تصنع هذا المستقبل. وختم حديثه بالتعهد بجلب القتلة إلى العدالة.

فخلاصة سيناريو الحدث أنه يضع الحدث (مقتل السفير الأمريكي) في سياق استهداف قيم أمريكا؛ ومواقفها مع الشعوب. ومن ثم فالخطاب تقييمي أكثر من كونه خطابا معلوماتيا، بخلاف خطاب وزيرة الخارجية، الذي هدف إلى تقديم معلومات عن الحدث وعن الفاعلين، وبيان الموقف منه، فبدأ خطابها بمقدمة موجزة تبين ما حدث، مبتدئا بالفعل المبني للمجهول (هوجم يوم أمس المركز الدبلوماسي للولايات المتحدة في بنغازي، ليبيا) ثم تحدث عن الفاعلين، ثم تحدث عن الموقف من الحدث. ثم كرس الخطاب متنه للحديث عن الشخصية (شخصية البطل الذي ضحى لأجل وطنه). ثم قدم الخطاب تفسيرا للحدث، وبياناً للموقف من الحدث. وأخيرا سيّق الخطاب الحدث بربطه بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

ومن ثم فالأولوية في خطاب الرئيس الأمريكي ليست للحدث نفسه، وإنما للمستهدَف، سواء أكان المستهدف شخصا يمثل النموذج الأمريكي، أو كان المستهدَف أمريكا، وقيمها ومثلها العالمية. وكلا الخطابين يشتركان في إبراز القيم المستهدَفة (القيم الأمريكية).

أ-٢-٢- الشخصية:

يتمحور الخطاب الأمريكي حول شخصيتين:

شخصية البطل:

وخطاب الرئيس كخطاب وزيرة الخارجية يقدم الشخصية الأمريكية نموذجا للبطل الأمريكي الذي يضحي من أجل الآخرين، وتكاد مفردات القيم التي تصف الشخصية تكون نفسها في الخطابين: تعليم الآخرين، وحب الشعوب الأخرى، والالتزام، ومشاركة الآخرين اجتماعيا، ولطافة التعامل، والتواضع، ودعم التغيير، والتضحية بالنفس من أجل إنقاذ الغير، وهي قيم تجسد صورة البطل الضحية.

ثم ينتقل خطاب الرئيس الأمريكي من الحديث الشخصي إلى نمذجة الشخصية (إنني أسرد لكم هذه القصة لأن كريس جسّد أفضل ما في أميركا). ومن ثم فالاعتداء على البطل ليس اعتداء على شخصه، وإنما اعتداء على النموذج والقيم التي يمثلها.

وهناك تمثيلات أخرى في خطاب الرئيس الأمريكي للشخصية الأمريكية (النموذج)، التي تؤمن بقيم الحرية والديمقراطية والتسامح واحترام حق التعبير ومساعدة الآخرين على نضالهم من أجل حقوقهم وحرياتهم... الخ (لقد حارب الأميركيون وضحوا بحياتهم في جميع أنحاء العالم لحماية حق جميع الناس في التعبير عن آرائهم، وحتى الآراء التي يختلفون بعمق حولها). وهم لديهم الخيارات الصحيحة في التعامل مع القضايا المختلفة (السلام والتقدم لا يتحققان إلا لأولئك الذين يتخذون الخيارات الصحيحة)، والشخصية الأمريكية هي التي تمنح الأمل الصادق للشعوب عبر مساعدات حقيقية ولوجستية، وليس عبر أوهام وكلام.

ويركز خطاب الوزيرة في الجانب العاطفي للشخصية الضحية، فالضحية كان زوجا مخلصا وأبا حنونا، وقصته خالدة ينبغي أن يتذكرها العالم...إلخ. ومن ثم فهي تسمي الشخصية (كريس ستيفنز) و(شون سميث)، وتتحدث عن أسرتيهما، وتواصلها معهم، تحدثت عن الزوجات والأبناء والأقارب... وهو نوع من التخليد والتكريم، واستجداء التعاطف أيضاً.

شخصية المعتدي الشرير:

أما الشخصية الأخرى، فهي تلك الشخصية التي تحمل خطاب الكراهية، وتتذرع به للوصول إلى العنف والقتل، وتحمل قيم التعصب والتكفير، وتبرر بذلك قتل الأبرياء، وخلق حالة من الفوضى في جميع أنحاء العالم، وهي تلك الشخصية التي تستخدم (كراهية أميركا، أو الغرب، أو إسرائيل، بمثابة مبدأ تنظيمي أساسي للسياسة- حتى عندما لا يلجؤون مباشرة إلى العنف)، ومن ثم فهم ليس لديهم مشروع سياسي أو إصلاحي أو تغييري يقدمونه للعالم، وكل ما لديهم هو الأمل الكاذب، (إن حرق العلم الأميركي لن يفعل شيئًا من أجل توفير التعليم لطفل ما. والتدمير الكامل لمطعم لا يملأ معدة فارغة. ومهاجمة سفارة لن يخلق وظيفة واحدة). وهذه الشخصية هي سجينة الماضي، وينبغي ألا يترك المستقبل بيدها.

وتصور وزيرة الخارجية الأمريكية شخصية المعتدين على أنهم قتلة متشددون مدججون بالسلاح، همجيون يهاجمون مركزا دبلوماسيا ويحرقون مبانيه، هم مجموعة صغيرة همجية، لا يمثلون ليبيا، هم منكرون للجميل، وهم أشرار، متطرفون، يقتلون الأبرياء باسم الله، وهم أعداء السلام في العالم، وهم مستعدون لارتكاب الجرائم وتهديد أمن العالم وسلامه. وهم لا يستهدفون أمريكا فقط، بل يستهدفون أيضا العلاقة بين أمريكا وليبيا، فتلك العلاقة أيضا ضحية من ضحاياهم (ولكنهم لن يمكنوا من تحقيق أهدافهم). وهم فئة مجهولة غير معروفة، وينبغي ملاحقتها وتقديمها للعدالة.

فالصراع صراع بين هاتين الشخصيتين وما يحملانه من قيم ومثل، بين من يؤمن بالتقدم ومن يرفضه، بين من يؤمن بالديمقراطية ومن يرفضها (سوف يكون هناك دائمًا من يرفض التقدم الإنساني – حكام طغاة يتشبثون بالسلطة، ومصالح فاسدة تعتمد على استمرار الوضع القائم، ومتطرفون يؤججون نيران الكراهية والانقسام).

وشخصيات الحدث في الخطاب الأمريكي – عموماً – ترسم سيناريو: البطل الضحية والمعتدي الشرير، الذي يقتل البطل، فيظل تحت المطاردة حتى يتم القبض عليه.

وهناك شخصيات أخرى في الحدث: الشعب الليبي المسالم الذي يعترف بالفضل، ويقدر تضحيات الأمريكيين، ويمثل قيم الوفاء والشهامة، وسيخلد ذكرى الضحية كما يفعل الأمريكيون. وهناك الحكومة الليبية التي تشترك مع الحكومة الأمريكية في إدانة العنف، وملاحقة المعتدين.

أ-٢-٣- الأحداث:

ثمة اختلاف بين خطابي الرئيس الأمريكي ووزيرة الخارجية في عرض سيناريو الحدث، على النحو التالي:

(الحدث في خطاب وزيرة الخارجية):

يركز سرد السيناريو في الحدث الرئيس، وفي بيان دوافعه، وفي بيان العواقب المترتبة عليه، والموقف منه.

يبدأ الخطاب مباشرة بالحدث الرئيس (مهاجمة القنصلية الأمريكية)، ويستخدم الفعل المبني للمجهول (هوجم)، فيذكر الحدث قبل الفاعل؛ لأنه بؤرة الاهتمام، وتركيزه منصب على الحدث نفسه.

والخطاب يتجاهل الظروف السياقية للحدث؛ لأنه لا يرى سوى الحدث الرئيس، الذي يدينه ويستنكره، ويرفض أي ظروف سياقية أو تراكمية قادت إليه، وحتى عندما حاول الخطاب أن ينظر في دوافع الفعل فقد كان ذلك في سياق الاستنكار، والرفض. فهو يرفض أن يكون الفلم المسيء دافعا، (اسمحوا لي أن أتحدث بوضوح - لا يوجد أي مبرر لهذا على الإطلاق)، وحتى إنها تشير إلى من يتبنى هذا التبرير بلفظ (البعض): (حاول البعض تبرير هذا السلوك الشرير)، فهم بعض، وعملهم ليس إلا محاولة لتبرير سلوك شريرا! ومن ثم فالخطاب يفترض أن هدف المعتدين إنما هو الخراب ونشر الفوضى والاعتداء على أمريكا (وهي البلاد الملتزمة بالتسامح الديني).

وأما العواقب المترتبة على هذا الحدث (وطالما أن هناك أناسًا يقتلون الأبرياء باسم الله، فإن العالم لن يعرف السلام الحقيقي والدائم) - فهي لا تطال أمريكا وحدها، بل تطال قيم العالم ومثله، وتهدد أمنه واستقراره. ومن ثم فالسرد يظل مفتوحا، طالما أن القتلة ما زالوا أحياء، وما زالوا يمارسون أعمالهم، ويهددون العالم. وعليه فالأحداث لا تتجه نحو النهاية، بل تتجه نحو مزيد من التعقيد (إن هذا السؤال يعكس مدى تعقيد العالم، وفي بعض الأحيان، مدى الإرباك الممكن أن يثيره). وهذا يجعل المواجهة مفتوحة بين الأخيار والأشرار.

(الحدث في خطاب الرئيس الأمريكي):

الحدث الرئيس في خطاب الرئيس الأمريكي ليس مجرد هجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي ومقتل أربعة أمريكيين، (كما يظهر في خطاب وزيرة الخارجية)، ولكن الحدث الرئيس: هو الهجوم على القيم والمثل الأمريكية التي أصبحت قيما عالمية، ومن ثم يسرد قصة (كريس ستيفنز) باعتباره نموذجا يجسد أفضل ما في أمريكا، وهو لا يقف عنده طويلا، بل يغلب على الخطاب إبراز الصراع بين القيم (كانت الهجمات على المدنيين الأميركيين في بنغازي هجمات على أميركا... ولكن أرجوكم أن تدركوا، أن الهجمات التي نُفذت خلال الأسبوعين الماضيين ليست مجرد اعتداء على أميركا. إنما هي أيضًا اعتداء على المثل العليا نفسها التي تأسست عليها الأمم المتحدة).

وأما الظروف السياقية التي أدت إلى الحدث الرئيس، فتظهر في الخطاب بطريقة جدلية، (إذا كنا جادين بشأن هذه المثل العليا، علينا أن نتكلم بصدق عن الأسباب العميقة لهذه الأزمة؛ لأننا نواجه خيارًا بين القوى التي من شأنها أن تدفعنا للانفصال عن بعضنا البعض، وبين الآمال التي نتشارك فيها سوية) - حيث يتحاور الخطاب مع الآراء الأخرى والمبررات التي يمكن أن تؤدي إلى الحدث، (كرفض الإساءة للأديان، أو تقييد حرية التعبير...)، ويفند تلك الآراء، ليعتبر أن الظروف السياقية تكمن في خطاب الكراهية والتأجيج المستمر والتحريض، الذي يؤدي إلى استمرار الصراع بين القيم. وأن خطاب الكراهية أدى تراكمه إلى تأزيم العلاقات، وتهييج المشاعر، ووضع اليد على الزناد.

> **(حول هذا يتعين علينا الاتفاق: ليس هناك أي كلام يبرر العنف الغاشم ليست هناك كلمات تبرر قتل الأبرياء. ليس هناك فيلم فيديو يبرر الهجوم على سفارة. وليس هناك افتراء يوفر ذريعة للناس لكي يحرقوا مطعمًا في لبنان، أو تدمير مدرسة في تونس، أو التسبب في الموت والدمار في باكستان).**

وعليه فالحدث يظل مفتوحا، ولا نهاية محتملة للأحداث، والخطاب الأمريكي يفضل فتح الأحداث، وعدم وضع حد لنهايتها، حتى تظل هناك خيوطٌ تُستغَل ويُبنَى عليها لاحقا.

يتشارك خطاب الرئيس الأمريكي مع خطاب وزيرة الخارجية في بيان الموقف من الحدث، وفي بيان العواقب المترتبة عليه، وإن كان ثمة تفاصيل مختلفة إلا أن الخطابين في الجملة يتفقان في هذا الأمر.

أ-٢-٤- العواطف:

(العواطف في خطاب الرئيس الأمريكي):

بالرغم من أن الحدث الرئيس في الخطاب هو الصراع بين القيم، قيم التقدم والتأخر - كما يراها الرئيس الأمريكي، فإن العواطف الغالبة في الخطاب عواطف إيجابية، تتمثل في الأمل، والإيمان بالمستقبل، وقد تكرر لفظ المستقبل في الخطاب سبع عشرة مرة، وتكرر لفظ الأمل أربع مرات، وضرب الأمثلة المختلفة التي تكرس هذه العواطف، وتمنح الأمل بالمستقبل. وقد كرست خاتمة الخطاب هذه العاطفة:

(ينبغي أن يعطينا هؤلاء الأمل. ينبغي أن يذكروننا بأنه طالما نعمل من أجل العدالة، فإن العدالة سوف تأخذ مجراها، وبأن التاريخ يعمل لصالحنا، وبأن الموجة المتصاعدة من الحرية لن تعكس مسارها أبدًا).

(لا يزال يحدوني الأمل بالنسبة للعالم الذي نعيش فيه. فالحرب في العراق قد وضعت أوزارها. وعادت القوات الأميركية إلى أرض الوطن. لقد بدأنا مرحلة انتقالية في أفغانستان، وسوف تنهي أميركا وحلفاؤنا حربنا في الموعد المحدد في العام ٢٠١٤. وقد ضعف تنظيم القاعدة، ولم يعد أسامة بن لادن على قيد الحياة. واتحدت الدول معًا لتأمين سلامة المواد النووية، وأميركا وروسيا يخفضان ترسانتيهما. وقد شهدنا خيارات الصعبة - من نايبيداو إلى القاهرة إلى أبيدجان - لوضع المزيد من السلطة في أيدي المواطنين.).

ولا يبدو القلق مسيطرا في الخطاب، بل يعمد إلى تهميشه وتهميش الشخصية الأخرى التي يمكنها أن تهدد (أمن واستقرار العالم) وتكون باعثا للقلق، ويقرر هذا الأمر بلغة خطابية مباشرة (وليكن مفهومًا أن أميركا لن تنسحب أبدًا من العالم. سوف نقدم للعدالة أولئك الذين يلحقون الأذى بمواطنينا وأصدقائنا، وسوف نقف بثبات مع حلفائنا).

بل يخطو الرئيس خطوة أخرى في هذه الاتجاه، فيقرر أن الذين يحاولون أن يقلقوا الآخرين ويمارسوا العنف معهم، إنما يحملون خنجرا مسموما سيرتد عليهم، وعلى من يتسامح معهم (إن السياسة التي لا ترتكز سوى على الغضب - المبنية على أساس تقسيم العالم بين "نحن" و"هم" - لا تعيد إلى الوراء التعاون الدولي وحسب، إنما هي أيضًا تقضي في نهاية المطاف على أولئك الذين يتسامحون تجاهها. لدينا جميعًا مصلحة في التصدي لهذه القوى. دعونا نتذكر أن المسلمين عانوا

الكثير على يد المتطرفين). ومن ثم فهم لن يكونوا مصدر قلق لمن يتعامل معهم بحزم، وإنما لمن يتعامل معهم بتسامح.

ويحاول الرئيس الأمريكي في خطابه بناء عواطف مشتركة، والتركيز على العواطف الإيجابية، كالأمل، ويذكر أمثلة عديدة ونماذج مختلفة في بلدان وشعوب شتى، وكلهم يشتركون في الأمل،

(ولكن ما يجعلني أكثر تفاؤلا ليس أعمالنا نحن، ليست تصرفات القادة - إنما الشعوب التي رأيتها. أفراد القوات الأميركية الذين خاطروا بحياتهم وضحوا بأطرافهم من أجل غرباء في النصف الآخر البعيد من العالم، والطلاب في جاكرتا أو سيول التواقون لاستخدام معارفهم لفائدة البشرية، والوجوه في ساحة في براغ أو في برلمان غانا الذين يرون الديمقراطية في إعطاء أصواتهم لأجل طموحاتهم، والشباب في أحياء ريو الفقيرة، وفي مدارس مومباي الذين تلمع عيونهم بالوعد القادم. هؤلاء الرجال والنساء والأطفال ومن كل عرق ومعتقد يذكرونني بأن مقابل كل غاضب تُعرض صورته على شاشة التلفزيون، هناك البلايين في مختلف أنحاء العالم لديهم آمال مشتركة وأحلام متشابهة. وهم يخبروننا بأن هناك نبضات قلوب إنسانية مشتركة.).

(العواطف في خطاب وزيرة الخارجية):

وأما العواطف في خطاب الوزيرة، فيغلب عليها السلبية، ولا سيما القلق، فحياة الدبلوماسيين الأمريكيين والمواطنين أيضاً في خطر، وأعمال العنف تهدد أمن العالم واستقراره، وهذا بخلاف خطاب الرئيس. كما أن العواطف الإيجابية تبدو في إظهار التعاطف، ومشاعر الفخر والاعتزاز تجاه (الأبطال) الذين ضحوا بحياتهم.

فالعواطف معبرة عن القلق من وجود (المعتدين الذين يهددون سلام العالم)، والتعاطف مع الضحايا، والفخر أيضا بمن ضحى بحياته لأجل الآخرين.

أ-٢- تسييق الحدث:

(خطاب الرئيس الأمريكي):

يسيق خطاب الرئيس الأمريكي حدث الهجوم على أمريكا وقيمها، بأحداث الثورات العربية في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا، وأحداث الانتخابات فيها وفي ملاوي والسنغال والصومال وبورما. ودعم أمريكا للتغيير في هذه البلدان، ودعمها للسلام في (إسرائيل) وفي

إيران، ودور القوات الأمريكية في إضعاف القاعدة، (وقد شهدنا خيارات الصعبة - من نايبيداو إلى القاهرة إلى أبيدجان - لوضع المزيد من السلطة في أيدي المواطنين)، ودورها في مساعدة فقراء أفريقيا... (وستقف الولايات المتحدة الأمريكية دائمًا إلى جانب هذه الطموحات، وإلى جانب شعبنا نفسه، وإلى جانب الشعوب في جميع أنحاء العالم).

ومن شأن هذا التسييق أن يعطي انطباعاً بأن الحدث إنما يستهدف أمريكا وقيمها ومواقفها في دعم التغيير في أنحاء العالم، ومن ثم فعلى الشعوب أن تقف مع أمريكا إذا أرادت مساعدتها. ويظهر التسييق أيضاً واشنطن بمظهر القائد المسؤول عما يحدث في العالم، فالعالم كله داخل الخطاب، فهناك وعي ومتابعة لما يدور في العالم، وهناك فعل ودعم لاختيارات الشعوب، فهو يتكلم بصفته زعيماً ليس لأمريكا، ولكن للعالم.

كما يسيق الإشارة إلى المتطرفين - في ظل وصفهم برفض التقدم والديمقراطية - بالطغاة المستبدين وأصحاب المصالح الفاسدة، (من إيرلندا الشمالية إلى جنوب آسيا، ومن أفريقيا إلى الأميركتين، ومن البلقان إلى حوض المحيط الهادئ). ويربط الفعل أيضا بأفعال أخرى مشابهة (ليس هناك فيلم فيديو يبرر الهجوم على سفارة. وليس هناك افتراء يوفر ذريعة للناس لكي يحرقوا مطعمًا في لبنان، أو تدمير مدرسة في تونس، أو التسبب في الموت والدمار في باكستان) وهذا الربط يصف الفاعلين بأنهم يقدمون على جرائمهم بافتعال تبريرات يتذرعون بها، دون أن يقدموا شيئا للناس (إن حرق العلم الأميركي لن يفعل شيئًا من أجل توفير التعليم لطفل ما. والتدمير الكامل لمطعم لا يملأ معدة فارغة. ومهاجمة سفارة لن يخلق وظيفة واحدة).

كما يُسيّق إنتاج الفلم المسيء بما يحدث في أمريكا كل يوم (هنا في الولايات المتحدة، هناك منشورات لا تعد ولا تحصى مثيرة للإساءة. وأنا مسيحي مثل غالبية الأميركيين، ومع ذلك، فإننا لا نحرم التجديف ضد أقدس معتقداتنا. وكرئيس لهذا البلد، وكقائد أعلى للقوات المسلحة، أقبل أن يقوم الناس بوصفي بأقبح التسميات في كل يوم (ضحك))، ومن ثم فهو يطبع الحدث الذي أدى إلى إثارة المسلمين، وقاد جماعات منهم إلى العنف. ويختمه بالضحك حين تحدث عن نفسه شخصيا، وكأنه يقول ينبغي أن يقابل مثل هذا الحدث بالضحك والسخرية وليس بالعنف والرفض.

كما أن الخطاب لم يستبعد حجج الطرف الآخر في جداله، ويغلب عليه النقاش (الحجاجي)، فهو يتحدث في أكثر من فقرة عن الفلم السيء وعن حرية التعبير، ويعرض وجهة الطرف الآخر، ولكنه يرفضها، فالفلم المسيء مرفوض وباعث على السخرية وليس على العنف والتطرف، وينبغي أن يقابل بالتسامح. وأما حرية التعبير فإنه يتناولها بمنظورين، منظور قيمي، ومنظور تقني، فالمنظور القيمي يرفض تكميم الأفواه، ويتحدث عن أن مبادئ أمريكا قامت على حماية حرية التعبير مهما كانت، والمنظور التقني يتحدث عن أن البشرية في عصر تدفق المعلومات لا يمكنها الحد من حرية التعبير ونشر المعلومة، ومن ثم فلا ينبغي تحميل أمريكا وزر الفلم.

(خطاب وزيرة الخارجية):

أما في (في خطاب وزيرة الخارجية) فقد جاء الحدث مجردا – كما أشرتُ آنفا – من الظروف السياقية التي أدت إليه، وهذا التجريد يعني أنه يرفض أي تبرير أو شرعنة تقود إلى الحدث. وحتى عندما أشار إلى بعض الظروف السياقية فإنما كان بصيغة الهجوم والرفض (حاول البعض تبرير هذا السلوك الشرير).

وقد ربطت وزيرة الخارجية في خطابها بين هذا الحدث وحدث آخر (١١ سبتمبر ٢٠٠١م):

> وإنه من المؤسف حقا أن هذا الهجوم حدث في ١١ أيلول/ سبتمبر. إنه يوم ذكرى تعني الكثير لجميع الأميركيين. إننا نتذكر في ذلك اليوم من كل عام أن عملنا لم ينتهِ بعد، وأن وظيفة وضع حد للعنف والتطرف وبناء عالم آمن ومستقر لا تزال مستمرة. ولكن يوم ١١ أيلول/ سبتمبر يعني أكثر من ذلك. إنه يوم نتذكر فيه الآلاف من الأبطال الأميركيين، والروابط التي تجمع سائر الأميركيين، أينما كانوا على وجه هذه الأرض، والقيم التي ترعانا خلال كل عاصفة. واليوم سوف نتذكر شون، وكريس، وزملاءهم.

فالحدث إذن يأتي في سياقين، الأول: يذكر الأمريكيين ببطولاتهم، ويخلدها لهم، ويربطهم بقيمهم، ويؤكد لهم أن مهمتهم التحريرية في العالم لم تنته بعد، وأن رسالتهم ما زالت مشرعة الأبواب، ومن ثم فعليهم أن يدركوا أن تضحياتهم تأتي في هذا السياق.

أما السياق الثاني، فإنه يذكر الأمريكيين بأعدائهم، وهم مجموعات إرهابية، تمارس العنف والتطرف، ولا تواجههم مباشرة، ولكنها تتحين الفرص، ومن ثم فهو عدو غير ظاهر، وهذا يتطلب بذل مزيد من الجهود واليقظة للقضاء عليه.

كما أن هذا التسييق يحول (١١ سبتمبر) من تاريخ إلى أيقونة زمنية، تكون معروفة بمجرد ذكرها، ولذلك لا يذكر العام (لريقل: ١١ سبتمبر ٢٠٠١)؛ فكأن الحادي عشر من سبتمبر أصبح مرجعا زمنيا لغيره من الأحداث.

ب - الإطار الاجتماعي:

(خطاب الرئيس الأمريكي):

الحدث: هو الصراع بين قيم التقدم وقيم التأخر، ومن يمثل كلاً من تلك القيم. فالخطاب نقل الحدث من إطاره المعلوماتي الواقعي إلى إطار أيديولوجي، فهو ليس مجرد حدث عابر، ولكنه حدث له دوافعه الدينية والسياسية، ويأتي في سياق كراهية أمريكا والغرب، ورفض قيمها، والذين يرفضون ذلك إنما هم المتطرفون والطغاة والمستبدون.

تمثل هذه الخلفية إطارا يتم النظر من خلاله إلى الحدث، وإلى شخصياته.

> **(إنني أسرد لكم هذه القصة لأن كريس جسّد أفضل ما في أميركا. وتماماً كما فعل زملاؤه في السلك الدبلوماسي بنى جسورًا عبر المحيطات والثقافات، وكان منخرطًا بعمق في نطاق التعاون الدولي الذي تمثله الأمم المتحدة. تصرّف بتواضع، ولكنه أيضًا دافع بقوة عن مجموعة من المبادئ – والإيمان أن بإمكان الأفراد أن يكونوا أحرارًا في تقرير مصيرهم الخاص، والعيش بحرية، وكرامة، وعدالة، وإتاحة الفرص).**

ينظر الخطاب إلى الحدث باعتباره محاولة لهدم الجسور الدولية التي يبنيها كريس وأمثاله، ومحاولة لوضع حد للمواقف التي تتخذها أمريكا في العالم بشأن الدفاع عن الحريات والعدالة...إلخ. وهو ما يؤكده في فقرة أخرى من خطابه (واليوم، يتعين علينا إعادة التأكيد على أن مستقبلنا سوف يحدده أناس مثل كريس ستيفنز- ولا يحدده قتلته). وفي الوقت نفسه يؤكد أن أمريكا لن تستسلم لهذه الإرادة، (وليكن مفهومًا أن أميركا لن تنسحب أبدًا من العالم).

يرى الخطاب أن ثمة تغييرا للواقع، وهو في مصلحة الشعوب، وستقف أمريكا مع هذا التغيير، الذي يجلب للشعوب الحرية والأمن والرفاهية، ويجعل مستقبلها أفضل، وليس مع ذلك التغيير الذي لن يجلب إلا الأمل الكاذب؛ فلا يطعم مسكينا، ولا يعلم جاهلا. ومن ثم فهؤلاء المتطرفون إنما يستخدمون العنف لأنه يحافظ على أهميتهم (ويدرك المتطرفون ذلك لأنهم لا

يملكون أي شيء يقدمونه من أجل تحسين حياة الناس، فالعنف هو الطريق الوحيد للمحافظة على أهميتهم. إنهم لا يبنون، أنهم يدمرون فقط).

ومن ثم فهو يرى أن من يصنع المستقبل ينبغي أن يكون كريس وأمثاله، وتغيير المستقبل لا يضطلع به أصحاب الأمل الكاذب، والمصالح الفاسدة، وقد ردد عبارة (يجب ألا يكون المستقبل ملكًا لـ...) أكثر من خمس مرات. كما ردد كثيرا ألفاظ: التقدم، والمستقبل.

التغيير – كما يبدو في الخطاب – ينبغي أن يكون بالتخلي عن قيم التأخر، كالعنف، والكراهية، والتحريض، وعدم التسامح، والتفرقة، والتعصب، ويعد كل ذلك (سجون الماضي)، وكونها سجونا ينبغي التحرر منها، وعدم الانحباس فيها. والخطاب مليء بالعبارات الدالة على تغيير الواقع، وإعادة رسمه وفق القيم والمبادئ التي يؤمن بها ويرى أنها عالمية.

كما أن حركة التغيير –وفقا للخطاب – ينبغي أن تكون طبيعية، نابعة من الشعوب نفسها، ولا ينبغي أن تفرض من خارجها، ومن ثم فإن الخطاب يفترض أن أمريكا تقوم بدور (القابلة) التي يقتصر دورها على مساعدة الشعوب على ولادة التغيير الديمقراطي: (والآن، اسمحوا لي بأن أكون واضحًا: تمامًا كما أنه لا يمكننا حل كل مشكلة في العالم، فلم ولن تسعى الولايات المتحدة إلى فرض نتائج عمليات التحول الديمقراطي في الخارج).

(خطاب وزيرة الخارجية):

الحدث، هو الهجوم على القنصلية الأمريكية ومقتل أربعة أمريكيين. والفاعلون فيه هم فئتان: المهاجِمون، والمهاجَمون.

أما المهاجَمون – والخطاب ركز عليهم كثيراً – فهم ليسوا سوى ضحية للقيم والمبادئ العالمية، ويصورهم الخطاب على أنهم سعوا في تغيير العالم إلى الأفضل، وتغيير حياة الشعوب الأخرى التي قتلوا فيها، ومن ثم فهم يُثَبّتون سلطة أمريكا القائمة في العالم، سلطة القوة (قوة دافعت دائمًا عن كرامة الإنسان – أعظم قوة عرفها العالم على الإطلاق)، فهي قوة كُرست لخدمة البشرية، وللدفاع عن حقوق الإنسان وكرامته.

وأما المهاجِمون، فليس ثمة دوافع لديهم إلا العنف، والتطرف، وتهديد سلام العالم، وزعزعة استقراره وأمنه. ومن ثم فالحدث لا يستهدف أمريكا فقط، وعلى العالم جميعا أن تهتز ضمائرهم، وأن يدينوا الحدث بأشد عبارات الإدانة.

كما أن المهاجِمين يريدون تغيير العلاقات بين الدول من علاقات صداقة إلى علاقات عداوة، ومن ثم فهم يسعون إلى تغيير الواقع الحالي، وفرض سلطة جديدة، ورسم خريطة جديدة للعلاقات.

تبدو حركة الحدث حركة عنيفة، تتجه نحو التدمير والفوضى، وتنسف معايير الاستقرار العالمي، وتؤدي إلى تأزيم العلاقات (لكن الخطاب يؤكد أن أمريكا لن تسمح بتحقيق المتطرفين لأهدافهم).

ج - الإطار الإجرائي:

ج-١ - الرؤى الموقفية:

(خطاب الرئيس الأمريكي):

تتمحور الرؤى الموقفية في خطاب الرئيس الأمريكي حول بناء أرضية مشتركة، واستبعاد القضايا المختلف عليها، والتركيز في القضايا المتفق عليها، وأيضاً تحويل قضاياه وقيمه إلى قضايا وقيم عالمية. وهو يستخدم في ذلك مجموعة من الاستراتيجيات، منها:

استراتيجية (الشراكة في الخطر):

حيث يصور أن العدو يستهدفهم جميعا، وخطره يصيبهم كلهم، فليست أمريكا وحدها في مرمى نيران العدو، بل العالم أيضاً، ومن ثم فالهجوم على أمريكا يستهدف العالم.

- **ولكن أرجوكم أن تدركوا، أن الهجمات التي نُفذت خلال الأسبوعين الماضيين ليست مجرد اعتداء على أميركا. إنما هي أيضًا اعتداء على المثل العليا نفسها التي تأسست عليها الأمم المتحدة – أي تلك الفكرة أن باستطاعة الناس حل خلافاتهم سلميًا، وأن باستطاعة الدبلوماسية أن تحل محل الحرب، وأنه في عالم مترابط كهذا، لدينا جميعًا مصلحة في العمل في سبيل توفير فرص وأمن أكثر لمواطنينا.**
- **لأننا نواجه خيارًا بين القوى التي من شأنها أن تدفعنا للانفصال عن بعضنا البعض، وبين الآمال التي تتشارك فيها سوية.**

استراتيجية (الشراكة في المصير):

فيتحدث عن أننا كلنا نسكن بيتاً واحداً، نبنيه معا، ونحافظ عليه، ونحميه، ومستقبلنا واحد، كلنا نسعى إلى تحقيقه، وهناك استعداد للعمل معا، والمشاركة من أجل تحقيق غد أفضل.

- واليوم، يتعين علينا إعادة التأكيد على أن مستقبلنا سوف يحدده أناس مثل كريس ستيفنز- ولا يحدده قتلته. واليوم، علينا أن نعلن بصوت عالٍ أن هذا العنف والتعصب لا مكان لهما بين أممنا المتحدة.
- إننا نواجه خيارًا بين وعود المستقبل، أو سجون الماضي. وإننا لا نقوى على تحمل ارتكاب الخطأ فيها. علينا اغتنام هذه اللحظة. وأميركا تقف على أهبة الاستعداد للعمل مع جميع الذين هم على استعداد لاحتضان مستقبل أفضل.

استراتيجية (الشراكة في الموقف والأفعال):

العبارات المستخدمة تبين أن ثمة شراكة في المواقف والأفعال، وأنه لا يوجد اختلاف، ومن ثم فلا داعي للنزاع، بل ينبغي استثمار هذه الشراكة وتوفير الحماية المناسبة لها، وتأكيد التعاون في المجالات المختلفة. كما يجب أن تكون مواقفنا إزاء ما يهددنا جميعا واحدة، وأن نشترك جميعا في ذلك:

- لقد أوضحت تمامًا أن حكومة الولايات المتحدة لا علاقة لها على الإطلاق بهذا الفيديو، وأعتقد أنه ينبغي على جميع الذين يحترمون إنسانيتنا المشتركة رفض رسالته.
- أعتقد بالفعل أن من واجب جميع القادة في جميع البلدان أن يشجبوا علنًا وبشدة بالعنف والتطرف. لقد حان الوقت لتهميش أولئك الذين يستخدمون كراهية أميركا، أو الغرب، أو إسرائيل، بمثابة مبدأ تنظيمي أساسي للسياسة- حتى عندما لا يلجأون مباشرة إلى العنف. لأن ذلك لا يفعل سوى أنه يمنح غطاءً، ويقدم في بعض الأحيان ذريعة لأولئك الذين يلجأون إلى العنف.

استراتيجية (الشراكة في القيم والمشاعر):

حيث يبين الخطاب أن القيم متماثلة، والمشاعر منسجمة، والطموحات متجانسة، (ما نؤمن به هو ما تؤمن به)، ومن ثم فلا داعي للنزاع.

- لقد ألهمتنا الاحتجاجات التونسية التي أطاحت بأحد الطغاة، لأننا أدركنا أن معتقداتنا تماثل طموحات الرجال والنساء الذين خرجوا إلى الشوارع.
- لقد اتخذنا هذه المواقف لأننا نؤمن بأن الحرية وتقرير المصير لا يقتصران على ثقافة واحدة. وهذه ليست مجرد قيم أميركية أو قيم غربية - إنها قيم عالمية.

- نحن لا نحترم حرية الدين فحسب - إنما أيضًا لدينا قوانين تحمي الأفراد من التعرض للأذى بسبب مظهرهم أو بسبب ما يؤمنون به. إننا ندرك السبب الذي جعل الناس يشعرون بالإساءة من هذا الفيديو لأن الملايين من مواطنينا من بينهم.

استراتيجية (الحديث عن إيجابيات الآخر):

فالحديث عن إيجابيات الآخر، ومحاسنه، وإنجازاته، يوجد جوا من الود والألفة بين الطرفين؛ مما يبني معه أرضية من التفاهم، ويعزز الثقة. كما أنه يعكس الأمور التي يريد المتكلم تعزيزها لدى الآخر، وكأنه يقول له: هذه الأفعال التي ينبغي أن تتصف بها، ففيها سلطة توجيهية.

لقد مر أقل من سنتين على إضرام بائع متجول في تونس النار في نفسه احتجاجًا على الفساد الظالم في بلاده، فأشعل ما أصبح يعرف باسم الربيع العربي. ومنذ ذلك الحين، بات العالم مفتونًا بالتحولات التي حدثت، ودعمت الولايات المتحدة قوى التغيير.

استراتيجية (أرجوك حاول أن تفهمني):

يستخدم الخطاب هذه الاستراتيجية، محاولا إقناع الآخر بحيثيات اتخاذه موقفا ما، وهو يبين للآخر أنه قد لا يشاركه في الموقف، ولكنه يحاول إقناعه على الأقل ليعذره في موقفه، ومن ثم يكون أكثر تفهما له.

إنني أعرف أن هناك بعض الذين يتساءلون لماذا لا يمكننا مجرد حظر عرض هذا الفيديو. الجواب على ذلك مكرس في قوانيننا: دستورنا يحمي الحق في ممارسة حرية التعبير.

والآن أدرك أنه ليس كل البلدان الممثلة في هذه الهيئة تتشارك في هذا المفهوم الخاص حول حماية حرية التعبير. إننا ندرك ذلك. ولكن في العام ٢٠١٢، في وقت يستطيع فيه أي إنسان لديه هاتف محمول أن ينشر وجهات نظر عدائية حول العالم بنقرة زر واحدة، أصبحت فكرة أن بإمكاننا مراقبة تدفق المعلومات فكرة عفا عليها الزمن. والسؤال هنا، هو إذن، كيف يجب أن تكون ردة فعلنا على ذلك؟

استراتيجية (نحن نساعدكم):

يقول المتحدث أنه يساعد الآخرين، ويقف معهم في محنهم، ويشترك معهم في تخطي الصعاب، فله فضل في ذلك، ينبغي أن يكافأ عليه لا أن يعاقب عليه:

- كما تدخلنا في ليبيا إلى جانب تحالف واسع النطاق، وبتفويض من مجلس الأمن الدولي، لأننا كنا نملك القدرة على وقف ذبح الأبرياء، وانطلاقا من إيماننا بأن تطلعات الشعب كانت أقوى من أي طاغية.
- وستقف الولايات المتحدة الأميركية دائمًا إلى جانب هذه الطموحات، وإلى جانب شعبنا نفسه، وإلى جانب الشعوب في جميع أنحاء العالم. كان هذا هو الغرض من تأسيس بلدنا.

استراتيجية (الطريق إلى حل الخلافات):

وأخيرا، فإن المتحدث يفتح بابا للآخر، من خلال تأكيده أن الخلاف بينهم طبيعي، وأن الطريق إلى حله لا يكون بالعنف والعنف المضاد، ولا يكون بالحرب، ولكن باللجوء إلى القانون، ومن ثم فانتهاك سلمية حل الخلاف يعد انتهاكا للقانون الدولي، ولميثاق الأمم المتحدة. أما اللجوء إلى القانون الدولي فهو السبيل لاستمرار العلاقات والتحالفات والشراكات، وللحفاظ عليها.

نحن نعرف من تجاربنا المؤلمة أن الطريق إلى الأمن والرخاء لا تكمن خارج حدود القانون الدولي واحترام حقوق الإنسان. هذا هو السبب الذي نشأت من أجله هذه المؤسسة من تحت أنقاض النزاعات. وهذا هو سبب انتصار الحرية على الطغيان في الحرب الباردة. وهذا هو الدرس المستفاد من العقدين الماضيين أيضًا.

ج-٢- حل النزاع:

يرى الخطاب أن حل النزاع إنما يكون باللجوء إلى القانون الدولي، ومن ثم نستتم ملاحقة الجناة حتى يقبض عليهم، ويسلموا للعدالة. كما يرى أنه ينبغي تخليد أبطال أمريكا الذين ضحوا بحياتهم من أجل الآخرين، وعلى العالم أن يتذكرهم وأن يخلدهم كأبطال، وليس أمريكا فحسب. وأخيرا فإنه يؤكد أن أمريكا لن تنسحب من العالم ولن تحقق أهداف (القتلة)، بل ستستمر، وأن على العالم أن يوفر الحماية المناسبة لمنشآتها، ولمواطنيها.

- لا ينبغي أن يكون هناك أدنى شك في أننا لن نألو جهدًا في تعقب القتلة وتقديمهم للعدالة.
- واليوم أتعهد لكم بهذا: بعد فترة طويلة من جلب هؤلاء القتلة إلى العدالة، سوف يبقى تراث كريس ستيفنز حيًّا في حياة الناس التي لامسها - في عشرات الآلاف الذين ساروا

ضد العنف في شوارع بنغازي، وفي الليبيين الذين وضعوا على صفحاتهم على موقع فيسبوك صورة كريس بدلا من صورهم، وفي لافتات كتب عليها، ببساطة، "كريس ستيفنز كان صديقا لجميع الليبيين".

(خطاب وزيرة الخارجية):

أما خطاب وزيرة الخارجية، فتتحدد الرؤية الموقفية من الحدث في (الإدانة)، معتبرة أن رفض هذا الحدث يمثل أرضية مشتركة عالمية، لبناء التحالفات ضد العنف والتطرف، الذي يستهدف أمن العالم واستقراره. ومن ثم تعلن أن ثمة إدانة للحدث من الحكومة الليبية، وأن الحكومة الليبية شريكة للحكومة الأمريكية في الموقف من العنف والتطرف. كما أن الخطاب يستخدم كثيرا لغة التجريم، تجريم الفعل والتحريض الدولي على الفاعلين.

كما يحدد الخطاب الشكل الذي يتخذه لمواجهة الحدث، وهو: ملاحقة المعتدين حتى يتم القبض عليهم وتسليمهم للعدالة. ويتزامن هذا مع توفير الحماية القصوى للمواطنين الأمريكيين.

ثانيا: خطاب الجهات الإسلامية

أ - الإطار السياقي

أ-١ - سيناريو الحدث

أ-١-١ - السيناريو العام:

تتمحور هذه الخطابات حول حدثين، الأول: اعتبار أن الحدث الحقيقي هو الإساءة للإسلام والتحريض ضد المسلمين، وردود الفعل كانت نتيجة لهذا العامل. والحدث الثاني: الصراع بين قيم العنف والسلام.

وتركز هذه الخطابات في أمرين هما، الأول: أن العنف الذي أدى إلى مقتل السفير الأمريكي مدان، ولكنه جاء كرد فعل لاستفزازات مشاعر المسلمين، والثاني: أن مفهوم حرية التعبير لا يعني التحريض ضد الأديان وانتهاك مقدساتها.

وحول هاتين النقطتين يختلف منظور الخطاب الأمريكي الذي يعتبر أن الحدث الأساس هو الهجوم ضد أمريكا، وضد قيمها، وأن ردود الفعل ضد الفلم المسيء مبالغ فيها، وأن حرية التعبير لا حد لها.

أ-١-٢- الشخصية:

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: جدد الاجتماع تصميم المشاركين على مكافحة قوى التعصب وكراهية التنوع، وعلى عزمهم الأكيد على تعزيز ثقافة السلام واحترام التعايش في ظل التنوع. ودعا الاجتماع الناس كافة، على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم وخلفياتهم الثقافية إلى الاحتفاء بالتنوع بوصفه وسيلة للتعايش السلمي بروح من التفاهم والتسامح والاحترام المتبادل.

يبدو في هذا الخطاب صراع الشخصيات وما تحمله من خلفيات ثقافية وقيم ومعتقدات؛ فهنالك الشخصية المقيتة (قوى التعصب وكراهية التنوع، والتي تستخدم أشكال التطرف والإرهاب). وهنالك الشخصية التي تكافح قوى التعصب، وتعزز ثقافة السلام وتحترم التعايش، وتشجع التسامح والتفاهم، وهي الشخصية التي يمثل الخطاب نفسه بها.

من بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: ويعتبر الاتحاد قيام أفراد من أقباط المهجر بعمل (الفيلم) المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم، عملية تحريضية شائنة، تذكي التعصب والكراهية بين الشعوب وتعتبر هذا العمل إهانة واستهتاراً بمشاعر المسلمين في العالم الإسلامي كله.

فهو يرى أن الشخصية التي تحرض على التعصب والكراهية والعنف إنما هي تلك الفئة التي تستفز مشاعر المسلمين.

من بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: يدعو الاتحاد المواطنين المسلمين في أمريكا وفي العالم كله إلى رفع دعاوي على الجهات المسؤولة وكل من ساهم في انتاج هذا العمل، وبالبدء فورا في الملاحقة القانونية لكل من يسيئ إلى الإسلام، لأنه لا يمكن ادراج هذا العمل القبيح تحت حرية التعبير، وانما هو انتهاك لحقوق المسلمين بالاعتداء على مقدساتنا ورموزنا.

من بيان هيئة كبار العلماء: إن ردود الفعل الإسلامية يجب أن تتسم بالحكمة، وأن تزيد من إيضاحها لحقائق الإسلام ومقدساته ورموزه، وأن تبتعد عن أخذ البريء بذنب المُسيء.

يرى الخطاب أن شخصية المسلم هي شخصية المتسامح المسالم، ومن ثم فهي شخصية لا تلجأ إلى العنف لحل قضاياها، ولو استفزت مشاعرها، إنما تلجأ إلى القانون لنيل حقوقها، ولإيقاف خصومها.

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: أكد الاجتماع أن جميع حقوق الإنسان هي في طبيعتها حقوق عالمية غير قابلة للتجزئة ومترابطة ولا يمكن الفصل بينها، آخذا في الاعتبار أهمية الخصوصيات الوطنية والإقليمية ومختلف الخلفيات التاريخية والثقافية والدينية. وشدد الاجتماع على ضرورة أن يتعامل المجتمع الدولي مع جميع قضايا حقوق الإنسان بطريقة موضوعية ومحايدة وغير انتقائية. كما دعا إلى ضرورة اعتبار حقوق الإنسان جميعها بمفهومها الشامل ومن جميع جوانبها المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي إطار التعاون والتضامن الدوليين والقانون الدولي لحقوق الإنسان وصكوك القانون الدولي لحقوق الإنسان ذات الصلة.

من كلمة الرئيس المصري في جمعية الأمم المتحدة: إن النظام الدولي لن يستقيم طالما بقيت ازدواجية فى المعايير ونتوقع من الآخرين.. مثلما يتوقعون منا.. احترام خصوصياتنا الثقافية ومرجعيتنا الدينية وعدم السعي إلى فرض مفاهيم لا نتفق معها أو تسييس قضايا بعينها وتوظيفها للتدخل فى شئون الغير. إن ما يتعرض له المسلمون والمهاجرون فى عدد من مناطق العالم من تمييز وانتهاك لحقوقهم الأساسية وحملات ضارية للنيل من مقدساتهم أمر غير مقبول.. إنه يتعارض مع أبسط مبادئ ميثاق المنظمة التى نجتمع فى ظلها اليوم حتى أضحى الآن ظاهرة لها اسم كراهية الاسلام.

يبدو في هذا الخطاب شخصية المجتمع الدولي، ذات معايير مزدوجة، تتعامل مع القضايا بازدواجية وانتقائية، فالمجتمع الدولي يؤمن ببعض الحقوق ويكفر ببعض.

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: دعا الاجتماع الدول الأعضاء كافة والمجتمع الدولي إلى ضرورة التصدي لإنتاج وترويج المواد الإعلامية التي تسيء إلى الديانات السماوية المقدسة ورموزها، وذلك عبر المؤسسات والآليات الدولية، وعلى ضرورة احترام التنوع الديني والثقافي في العالم، مشدداً على المبادئ التي تضمنتها مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود للحوار بين أتباع الديانات والثقافات والتي تبناها مؤتمر مدريد للحوار عام ٢٠٠٨ بعدم الإساءة للديانات ورموزها.

والخطاب يدعو المجتمع الدولي إلى أن يكون شخصية متوازنة منطقية، تتصدى بعدالة لأعمال العنف والتعصب والكراهية، وتضطلع بمسؤولياتها، وتبذل الجهود للحيلولة دون تنامي ظواهر العنف. ومن ثم فهو يرى المجتمع الدولي شخصية واقعية غير مرغوبة، وشخصية يؤمل منها أن تكون عند قدر المسؤولية.

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: أعرب الاجتماع عن جزعه وانشغاله إزاء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا والإساءة الممنهجة للإسلام والتمييز ضد المسلمين، وأدان بشدة الأحداث المعادية للإسلام والمسلمين مثل إحراق المصحف وحظر بناء المآذن والتهجم على الأنبياء والشخصيات المقدسة، ومنع استخدام الرموز الدينية وفرض حظر عليها، وغيرها من التدابير التمييزية.

من بيان هيئة كبار العلماء: إن مصدر هذه الإساءات ليسوا هم الناس العاديون، سواء في الغرب أو الشرق، وإنما المصدر هي مؤسسات الهيمنة الاستعمارية، التي يجاهدها الإسلام لكسر شوكة هيمنتها واستعمارها واستغلالها في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ومع هذه المؤسسات السياسية الصهيونية وأجهزة الإعلام التي ترتزق من الكذب وصناعة الصور الزائفة عن الرموز والمقدسات الإسلامية.

فهو يبين أن ثمة شخصية تغذي التعصب والتطرف، وتمتهن خطاب الكراهية ضد المسلمين، وضد رموزه ومقدساته، ومن ثم فهي لم تعد مجرد شخصية تتصرف تصرفات عفوية، بل إن تصرفاتها ممنهجة، تنفخ نار التحريض ضد المسلمين (فيما يعرف بظاهرة "الإسلاموفوبيا").

أ-١-٣- الأحداث:

تكاد تتفق هذه الخطابات في عرضها للظروف السياقية والتراكمية التي أدت إلى الحدث الرئيس، فالحدث الرئيس ليس الهجوم على أمريكا، ولكنه الهجوم على الإسلام ومقدساته، وهذا الحدث تغذيه رعاية دولية ومؤسسية، وتراكم تاريخي يتسم بالكراهية ضد المسلمين، وخطابات تحريضية تدعو إلى انتهاك خصوصيات المسلمين وحقوقهم، وقد حققت أغراضها، فمظاهر العنف ليست هي الأحداث ولكنها نتيجة لتلك الأحداث، وستستمر هذه النتائج طالما استمرت مقدماتها.

وفيما يلي نموذج بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر: (الملحق رقم: ٤).

يبدأ بالظروف السياقية مستخدما لفظ (مسلسل الإساءات المتكررة إلى الإسلام)، فهو ليس حدثا جديدا، وإنما حلقة في مسلسل، ينتج هذه الأحداث باستمرار. ثم يتحدث عن ردود الفعل (الحكيمة والغاضبة)، فثمة ردود فعل مختلفة، بعضها حكيم وبعضها غاضب (وليس عنيفا)، ثم انتقل إلى الحديث عن الفاعل، فكما أن الفعل هو حلقة من مسلسل، فكذلك الفاعل هو منتِج ذو دوافع خبيثة يهدف إلى كسر شوكة الإسلام، والمنتجون مؤسسات دولية. ثم تحدث عن ردود الفعل وكيف ينبغي أن تكون، ويقدم توجيهات إلى مختلف المسلمين بالتحلي بالحكمة والأناة، ومعالجة الموضوع بتعقل، ومقابلة السيئة بالحسنة.

أما بيان منظمة التعاون الإسلامي (الملحق رقم: ٥)، فقد بدأ ببيان الموقف تجاه الحدث، وهو مكافحة قوى التعصب، وترسيخ ثقافة السلام والمحبة، وتعزيز لغة الوسطية، واتهم ضمناً المجتمع الدولي بأنه يمارس الازدواجية، وهذا يعني أنه يرعى لغة الكراهية تجاه المسلمين؛ مما أدى إلى تنامي ظاهرة (الإسلاموفوبيا). كان هذا يمثل الظرف السياقي والتراكمي للحدث الرئيس، ثم انتقل إلى الحدث الرئيس وهو (الفلم المسيء)، فأدانه مباشرة، واستنكر ردود الفعل التي أدت إلى مقتل (بعض العاملين في هذه البعثات). ثم انتقل إلى حشد رأي المجتمع الدولي للوقوف في وجه تنامي خطاب الكراهية والإساءة للأديان، واعتبر أن حرية التعبير لا تعني انتهاك خصوصيات الآخرين ومشاعرهم.

فالخلاصة أن الحدث في الخطاب الإسلامي هو الفلم المسيء، الذي جاء في ظروف سياقية مهيئة له بيئة خصبة من الكراهية ترعرع فيها.

أ-١-٤- العواطف:

> **من بيان منظمة التعاون الإسلامي: أعرب الاجتماع عن أسفه لسوء استخدام أية ديانة لاقتراف أعمال الكراهية والتحريض والعنف.**
>
> **أيضا: أعرب الاجتماع عن جزعه وانشغاله إزاء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا والإساءة المنهجة للإسلام والتمييز ضد المسلمين، وأدان بشدة الأحداث المعادية للإسلام والمسلمين مثل إحراق المصحف وحظر بناء المآذن والتهجم على الأنبياء والشخصيات المقدسة، ومنع استخدام الرموز الدينية وفرض حظر عليها، وغيرها من التدابير التمييزية.**

تبدو العواطف السلبية مقترنة بسوء استخدام حرية التعبير، وبتصعيد خطاب الكراهية ضد المسلمين، واتخاذ الإجراءات التمييزية في حقهم، والاستهانة بمشاعرهم ومقدساتهم، فمثل هذه

الأفعال يعبر عنها الخطاب بعواطف يغلب عليها القلق والتخوف. أما العواطف الإيجابية فيخلو منها الخطاب، فلا يتحدث عن الأمل أو المستقبل أو التغيير المنشود... إلخ.

أ-٢- تسييق الحدث:

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: أعرب الاجتماع عن جزعه وانشغاله إزاء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا والإساءة المنهجة للإسلام والتمييز ضد المسلمين، وأدان بشدة الأحداث المعادية للإسلام والمسلمين مثل إحراق المصحف وحظر بناء المآذن والتهجم على الأنبياء والشخصيات المقدسة، ومنع استخدام الرموز الدينية وفرض حظر عليها، وغيرها من التدابير التمييزية.

وفي خطاب الرئيس المصري أمام جمعية الأمم المتحدة: إن ما يتعرض له المسلمون والمهاجرون في عدد من مناطق العالم من تمييز وانتهاك لحقوقهم الأساسية وحملات ضارية للنيل من مقدساتهم أمر غير مقبول.

جاء تسييق الحدث في سياق ظاهرة (الإسلاموفوبيا)، والإساءة المنهجة المنظمة للإسلام، والحملة التحريضية ضد المسلمين. وتكاد تتفق كل الخطابات على هذا التسييق.

في بيان هيئة كبار العلماء: يجب أن يتحلى العقل المسلم بالوعي والرؤية الموضوعية لحقيقة هذا المشكل القديم والجديد بل والمتجدد، فتزييف صورة الإسلام ورموزه ومقدساته أمر قديم، بدأ مع ظهور الإسلام، بل هو سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، تحدث عنها القرآن الكريم عندما قال: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين). وقد أثبت التاريخ أن تصاعد هذه العداوة للإسلام والتزييف لصور رموزه ومقدساته قد كان، ولا يزال، مرتبطًا بصعود الإسلام وزيادة انتشاره، كما هو حادث الآن، فيما وراء عالم الإسلام.

فهذا البيان يسيق الحدث تاريخياً؛ حيث يبين أن هذه الإساءة ليست جديدة، وتصاعدها يرتبط بانتشار الإسلام.

في بيان اتحاد علماء المسلمين: إن هذه الدعوة لن تنال أبداً من عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي شهد الله له بالخلق العظيم، وأنه "رحمة للعالمين" وأنه السراج المنير، وشهد العقلاء من العالم أجمع بعظمته حتى إن بعض المؤلفين الأمريكيين حصروا عظماء

العالم على مر التاريخ في مائة شخصية، أولهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكما أنها لن تنال من دعوته التي تنتشر في الآفاق ولن تصبح حاجزاً امام ضيائها ونورها المبين.

يأخذ تسييق الحدث في هذا الخطاب بعدا آخر، في ضوء الرد عليه، حيث اعتبر الفعل إساءة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شهد له القرآن الكريم، وشهد له (عقلاء) العالم، ومنهم الأمريكيون المنصفون، ومن ثم فمثل هذا العمل لن يضر نبي الإسلام.

ومن ثم فهذا التسييق يعطي المبرر الضمني لردود الفعل الغاضبة من المسلمين، فهي ليست مجرد ردود فعل على فلم مسيء، ولكن على إساءات ممنهجة، صبر المسلمون عليها طويلا. وهذا يضع الغرب (ولا سيما أمريكا) في دائرة الاتهام، بأنها تدعم تلك الجهات المسيئة.

وإن كان صريح الخطاب يدعو الجماهير إلى عدم الانجرار للعنف، والحكمة في الرد على هذه (التفاهات) (في خطاب الرئيس المصري أمام جمعية الأمم المتحدة: لكننا في نفس الوقت نقف بحزم ضد اللجوء إلى استخدام العنف في التعبير عن رفض تلك السفاهات).

ب - الإطار الاجتماعي:

الحدث – كما في الخطاب- هو الإساءة إلى الإسلام، والفلم المسيء للنبي صلى الله عليه وسلم هو مجرد حلقة في مسلسل الإساءة الممنهجة، ومن ثم فدافع القائمين عليه هو (العدوان)، وتتمثل سلوكيات هذا الدافع في إهانة المسلمين واستفزاز مشاعرهم، والاعتداء عليهم وعلى مقدساتهم، وانتهاك حرماتهم.

في بيان هيئة كبار العلماء: إن ردود الفعل الإسلامية يجب أن تتسم بالحكمة، وأن تزيد من إيضاحها لحقائق الإسلام ومقدساته ورموزه، وأن تبتعد عن أخذ البريء بذنب المُسيء... يجب أن يتحلى العقل المسلم بالوعي والرؤية الموضوعية لحقيقة هذا المشكل القديم والجديد بل والمتجدد،... كما توصي الهيئة بزيادة الجهود التي تُعَرف بحقيقة الإسلام، وبالتواصل مع الجاليات والمراكز الإسلامية في الغرب، لإيصال هذه الحقيقة إلى البلاد التي تصدر منها هذه الإساءات، وستبادر الهيئة إلى ذلك.... كما تدعو الهيئة جماهير الأمة الإسلامية إلى الحرص على ألا يتجاوز الغضب المشروع لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، حدود الآداب والشمائل الإسلامية، وذلك حتى لا نأخذ البريء بذنب المُسيء، ولا نُسيء إلى الوحدة الوطنية لشعوب أمتنا، فنحقق دون أن ندري مقاصد الأعداء من وراء هذه الإساءات الخبيثة.

يعتبر الخطاب المسلمين مجنياً عليهم، أو معتدَىٰ عليهم، وردود أفعالهم هي دفاع عن النفس، ومن ثم يمتلئ الخطاب بالتوجيهات التي تحاول أن تُقوّم تصرفاتهم وردود أفعالهم، وتنقلها من رد الفعل إلى الفعل.

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: وطلب الاجتماع من الأمين العام مواصلة مبادرات المنظمة للتصدي بفاعلية للحملات والدعاية المعادية للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال المناقشات والمداولات في مختلف المحافل الدولية. ودعا الاجتماع إلى خلق وعي عالمي بالانعكاسات الخطيرة لتنامي مثل هذه الحملات والدعاية على السلم والأمن الدوليين، وناشد كذلك المجتمع الدولي لإبداء إرادته السياسية الجماعية لمعالجة هذه المسألة على نحو عاجل.

يرى الخطاب أن العنف يقع وزره على الفاعلين (المعتدين)، وهم يتحملون مسؤولية ما يترتب على عدوانهم على المسلمين. كما يعتبر الخطاب أن ثمة ازدواجية في التعامل الدولي ومفاهيم مغلوطة يجب تصحيحها، (وسأتناول هذا في الإطار الإجرائي).

وبهذا فإن الإساءة الممنهجة للإسلام هي ما تدمر السلم والأمن الدوليين، وهي ما تبعث على العنف والعنف المضاد، وهي التي تقوض البناء والتعاون الدولي، وتؤدي إلى تأزيم العلاقات الاجتماعية.

ج - الإطار الإجرائي:

ج-١ - الرؤى الموقفية:

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: عبر الاجتماع عن إدانته لإنتاج وعرض الفيلم المسيء لشخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من قبل مجموعة غير مسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية، واستنكر بشدة أعمال العنف التي وقعت ضد عدد من البعثات الدبلوماسية حول العالم والتجاوزات غير المسؤولة والتي راح ضحيتها بعض العاملين في هذه البعثات.

يبين الخطاب الموقف من قضايا عدة، ويأتي في أبرزها الموقف من التعصب والعنف والكراهية والعنف، وهو رفضها ومكافحتها، ومواجهةالقوى التي تغذيها. ومن ثم يقف موقف الإدانة

لمختلف القضايا المسيئة للإسلام والمسلمين، والتدابير التمييزية ضدهم. كما استنكر أعمال العنف ضد البعثات الدبلوماسية، واعتبر أن من يسيء غير مسؤول، وكذلك من يقترف أعمال العنف غير مسؤول أيضا،

من بيان منظمة التعاون الإسلامي: أولى الاجتماع أهمية قصوى لتعزيز الحق في حرية التعبير وحمايته، كما نصت عليها صكوك القانون الدولي لحقوق الإنسان. وأكد الاجتماع كذلك أن القانون الدولي لحقوق الإنسان ينص على أن ممارسة الحق في حرية التعبير تنطوي على واجبات ومسؤوليات خاصة، وبالتالي فهي قد تخضع لبعض القيود التي نص عليها القانون والضرورية لاحترام حقوق الآخرين وسمعتهم، وحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة والأخلاق العامة. وشدد الاجتماع كذلك على ضرورة منع سوء استخدام حرية التعبير وحرية الصحافة بغرض الإساءة للإسلام وباقي الديانات السماوية.

فالخطاب في المقابل يؤكد موقفه تجاه السلام والاحترام والتعاون والتعايش، وذلك بانتهاج الطريق إليها، وتعزيز ثقافتها، وترسيخها، والدعوة إلى التعاون في إحلالها.

كما يؤكد الخطاب موقفه من حرية التعبير، فهو يرفض الحرية المطلقة، التي تعني حرية الإساءة للآخرين ومعتقداتهم.

من كلمة الرئيس المصري في جمعية الأمم المتحدة: إن علينا جميعا أن نتكاتف فى التصدي لتلك الأفكار الرجعية التي تقف حائلا أمام تشييد أواصر التعاون بيننا.. إن علينا التحرك سويا في مواجهة التطرف والتمييز.. في مواجهة الحض على كراهية الغير على أساس الدين أو العرق.. إن على الجمعية العامة وكذلك على مجلس الأمن مسئولية رئيسية في التصدى لهذه الظاهرة التى أصبحت لها تداعيات تؤثر بوضوح على السلم والأمن الدوليين. إن الأعمال المسيئة التى نشرت مؤخرا في حملة منظمة للمساس بمقدسات المسلمين أمر مرفوض ويجب علينا ونحن مجتمعون فى هذا المحفل الدولى أن نتدارس كيف نستطيع جميعا أن نحمى العالم من زعزعة أمنه واستقراره.

تبدو في هذا الخطاب بعض الرؤى الموقفية، وهي الشراكة في اتخاذ المواقف، والتصدي للخطر، وبناء المستقبل، ويظهر ذلك في إطلاق الدعوات للجهات الدولية المختلفة في التعاون في القضاء على التعصب.

ج-٢- حل النزاع:

الحدث – كما ذكرتُ سابقا – هو الإساءة للإسلام، وبالأخص الفلم المسيء للنبي صلى الله عليه وسلم. والإجراءات التي يطرحها الخطاب الإسلامي هي (الدعوة)، و(المناشدة) و(التوصية)... لا يوجد وعد بفعل جازم، بالرغم من أن منظمة التعاون الإسلامي تمثل دول العالم الإسلامي، ولكن كل ما يمتلكه الخطاب الإسلامي هو الدعوة والمناشدة. مع بعض الاختلاف في الجهات الموجه إليها الخطاب،

فمنظمة التعاون الإسلامي توجه مناشدتها ودعوتها إلى المجتمع الدولي، كما في النموذج التالي:

> **من بيان منظمة التعاون الإسلامي: دعا الاجتماع الدول الأعضاء كافة والمجتمع الدولي إلى ضرورة التصدي لإنتاج وترويج المواد الإعلامية التي تسيء إلى الديانات السماوية المقدسة ورموزها، وذلك عبر المؤسسات والآليات الدولية، وعلى ضرورة احترام التنوع الديني والثقافي في العالم.**

وأما اتحاد علماء المسلمين فيوجه دعوته ومناشدته إلى المجتمع المسلم:

> **من بيان اتحاد علماء المسلمين: يدعو الاتحاد المواطنين المسلمين في أمريكا وفي العالم كله برفع دعاوي على الجهات المسؤولة وكل من ساهم فى إنتاج هذا العمل، وبالبدء فورا في الملاحقة القانونية لكل من يسيئ إلى الإسلام، لأنه لا يمكن إدراج هذا العمل القبيح تحت حرية التعبير، وانما هو انتهاك لحقوق المسلمين بالاعتداء على مقدساتنا ورموزنا.**

وأما هيئة كبار العلماء فتوجه توصيتها إلى الجهات الأكاديمية المسلمة:

> **من بيان هيئة كبار العلماء: لذلك، فإن هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف تناشد مؤسسات العالم الإسلامي بالتداعي لدراسة ظاهرة العداء والإساءة للإسلام ورموزه ومقدساته، لتحديد مصادرها، والعوامل التي تغذيها وتحركها، والسبل الفكرية التي تدفع السيئة بالحسنة (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).**

المبحث الرابع: الإطار الظري في: المكان والزمن

- المطلب الأول: مدخل نظري
- المطلب الثاني: تحليل نموذج (ميناء عدن)

المطلب الأول: مدخل نظري

هذا المبحث يعنى بتحليل تمثيل الحدث الاجتماعي في خطاب النزاع، من خلال الإطار الظرفي (أي: المكان والزمن).

يركز تحليل الإطار الظرفي في الفضاء الزمني والمكاني في الخطاب، وهو يعنى بالبناء الإدراكي والاجتماعي لهما.

أولاً - المنظور الإدراكي:

أما المنظور الإدراكي، فإن الناس يمثلون الزمن اعتمادا على الاستعارات المكانية، ويندر أن يمثلوا الزمن بعيدا عن استعارات المكان (Boroditsky, 2011, p334). وقد أجرى كاساسنتو (casasanto, 2010, p464) دراسات تجريبية على مجموعة من الناطقين باللغة الإنجليزية، حيث تبين أنهم يتحدثون عن الزمن من حيث المكان غالبا، ويحدث العكس ولكنه أقل. وهذا يؤيد الفرضية التي يطرحها بعض الباحثين أن العلاقة بين الزمن والمكان غير تناظرية، بمعنى أن "الزمن" غالبا هو المجال الهدف للتمثيل المفهومي، و"المكان" هو المجال المصدر[1].

ويرى لايكوف (Lakoff, 1993, p216) أن الزمن يُمثَّل في الإنجليزية على أساس الأشياء (تشمل الذوات والمواضع)، والحركة. فالأزمنة أشياء، ومرورها حركة، ويتمثل المستقبل على أنه أمام المدرِك، والماضي على أنه خلفه. وتصورنا للزمن على أنه حركة يستتبعه أن الزمن خط مستمر (أحادي البعد)، ومن ثم له رأس وخلف وأمام. كما ينتج عن ذلك أن الزمن له امتداد ويمكن قياسه كالمكان؛ فله طول وعرض وارتفاع.

وتمثيل الناس للزمن يعتمد على الطريقة التي يتحدثون بها عنه، وفقاً للاستعارات المفاهيمية في لغاتهم. ويختلف الناس في مختلف الثقافات في التفكير بالزمن؛ وفق خمسة محاور، هذه المحاور تبين الإطار الإدراكي للزمن (Boroditsky, 2011, p334-338) وهي:

---

(١) المجال المصدر هو المجال المأخوذ منه التمثيل المفهومي، أما المجال الهدف فهو المجال الذي نمثله اعتمادا على غيره، أو بعبارة المناطقة: المجال الهدف هو الموضوع، والمجال المصدر هو المحمول. فمثلا: (الحياة رحلة)، الرحلة هي المجال المصدر، والحياة هي المجال الهدف. ونحو: الزمن بضاعة، فالزمن مجال هدف، والمال (بضاعة) هو المجال المصدر.

الأول: محور الاتجاه. هل الزمن أفقي أو عمودي؟ وإلى أين يتجه؟ (الأفقي: أمام - خلف، والعمودي: فوق - تحت). ففي الإنجليزية يُمثَّل المستقبل على أنه: أمامنا، وفي اللغة الأيمارية (لغة بوليفيا وتشيلي بأمريكا الجنوبية) يُمثَّل على أنه: خلفنا، وفي لغة الماندراين الصينية يُمثَّل على أنه: تحتنا. وعليه فالناطقون بالإنجليزية والأيمارية يمثلون الزمن أفقيا، وأما الناطقون بالماندرينية فينظرون إلى الزمن على أنه عمودي (فوق - تحت)، ومن ثم فالمستقبل تحتنا، ويصفون الأحداث وفق هذا المحور، فالحفلة القادمة (يقولون عنها: الحفلة تحتنا)، والماضية (فوقنا)... إلخ[1].

الثاني: محور الحركة: هل الزمن متحرك أو ثابت؟ فالناس يدركون الزمن، إما أنهم يتحركون من خلاله، أو أنه يتحرك من خلالهم (في حال الحركة: الخط الزمني يتحرك باتجاه الأحداث، نحو: الأوقات الصعبة تقترب منا، مرت العطلة الصيفية)، (أما حال الثبوت، فالخط الزمني ثابت، والأحداث أو الأشياء تتحرك عبره، نحو: نحن مقبلون على الصيف). وتشير الدراسات إلى أن الطرق والتمثيلات التي تحكم الحركة عبر المكان هي نفسها التي تحكم الحركة عبر الزمن (Ramscar, et all, 2009, p3).

ويرى إيفانس (Evans, 2007b, 755) أن هناك ثلاثة نماذج تتعلق بارتباط الزمن بالحركة، وهي: حركة الزمن خلال الأشياء، وحركة الأشياء خلال الزمن، (كالأمثلة السابقة)، والنموذج الثالث: نموذج التسلسل الزمني (The temporal sequence model)، ويقصد به أن الأحداث الزمنية تُدرَك في ضوء تعاقبها الزمني، والتعاقب الزمني حركة باتجاه واحد، ذات إطار زمني عام، تتسلسل عناصره داخل الإطار، نحو: أيام الأسبوع، وشهور السنة، والعطلات الموسمية. وثمة علاقات بين حركة العناصر داخل الإطار الزمني، هي: علاقة سابق/ لاحق (أو: متقدم/ متأخر). وتبين هذه العلاقة أن هناك أحداثا قد وقعت من قبل (فهي أحداث متقدمة لأحداث أخرى)، أو أن هناك أحداثا وقعت أو ستقع بعد (فهي أحداث متأخرة عن أحداث أخرى). وحركة الأحداث تدل على أن ثمة وعياً بمرور الوقت، فثمة سابق ولاحق. فنحو: حان دور المتسابق التالي (لا يفهم إلا في إطار تعاقب زمني). ويعبر عنها بالأفعال: يسبق/ يتبع، والظروف:

---

(١) وفي اللغة العربية يمثل المستقبل غالباً على أنه (أمام)، وقد جاء في القرآن الكريم تمثيله على أنه (وراء)، كقوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ (سورة إبراهيم ١٦)، وقوله: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ (سورة الجاثية ١٠)، وقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ (سورة مريم ٥)، وقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة المؤمنون ١٠٠)، وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (سورة هود ٧١)، وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (سورة الكهف ٧٩)، وقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (سورة الإنسان ٢٧). كما مثل الماضي انه وراء، كما في قوله: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (سورة الحديد ١٣).

قبل/ بعد، وأيضاً: أمام/ خلف. نحو: مضىٰ شهر فبراير (يقوله المتحدث وهو في شهر مارس، ومن ثم فهو يتصور أن فبراير خلف مارس).

الثالث: محور الاتجاه. هل يتجه الزمن من اليمين إلى اليسار أو العكس؟ وقد بين بعض الباحثين أن الناس تربط إدراك اتجاه الزمن باتجاه الكتابة لديهم، فالذين يكتبون من اليسار إلى اليمين (كالإنجليزية) يدركون الزمن كذلك، والذين يكتبون من اليمين إلى اليسار (كالعربية) يدركون الزمن كذلك (Boroditsky, 2011, p336).

الرابع: محور المدة الزمنية. هل يمثل الزمن على أنه مسافة أو كمية؟ ويضيف كاساسنتو (casasanto, 2010, p467) النظر في الزمن على أنه حجم، ومن ثم فهناك ثلاث استعارات مفهومية لوصف الزمن من حيث المدة، الأولى: (الزمن بوصفه مسافة)، والثانية: (الزمن بوصفه كمية)، والثالثة: (الزمن بوصفه حجما). والأوليان هما الشائعتان. وعلى سبيل المثال، يفضل الناطقون باللغة الإنجليزية استخدام عبارة (وقت طويل: long time)، كما يقولون: حبل طويل، فينظرون إلى الزمن بوصفه مسافة، وكذلك الناطقون بالفرنسية ينظرون إلى الزمن على أنه مسافة، فيقولون: (longtemps, de longues minutes, de longues heures,)[1]. في حين أن الناطقين بالإسبانية يفضلون النظر إلى الزمن بوصفه كمية، فيقولون: (وقت كثير: Mucho tiempo). أما الناطقون باليونانية فينظرون إلى الزمن بوصفه حجما، فيستخدمون عبارات مثل: ليلة كبيرة، وعلاقة كبيرة، (ترجمة حرفية يقصد بها: ليلة طويلة، وعلاقة طويلة المدى).

كما أن الاستعارات المكانية تؤثر في وصف الأحداث أيضاً، فمن يقول: (وقت طويل) لوصف الزمن، يستخدم الاستعارة نفسها في وصف الحدث: (حفلة طويلة). وكذلك في الاستعارات الكمية (وقت كثير)، و(حفلة كثيرة) – في اللغة اليونانية (casasanto, 2010, p470).

الخامس: المرجعية المكانية. حيث يرى الباحثون أن ثمة ثلاث استراتيجيات تمثل (أطر المرجعية المكانية)، وهي: الإطار المرجعي النسبي (Relative)، والإطار المرجعي التجريدي (Absolute)، والإطار المرجعي الذاتي (Intrinsic) (Majid, 2004, p108). وهي استراتيجيات تحدد العلاقة المكانية بين الشيء (المرجع أو الشكل) والمَعْلم (الكائن الأرضي).

في الإطار المرجعي النسبي يمثل الشيء بالنظر في الارتكاز النسبي لجسمه في العالم (body-centric)، فيستخدم ألفاظاً، نحو: (يمين، يسار، أمام، خلف...)، وفي الإطار المرجعي التجريدي

(١) أفادني بهذه الملحوظة، الدكتور محمد لطفي الزليطني.

يمثل الشيء بالنظر في الارتكاز الثابت لجسمه في العالم، باستخدام اتجاهات ثابتة، فيستخدم الاتجاهات: (شمال، جنوب، شرق، غرب)، وفي الإطار المرجعي الذاتي يمثل الشيء بالنظر في تمركز الشيء حول معالم أخرى، فيستخدم ألفاظا، مثل: (بجانب، وفي قمة، وفي مقدمة الشيء...). وثمة اختلاف بين الشعوب والثقافات واللغات في تفضيل استراتيجية أو اختيارها على أخرى (Levinson, 2004, p32) (Pederson, et all, 1998, p584). ومثال الأطر الثلاثة: السيارة على يسار البيت (نسبي)، أو: السيارة شمال البيت (تجريدي)، أو: السيارة في مقدمة البيت (ذاتي).

فالأستراليون الأصليون – مثلا – لا يستخدمون الإطار المرجعي النسبي، بل يستخدمون الإطار المرجعي التجريدي، فيستخدمون الاتجاهات الأربعة (شمال، جنوب، شرق، غرب) بدلا من (يسار، يمين، أمام، خلف)، فمثلا يقولون: (الولد الذي يقف جنوب ماريا هو أخي) (Boroditsky, 2011, p336).

وقد ذكر إيفانس (Evans, 2007b, 739-747) ثمانية تمثيلات للزمن – في اللغة الإنجليزية، منها:

- (الزمن مسافة)، نحو: وقت طويل/ قصير.
- (الزمن عامل)، فهو ذو مسؤولية وقدرة على التأثير فينا وفي عالمنا، نحو: الوقت يخنقني، ونحو: الزمن سيتكفل بعلاجه، ونحو: ستشفي الأيام جروحه، ونحو: لقد أكل عليه الدهر وشرب، ونحو: غيرته الأيام.
- (الزمن نظام مقاييس)، يكون أداة لقياس الأحداث والتغيرات، نحو: حدث هذا حين مات جدك، ونحو: فتحت القسطنطينية في عهد محمد الفاتح. ونحو: الوقت الآن التاسعة إلا ربع.
- (الزمن سلعة)، حيث ينظر إليه بوصفه سلعة يمكن الاتجار بها، نحو: نحن نضيع وقتنا، الوقت من ذهب، ونحو: لقد أنفقنا وقتنا، ونحو: اشتروا الوقت المخصص للدعاية، ونحو: انتهى الوقت.
- (الزمن مصفوفة)، يتصور الزمن على أنه مصفوفة لانهائية، نحو: الزمن يجري إلى الأبد، ونحو: الزمن كنهر يتدفق.

ثانياً - المنظور الاجتماعي:

الزمن والمكان –من المنظور الاجتماعي – جزآن من أنشطة الناس الاجتماعية، وقد أوجز هارفي (Harvey, 1996, p210-213) المنظور الاجتماعي للزمن والمكان، في أربع نقاط، وهي:

الأولى: الزمن والمكان ليسا مجرد موجودين في الفضاء الخارجي، ولكنهما ينبنيان اجتماعيا، أي في فضاء اجتماعي يصنعه الإنسان خلال كفاحه من أجل الاستمرار في الحياة، وهذا لا ينفي وجودهما المادي نسبيا في العالم الخارجي. فمثلا الليل والنهار، ينبنيان اجتماعيا في عالم الإنسان حيث يقوم باستخدام مصادر الطاقة لتحويل الليل إلى نهار.

الثانية: تختلف مفاهيم الزمن والمكان باختلاف الثقافات والأساليب المجازية والفكرية لدى الشعوب؛ فالزمن والمكان ربما يكونان ظواهر طبيعية، ولكننا لا ندرك تلك الحقائق خارج ثقافاتنا التي تعبر عنها اللغة والأنظمة العقائدية.

الثالثة: الزمن والمكان متغيران اجتماعياً - ليس بالنظر في الأشخاص، ولكن بالنظر في المجتمعات.

الرابعة: تمثيل الزمن والمكان ينشأ نتيجة للممارسات الاجتماعية، ثم تصبح صيغ الزمن والمكان بعد ذلك إطاراً ينظم تلك الممارسات نفسها. كالأنظمة الهرمية للمجتمع، وتوزيع الأدوار بين الجنسين، وتقسيم العمل، كلها تتم وفقا للتنظيم الزمني والمكاني داخل المجتمع. كما أن البنية الاجتماعية للزمن والمكان تستوعب العلاقات الاجتماعية والسلطة التي تتقاسمها.

ويربط علماء الاجتماع بين توقيت الأنشطة الاجتماعية وبين الطريقة التي يفكر بها الناس ويتحدثون بها عن الوقت (Leeuwen, 2008, p76). وتحليل مثل هذه الارتباطات يسهم في فهم الأدوار الاجتماعية والعلاقات السلطوية للزمن في الحياة الاجتماعية. ومن تلك الارتباطات (Leeuwen, 2008, p76- 84):

١ - ارتباط الزمن بالسلطة، حيث تكتسب الأنشطة المرتبطة بالزمن سلطة مفروضة، لا يملك المتلقي تجاهها إلا الطاعة، وتستمد سلطتها إما من **سلطة شخصية** (كسلطة الملك، أو المسؤول، أو الأب، أو الأستاذ، أو قائد الفريق...إلخ، كأن تقول الأم: "لقد حان وقت العودة للمنزل")، وإما من **سلطة الآلة**، كمنبه الساعة، وجرس المدرسة، وصفارة المباراة، ويتم تمثيلها لغويا بعبارات وصفية تشير إلى الحدث، نحو: "هيا نذهب؛ فقد رنّ جرس المدرسة". وقد يرتبط الزمن **بسلطة مطلقة غير مجسدة** في شخص أو آلة، ويُمثَّل على أنه قضاء حتمي لا مفر منه، ومن ثم يستخدم المتكلم عبارات تدل على الوقت مطلقا، نحو: "سأعلم متى يأتي دوري"، أو تمثيل الوقت على أنه "عامل"، نحو: لقد جاء اليوم العظيم.

٢ - التزامن، حيث يرتبط توقيت نشاطٍ ما بأحداث اجتماعية أخرى، أو بمتغيرات طبيعية؛ مما يعطي النشاط مستوى خاصاً من الأهمية أو الحجم. وينقسم التزامن ثلاثة أقسام: تزامن اجتماعي وتزامن طبيعي وتزامن آلي. **فالتزامن الاجتماعي**، أن يرتبط بدء النشاط أو نهايته بحدث اجتماعي

آخر، نحو: "عليك الانتظار حتى نذهب"، ونحو: "نحن نتبادل الحديث وقت الطعام". والتزامن الطبيعي، أن يكون الارتباط بالأحداث الطبيعية، وقد كان التزامن الطبيعي يأخذ أهميته في الثقافات القديمة لارتباطه بالتنجيم والسحر، وفي العصر الحديث يرتبط بالتخصصات العلمية (كالمراقبة العلمية)، أو بغير ذلك نحو: "من الأفضل لك أن تأخذ إجازة حين يكون الطقس مناسبا". والتزامن الآلي، وهو تزامن نتج عن ممارسات البشر لأنشطة مستمرة مرتبطة بساعات محددة وأوقات منتظمة تتزامن معها عامة الأنشطة البشرية، فمنذ نحو ٢٠٠ سنة هناك سيطرة ميكانيكية للزمن على حياة الناس. ويُمثَّل لغويا بعبارات تحدد الأوقات والأزمنة بدقة، نحو: جاؤوا في الساعة الخامسة، ونحو: حدث هذا في ٥ سبتمبر.

٣ – الانضباط: أصبح الانضباط في الوقت أحد أهم الأسس في العصر الصناعي، وارتبط ذلك بأداء العاملين في العمل. وقد ارتبط الانضباط بالأنشطة ذات الصبغة الوظيفية أو الاقتصادية أكثر من ارتباطه بأنشطة الترفيه مثلا، فمواعيد العمل تتطلب دقة وانضباطا، ولذلك تحدد بالساعة، نحو: موعد الاجتماع الساعة السادسة والنصف مساء، أما في الأنشطة الحرة فيكون التوقيت مرناً، وتستخدم ألفاظ غير محددة تماما للوقت، (بعض الوقت، بعد العشاء، منتصف النهار...والنعوت: طويل، قصير..)، نحو: نلتقي في النادي بعد العشاء، ونحو: سنتأخر قليلا عن الغداء... إلخ. ونحو: كانت الرحلة طويلة، (أما في الاجتماع فنقول: استمر الاجتماع لمدة ساعتين ونصف).

٤ – التكرار، ويراد به استخدام ألفاظ قد تدل على التكرار المنتظم للنشاط، نحو: يوميا، أسبوعيا، كأن يقول الطبيب: تناول حبة كل ست ساعات، ونحو: يجب أن تتناول الحليب يومياً. وهذا التكرار يعطي النشاط سلطة مهيمنة، حيث إن المتكلم يمتلك الخبرة التي تجعله يصل إلى تحديد الانتظام وطريقة التكرار للنشاط.

٥ – مدة النشاط، وتُدرَك بالتجارب والخبرات الذاتية، فالساعة الواحدة يختلف إدراك طولها من شخص إلى آخر بحسب المشاعر والتجربة الشخصية. نحو: اليوم الأول في المدرسة بدا طويلاً جداً، ونحو: لقد انقضت الليلة بسرعة.

٦ – إدارة الوقت، فالأوقات الزمنية كاليوم والأسبوع هي أزمنة يديرها البشر وفقا لسلطاتهم، فالأسبوع مثلا، وحدة زمنية ينظر إليه على أنه تزامن طبيعي، بينما هو بناء ثقافي يمثل جزءا من نظام الناس الزمني. وآليات إدارة الوقت، هي: جدولة الوقت، نحو: زادت الدولة ساعات العمل إلى ٤٥ ساعة أسبوعيا، والنظر إليه كـ"مال"، نحو: لقد نفد الوقت مني، ونحو: كيف نوفر الوقت؟

وأما "المكان" فيربطه فوكو بـ"السلطة"، فالسجن – مثلا – وتصميمه وطريقة وضع السجناء فيه، والحراسة، ثم الإضاءة... الخ – كل ذلك يجعل المكان مناسبا لفرض الوظائف السلطوية على السجناء، وتَسّهل المراقبة والمعاقبة والسيطرة عليهم، وتغيير الأفراد، "والعمل على أن يكون هذا الجهاز الهندسي البنائي آلة لخلق ودعم علاقة سلطة مستقلة عن الشخص الذي يمارسها"... ويلخص ذلك بقوله (فوكو، ١٩٩٠، ص٢٥٣): "السجن – هذه المنطقة الأكثر قتامة في جهاز العدالة – هو المكان الذي تُنظَّم فيه سلطةُ العقاب – التي لا تجرؤ على ممارسة نفسها بشكل علني، وبصمت–حقلَ موضوعية يستطيع فيه العقاب أن يعمل في وضح النهار كعلاج". ويبين فوكو في مواضع متفرقة من كتابه (فوكو، ١٩٩٠، ص٣٦) أن السجن ذو دلالة بصرية مدرجة في المكان، وأن القانون الجنائي عبارة عن نظام لغوي، ومن ثم يفرق فوكو: بين النظام اللفظي والنظام المرئي؛ ليبين العلاقة بين المكان وبين ما يعبر عنه. ومثل السجن: المستشفى، والمدرسة، والدوائر الحكومية، ومقرات الأمن... فكلها أبنية مشغولة بالمرئي واللفظي معا.

إن الأمكنة – يبنيها أناس شتى، بطرق مختلفة – ولكنها أبنية اجتماعية تشكلها مصالح الناس وعلاقات السلطة، وبالرغم من أن الأمكنة تأخذ حيزا ماديا، وتتعايش معاً، إلا أنها تختلف وفق استراتيجيات الإدماج والإقصاء (Flyvbjerg & Richardson, 1998, p. 9–10).

يرى ريتشاردسون وجونسون (Richardson & Jensen, 2003, 10) أن تحليل المكان في الخطاب ينبغي أن يربط بين ثلاثة أبعاد، هي: البعد المادي للمكان، والمعاني الرمزية، وسياسة النطاق المكاني. ومن ثم فالمدينة مثلا لا يمكن تصورها كحيز مادي فقط، ولكن تُمَثَّل من خلال علاقات السلطة التي يعبر عنها في الخطاب والاستراتيجيات والأطر المؤسسية.

ثالثاً - إطار التحليل:

يقترح الباحث أن يكون تحليل تمثيل الزمن والمكان في الخطاب وفقا لأربعة عناصر، هي: الموضوع، والربط، والفاعلية، والحركة. وأسمي هذا الإطار: (رباعية تحليل الإطار الظرفي):

١ – الموضوع: كيف يمثل المتحدث الزمن والمكان من حيث الموضوع، هل ينظر في المكان باعتباره تاريخا أو وصفا، أو باعتباره رمزاً، هل يمثل المكان ذاتيا أو موضوعيا؟ (ذاتي مرتبط بتجربة شخصية، وموضوعي غير مرتبط بها)؟ وهل يمثل بوصفه هوية شخصية أو

مجتمعية؟...إلخ. وكيف ينظر في الزمن أيضا: تاريخا مجردا؟ أو شيئا مكانيا؟ أو سلعة؟ أو نظام مقياس... إلخ. وهل يمثل بوصفه زمناً فيزيائياً أو نفسياً؟

(الاستعارات المفهومية المقترحة: الزمن مسافة، الزمن سلعة،... المكان هوية، المكان رمز، المكان ماضي، المكان حاضر، المكان مستقبل...). ويلحظ أن ثمة تبادلا بين الزمن والمكان من الناحية الموضوعية، فالزمن يمثل باعتباره مكاناً، والمكان يمثل باعتباره زمناً.

٢ - الربط: المقصود بالربط أن ثمة وحدات أخرى يربطها الخطاب بالزمن والمكان، وبالنسبة إلى الزمن فإن الربط يطلق عليه: التزامن، ووفقا لإيفانس (Evans) فقد يكون التزامن طبيعيا، أو اجتماعيا، أو آليا. وبالنسبة إلى المكان فإن الربط يمكن تسميته: **التقارن**، فيقرن مكان إلى وحدة أخرى، قد تكون مكانية وقد تكون زمنية أو أشخاص أو أحداث أو غير ذلك، وفي حال التقارن المكاني يتم النظر في العلاقة بين الوحدتين: علاقة أسرية أو تابعية أو حدود، أو محلية وعالمية... إلخ. وكيف يمثل التقارن: جيد أو سيء... إلخ.

(الاستعارات المفهومية المقترحة: الزمن تزامن، المكان تقارن، المكان أسرة، المكان علاقة...).

٣ - الفاعلية: ينظر في الزمن أو المكان بوصفهما فاعلين، يقومان بوظيفة، ويؤثران ويتأثران بالعناصر الأخرى. هل يمثل المكان على أنه نظام بصري ذو حيز مكاني يقدم وظيفة بصرية فقط، أو نظام رمزي ثقافي؟ يقدم وظائف رمزية ثقافية أو سياسية أو اقتصادية؟

(الاستعارات المفهومية المقترحة: الزمن عامل، المكان وظيفة، المكان مسؤول...).

٤ - الحركة: ينظر في الزمن من حيث حركته وثباته، هل يمثل على أنه متحرك أو ثابت؟ وما طبيعة حركته؟ وما اتجاه الحركة...؟ وما تقنيات الحركة الزمنية من الناحية السردية (استرجاع للماضي، أو استشراف للمستقبل، أو توصيف للحاضر). وكذلك المكان هل يمثل على أنه مكان نامٍ متوسع أو توقف نموه؟ وما طبيعة حدوده؟ وهل هو ذو حدود مغلقة أو مفتوحة؟ وما أثر ذلك النمو في العناصر الأخرى.

(الاستعارات المفهومية المقترحة: الزمن حركة، المكان نموّ).

المطلب الثاني: تحليل نموذج (النزاع بشأن ميناء عدن)

أولا: المنظور الإدراكي والاجتماعي للمكان

(المكان: ميناء عدن): كيف ينظر طرفا النزاع (اليمني والإماراتي) إلى المكان.

(١) في خطاب الطرف اليمني

أ- من حيث الموضوع:

هناك مجموعة من التمثلات الإدراكية تسيطر على تمثيل الطرف اليمني للمكان، وهي:

تاريخية المكان، فالميناء تاريخ، وحياته كانت في الماضي، ورمزيته تنتمي إلى الماضي، (وزير النقل اليمني: واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناؤها الذي كان يمثل محورا أساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا). فهو يستخدم لفظ (التاريخ)؛ فالمكان ليس مجرد مكان معاصر، بل هو منتمٍ إلى التاريخ، ومن هذه العراقة التاريخية يستمد مكانته. كما يستخدم الفعل الماضي (واحتلت)، وأيضا الفعل الماضي المنقطع (كان يمثل محورا)، ومن ثم فاليوم لم يعد يمثل هذه المحورية.

ويسيطر التمثيل التاريخي للميناء على خطاب الطرف اليمني، الذي لم يستطع تمثل الميناء مجرد حاضر. وحتى حين يتم النظر إليه بوصفه مستقبلاً فيكون ذلك في إطار الماضي (وزير النقل: الحكومة عازمة على إعادة قيمته التاريخية والعالمية).

كما ترتبط مطالب الطرف اليمني بالجانب التاريخي للميناء (وزير النقل اليمني: ولن نتنازل عن هذا الحق التاريخي لعدن)، فهو حق تاريخي مستلب، والملكية تاريخية.

والخلاصة أن التمثيل الإدراكي للمكان في خطاب الطرف اليمني ينظر في هذا المكان ذي المكانة العالية وكأنه جزء من التاريخ الممتد من الماضي إلى الحاضر، وكأنه في ظل إدارة الطرف الآخر لم يعد في الحاضر. وحين يتحدث عن حاضره فهو المكان المشلول، الذي لا ينمو، ولا يتحرك. فالطرف الآخر أخرج المكان من الزمن الحاضر إلى اللا-زمن. وحتى حين يُنظر إليه

بوصفه مستقبلاً فيكون ذلك في إطار الماضي، وبذلك ترتبط مطالب الطرف اليمني بالجانب التاريخي للميناء.

ب – من حيث الربط:

للتقارن المكاني عدة تمثلات، منها:

ب-١ -التمثل الأول: الربط بين مكان ومكان، ولهذا الربط عدة صور تتعلق بأغراض الربط.

الصورة الأولى: ربط الجزء بالكل. الربط بين الميناء وعدن، فالميناء جزء من المدينة الكبيرة (عدن)، والمكانة العريقة التاريخية التي تحتلها عدن إنما هي بسبب (الميناء)، فكأن مكانة الأب (عدن) مستمدة من مكانة الولد (الميناء). فالميناء ليس تلك الرقعة الجغرافية المحدودة، ولكنه عدن كلها، وعدن هي ولد آخر لليمن، ومن ثم فالشركة (الطرف الآخر) لا تستهدف ميناء فحسب، بل تستهدف وطنا كاملا (وزير النقل اليمني: عدن هي الميناء والميناء هو الجنوب والجنوب هو الوحدة الوطنية). فالميناء يرتبط بالمدينة، والمدينة ترتبط بجزء من الوطن، وهو يرتبط بحدث يمس سيادة الوطن، وهذا الربط يجعل من المكان نقطة سيادة، ونقطة مهمة لممارسة السلطة.

الصورة الثانية: الربط بين مكانين متناظرين، كالربط بين ميناء عدن وميناء جيبوتي، فهو ربط في المستوى نفسه، كلا الميناءين تديرهما شركة واحدة، إلا أن هذا الربط يمثل على أنه تهديد وخطر، فميناء جيبوتي خطر على ميناء عدن؛ نظرا إلى أن الشركة تحابي ميناء على آخر، وتهدف إلى تطوير ميناء وإعاقة آخر؛ فهما كابنين يتبناهما أب واحد، ليحيي أحدهما ويقتل الآخر. وهذا الربط يستلهم التمييز في المعاملة؛ حين يميز مسؤول بين موظفيه، أو أب بين أبنائه؛ مما يثير الضغائن والأحقاد.

> **كشف تقرير برلماني عن سوء الأوضاع في ميناء الحاويات في المنطقة الحرة وميناء المعلا بعدن بعد استئجارهما من قبل شركة موانئ دبي في العام ٢٠٠٨م، وفقاً لاتفاقية الشراكة الموقعة وما يتعرض له الميناء من إهمال وتهميش وكذا ارتفاع في رسوم الخدمات التي يقدمها الميناء مما أدى إلى تحول السفن إلى ميناء جبوتي الذي تديره نفس الشركة (شركة موانئ دبي العالمية) الأمر الذي بات يهدد ميناء عدن للخسائر وضعف النشاط التجاري، وما قد يترتب عن ذلك من آثار سلبية في الاقتصاد الوطني.**

ومن ثم يصبح هذا الربط حجة يستخدمها الطرف اليمني ضد الطرف الآخر، فالشركة غير عاجزة، ولديها القدرة والمهارة، ومن ثم فحسن إدارتها لميناءٍ وسوء إدارتها لآخر لا يعني أكثر من أن الشركة تريد الإضرار بميناء عدن:

وزير النقل اليمني: الشركة تسوق مبررات واهية لتتنصل عن التزاماتها في حين ان الميناء الذي تديره في جيبوتي يحقق تزايدا ملحوظا في نشاطه على حساب ميناء عدن

الصورة الثالثة: الربط بين المكان وأمكنة أخرى مشابهة، كقول وزير النقل متحدثا عن ميناء عدن (باعتباره احد اهم الموانئ العالمية)، فهو يضع المكان في سياق عالمي، وارتباطه بها يجعله مثلها في الأهمية، بل هو أحد أهمها، وهذا الربط طبيعي في ظل الحديث عن المكانة الكبيرة للميناء حيث كان محورا للنشاط التجاري العالمي.

ب-٢- التمثل الثاني: الربط بين المكان والفاعل، وله صورتان:

الصورة الأولى:

الفاعل اليمني، المتمثل في حكومة الجمهورية اليمنية، وربط المكان بالفاعل يأخذ منحيين، الأول: السيادة، والثاني: المسؤولية. فميناء عدن يتبع الحكومة اليمنية، ولها السيادة على أرضها، ومن حقها اتخاذ الإجراءات التي تحفظ لها السيادة على الوطن. فالميناء إذن ليس مجرد مكان معزول يمكن لأي أحد أن يتلاعب به، فالفاعل لن يسمح بالعبث به، فالفاعل هو الأب وهو المسؤول عن ضمان سلطته واستمرار سيادته.

(وزير النقل اليمني: موانئ عدن وحضرموت هي تتبع في الأخير حكومة الوفاق والجمهورية اليمنية) (وزير النقل اليمني: لن نسمح بالعبث بميناء عدن وهذه قضية سيادة وطنية). (وزير النقل اليمني: سكوتنا لن يطول ولن يكون إلى ما لانهاية ولن نتنازل عن هذا الحق التاريخي لعدن ،و نأمل أن يكون الحل الدبلوماسي سريعا ، فنحن أمام ضغط شعبي وحقوق مطلبية مشروعة ولن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى تدهور ميناء عدن وامتهان العمال فيها ، وسنتخذ كافة الإجراءات التي تضمن إعادة الاعتبار لميناء عدن وتاريخه وموقعه الاستراتيجي).

وحين تمت التسوية بين الطرفين، وانسحبت شركة موانئ دبي من عدن، صرح وزير النقل اليمني بأن (ميناء عدن عاد لأهله)، فهو يربط بين الميناء وأهله (قد يريد بذلك الحكومة أو

الشعب)، فالمكان انتماء، وهوية المكان كانت ضائعة، فهو كابن استولى عليه أب آخر، ثم عاد لأهله بعد رحلة من ضياع الهوية.

والمنحى الآخر هو المسؤولية، فالفاعل مسؤول عن هذا المكان، ومسؤول عن نموه وتطوره، كي يسهم في رفد اقتصاد البلد. هذا الفاعل يحاول إصلاح مشكلة الميناء، وحل قضيته، ويتخذ الإجراءات التي تعزز مكانته... إلخ.

> **(وزير النقل اليمني: الحكومة تعمل على حل قضية ميناء عدن، الذي يعاني من ركود منذ توقيع اتفاقية مع شركة موانئ دبي العالمية لتشغيله وتطويره قبل اربعة اعوام) (وزير النقل اليمني: الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين).**

الصورة الثانية:

الربط بين المكان والفاعل المتمثل في الطرف الآخر، فهو فاعل سلبي، وهو المسؤول عن الحالة التي وصل إليها الميناء من ركود، وهو المسؤول عن ضياع الحق التاريخي لعدن، ومسؤول عن ضياع حاضر الميناء ومستقبله، وإخراجه عن دائرة الفاعلية.

> **(وزير النقل اليمني: الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي حتى عام ٢٠١٤ وهي الموقّعة على اتفاقية بشأن تشغيله وتطويره). (وزير النقل اليمني: الحكومة تعمل على حل قضية ميناء عدن، الذي يعاني من ركود منذ توقيع اتفاقية مع شركة موانئ دبي العالمية لتشغيله وتطويره قبل أربعة اعوام)**

فخلاصة ربط المكان بالفاعلين أن المكان مفعول يخضع لإرادة الفاعلين سلبا أو إيجابا.

ب-٣- التمثل الثالث: الربط بين المكان والنشاط

الربط بين المكان والنشاط، فهوية المكان تُتمثّل من خلال الأنشطة المرتبطة به، فالمكان كان محورا أساسا لنشاط عالمي، ومن ثم فمكانته ليست محلية، بل عالمية، وترتبط بالتجارة، والتجارة عصب الحياة العالمية. ومن ثم فهذه المكانة لا تكون إلا بإعادة النشاط إلى المكان، فالنشاط هو ذلك الجزء المفقود من المكان، ولا قيمة للمكان من دون النشاط الذي كان يمارس فيه:

(وزير النقل اليمني: الميناء الذي كان يمثل محورا أساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا) (وزير النقل اليمني: تشغيل محطة الحاويات سيعيد لمدينة عدن مكانتها)

ج – من حيث الفاعلية:

يبدو المكان في خطاب الطرف اليمني ذا وظائف متعددة، فهو ليس مجرد تاريخ، ولكنه وظيفي، ففاعليته تتمثل من خلال الوظائف المرتبطة به.

وزير النقل اليمني: واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناؤها الذي كان يمثل محورا اساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا.

في هذا النص، تبدو الوظيفة الأولى للمكان هي تلك الرمزية الثقافية، فهو مكان ما زال يرسل تأثيراته في الناس من خلال مكانته التاريخية والتجارية، وهذه المكانة حولته من مجرد مكان يمارس فيه نشاط تجاري، إلى مكان رمزي مثّل شيئا بالنسبة إلى اليمنيين، وأصبح صورة من صور هويتهم التي يرتبطون بها.

وزير النقل اليمني: ميناء عدن لو عمل بكل طاقته حتى الموجودة سيلعب دور الرئة التي سيتنفس منها كل الموانئ والدول المطلة على الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي كنقطة مفصلية لحركة التجارة العالمية ويجب ان يعود إلى ذلك.

في هذا النص، فاعلية المكان ليست فاعلية محلية، بل هي إقليمية ودولية، وهي الكفيلة بإعادة مكانته، وترتبط هذه الفاعلية بالنظر في المكان وظيفيا (لو عمل بكل طاقته). ومن ثم فإعادة الوظيفة للمكان كفيلة بإعادة فاعليته ورمزيته ومكانته.

وزير النقل اليمني: ميناء عدن يعد من أفضل الموانئ العالمية وان الحكومة عازمة على إعادة قيمته التاريخية والعالمية، وخلق مناخات وجسور الثقة مع شركات الملاحة العالمية، باعتباره احد اهم الموانئ العالمية التي يمكن ان تسهم في رفد الاقتصاد الوطني وتلبية الحقوق المشروعة لأبناء عدن واليمن بشكل عام.

في هذا النص، فاعلية المكان تتجلى من خلال الدور الذي يؤديه في حياة الناس، فهو يسهم في رفد الاقتصاد، ومن ثم فالمكان رافد اقتصادي ومورد للرخاء. ولكن هذه الفاعلية مرتبطة بـ(خلق مناخات الثقة، وربط الجسور مع الشركات العالمية)، فالمكان لا يعطيك خيره حتى تقوم

بالإجراءات المطلوبة أولا، فالزارع يزرع الحقل وسيجني بعد ذلك الثمر. فالمكان سيكون فاعلا حين يكون مالك المكان فاعلاً أيضا.

إن إدراك الطرف اليمني للمكان لا يرتبط بنظامه البصري، وبوظيفته البصرية، ولكنه يرتبط بوظيفته الرمزية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا يعبر عن الانتماء إلى المكان، والشعور بعمق فاعليته في حياة اليمنيين.

د - من حيث الحركة:

هناك تمثيلان بارزان لحركة المكان، أعرضها في ما يلي:

المكان سكون، هذا التمثل للمكان يبدو في قول وزير النقل (واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناءها الذي كان يمثل محورا اساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا). فالمكان هنا ساكن والتاريخ يمر حوله (على مر التاريخ)، كما تم تمثيل الميناء ساكنا والنشاط التجاري ذو الحركة من حوله (محور لحركة التجارة)، فالسكون يمثل هيبة المكان ومركزيته؛ فالتاريخ حوله يتحرك والنشاط العالمي يتحرك. وهذا التمثيل يتواءم مع تمثيل المكان التاريخي، فهو ساكن منذ الأزل، يستوعب حركة التاريخ وحركة الأنشطة التجارية العالمية.

المكان نمو، إن تمثيل سكون المكان يتعلق بالجانب التاريخي ونشاط التجارة العالمية تاريخيا، ولكن حين يتحدث عن المكان في الحاضر فإنه يربطه بالفاعل الآخر، الذي يعيق نموه وحياته، ومن ثم فالمكان يغدو مشلولا، بلا حياة، ولا حراك (ولمسنا كيف أصيب الميناء بشلل). وعودة المكان لأهله سيضمن له نموا سليما، وحياة صحيحة (وزير النقل اليمني: هذا اليوم يعني إعادة الحياة في قطاعات النقل البحري والجوي والبري).

(٢) في خطاب الطرف الإماراتي

(١) القبطان فيصل القحطاني، نائب الرئيس الأول ومدير عام موانئ دبي العالمية منطقة الشرق الأوسط: نتقدم بالتهنئة إلى باسيفيك إنترناشيونال لاينز وإلى سفينتها كوتا كاروم على زيارتها الأولى إلى ميناء عدن وإلى منطقة البحر الأحمر التي تعتبر من أكثر الممرات التجارية البحرية حيوية في العالم في وقتنا الراهن.

(٢) القبطان فيصل القحطاني: رسو هذه السفينة الضخمة في الميناء يؤكد مجدداً أهمية ودور موانئ دبي العالمية - عدن كبوابة للبضائع العابرة ذات كفاءة عالية وأهميتها للاقتصاد الوطني اليمني.

(٣) القبطان فيصل القحطاني: وتمتلك عدن واحداً من أفضل موانئ المياه العميقة الطبيعية في العالم، حيث يصل العمق في المرسيين ١ و٢ إلى ١٦ متراً في المرفق الذي تدعمه منطقة تمتد مساحتها إلى ٤٨ هكتاراً.

(٤) آرثر فلين، مدير عام موانئ دبي العالمية-عدن: لقد مكنا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية المُثبتة من استقبال مثل هذه السفينة الضخمة. نحن فخورون لأن فريقنا التشغيلي كان قادراً على إنجاز العمل بسلامة وخلال وقت ممتاز". ومع عمق الرصيف الذي يبلغ ١٦ متراً تحتل "موانئ دبي العالمية-عدن" موقعاً استراتيجياً كميناء هام يلبي احتياجات المستوردين والمصدرين اليمنيين.

(٥) آرثر فلين: كما يحتل هذا الميناء موقعاً متميزاً يتيح له المنافسة في مجال أحجام بضائع الترانزيت التي تشهد نموا ملحوظا في منطقة البحر الأحمر الحيوية.

سأحلل الإطار الإدراكي للمكان في خطاب الطرف الإماراتي، من حيث الموضوع والربط والفاعلية والحركة.

أ- من حيث الموضوع:

(المكان حاضر)، هذا هو التمثيل المكاني لميناء عدن في خطاب الطرف الإماراتي، فهو لا ينظر إلى المكان بوصفه تاريخاً أو مستقبلاً، إنما هو حاضر (النص ١)، ويتجلى ذلك أيضا في لفظ (في وقتنا الراهن). وفي (النص ٢) يستخدم فعل المضارع (يؤكد دور الميناء كبوابة للبضائع العابرة). كما أن الحديث عن الميناء وصفي وليس تاريخياً (النص ٣، ٤)، فهو يصف الميناء ومياهه العميقة وعمق الرصيف، وقد استخدم لفظ (الممر)، ليدل على أنه ممر بحري مثله مثل غيره من الممرات، ويصفه بأنه ممر بحري وليس مكاناً تاريخياً... وهذا يتوافق مع اعتبار المكان حاضرا وليس ماضيا.

وهذا الإدراك للمكان يختلف عن إدراك الطرف اليمني له من حيث الموضوع، فالطرف اليمني ينظر في المكان وكأنه حلم له (في الماضي)، أما في الحاضر فهو كابوس، في حين يعتبر الطرف الإماراتي المكان حاضرا؛ وذلك لأنه لا يرتبط به إلا في الحاضر، وكل الصلات التي تربطه به لا ترجع إلى الماضي، بل هي في الحاضر فقط.

ب - من حيث الربط:

يربط الطرف الإماراتي بين المكان والفاعل الذي يدير المكان، (النص ٤: لقد مكنـا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية)، فهو فاعل ذو كِفايـة، يدير المكان باقتدار، ويثق فيه الفاعلون الدوليون. وليس كما يصوره الطرف اليمني بأنه أعاق نمو الميناء وشل حركته.

كذلك الربط بين المكان وموقعه (النص ٤: فموقعه الاستراتيجي كميناء هام يلبي احتياجـات المستوردين والمصدرين)، فارتباط المكان بموقعه وليس بتاريخه هـو مـا يجعلـه منافسا. ففاعليـة المكان ووظيفته لا تعود إلى مكانة تاريخية، ولكن إلى موقع استراتيجي مهـم يجعلـه عـصبا لحركـة التجارة.

وكذلك الربط بين المكان والنشاط (النص ١)، فزيارة السفينة العالمية للمينـاء، وهـي الزيـارة الأولى لها، يمثل أهمية للميناء ولإدارة الميناء، حيث تضع هذه السفينة ثقتها في ميناء تـديره شركـة دبي.

ج - من حيث الفاعلية:

يمثل خطاب الطرف الإماراتي المكان على أنه حيوي يقوم بوظيفته، فهو لـيس مريـضا يعـاني، وليس مشلولا مقعدا، بل هو مكـان فاعـل، يمثـل رافـداً للاقتـصاد الـوطني ويلبـي احتياجـات التجار.

د - من حيث الحركة:

وأخيرا فحركة المكان هي حركة نمـو وحيـاة (الـنص ١)، وهـي حركـة فاعلـة إيجابيـة تلبـي الاحتياجات التجارية. كما يصور المكـان عـلى أنـه (ممـر)، فهـو مكـان سـاكن تمـر منـه البـضائع والتجارات المختلفة، وهذا ما يبدو أيضا في استخدام لفظ (بوابـة)، فالبوابـة تمثـل المـدخل المهـم للقادمين، ومن ثم فالمكان في سكونه تأتيه الزيارات (زيارة السفن).

ثانياً: المنظور الإدراكي والاجتماعي للزمن:

سأحلل الزمن في النزاع بين الحكومة اليمنية وموانئ دبي بشأن ميناء عـدن. والـسؤال: كيـف ينظر طرفا النزاع (اليمني والإماراتي) إلى الزمن.

(١) في خطاب الطرف اليمني

(١) وزير النقل اليمني: ميناء عدن لو عمل بكل طاقته حتى الموجودة سيلعب دور الرئة التي سيتنفس منها كل الموانئ والدول المطلة على الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي كنقطة مفصلية لحركة التجارة العالمية ويجب ان يعود إلى ذلك.

(٢) وزير النقل اليمني: الحقيقة نحن بدأنا في حكومة الوفاق الوطني خلال هذا العمر القصير التي أتت فيه ومنذ تولينا وزارة النقل، في بذل الجهود وكشف اللثام عن كل المشاريع المتعثرة أو الاتفاقيات أيضا، والعمل على بحث الحلول واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناءها الذي كان يمثل محورا اساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا

(٣) وزير النقل اليمني: وتتمثل النقاط في تنفيذ كل متعلقات المرحلة الأولى من الاتفاقية، وضخ السيولة النقدية في مشروع توسيع رصيف ميناء الحاويات، وإطلاق خطة تسويقية ترويجية لميناء عدن يلتزم فيها شركة موانئ دبي برفع نسبة الحاويات إلى ٢٠٠ ألف حاوية تتزايد سنويا. على أن يتم تنفيذ هذه النقاط قبل ٢١ فبراير القادم، موعد الانتخابات الرئاسية.

(٤) وزير النقل اليمني: عندما أتينا إلى الوزارة كان الاطلاع على الاتفاقية الموقعة بين موانئ دبي وميناء عدن جرماً يعاقب عليه القانون.

(٥) وزير النقل اليمني: الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين.

(٦) وزير النقل اليمني: الشركة تسوق مبررات واهية لتنصل عن التزاماتها في حين ان الميناء الذي تديره في جيبوتي يحقق تزايدا ملحوظا في نشاطه على حساب ميناء عدن.

(٧) كشف تقرير برلماني عن سوء الأوضاع في ميناء الحاويات في المنطقة الحرة وميناء المعلا بعدن بعد استئجارهما من قبل شركة موانئ دبي في العام ٢٠٠٨م، وفقاً لاتفاقية الشراكة الموقعة وما يتعرض له الميناء من إهمال وتهميش وكذا ارتفاع في رسوم الخدمات التي يقدمها الميناء مما أدى إلى تحول السفن إلى ميناء جيبوتي الذي تديره نفس الشركة (شركة موانئ دبي العالمية) الأمر الذي بات يهدد ميناء عدن للخسائر وضعف النشاط التجاري، وما قد يترتب عن ذلك من آثار سلبية في الاقتصاد الوطني.

(٨) وحول المدة الزمنية التي سيستغرقها الحل الدبلوماسي ، قال وزير النقل "سكوتنا لن يطول ولن يكون إلى ما لانهاية ولن نتنازل عن هذا الحق التاريخي لعدن ،و نأمل أن يكون الحل الدبلوماسي سريعا ، فنحن أمام ضغط شعبي وحقوق مطلبية مشروعة ولن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى تدهور ميناء عدن وامتهان العمال فيها ، وسنتخذ كافة الإجراءات التي تضمن إعادة الاعتبار لميناء عدن وتاريخه وموقعه الاستراتيجي.

(٩) وزير النقل اليمني: هذا اليوم يعني إعادة الحياة في قطاعات النقل البحري والجوي والبري من خلال تدشين العمل في محطة الحاويات بميناء عدن ورفع يافطة مكتوب عليها "الجمهورية اليمنية، وزارة النقل، مؤسسة موانى خليج عدن اليمنية".

(١٠) وزير النقل اليمني: وتم طرح نقاط عليهم ونحن ننتظر ردا كتابيا على النقاط الأساسية التي وضعناها تعبيرا عن حسن النية من الطرف اليمني.

(١١) وزير النقل اليمني: واحتلت عدن ذات المكانة الكبيرة والتاريخية هذا المنار والفنار على مر التاريخ وميناتها الذي كان يمثل محورا اساسيا لحركة التجارة العالمية جل اهتمامنا.

(١٢) وزير النقل اليمني: اللجنة الوزارية ارسلت رسالة للقيادة الاماراتية وتنتظر الرد.

(١٣) وزير النقل اليمني: إبرام اتفاقية تشغيل ميناء عدن مع شركة موانئ دبي كانت اتفاقية سياسية أكثر منها اقتصادية وهو ما يجعلنا نتريث ونفسح المجال أمام الحل الدبلوماسي ، مبينا ان هذه الاتفاقية كانت مجحفة بحق اليمن التي تعاني من الفقر والبطالة.

(١٤) وزير النقل اليمني: الميناء خارج الخطط التطويرية والتنموية لشركة موانئ دبي حتى عام ٢٠١٤ وهي الموقّعة على اتفاقية بشأن تشغيله وتطويره.

(١٥) وزير النقل اليمني: الحكومة تعمل على حل قضية ميناء عدن، الذي يعاني من ركود منذ توقيع اتفاقية مع شركة موانئ دبي العالمية لتشغيله وتطويره قبل اربعة اعوام.

(١٦) وزير النقل اليمني: وأكد وزير النقل انه تم إفساح المجال أمام الجانب الدبلوماسي وان وزير الخارجية رئيس اللجنة الوزارية الخاصة بدراسة اتفاقية موانئ دبي الدكتور أبو بكر القربي أرسل رسالة الى نظيره الإماراتي وذلك للضغط على شركة موانئ دبي لتنفيذ التزاماتها وإيجاد حل عادل يعيد لميناء عدن ، لكنه اشار الى ان الرد لم يصل منذ شهرين.

أ – من حيث الموضوع:

هناك مجموعة من التمثلات الزمنية تبدو في هذه النصوص– من حيث موضوع الزمن، ومنها:

(١) الزمن مسافة: الزمن مسافة قد تطول وقد تقصر، والنشاط يمثل على أنه إنسان له عمر طويل أو قصير. ومن ثم يصبح قصر الزمن قيمة؛ إذ يرتبط بالإنجازات التي يتم تحقيقها خلال عمر قصير (النص ٢).

(٢) الزمن نظام قياس: الزمن نظام لقياس الأنشطة المختلفة، سواء من حيث وصفها بالطول أو القصر، أو من حيث تحديد وقوعها، كأن يقول حدث هذا في عام ٢٠٠٨م، وكلما كان النشاط أكثر أهمية كان قياسه أكثر دقة، فمثلا: (هذه الاتفاقية تم توقيعها في الثامن من إبريل عام ٢٠٠٨م)، فهنا حُددت اللحظة الزمنية التي جرى فيها الحدث بدقة؛ ويعود ذلك لأهمية النشاط، بخلاف نحو: تخرجت من الثانوية عام ٢٠٠١م، فالمدى الزمني واسع جدا.

من جهة ثانية يصبح الزمن أيضا أداة قياس نفسية لتوقع حدوث النشاط، ومن ثم وصفه بالتأخر أو السرعة، ووصف موقفه حيال ذلك (سكوتنا لن يطول)، (تأخر وصول الرد منذ شهرين)... (النص ٨، و١٠).

(٣) الزمن حياة: (هذا اليوم يعني إعادة الحياة في قطاعات النقل)، فهو يمثل اللحظة – لحظة الانتصار، اللحظة التي تحقق فيها الهدف الذي ناضل من أجله – يصفها أنها إعادة الحياة لأنشطة الميناء، ومن ثم تكون اللحظة السابقة وكأنها مواتٌ لا حياة فيها (النص ٩).

ب – من حيث الربط:

هنا مجموعة من التزامنات، تندرج تحت "التزامن الاجتماعي". وبتحليل النصوص يمكن إيضاح مجموعة من التزامنات الاجتماعية، هي:

(١) التزامن الامتناعي: وهو تزامن مستقبلي بين حدثين كانا متوقعين، ولكن امتنع حدوثهما، أو بعبارة أخرى: فشل حدوث التوقع. ويربط بينهما عادة حرف الشرط الامتناعي (لو)، كما في النص الأول، فهو يربط بين حدث مفترض (لو عمل)، وبين نتيجة مترتبة على ذلك الحدث (سيلعب دور الرئة..). والتزامن الامتناعي يفصح عن ما يتوقعه المتحدث تجاه الموضوع، ومن ثم فالنزاع مع الطرف الآخر؛ لأن هذه التوقعات لم تتحقق، وعادة ما يربط بين فشل التوقع وبين

إهمال الطرف الآخر، ومن ثم يكون النزاع بين الطرفين. والتزامن الامتناعي كثير في نصوص النزاعات، وكل من طرفي النزاع ينسب الإخفاق أو الفشل إلى الطرف الآخر.

(٢) التزامن السياقي: أن يربط الخطاب (من وجهة نظر المتكلم) بين حدثين وقعا، فالرابط بينهما نفسي، ومن ثم فالحدثان يمثلان مبررا أو عاملا نفسيا للمتكلم؛ يبني على ذلك حجة، أو دلالة معينة، أو يبين مفارقة ما...إلخ. وأكثر التزامنات سياقية نفسية، فمثلاً، في النصوص السابقة (٢، و٤) يربط بين توليه الوزارة والبدء في كشف الملفات الفاسدة، وكيف أن مجيئه إلى الوزارة مثّل لحظة فارقة، ثم يربط هذه اللحظة بفتح ملف ميناء عدن، والفساد الذي رافق الصفقة. فهو يجعل من حدث معين رابطا زمنيا، ومرجعية زمنية (وكأنه يجعلها أساساً للتقويم الزمني).

(٣) التزامن السببي، أن يربط الخطاب بين حدثين يعد أحدهما سببا، والآخر نتيجة. كما في النص الخامس، فالإجراءات التي اتخذتها الوزارة هي سبب، ونتيجة ذلك إعادة الثقة إلى شركات الملاحة العالمية. وكما في النص السابع، الذي يربط بين النتيجة (سوء الأوضاع في الميناء)، والسبب (استئجار موانئ دبي لميناء عدن)، ثم يسلسل الأحداث وفقا لهذا التزامن. والتزامن السببي وإن كان تزامنا سياقيا إلا أنه يبدو كما لو أنه تزامن سببي، بحيث تكون هناك نتائج قامت على أسباب علمية أو واقعية، وعادة ما يستمد التزامن السببي سلطته من الفاعل الاجتماعي (كالإجراءات تتخذها وزارة، أو دولة، أو لجنة تصل إلى نتائج معينة، أو فريق علمي يتوصل إلى نتيجة...إلخ.).

(٤) التزامن الشرطي: أن يربط الخطاب بين حدثين في المستقبل ليكون أحدهما شرطا أو قيدا للحدث الآخر، كالنص الثالث، فالوزير يشترط على الطرف الآخر أن ينفذ الإجراء المطلوب قبل موعد الانتخابات الرئاسية، وهذا الربط يفصح عن مدى الضغط الذي يقع فيه المتحدث جراء الحدث الذي يضعه أمدا (أو شرطا، أو قيدا). ففي النص الثالث (على أن يتم تنفيذ هذه النقاط قبل ٢١ فبراير القادم، موعد الانتخابات الرئاسية)، فهو قيد تاريخ التنفيذ (٢١ فبراير) بكونه (موعد الانتخابات الرئاسية)، مما يعني أن حدث الانتخابات يفرض عليه ضغطا معينا يقتضي منه أن يحقق إنجازات ملموسة. ولم يكن لهذا التزامن وجود لو أنه ذكر القيد بتاريخه المجرد، كأن يقول: (على أن يتم تنفيذ هذه النقاط قبل ٢١ فبراير القادم) دون إضافة (موعد الانتخابات الرئاسية).

(٥) التزامن الحجاجي، أن يربط الخطاب بين حدثين يجعل من أحدهما حجة على الحدث الآخر، كما في النص السادس، حيث يربط بين نشاطين متماثلين متباينين للشركة نفسها، الأول:

إدارة ميناء عدن، والثاني: إدارة ميناء جيبوتي، فهما متماثلان؛ كلاهما إدارة ميناء من الشركة نفسها، ولكنهما متباينان من حيث النتيجة، فميناء عدن يزداد تدهورا، وميناء جيبوتي يزداد تطورا. ومن هذا التماثل والتباين تأتي حجية التزامن.

ج – من حيث الفاعلية:

يتمثل الطرف اليمني الزمن من حيث الفاعلية، أنه (عامل مؤثر)، وتأثيره قد يكون إيجابيا، وقد يكون سلبيا، فكلما كان زمن الإنجاز قصيرا كان إيجابيا، وكلما طال زمن الإنجاز طال الانتظار وكان التأثير سلبياً.

ففي النص الثاني، يتحول الزمن إلى لحظة مكثفة، تمتلئ بالإنجاز، فالفاعلية فيه للحدث (الإنجازات)، التي تمت خلال الزمن القصير. والنتيجة أن الفاعلية تعود إلى الفاعل الاجتماعي الذي استطاع توظيف الزمن لمصلحته (العمر القصير).

ومن شأن هذه الفاعلية المرتبطة بالزمن القصير، أن تجعل من الزمن في سياق آخر حين يطول ويمتد عاملا قاتلا، فهو يقتل السمعة، ويقتل الإنجاز، ويجعل الفاعل معرضا لضغوط مختلفة. فـ(في النص ٨)، يتحول الزمن إلى قاتل حين يمتد، ومن ثم يعطي المتحدث حق الدفاع عن النفس، وحق الحركة (لن نقف مكتوفي الأيدي)، وحق اتخاذ الإجراءات التي تحول دون تحول الزمن إلى فاعل قاتل.

د – من حيث الحركة:

الزمن يتمثل على أنه يتحرك عبر الأشياء، فهو زمن سيّال يمر، ومروره يمثل قيمة على ما يمر به، فحركة الزمن ترفع من رصيد المكان؛ ومن ثم فهذا المرور يجعل للزمن فاعلية وتأثيرا. وهكذا تتحول حركة الزمن إلى قيمة مضافة (النص ١١).

وكما ذكرت آنفا، فقد تكون حركة الزمن سريعة أو بطيئة، وحين تكون بطيئة، ويكون الفاعل منتظرا للحدث، فإن الزمن يتحول إلى فاعل سلبي التأثير، حيث يقتل المنتظر ببطء حركته، فكأن الحدث يتحرك، والزمن لم يتحرك بعد، بخلاف الحركة السريعة التي تمثل مطلبا ينتظره الفاعل (النص ٨، ١٢، ١٣، ١٦: مثلا: "سكوتنا لن يطول ولن يكون إلى ما لانهاية، ونأمل أن يكون الحل الدبلوماسي سريعا، فنحن أمام ضغط شعبي وحقوق مطلبية مشروعة ولن نقف مكتوفي

الأيدي"، "اللجنة الوزارية ارسلت رسالة للقيادة الاماراتية وتنتظر الرد"، "وهو ما يجعلنا نتريث ونفسح المجال أمام الحل الدبلوماسي"، "الرد لم يصل منذ شهرين").

وهذا يجعل من حركة الزمن حياة، ومن توقفه مواتا، ويرتبط هذا المنظور بالمنظور الأول الذي ينظر في الزمن وهو يتحرك وحركته تمنح الأشياء قيمة، وحياة أيضا. ومن ثم فتجمد الزمن يعني تعطل المصالح، وذهاب القيمة المضافة. وفي (النص ١٥: "الحكومة تعمل على حل قضية ميناء عدن، الذي يعاني من ركود منذ توقيع اتفاقية مع شركة موانئ دبي العالمية لتشغيله وتطويره قبل اربعة اعوام") نلحظ أن حركة الزمن عبر المكان تجمدت منذ توقيع الاتفاقية، ومن ثم أصبح يعاني من ركود، وهذا الركود يرتبط زمنيا بتوقيع الاتفاقية مع موانئ دبي.

ويتأكد هذا المنظور في (النص ١٤)، فميناء عدن خارج خطط موانئ دبي، فلفظ (خارج الخطط)، يوحي إلى السامع وكأن المكان قد تجمد، والزمن يجري وينمو لغير مصلحته، ومن ثم فحركة الزمن تصب في مصلحة مكان آخر، فيذبل المكان؛ إذ إن الزمن الخاص للميناء خارج الزمن الخاص بالشركة.

(٢) في خطاب الطرف الإماراتي

(١) القبطان فيصل القحطاني، نائب الرئيس الأول ومدير عام موانئ دبي العالمية منطقة الشرق الأوسط: نتقدم بالتهنئة إلى باسيفيك إنترناشيونال لاينز وإلى سفينتها كوتا كاروم على زيارتها الأولى إلى ميناء عدن وإلى منطقة البحر الأحمر التي تعتبر من أكثر الممرات التجارية البحرية حيوية في العالم في وقتنا الراهن.

(٢) آرثر فلين، مدير عام موانئ دبي العالمية-عدن: لقد مكنا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية المُثبتة من استقبال مثل هذه السفينة الضخمة. نحن فخورون لأن فريقنا التشغيلي كان قادراً على إنجاز العمل بسلامة وخلال وقت ممتاز". ومع عمق الرصيف الذي يبلغ ١٦ متراً تحتل "موانئ دبي العالمية-عدن" موقعاً استراتيجياً كميناء هام يلبي احتياجات المستوردين والمصدرين اليمنيين.

(٣) محمد شرف الرئيس التنفيذي لشركة "موانئ دبي: نحن منذ دخلنا إلى اليمن لم نخل ببنود الاتفاق، فقمنا بضخ الاستثمارات هناك ومضينا قدماً في تنفيذ المرحلة الأولى ووسعنا ساحة الحاويات من ٤٠٠ ألف إلى ٩٥٠ ألف حاوية. لقد نفذنا بنود الاتفاق وأكثر منها حتى خلال الأزمة العالمية لم نتوقف عن التوسعة وتدريب الموظفين. لكن بعد

ذلك بدأت الأزمة اليمنية الحرب ضد الإرهابيين والثورة، الأمر الذي أثر في نمو اليمن وعلى نشاط الموانئ، فبرغم أن الطاقة الإجمالية للميناء ٩٥٠ ألف حاوية لكن التشغيل لم يكن يتجاوز ٢٠٠ ألف حاوية، وكان من المفترض بحسب بنود الاتفاق أن نقوم ببناء رصيف إضافي، لكننا فضلنا أن تهدأ الأمور، ويجب أن يكون الاستثمار كذلك مجدياً، وبالفعل حاولنا وطرحنا مناقصة لبناء الرصيف الجديد، لكن شركات المقاولات لم تتقدم للمناقصة، لم يتقدم أحد للمناقصة خشية الوضع الأمني في اليمن.

(٤) محمد شرف الرئيس التنفيذي لشركة "موانئ دبي: ونحن من دون شك يهمنا استقرار الوضع في اليمن ولقد دخلنا من الأساس إلى اليمن بناء على طلب من الحكومة اليمنية. لكننا في الأخير تفهمنا الوضع ونحن ندرك أن الحكومة الجديدة واقعة تحت ضغط شعبي ومطالب متجددة بالتغيير السريع وحصل التفاوض بالتالي على إلغاء الصفقة، وكان قرار الانسحاب إيجابي علينا حيث ارتفعت أسهمنا مباشرة بعد الإعلان عن إلغاء الصفقة، كما أننا استعدنا كامل استثماراتنا في الميناء.

بالنظر في هذه النصوص فإن تمثل الزمن فيها كما يلي:

يغلب على تمثل الزمن: التزامن الاجتماعي.

في النص الأول تزامن بين حدثين، هما: التهنئة للسفينة وزيارتها. وهو تزامن سياقي؛ يهدف إلى إثبات كفايتهم من خلال ثقة الآخرين فيهم.

وفي النص الثاني: التزامن السياقي بين استقبال ميناء عدن للسفينة وكفاية العاملين، وأيضا مواصفات المكان التي هيأت المناخ لاستقبال السفينة. فالتزامن يركز في استقبالهم للسفينة، وليس في زيارة السفينة (كما في النص الأول)، ومن ثم فهو يهدف إلى إثبات كفايتهم من خلال قدرتهم على استقبال مثل تلك السفن. فهو ينظر في النشاط من خلال قدرته وكفايته وليس من خلال ثقة الآخرين.

وفي النص الثالث تزامن سببي، حيث يربط بين ابتداء عملهم في الميناء وتنفيذهم لبنود الاتفاق، والثورة اليمنية، ومن ثم تعثر العمل في الميناء؛ ليس بسبب إخلالهم، وإنما نتيجة للأحداث التي في اليمن. ومن ثم فالتزامن السببي يعطي مبررا للشركة في تعثر تنفيذ الاتفاقية.

وفي النص الرابع تزامن سببي: (ولقد دخلنا من الأساس إلى اليمن بناء على طلب من الحكومة اليمنية)، فدخول اليمن مترتب على طلب الحكومة اليمنية، وليس لأي هدف آخر، ومن ثم فهو

تزامن سببي يبين أن الحدث الثاني سبب للأول، والحدث الأول مترتب على الثاني. وهو يرد ضمنا على اتهام وزير النقل اليمني لهم بأن الاتفاقية سياسية وليست اقتصادية، وأن دخولهم إلى الميناء كان بهدف تعطيله لمصلحة ميناء جيبوتي... إلخ. كما يربط النص من ناحية أخرى بين مرحلة الدخول ومرحلة الخروج (إلغاء الصفقة)، وأن ذلك مترتب على مطالب الطرف الآخر تجاههم، وهي مطالب بسبب الضغط الشعبي، وليس بسبب تقصيرهم.

ونجد التزامن السببي أيضاً في قوله: (وكان قرار الانسحاب إيجابياً علينا حيث ارتفعت أسهمنا مباشرة بعد الإعلان عن إلغاء الصفقة)، فربط بين قرار الانسحاب وارتفاع أسهم الشركة، وهو تزامن إيجابي عاد بالنفع على الشركة. ويلحظ في هذا النص أيضاً تأكيد التراتبية باستخدام (حيث) في سياق التعليل، واستخدام لفظ (مباشرة)، واستخدام لفظ (بعد) الحدث الأول. ويهدف من هذا التزامن وتأكيداته إلى التقليل من شأن خسارة موانئ دبي لميناء عدن، بل كأنه كان عبئا على الشركة، بمجرد أن تخلصت منه ارتفعت أسهمها.

خاتمة الفصل:

(إطار الفاعلين)

تمثل خطابات النزاع حقلا خصبا لدراسة تمثيل الذات والآخر، بوصفهما فاعلين اجتماعيين، ويهدف الخطاب من وراء هذا التمثيل إلى فرض سلطته، وتأطير الفاعلين من وجهة نظره، وتوجيه النزاع لمصلحته.

أظهرت نتائج تحليل إطار الفاعلين في خطاب النزاع، استخدام أطراف النزاع لمجموعة من الاستراتيجيات، يمثلون من خلالها الذات والآخر، وهذه الاستراتيجيات هي: الانتماء، والفعل، والملكية، والأهداف، والدوافع، والقيم، والتصورات والمعتقدات.

فآلية التصنيف في خطاب النزاع تجعل من الانتماءات التي تمارسها الذات انتماءات شرعية، بينما انتماءات الآخر (تحالفاته مثلا) غير شرعية.

كما تُصنَّف طبيعة الفعل إلى صواب أو خطأ (ما نفعله: صواب، وما يفعله الآخر: خطأ). ونتائج الفعل تصنف إلى إيجابية وسلبية (ما نفعله: إيجابي، وما يفعله الآخر: سلبي). ومن حيث مسؤولية الفعل: (نحن نلتزم بالمسؤولية، بينما هم لا يلتزمون)، ومن حيث الحجة التي وراء الفعل: (حجتنا قوية، وحجتهم ضعيفة)

يحاول كل طرف من أطراف النزاع أن يثبت امتلاكه لمؤهلات الفعل: (القدرة على الفعل، والكفاية، أو الخبرة... الخ)، وتجريد الطرف الآخر منها. كما يسعى كل طرف إلى تبيين مشروعية ما يمتلك، أو ما يفعل، في حين يجرد الطرف الآخر من هذه المشروعية، فيستخدم ألفاظا دالة على القانونية أو المشروعية، أو يحيل إلى اتفاقيات سابقة. كما يسعى كل طرف إلى التعظيم من شأن الأشياء التي تنتسب إليه، سواء الأشياء المادية أو غيرها كالخبرات والمؤهلات والقدرات، وتقليل شأنها بالنسبة إلى الطرف الآخر.

ويرى كل طرف من أطراف النزاع أن أهدافه واضحة، وأنها تحقق النفع العام، بينما أهداف الطرف الآخر مشبوهة، ومضرة، ومؤذية، وتبث الفوضى، وتعرقل التقدم... إلخ. كما أنه يرى أن دوافعه تنطلق من المصلحة العامة، ودوافع خصمه تنطلق من المفسدة العامة.

كذلك يرى كل طرف من أطراف النزاع أن قيمه تدور حول قيم الخير، وأنه أقرب إلى الفضيلة. بينما قيم الآخر هي الشر المطلق، التي لا تمت إلى الخير بصلة.

تتدرج أوصاف الأطراف لتصورات بعضهم بعضاً من العلم إلى الجهل (المعرفة)، ومن الحق إلى الباطل (الاعتقاد)، ومن البصيرة إلى العمى (التصورات)، كل طرف يأخذ الجانب الأفضل فيضفيه عليه، ويضفي على خصمه الجانب الأسوأ.

ومن التصورات أن يتحدث أحد أطراف النزاع عن صورته لدى الآخرين (ممن ليسوا منخرطين في النزاع)، فيبين أن صورته لدى الآخرين إيجابية، وتقوم على علاقات متينة، ومبنية على الثقة... إلخ. كما أن هذا الطرف يتحدث عن الصورة الذهنية للطرف الآخر لدى أطراف أخرى، ويبين أنها صورة سلبية، وأن الآخرين لا يثقون فيه. فهو يضفي الشرعية على موقفه باستدعاء مواقف الآخرين (المحايدين).

(الإطار المرجعي)

وقد عنيت في تحليل الإطار المرجعي لخطاب النزاع، بالكشف عن تمثيل القيم والدوافع والأهداف والأغراض والتوقعات، والتمثلات السلوكية التي تظهر من خلالها الاستعارة المفهومية.

وتتسم الخطابات بنتائج خاصة إلى حد ما؛ فكل خطاب تؤطر مرجعيته استعارات مفهومية، لا تنطبق بالضرورة على خطابات أخرى. فعلى سبيل المثال، بين التحليل أن خطاب القذافي الطويل الذي ألقاه في الساحة الخضراء بطرابلس، بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠١١م، تؤطره ثلاث استعارات، مقسمة وفقاً لثلاث فئات: (الذات، والآخر، والطرف الثالث). استعارة الذات: (أنا ليبيا، وليبيا مجد العالم)، واستعارة الآخر: (من أنتم؟)، واستعارة الطرف الثالث: (المجتمع الدولي شخص شرير)، وقد بينت كيف أن كل استعارة أطرت القيم والدوافع والأهداف والتوقعات.

فمثلاً، الاستعارة (أنا ليبيا، وليبيا مجد العالم)، بدت التمثلات السلوكية لها في إظهار الفخر والاعتزاز بالذات، وإظهار صفات القوة والجبروت، ويتحدث عن تاريخه ونضاله... كما أطر القيم، بدءا من شخصه نفسه الذي حوله إلى قيمة، فخرق قانون القيم التي لا تتمركز حول الأشخاص أو الذوات، إنما ترتكز حول مبادئ ومفاهيم، وتحليل القيم يرينا إلى أي حد تغيب قيم الزعيم المعاصر، الذي يستند إلى قيم القانون والحرية والعدالة وقيم المساواة، وقيم الدولة المدنية. كما أن الإطار الاستعاري للدوافع تمثل في التعالي سواء بـ(السلطة)، أو العدوان (ومن أشد أنواع العدوان التي مارسها في خطابه بلا وعي، هو بيانه أن الحياة لم تعد تمثل لديه قيمة، وأنه مستعد أن يموت). وتحليل التوقعات يشير إلى أن القذافي كان عازماً على القتال وسحق المعارضة، وإعدام من يقبض عليه منهم. وهذا ما حدث فعلا، قاتلهم حتى قُتل.

(الإطار السردي)

وقد عنيت بتحليل الإطار السردي لخطاب النزاع، من حيث نموذج تحليلي يشتمل على الأطر السياقية والاجتماعية والإجرائية، فالإطار السياقي يبين سيناريو الحدث وتسييقه، والإطار الاجتماعي يكشف عن علاقة الحدث بالفاعلين وتصنيف الحدث، والإطار الإجرائي يكشف عن الرؤى الموقفية تجاه الحدث والموقف من حل النزاع وإدارته.

وقد أظهرت الموازنة بين تحليل خطاب الطرف الأمريكي، وخطاب الجهات الإسلامية، فيما يتعلق بأحداث (الفلم المسيء)، أن السرد يختلف من خطاب طرف إلى آخر، بحسب اختلاف الأحداث الرئيسة، واختلاف المفاهيم والأولويات والمواقف.

فتبين من النتائج، أن الخطاب الأمريكي اعتبر الحدث الذي دار حوله السرد هو الاعتداء على أمريكا (سواء سفاراتها، أو شخصياتها، أو قيمها)، ومن ثم فردود فعل المسلمين ضد الفلم المسيء مبالغ فيها، وأن حرية التعبير لا حد لها. وقد جرد الخطاب الأمريكي الحدث من الظروف السياقية التي أدت إليه، وهذا التجريد يعني أنه يرفض أي تبرير أو شرعنة تقود إلى الحدث، ولكنه سيقه في أحداث أخرى، كالحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، ويهدف الربط بين الحدثين؛ إما لاستدعاء رمزية الحدث الأول، وإما لإثارة معانٍ لدى المخاطبين مرتبطة بالحدث الأول، أو غير ذلك مما يبينه السياق. كما سُيق الحدث في أحداث الاعتداءات (الإرهابية) على المسلمين؛ وهي

محاولة لبناء أرضية مشتركة معهم، ويبين أن أمريكا مستهدفة مثلهم. كما سيق بأحداث الثورات العربية؛ ليبين أن أمريكا استهدفت لمواقفها في دعم التغيير في أنحاء العالم.. ومن ثم فهذا التسييق يعني أن الحدث جاء في سياق كراهية أمريكا والغرب، ورفض قيمها، والذين يرفضون ذلك إنما هم المتطرفون والطغاة والمستبدون.

في حين اعتبر خطاب الجهات الإسلامية أن الحدث الحقيقي هو الإساءة للإسلام والتحريض ضد المسلمين، وردود الفعل كانت نتيجة لهذا العامل. وتركز خطابات الجهات الإسلامية على أمرين، هما، الأول: أن العنف الذي أدى إلى مقتل السفير الأمريكي مدان، ولكنه جاء كرد فعل لاستفزازات مشاعر المسلمين، ومن ثم فهذا التسييق يعطي المبرر الضمني لردود الفعل الغاضبة من المسلمين، فهي ليست مجرد ردود فعل على فلم مسيء، ولكن على إساءات ممنهجة، صبر المسلمون عليها طويلا. وهذا يضع الغرب (ولا سيما أمريكا) في دائرة الاتهام بدعمها لتلك الجهات المسيئة. والثاني: أن مفهوم حرية التعبير لا يعني التحريض ضد الأديان وانتهاك مقدساتها.

ومن ناحية ثانية، نجد أن الخطاب الأمريكي يفضل سيناريو البطل الضحية والمعتدي الشرير، الذي يقتل البطل، فيظل تحت المطاردة حتى يتم القبض عليه، ومن ثم فالشخصية الأمريكية محورية في الخطاب الأمريكي، وهو يقدم الشخصية الأمريكية نموذجا للبطل الأمريكي الذي يضحي من أجل الآخرين، فيجسد الخطاب الأمريكي صراعا بين شخصية البطل وشخصية الشرير، وكأنك تشاهد أحد أفلام هوليود، وأنت تستمع لخطاب الرئيس الأمريكي أو وزيرة الخارجية الأمريكية. ولذلك يزخر الخطاب بالصراع، سواء بين الشخصيات، أو العواطف، أو القيم، أو الدوافع، أو الأهداف. في حين يفتقر خطاب الجهات الإسلامية إلى مثل هذه الدينامية في تصوير الشخصيات، والعواطف، بل إن خطاب الجهات الإسلامية خلا من العواطف الإيجابية، كالأمل والتغيير (وهي العواطف التي زخر بها الخطاب الأمريكي)، وغلب على خطاب تلك الجهات العواطف السلبية، كالقلق والتخوف.

ومن ناحية ثالثة، فقد أظهرت النتائج أن الخطابين (الأمريكي وخطاب الجهات الإسلامية) يحاولان بناء أرضية مشتركة، تعزز الرغبة في السلام والأمن والاستقرار.

ويستخدم الخطاب الأمريكي مجموعة من استراتيجيات (الشراكة)، كالشراكة في الخطر، وفي المصير، وفي الموقف والأفعال، وفي القيم والمشاعر، كما يبني أرضية مشتركة مع الآخر بالحديث عن إيجابياته ومحاسنه، وإنجازاته، بحيث يوجد جوا من الود والألفة بين الطرفين؛ مما يبني معه أرضية من التفاهم، ويعزز الثقة. كما أنه يعكس الأمور التي يريد المتكلم تعزيزها لدى الآخر، وكأنه يقول له: هذه الأفعال التي ينبغي أن تتصف بها، ففيها سلطة توجيهية. كما أن الطرف الأمريكي يؤكد في خطاباته أن النزاعات طبيعية، وأن الطريق إلى حلها لا يكون بالعنف والعنف المضاد، ولا يكون بالحرب، ولكن باللجوء إلى القانون، ومن ثم فانتهاك سلمية حل الخلاف يعد انتهاكا للقانون الدولي، ولميثاق الأمم المتحدة. أما اللجوء إلى القانون الدولي فهو السبيل لاستمرار العلاقات والتحالفات والشراكات، وللحفاظ عليها.

وأخيراً، فإن الخطاب الأمريكي يحدد الإجراءات التي يريد اتخاذها بوضوح، ممثلة في أفعال محددة بدءا من إدانة الحدث، ومطالبة الآخرين بإدانته، ثم اللجوء إلى القانون الدولي، والوعد بملاحقة الجناة حتى يقبض عليهم، ويسلموا للعدالة.

في حين نجد أن الإجراءات التي يطرحها الخطاب الإسلامي هي (الدعوة)، و(المناشدة) و(التوصية)... لا يوجد وعد بفعل جازم، بالرغم من أن منظمة التعاون الإسلامي تمثل دول العالم الإسلامي.

(الإطار الظرفي)

وبالنسبة إلى تحليل الزمن والمكان في خطاب النزاع، فقد حللتها من خلال رباعية تشمل: الموضوع، والربط، والفاعلية، والحركة. وحللت عينة النزاع بين الحكومة اليمنية وشركة موانئ دبي بشأن ميناء عدن.

أولاً: الإطار المكاني

أظهرت نتائج التحليل، من حيث الموضوع، أن التمثيل الإدراكي للمكان في خطاب الطرف اليمني، يؤطره المنظور التاريخي، فـ(عدن) جزء من التاريخ الممتد من الماضي إلى الحاضر، وفي ظل إدارة الطرف الآخر لم يعد في الحاضر. وحين يتحدث عن حاضره فهو المكان المشلول، الذي لا ينمو، ولا يتحرك. فالطرف الآخر أخرج المكان من الزمن الحاضر إلى اللا-زمن. وحين يُنظر إليه

بوصفه مستقبلاً فيكون ذلك في إطار الماضي، وبذلك ترتبط مطالب الطرف اليمني بالجانب التاريخي للميناء، فهو حق تاريخي مستلب، والملكية تاريخية.

أما في خطاب شركة موانئ دبي، فـ(المكان حاضر)، ومن ثم فالحديث عن الميناء وصفي وليس تاريخياً؛ وذلك لأنه لا يرتبط به إلا في الحاضر، وكل الصلات التي تربطه به لا ترجع إلى الماضي، بل هي في الحاضر فقط.

ومن حيث الربط، ظهرت عدة تمثلات للربط المكاني في خطاب الطرف اليمني، كالربط بين مكانين، أو بين المكان والفاعل، أو بين المكان والنشاط. ولكل تمثل من ذلك عدة صور. فمثلاً، الربط بين المكانين من صوره: الربط بين مكانين متناظرين، كميناء عدن وميناء جيبوتي، وكلاهما تديرهما شركة موانئ دبي، فيرى الطرف اليمني أن الشركة في جيبوتي حققت نجاحا، لم تحققه في اليمن، فيصبح هذا الربط حجة يستخدمها الطرف اليمني ضد الطرف الآخر، فالشركة غير عاجزة، ولديها القدرة والمهارة، ومن ثم فحسن إدارتها لميناءٍ وسوء إدارتها لآخر لا يعني أكثر من أن الشركة تريد الإضرار بميناء عدن. وأما ربط المكان بالفاعلين فيبين أن المكان مفعول يخضع لإرادة الفاعلين سلبا أو إيجابا.

أما في خطاب شركة موانئ دبي، فهو يربط بين المكان وفاعله الذي يديره بكفاية واقتدار، كما أن المكان يرتبط بموقعه وليس بتاريخه؛ ففاعلية المكان ووظيفته لا تعود إلى مكانة تاريخية، ولكن إلى موقع استراتيجي مهم يجعله عصبا لحركة التجارة.

ومن حيث الفاعلية، يبدو المكان في خطاب الطرف اليمني ذا وظائف متعددة، فهو ليس مجرد تاريخ، ولكنه وظيفي، ففاعليته تتمثل من خلال الوظائف المرتبطة به، كالرمزية الثقافية، التي حولته من مجرد مكان يمارس فيه نشاط تجاري، إلى مكان رمزي مثّل شيئا بالنسبة إلى اليمنيين، وأصبح صورة من صور هويتهم التي يرتبطون بها. كما أن المكان رافد اقتصادي ومورد للرخاء. إن إدراك الطرف اليمني للمكان لا يرتبط بنظامه البصري، وبوظيفته البصرية، ولكنه يرتبط بوظيفته الرمزية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا يعبر عن الانتماء إلى المكان، والشعور بعمق فاعليته في حياة اليمنيين.

في حين تبدو فاعلية المكان في خطاب شركة موانئ دبي، أنه مكان حيوي يقوم بوظيفته، فهو ليس مريضا يعاني، وليس مشلولا مقعدا، بل هو مكان فاعل، يمثل رافدا للاقتصاد الوطني ويلبي احتياجات التجار.

ومن حيث الحركة، فيمثل الطرف اليمني المكان في ضوء استعارتين، هما: المكان سكون (وهذا التمثيل يتواءم مع تمثيل المكان التاريخي، فهو ساكن منذ الأزل، يستوعب حركة التاريخ وحركة الأنشطة التجارية العالمية)، والاستعارة الثانية: المكان نمو؛ فبينما ارتبط تمثيل سكون المكان بالجانب التاريخي ونشاط التجارة العالمية تاريخيا، نجد أن الحديث عن المكان في الحاضر يرتبط بالفاعل الآخر، الذي يعيق نموه وحياته، ومن ثم فالمكان يغدو مشلولا، بلا حياة، ولا حراك.

في حين يمثل خطاب شركة موانئ دبي حركة المكان في أنها حركة نمو وحياة، وهي حركة فاعلة إيجابية تلبي الاحتياجات التجارية.

ثانياً: الإطار الزمني

من حيث الموضوع، يتمثل الطرف اليمني الزمن في ضوء مجموعة استعارات، منها: (الزمن مسافة)، و(الزمن نظام قياس)، وقد يكون أداة قياس نفسية لتوقع حدوث النشاط، و(الزمن حياة). ومن حيث الربط، تجلت مجموعة من التمثلات، منها: (التزامن الامتناعي)، وهو تزامن مستقبلي بين حدثين كانا متوقعين، ولكن امتنع حدوثهما. و(التزامن السياقي)، فيربط بين حدثين وقعا، والرابط بينهما نفسي، ومن ثم فالحدثان يمثلان مبررا أو عاملا نفسيا للمتكلم؛ يبني على ذلك حجة، أو دلالة معينة، أو يبين مفارقة ما... إلخ. و(التزامن السببي)، فيربط بين حدثين يعد أحدهما سببا، والآخر نتيجة، و(التزامن الشرطي)، فيربط بين حدثين في المستقبل ليكون أحدهما شرطا أو قيدا للحدث الآخر، و(التزامن الحجاجي)، فيربط بين حدثين أحدهما حجة على الآخر. ومن حيث الفاعلية، يتمثل الزمان أنه (عامل مؤثر) سلباً أو إيجاباً. ومن حيث الحركة يتمثل الزمن على أنه يتحرك عبر الأشياء، فهو زمن سيّال يمر، ومروره يمثل قيمة على ما يمر به، فحركة الزمن ترفع من رصيد المكان؛ ومن ثم فهذا المرور يجعل للزمن فاعلية وتأثيرا. كما يجعل من حركة الزمن حياة، ومن توقفه مواتا، ومن ثم فتجمد الزمن يعني تعطل المصالح، وذهاب القيمة المضافة.

أما في خطاب شركة مـوانئ دبي، فيغلـب عـلى تمثـل الـزمن (التـزامن الـسياقي)، و(التـزامن الـسببي).

الفصل الثاني: الإطار التواصلي

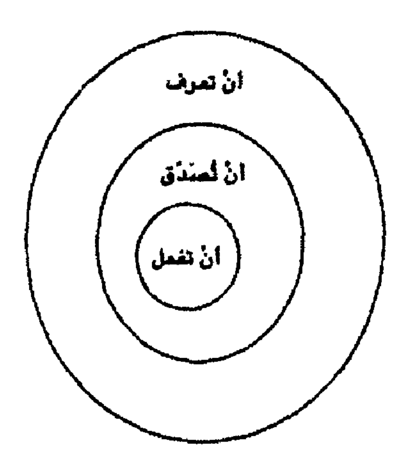
- تمهيد
- المبحث الأول: استراتيجيات التوجيه
- المبحث الثاني: مستويات تصعيد الصوت
- خاتمة الفصل

تمهيد

تحدثت في الفصل التمهيدي عن نظرية المناورة والأفعال الكلامية، وأشرت إلى أن خطاب النزاع ليس ساكناً، بل خطاب تتصارع فيه قصديات الأطراف واستجاباتهم، وتتصاعد فيه الاستراتيجيات الخطابية مع تصاعد مراحل النزاع. ومن ثم فهناك حاجة إلى النظر فيه من زاويتين، الأولى: (قصد المتكلم)، أي: ما الذي يقصده المتكلم من خطابه. والثانية: (اعتقاد المتلقي)، أي: ما الذي يعتقده المتلقي في خطاب المتكلم. ولذلك لا بد من طرح سؤالين، الأول: كيف تُصنَّف الوظائف التواصلية من وجهة نظر المتكلم؟ والثاني: كيف تُصنَّف من وجهة نظر المتلقي؟

قصدية المتكلم:

بالنظر في وجهة نظر المتكلم (القصدية)، سأصنف الوظائف التواصلية إلى ثلاث وظائف: (أنْ تعرف)، و(أن تُصدّق)، و(أنْ تفعل). والعلاقة بين هذه الوظائف هي علاقة العموم والخصوص، كما في الشكل التالي:



شكل (٧): الوظائف التواصلية بالنظر إلى قصدية المتكلم

تمثل وظيفة المعرفة المستوى الأول من الوظائف التواصلية، فالمتكلم يريد من المخاطب أن يعرف. والمستوى الثاني مستوى التصديق، فيكون قصد المتكلم أن يقتنع المخاطب بما يقول، والمستوى الثالث: مستوى الفعل، فيكون قصد المتكلم أن يفعل المخاطَب شيئا (فهي وظيفة توجيهية).

وتشمل وظيفة (المعرفة) الوظيفتين الأخريين: التصديق والفعل، ووظيفة التصديق تشمل وظيفة الفعل، فوظيفة الفعل أخص الوظائف التواصلية؛ إذ هي بالضرورة تتضمن التصديق

والمعرفة. فإذا قلت لصديقك: (أرسلت لك رسالة على البريد الإلكتروني)، فهذه العبارة ذات وظيفة فعلية، وإن كانت في ظاهرها معرفية إخبارية؛ إذ مضمونها القول: افتح بريدك واقرأ رسالتي. ولو قال موظف لمديره: (لقد تأخرت؛ وقع حادث في الطريق) فهي عبارة ذات طابع حجاجي وتصديقي، وفي الحقيقة أنها عبارة فعلية، فهو يريد القول: لا تعاقبني؛ لأنني لم أتأخر باختياري، وقس على ذلك.

الصوت اللغوي وغير اللغوي:

ذكرت سابقاً أن الصوت: "كافة الإجراءات الخطابية التي يمارسها المتكلم في خطابه المنطوق وغير المنطوق، وتظهر في أفعاله وممارساته". هذه الإجراءات تتجلى في اللغة وفي الممارسات. فالإجراءات الخطابية التي يتخذها طرف ما لا تقتصر على المظهر اللغوي، بل تشمل الممارسات نفسها، التي يقوم بها أي طرف تجاه الطرف الآخر، لتحقيق مقاصده وأهدافه. ومن ثم فخطابات النزاع بين الأطراف تعتمد على المظهرين: اللغة والممارسة، وبالنسبة إلى الممارسة فهي ذات مستويات مختلفة تبدأ من السلمية، كالاحتجاجات وتنتهي بالعنف كالحروب. ويصحب هذه الممارسات خطابات تعكس مستوى الممارسة نفسها، بمعنى أنه في وقت الممارسة النزاعية السلمية سيكون الخطاب متوائماً مع الحالة نفسها، وكلما تم تصعيد الممارسات تم التصعيد في الخطابات.

ولصوت المتكلم مظهران: مظهر لغوي ومظهر سلوكي، ووفقاً لهذا الصوت يحصل الشد والجذب بين أطراف النزاع، فكل طرف يحاول أن يجيد استخدام صوته، وفقاً لإمكانياته، وتوقعاته، وأهدافه. وسيُعنى هذا البحث بدرجة أولى بالصوت اللغوي، ولكنني سأتطرق بإيجاز إلى الصوت غير اللغوي.

أقصد بالصوت اللغوي: الصيغ الكلامية التي يمارسها الأطراف بعضهم تجاه بعض، كالتهديد، أو الإنذار، أو التصعيد، أو الوعد.... إلخ. والصوت غير اللغوي يتعلق بالإجراءات التي يفعلها طرف تجاه الطرف الآخر، إما في تصعيد النزاع أو تهدئته، وإما في البحث عن حل للنزاع، من خلال التفاوض أو الوساطة أو التحكيم... إلخ. فالحديث عن الإجراءات صوت لغوي، أما الإجراءات نفسها فيه صوت غير لغوي.

اعتقاد المتلقي:

كيف نصنف استراتيجيات الصوت اللغوي من وجهة نظر المتلقي؟

لتصنيف هذه الاستراتيجيات، نحدد أولاً المبادئ التي تقوم عليها، فهي تقوم على ثلاثة مبادئ[1]:

المبدأ الأول: الإمكانية، أي: مدى إمكانية تحقيق الاستراتيجية في ظل القدرات والإمكانيات والسلطات التي يمتلكها منشئ الخطاب.

والمبدأ الثاني: الفعالية (كيف تعكس الاستراتيجية الدوافع؟ وكيف تحقق الأهداف؟).

والمبدأ الثالث: التوقع؛ فالمتحدث يضع توقعاته في ردود فعل الطرف الآخر على الطاولة، وفي ضوء إمكانياته هو، وتوقعاته لرد فعل الطرف الآخر، وأهدافه التي يريد تحقيقها يختار الصيغ التوجيهية المناسبة.

ومبدأ (التوقع) يتحقق من خلال ما أسميه: المعيار القانوني للقول، أي: المدى القانوني والمؤسسي للقول الذي يصدره منشئ الخطاب، والذي يعتقده في الوقت نفسه متلقي الخطاب.

فهذا أساس لتصنيف الوظائف الكلامية من وجهة نظر المتلقي

فمثلاً: التهديد، حين يقوم (أ) بتهديد (ب)، فإذا كان (ب) يعتقد أن (أ) قادر على الفعل (ويكون تصرفه بناء على ما يعتقد)، فإن الصوت صوت (قدرة)، أما لو كان يعتقد أن (أ) عاجز عن الفعل، فإن الصوت صوت (عجز). وكذلك في الوعد، أو في الإخبار (الاعتقاد بمصداقية المخبر)... إلخ.

وبناء على ذلك، فقد صنفت الصيغ القولية إلى ثلاثة مستويات متدرجة: صوت القدرة (مستوى مرتفع)، وصوت المشاركة (مستوى متوسط)، وصوت العجز (مستوى منخفض).

- (صوت القدرة): المخاطَب يعتقد أن المتكلم يمتلك القدرة على تنفيذ الفعل، أو لديه المصداقية التي تجعله مصدرا للمعرفة.
- (صوت المشاركة): المخاطَب يعتقد أن المتكلم ذو قدرة ومصداقية، ولكنه لا يمتلكها منفردا، والمتكلم يعتقد ذلك أيضاً، فهما معاً يملكان القدرة والمصداقية.
- (صوت العجز): المخاطَب يعتقد أن المتكلم لا يمتلك لا القدرة ولا المصداقية.

وعودة إلى الوظائف التواصلية (أن تعرف، أن تصدق، أن تفعل)، فإن المتكلم حين يستخدم أيا من هذه الاستراتيجيات، فإن المخاطب يقيسها وفقا لمستويات الصوت، فينشأ عن ذلك

---

(١) يرى (Mefalopulos & Kamlongera, 2004) أنه لكي تؤدي الاستراتيجية غرضها، فينبغي أن تكون: منسجمة مع الأطر العامة، وممكنة (بالنظر في القدرات والموارد)، وفعالة (بالنظر في الأهداف).

وأرى أن الانسجام العام يندرج تحت الفعالية، أي مدى توافقها مع الأهداف. وأضيف إلى هذه المبادئ: التوقع. ومن ثم فتحليل استراتيجية التواصل يقوم على ثلاثة مبادئ، الأول: الإمكانية، والفعالية، والتوقع.

مستوى أفقي للوظائف الكلامية (تمثله وجهة نظر المتكلم)، ومستوى رأسي (تمثله وجهة نظر المتلقي)، كما في الجدول التالي:

		اعتقاد المتلقي (ب)		
		صوت القدرة	صوت المشاركة	صوت العجز
قصدية المتكلم (أ)	أن تعرف	يعتقد (ب) أن (أ) مصدر صحيح للمعرفة	يعتقد (ب) أن (أ) مشترك معه في مصدرية المعرفة	يعتقد (ب) أن (أ) ليس مصدرا صحيحا للمعرفة
	أن تصدق	يعتقد (ب) أن (أ) ذو مصداقية	يعتقد (ب) أن (أ) ذو مصداقية مشتركة معه	يعتقد (ب) أن (أ) ليس ذا مصداقية
	أن تفعل	يعتقد (ب) أن (أ) ذو قدرة منفردة	يعتقد (ب) أن (أ) ذو قدرة مشتركة	يعتقد (ب) أن (أ) ليس ذا قدرة

جدول (٣): العلاقة بين قصدية المتكلم واعتقاد المتلقي [أ: المتكلم، ب: المتلقي]

والخلاصة أنني في تحليل عينة النزاع من وجهة نظر تواصلية، سأتكئ على أربع مقولات:

الأولى: (قصدية المتكلم)، أي: الوظائف التواصلية لمنشئ الخطاب، وسيكون التركيز في وظيفة التوجيه، باعتبارها المقصد الأساس للتواصل، (أن يفعل). فهو تحليل للعينة من وجهة نظر المتكلم، وسأدرسها في المبحث الأول (استراتيجيات التوجيه).

الثانية: (اعتقاد المتلقي)، أي: المدى القانوني لصوت النزاع، وهذا يأخذ في الاعتبار وجهة نظر المخاطَب، أي كيف ينظر في صوت الطرف الآخر، وكيف يتفاعل معه وفق اعتقاده، وليس وفق ما يريده الطرف الآخر؟ وهذه المقولة تكمل المقولة الأولى.

الثالثة: تقسيم الصوت في الإطار التواصلي بين أطراف النزاع إلى صوت لغوي، وغير لغوي، والنظر في تفاعل هذين الصوتين، فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، ولا بد عند تحليل خطاب النزاع من النظر إليهما معا.

الرابعة: باعتبار أن العينة متعلقة بخطاب النزاع، فمن المهم عدم الاقتصار في التحليل على النظر في الخطاب في حالته الساكنة، بل لا بد من النظر فيه في الحالة المتحركة صعودا أو هبوطا، ومن ثم يجب إدخال مستويات تصعيد الصوت في تحليل الإطار التواصلي لخطاب النزاع.

سأدرس هذا الفصل في مبحثين، المبحث الأول ينظر في خطاب النزاع في حالته السكونية، فيدرس استراتيجيات التوجيه، ويطرح سؤالين: كيف يتم التعبير عن التوجيه (الاستراتيجيات التعبيرية)؟ وإلى ماذا يهدف التوجيه (الاستراتيجيات القصدية). وينظر المبحث الثاني في خطاب النزاع في حالته المتحركة، فيدرس مستويات تصعيد الصوت، آخذا في الاعتبار المقولات الثانية والثالثة والرابعة.

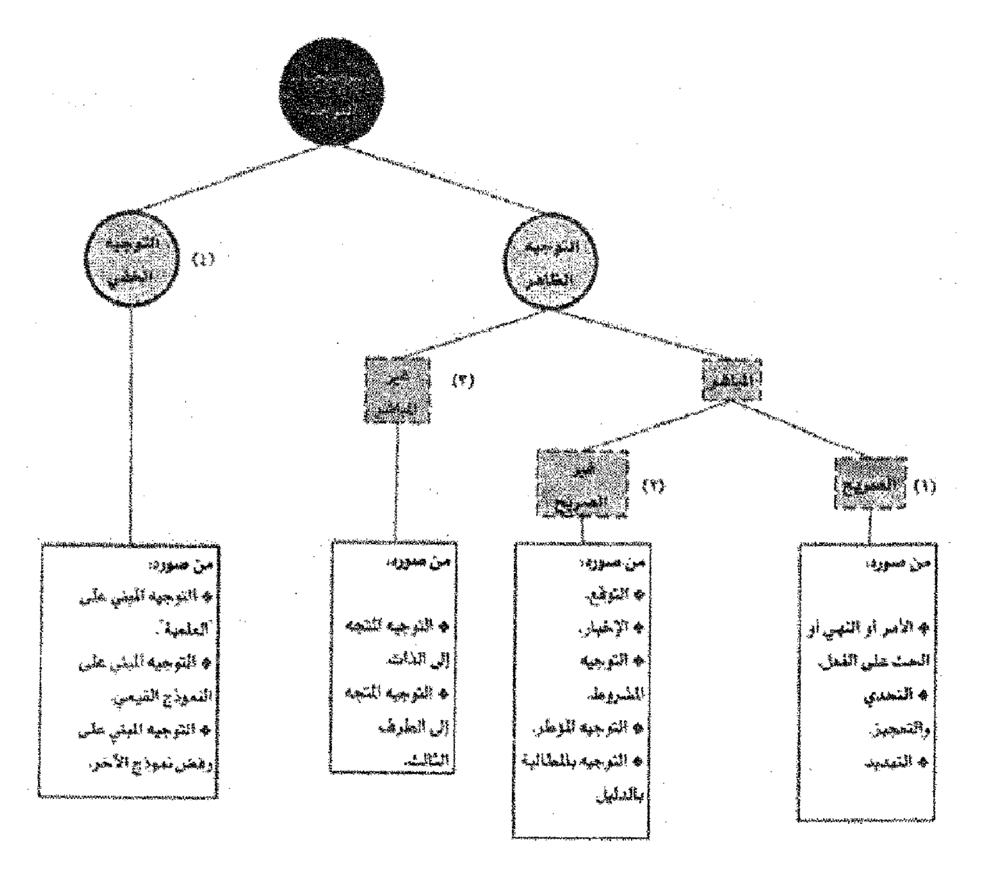
المبحث الأول: استراتيجيات التوجيه:

- المطلب الأول: الاستراتيجيات التعبيرية
- المطلب الثاني: الاستراتيجيات القصدية
- المطلب الثالث: تحليل عينة: قرار مجلس الأمن ١٩٧٣

المطلب الأول: الاستراتيجيات التعبيرية

التوجيه، هو قصد المتكلم أن يؤثر في المخاطَب، ويستخدم لذلك تقنية "ينبغي أن تكون/ أن تفعل"، والمراد بـ"ينبغي أن تكون": توجيه الهوية، و"ينبغي أن تفعل": توجيه الفعل. فهو يمارس سلطة تغييرية، يريد من خلالها إحداث تغيير في الطرف الآخر. والتوجيه هو إحدى الوظائف التواصلية، كما سبق أن بينت في المدخل النظري.

وبتحليل عينة النزاع تبين أن للتوجيه أربع استراتيجيات تعبيرية، أبينها في الشكل التالي:



شكل (٨): استراتيجيات التوجيه التعبيرية

يوضح الشكل السابق استراتيجيات التوجيه التي يتم التعبير عنها في الخطاب، سواء التوجيه الظاهر (الذي تكون معه صيغ التوجيه ظاهرة في الخطاب، سواء مباشرة أو غير مباشرة)، أو التوجيه الخفي (الذي لا تظهر معه صيغ التوجيه في الخطاب).

أ – استراتيجيات التوجيه الظاهر: الذي تكون معه صيغ التوجيه ظاهرة في الخطـاب، وصيغ التوجيه إما تكون مباشرة (موجهة إلى الطرف الآخر)، أو غير مباشرة.

والتوجيه المباشر إما يكون صريحا (فيستخدم في التوجيه عبارات صريحة)، كالأمر أو النهي أو الحث أو التهديد... إلخ، وإما يكون غير صريح، كالإخبار، أو التوقع، أو الشرط، وغير الـصريح "يصانع" الطرف الآخر.

أما التوجيه غير المباشر، فلا يتجه الخطاب فيـه إلى الطـرف الآخـر مـن النـزاع، بـل يتجـه إلى "الذات"، أو إلى "الطرف الثالث". وكأنـه يتجاهـل الطـرف الآخـر فيظهـره وكأنـه غـير جـدير بالتوجيه.

ب – استراتيجية التوجيه الخفي: أن يستخدم المتكلم صيغاً تخفي التوجيه، فيبنى التوجيه على النموذج القيمي، أو العلمي، أو الرفض.... ومن ثم فيبدو الخطاب وكأنه خالٍ من التوجيه.

أولاً - استراتيجية التوجيه الظاهر المباشر الصريح:

التوجيه الظاهر المباشر الصريح، هو التوجيه الذي يستخدم معه عبـارات صريحـة موجهـة إلى الطرف الآخر. مثلاً: افعل (الأمر)، لا تفعل (النهي)، أحثك أن تفعل (الحث والتحريض)، إيـاك أن تفعل (التحذير)، أتحداك أن تفعل (التحدي والتعجيز)، سـأعاقبك إن فعلـت، أو: سـأعاقبك إن لم تفعل (التهديد والوعيد)، سأكافئك إن فعلت (التحفيز والإغراء).

فهذه صيغ صريحة توجه المخاطَب إلى الفعل أو ترك الفعل، ومن ثم فهي تحـصر المخاطَـب في مسار واحد (إما أن يفعل أو لا يفعل)، وليس هناك خِيار بين أمور متعددة، وهذا بخلاف الشرط أو الوعد... كما سيأتي.

ومن أمثلته:

– الأمر أو النهي أو الحث على الفعل:

كخطاب الرئيس اليمني: "على أشقائنا في إيران أن ترفع يدها من اليمن" (هكذا نص الخطاب).

وكتصريح وزيرة الخارجية الأمريكية: "أحث الصين على أهمية التنسيق مـع التجمـع الآسيوي لحل الأزمة".

- التحدي والتعجيز:

بيان تكتل نشطاء عدن، وفيه: بأن قضية (عبدالكريم لالجي – أحد المعتقلين في اليمن) قضية سياسية بامتياز وتدخل ضمن المحاكمات السياسية والفساد الأمني، في حين لا تقوى الدولة على القبض أو محاكمة كبار المشايخ والنافذين في الشمال الذين يستلمون الأموال من بعض الدول".

- التهديد:

كقول مصدر دبلوماسي يمني: "على إيران أن تدرك أن اليمن ليس وحيدا ومعزولا عن أشقائه".

فهو يهدد إيران، ويوجهها بأن تترك اليمن؛ إذ اليمن ليس وحيدا حتى يسهل ابتلاعه.

وكقول الرئيس اليمني: "فاكتفوا بالقنوات ما لم ستتخذ إجراءات، وستكون إجراءات صعبة ومرة عليهم".

ثانياً: استراتيجية التوجيه الظاهر المباشر غير الصريح:

التوجيه الظاهر المباشر غير الصريح، هو التوجيه الذي يتجنب فيه الصيغ الصريحة، ويستخدم صيغا غير صريحة، كالتوقع، أو الشرط، أو التوجيه المؤطر، ومن ذلك:

- التوقع الصريح: التوجيه المباشر غير الصريح بـ"التوقع" من الآخر أن يفعل، وهو توجيه سلطوي منخفض؛ إذ يقدر ذات الطرف الآخر، فالمتكلم يعطي المخاطَب إيحاء بأنه يريد أن يفعل ذلك، دون توجيه من أحد. ومن أمثلة ذلك قول المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية بخصوص النزاع مع الصين حول الناشط الصيني:

"إن بلادها تتوقع من السلطات الصينية أن توافق بشكل سريع على طلب غوانغتشينغ للحصول على تصريح للسفر".

- التوقع الوصفي، وهو التوقع القائم على الوصف، وعادة ما يكون وصفا تقييميا، فكأن فيه توجيها للمخاطَب بأن هذا هو السلوك المتوقع منه، ومثاله: قول وزيرة الخارجية الأمريكية في كلمتها في الجلسة الافتتاحية للحوار الاستراتيجي والاقتصادي الأميركي – الصيني:

"إن الصين التي تحمي حقوق جميع مواطنيها ستكون دولة أقوى وأكثر ازدهاراً".

فهي تصف الصين بأنها تحمي حقوق مواطنيهـا، وهـذا الوصـف مـرتبط بـالتوقع، فـالوزيرة تقول: إذا اتصفت الصين بهذا الوصف فستكون دولة أقوى وأكثر ازدهاراً.

- التوقع التهكمي: وقد يكون التوقع من باب التهكم، حيث يقوم على الافتراض بحسن نيـة الطرف الآخر، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المقال الافتتاحي لوكالة الأنباء الصينية ردا على خطـاب الرئيس الأمريكي الذي أعلن فيه الاستراتيجية الدفاعية الجديدة:

"إن توجه الرئيس الأمريكية باراك أوباما لتعزيز الوجـود الأمريكـي في منطقـة آسـيا والمحيط الهادي ربما يكون موضع ترحيب إذا أسهم في تحقيق الاستقرار والرخـاء في تلـك المنطقة. ولكن إذا كان ذلك الوجود عسكريا فإنه قد يولد النوايا السيئة ويعـرض الـسلام للخطر".

وكتصريح مساعد وزير الخارجية الايراني للشؤون العربية والأفريقية:

"كان من المتوقع أن لا يواصل حكام اليمن الجدد النهج الخاطئ لأسلافهم".

- التوجيه المشروط، أن يوجه الطرفُ المتحدث الطرفَ الآخر، عن طريق الـشرط: إذا فعلـتَ كذا ستحصل على كذا، فهو توجيه مفتوح، بمعنى أن بإمكـان المخاطـب أن يفعلـه وبإمكانـه ألا يفعل. كقول الرئيس الصيني:

"إذا ما قامت الولايات المتحدة بتخفيف القيود التي تفرضها على تصدير التكنولوجيا إلى الصين، سيكون ذلك أمرا جيدا ليس لمعالجة العجز في ميزانها التجـاري فحـسب، بـل بتعزيز الاقتصاد الأمريكي وفرص العمل في الولايات المتحدة".

- التوجيه المؤطر، بمعنى أن الطرف الموجِّه يرسم للطرف الآخر الإطار الذي ينبغـي عليـه أن يكون فيه، أو أن يعمل في حدوده، دون أن يتجاوزه، كتصريح لوزير الخارجيـة اليمنـي في النـزاع مع إيران:

"إذا كان هناك من عون لأية دولة في المنطقة فهو لكي تسهم في مساعدة الدولة الشقيقة أو الجارة، لهذا السبب نحن حريصون أن يكـون لإيـران الـدور الايجـابي في تعزيـز وحـدة اليمن وأمنه واستقراره وعدم التعاون مع أي طرف من الأطراف السياسية في الـيمن إلا في الإطار المتعارف عليه".

وتصريحه أيضاً:

"نحن في اليمن منذ فترة حاولنا أن نطور من علاقاتنا مع إيران ونؤكد على أن هذه العلاقات يجب أن تنطلق من الندية ومن احترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وأنا شخصيا حملت رسائل عدة منذ فترة إلى إيران حاولنا إن نؤكد فيها أننا لا نريد لعلاقات البلدين أن تتأثر نتيجة تدخلات بعض الأطراف الإيرانية في الشأن اليمني، وكنا نوعد كثيرا ويقال لنا أن هذه التدخلات من خارج إطار الحكومة والجهات الرسمية، لكننا كنا نقول لهم دائما أنه لا يمكن لبعض الأطراف أن تعمل للإساءة بين دولتين شقيقتين وتقف الحكومة عاجزة عن وضع حد لهذه التدخلات".

فعبارة الوزير (إذا كان هناك من دور.. فهو لكي تسهم في مساعدة...)، وكذلك عبارته: كنا نؤكد لهم أن هذه العلاقات يجب أن تنطلق من الندية...إلخ. فالعبارات تؤطر المسار الذي ينبغي على الطرف الآخر أن يسلكه؛ حتى لا تتوتر العلاقات بين الطرفين.

- التوجيه من خلال المطالبة بالدليل، فحين يتهم الطرف "أ" الطرفَ "ب" بأمر ما، ويرسل الدعاوى، فإن الطرف "ب" يطالبه بالدليل، فهو يقول له: لا تتهمني، ولو كنت صادقاً فهات الدليل. ومن أمثلة ذلك قول المتحدث باسم السفارة الإيرانية في صنعاء:

"طلبنا من الحكومة اليمنية في اتهامات سابقة، بأن يأتوا بالأدلة ونحن سنقوم باتخاذ الإجراءات".

ثالثاً: استراتيجية التوجيه الظاهر غير المباشر:

التوجيه غير المباشر، الذي لا يتجه إلى الطرف الآخر، ولكنه يتجه إما إلى الذات، وإما إلى أطراف أخرى.

أ - توجيه الذات، بالالتزام أو الوعد، مثل:

وزير النقل اليمني بشأن ميناء عدن: "إن الحكومة عازمة على إعادة قيمته التاريخية والعالمية وخلق مناخات وجسور الثقة مع شركات الملاحة العالمية".

فهو يتحدث عن نفسه كطرف في النزاع، بأنه عازم على المضي قدما في تطوير الميناء وإعادة قيمته التاريخية والعالمية، وإعادة دوره التجاري... إلخ، ومن ثم فالخطاب يوجه رسالة إلى الطرف الآخر مضمونها: إننا عازمون على إنهاء القضية وفق هذه الرؤية، وعليكم أن توفروا الوقت

والجهد؛ لأننا لن نتنازل. وإضافة إلى التوجيه غير المباشر، فإن التصريح يحمل دلالة الاهتمام، والحرص على الفعل، والعزم على التنفيذ. وقد جاء التوجيه في صورة الإخبار المستقبلي، وهي صيغة الالتزام والتعهد.

ومثله أيضاً قول وزير الخزانة الأمريكي، بشأن النزاع التجاري مع الصين:

"أتعهد بأن تواصل الحكومة سعيها في سبيل ضمان حصول الشركات الأمريكية التي تجري تعاملات تجارية مع الصين على معاملة عادلة".

فهو يتعهد بأن يفعل موقفاً تجاه الآخر، ولا يوجه أمره إلى الطرف الآخر، وكأنه غير جدير بتلقي الأمر، بل يفرض ذلك بتعهده والتزامه.

وقد يكون التوجيه بين بعض فئات الطرف الواحد، فمثلا: في قضية النزاع بين اليمن وموانئ دبي، وجهت الهيئة الوطنية العليا لمكافحة الفساد:

"بضرورة إلزام مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية بسرعة مباشرة الإجراءات القانونية الخاصة بإنهاء اتفاقية تأجير محطتي المعلا وعدن؛ لثبوت تعمد المشغل وكيل الشركة المشتركة "دبي وعدن لتطوير الموانئ" عدم تنفيذ خطة الاستثمار الخاصة بالمرحلة الأولى من عملية التطوير خلال الفترة الزمنية المحددة لها، مع اتخاذ كافة الإجراءات القانونية للمطالبة بالتعويض العادل جراء الأضرار الفادحة التي تعرض لها ميناء عدن للحاويات؛ نتيجة للإدارة والتشغيل السيء من المشغل".

فهي توجه الحكومة بإلزام مؤسسة موانئ خليج عدن بأن تتخذ الإجراءات لفك الارتباط عن موانئ دبي... والتوجيه هنا يتضرر منه الطرف الآخر بلا شك، ولكنه متجه إلى الطرف اليمني.

وقد يعلن طرف ما تأييده لإجراء اتخذته فئة من الطرف نفسه، مثل بيان وزارة النقل اليمنية عندما قررت مؤسسة موانئ خليج عدن استقلال الميناء من طرف واحد، وقد جاء فيه:

"لذلك فوزارة النقل تؤيد قرار مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية بممارسة كامل حقوقها بموجب اتفاقيات المشروع ذات العلاقة، وأن تقوم من الآن فصاعدا باتخاذ الخطوات اللازمة لتحسين التشغيل في ميناء عدن الذي يخدم مصالح اليمن".

ب – توجيه الأطراف الأخرى، حيث يطلب المتحدث من أطراف أخرى اتخاذ إجراء ما، مثل تصريح وزير الخارجية اليمني بشأن التدخل الإيراني:

"إن الأمور أضحت على نحو حقيقي يدركه الجميع، وعلى الدول الكبرى التحرك الفعلي لمنع ذلك".

فالوزير اليمني لا يوجه خطابه إلى الطرف الإيراني، ولكنه يوجهه إلى أطراف أخرى، وهي الدول الكبرى.

رابعاً: استراتيجية التوجيه الخفي:

التوجيه الخفي، ليس بظاهر في الخطاب على أنه توجيه، ولكنه يتخفى بقناع آخر، كالعلمية، أو النموذج القيمي، ويعرضه المتحدث كما لو أنه يعرض معرفة أو حجاجا. ومن أمثلته:

- التوجيه الخفي المبني على "المعرفة" أو: "العلمية"، حيث يستند الطرف إلى أهل الخبرة والاختصاص في المجال، مما يصبغ توجيهه بالطابع العلمي، وكأن الطرف الآخر يخالف التوجه العلمي، مثال ذلك تصريح الرئيس الأمريكي:

> **"إن معظم الاقتصاديين متفقون على أن سعر صرف العملة الصينية يقل بنسبة ٢٠ الى ٢٥ في المئة عن قيمتها الحقيقية؛ وذلك يرفع أسعار البضائع الأمريكية في الأسواق الصينية ويخفض أسعار الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة؛ مما يمنح الصين أفضلية غير عادلة".**

فنحن لا ندري من "معظم الاقتصاديين"؟ هو يقول إن الصين في الاتجاه الخاطئ، ومعظم علماء الاقتصاد على ذلك، وعليها أن تعود إلى الاتجاه الصحيح. ومثل ذلك يستخدم كثيرا في حياتنا اليومية، كأن ترى ولدك يأكل شيئا دون أن يغسله، فتتحدث معه حول خطر الجراثيم إذا أصابت الجسم، وأنها قد تنتقل من خلال الطعام غير النظيف أو غير الصحي... فأنت توجهه بطريقة خفية: ألا يفعل.

- التوجيه الخفي المبني على النموذج القيمي، فالطرف يعلن أن هذا نموذجه وهذه قيمه ومبادئه، ومن ثم فإنه لا يمكن أن يتنازل عنها، وهو بهذا يرسل توجيها خفياً إلى الطرف الآخر بأن يترك الاقتراب من هذه المنطقة، أو المساس بها، كما في تصريح وزير النقل اليمني:

> **"إننا نحترم كل العلاقات التجارية والإنسانية والأخوية مع كل الدول والأطراف؛ لكن عندما يصل الأمر إلى حد المساس بقوت أولادنا ومستقبل شعبنا فيجب ألا نصمت".**

- التوجيه الخفي المبني على رفض نموذج الآخر، فالطرف يعلن أن نموذج الطرف الآخر أو معاييره أو قيمه لا تعنيه، ولا سيما إذا كان الآخر يدعي أن نموذجه أو معاييره دولية، فالطرف الرافض كأنه يقول: لا تُعولِم نموذجك، ومن أمثلة ذلك تصريح بانغ سين، نائب مدير عام في وزارة الخارجية الصينية - في النزاع مع أمريكا بشأن تحرير العملة واحترام المعايير الدولية - قال:

"أولا، علينا الإفصاح عن المعايير التي نتكلم عنها، فإذا كانت هذه المعايير قد تم التوصل إليها بالتوافق وكانت الصين طرفا في هذا التوافق، فستتقيد الصين بها. ولكن اذا كانت قد صيغت من قبل دولة بعينها أو مجموعة من الدول، فالصين ليست ملزمة بها".

المطلب الثاني: الاستراتيجيات القصدية

تبين من خلال الأمثلة السابقة، أن للتوجيه صيغا عديدة، كالطلب، أو الإخبار، أو التوقع، أو الشرط، أو الحجاج... إلخ. غير أن قيام المحلل بالكشف عن هذه الصيغ ليس مقصودا لذاته، بل الأهم من ذلك هو الكشف عن قصدية المتكلم. ومن ثم فتقسيم الوظائف التواصلية (بحسب قصدية المتكلم) إلى: (أن تعرف، أن تصدق، أن تفعل)، هو أنسب في تحليل خطاب النزاع؛ ذلك أنه يراعي المضمون وكيف يتم التعبير عن القصد في ضوئه، أما الصيغ التعبيرية فتكون تابعة لا أصلية. فالثابت هو المقصد (التوجيه)، والمتغير هو الصيغ الدالة عليه. وذلك بخلاف تصنيف الفعل الكلامي بحسب الصيغ إلى خبرية وطلبية... الخ؛ فلا توجد صيغ منعزلة بعضها عن بعض، فالصيغة الخبرية غالبا ما تحمل دلالة التوجيه، كما في الأمثلة السابقة.

لقد تم النظر في صيغ التوجيه السابقة في حالة سكونية، بمعنى أنها غير متعلقة بالتصعيد في خطاب النزاع، بل هي صيغ توجيهية يستخدمها المتكلم في أي خطاب موجه إلى الآخر، ومن ثم فهي معروضة من وجهة نظر المتكلم، كما يستخدمها. أما خطاب النزاع فهو خطاب يتسم بالتوتر بين الأطراف، كما بينت سابقاً.

سأقتصر – في هذا التحليل – على الكشف عن قصدية المتكلم (التوجيهية: أن تفعل/ أن تكون).

يسعى منشئ الخطاب إلى إعادة صياغة نماذج الهوية والتنميط، ويهدف من ذلك إلى فرض نموذجه على الآخر، وتطبيع هوية الآخر وفق نموذجه. وبعبارة أخرى: الآليات التي يتبناها الأطراف في خطابهم ذات لونين متباينين (الفرض والرفض): فرض هوية الذات، ورفض هوية الآخر. ويستخدم منشئ الخطاب لذلك تقنيتين، الأولى (العولمة): تحويل نموذجه إلى العالمية، والثانية (التوجيه): استلاب نموذج الآخر، وإعادة صناعته.

استخدام المتحدث لـ(آلية العولمة) يكشف سعيه إلى تضخيم نموذجه، أما استخدامه لـ(آلية التوجيه) فيكشف ما يقوم به من تصغير نموذج الآخر إلى حد الاستلاب، بحيث يهدم إحساس الآخر بهويته، ويسحقها.

والمرجعية الرمزية هي التي تشكل القاعدة الأساس لآلية العولمة والتوجيه. وبتحليلي لخطاب النزاع، تبين أن ثمة خمس فئات قصدية يتم من خلالها ممارسة العولمة والتوجيه، هي: الانتماء، والفعل، والمصير، والقيم، والإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات). وبذلك تكون لدينا خمس استراتيجيات قصدية: عولمة / توجيه الانتماء، وعولمة / توجيه الفعل، وعولمة / توجيه المصير، وعولمة / توجيه القيم، وعولمة / توجيه الإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات).

أولاً: استراتيجيات العولمة:

آلية العولمة – كما ذكرت – تقوم بتضخيم صورة الذات، فتنقلها من المحلية إلى العالمية، وتعرض المنظور الخاص باعتباره منظورا عالميا، وأنطلق في هذه الآلية من نظرية لاكلو (Laclau) الذي يعتبر أن الصراع على الهيمنة بين القوى السياسية ينطلق من زعمهم بأن منظوراتهم الخاصة عن العالم ذات منزلة عالمية، وبهذا يتم تأسيس علاقات الهيمنة (Butler, et al., 2000, p56,57).

سأتحدث عن استراتيجيات العولمة – كإحدى آليات السلطة الرمزية في الخطاب: عولمة الانتماء، وعولمة الفعل، وعولمة المصير، وعولمة القيم، وعولمة الإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات).

(١) عولمة الانتماء:

تستند هذه الاستراتيجية إلى آلية الدمج والإقصاء، فالمتحدث يحول انتماءه إلى العالمية، إما من خلال دمجه مع انتماءات أخرى، وإما بدمج الانتماءات الأخرى إليه، وكأنه يقول إن انتماءه يمتد بامتداد العالم كله. وأمثلة ذلك كثيرة، ولا سيما في التسميات، من قبيل (موانئ دبي العالمية): صحيح أن الموانئ تنتمي إلى دبي، ولكن انتماءها – من خلال هذه التسمية – تخطى المحلية إلى العالمية، ولذلك حين تسمي ميناء من الموانئ التي تشغلها، فإنها تسميه بالتسلسل الفرعي، مثلا: (موانئ دبي العالمية – عدن)، أو (موانئ دبي العالمية – الشرق الأوسط)... إلخ.

(٢) عولمة الفعل:

حيث يبين المتكلم أن الفعل الذي يقوم به ليس خاصا بـ(ـه) وحده، ولكنه فعل يقوم بـه (أو يلتزم به) المجتمع الدولي كله، ومن ثم فالهدف مشترك، هو عولمة للأهداف أيضاً. فطبيعة الفعل ذات صبغة عالمية، وكذلك الالتزام به. مثال ذلك تصريح مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن:

> **"هناك تحرك إيجابي من قبل المجتمع الدولي لمساعدة اليمن، وندعو إيران إلى أن تلتحق بركب الدول التي تلعب دورا إيجابيا في اليمن".**

في هذا المثل عولمة للفعل، فدعم اليمن ليس فعلا تقوم به دولة ما، ولكن المجتمع الدولي كله يتحرك تحركا إيجابيا، وتتضمن هذه العولمة الدلالة على أن إيران ستكون خارج المجتمع الدولي إذا لم تدعم اليمن.

ومن ذلك أيضا بيان مجلس التعاون الخليجي:

" التأكيد على حرص دول مجلس التعاون الخليجي على المضي قدما في تنفيذ الإصلاح السياسي المنشود من خلال الحوار الوطني وتعديل الدستور تنفيذا لما نصت عليه المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية".. "إن جهود الحكومة اليمنية لتعزيز أمن اليمن واستقراره ومكافحة الحركات الإرهابية على الأرض اليمنية ومساعيه المخلصة لإعادة عجلة البناء والتنمية تتطلب مواصلة الدعم الدولي لليمن من أجل مساعدته على تجاوز هذه المرحلة المهمة في تاريخه تحقيقا لتطلعات وإرادة الشعب اليمني".

فهو التزام عالمي بدعم اليمن، إذ يؤكد البيان هذا الحرص على المضي قدما، وأن دول الخليج تؤكد التزامها بالدعم، ثم ينتقل البيان خطوة تجاه عولمة الالتزام، وذلك بتأكيد ضرورة أن يقوم المجتمع الدولي بمواصلة الدعم للطرف اليمني.

(٣) عولمة المصير:

وهنا يركز المتحدث في أن الخطر الذي يحيق به لا يهدده وحده فقط، بل يهدد غيره، وتتركز عباراته حول معنى أن "الشيء الذي يهددنـ(ي)، إنما يهدد في الحقيقة العالم بأسره، ومن ثم فهو لا يهمني (أنا) فقط، بل يهم العالم أيضاً، وعلى العالم أن يقوم بما عليه تجاه ذلك". مثال ذلك ما جاء في تصريح الرئيس اليمني:

"نجاح إيران في السيطرة على مضيق باب المندب إلى جانب سيطرتها القائمة على مضيق هرمز في الخليج العربي سيكون أخطر من امتلاكها لقنبلة نووية".

وفي الإطار نفسه يأتي تصريح وزير الخارجية اليمني:

"وربما هذه المخاطر هي من جعلت المجتمع الدولي تدرك جيدا أهمية تعزيز أمن واستقرار اليمن وخطورة تردي الأوضاع الأمنية في اليمن على الأمن والاستقرار الدولي كون اليمن يتحكم في واحد من أهم الممرات المائية في العالم عبر خليج عدن ومضيق باب المندب وجنوب البحر الأحمر، وبالتالي أي خلل في الأمن والاستقرار في اليمن سيمثل تهديداً للتجارة الدولية والأمن والاستقرار الدولي".

يلحظ هنا أن الرئيس اليمني يستخدم عبارة: (نجاح إيران... سيكون أخطر من امتلاكها لقنبلة نووية)، ومن ثم فخطابه يحيل الذاكرة العالمية إلى خطر القنبلة النووية، وما يمكن أن تحدثه من أضرار على مستوى العالم، وليس على مستوى بلد واحد، ومن ثم يستخدم صيغة التفضيل (أخطر)، ليبين أن هذا الخطر لا يوازن مع نجاح إيران في السيطرة على باب المندب.

وأما عبارة وزير الخارجية فهي واضحة جدا وصريحة (أي خلل في الأمن والاستقرار في اليمن سيمثل تهديداً للتجارة الدولية والأمن والاستقرار الدولي).

(٤) عولمة القيم:

حيث يبرز الطرف المتحدث قيمه الخاصة به بوصفها نموذجا عالميا، ومن ثم يتخذها إطارا رمزيا، يبني عليها مواقفه المختلفة. مثال ذلك تصريح وزارة الخارجية الصينية في بيان لها أن:

"بإمكان المنشق الصيني الضرير تشن غوانغ تشنيغ إكمال دراسته في الخارج وفقا للقوانين المعمول بها".

فخطاب الوزارة الصينية يظهر المساواة بين مواطنيها، وأن غوانغ كغيره من المواطنين سيجدون تطلعاتهم ورغباتهم في القوانين السارية في البلد، وفي هذا رفض بالدليل للاتهامات الأمريكية للصين بأنها لا تهتم بحقوق الإنسان.

ومن ذلك أيضا تصريح وزيرة الخارجية الامريكية:

"أنا سعيدة لأننا تمكننا من تسهيل إقامة تشين في السفارة الأمريكية ومغادرته إياها بطريقة تعكس رغباته وتحترم قيمنا"، وأضافت كليتون "لقد توصل تشين الى عدد من التفاهمات مع الحكومة الصينية تتعلق بمستقبله بما في ذلك الفرص المتاحة له للالتحاق بالدراسات العليا في بيئة آمنة". وقالت: "مهمتنا الآن تحويل هذه الوعود الى حقائق. إن الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي ملتزمان بالتواصل مع تشين في الأيام والأسابيع والسنوات المقبلة".

فعبارة الوزيرة (تعكس رغباته وتحترم قيمنا)، تبين أن القيم الأمريكية حتمت عليهم اتخاذ موقف سياسي (تسهيل إقامة تشين)، وأن هذا الموقف يعكس رغبة تشين، ويحترم القيم الأمريكية، التي تفتخر بالحديث عنها. وكذلك قولها (مهمتنا تحويل الوعود إلى حقائق)، فهي قيمة تلتزم بها الإدارة الأمريكية والشعب الأمريكي، وهي قيمة تؤثر في الموقف الأمريكي ليس بشأن مواطن أمريكي بل مواطن صيني.

ومن ذلك أيضا تصريح مدير عام موانئ دبي:

"نحن ملتزمون بتقديم أكثر الخدمات كفاءة لعملائنا متى وأينما يحتاجوننا. تحتل «موانئ دبي العالمية-عدن» موقعاً استراتيجياً كبوابة للاستيراد والتصدير في اليمن، إننا في «موانئ دبي العالمية-عدن» نتمتع بخبرات مثبتة في مناولة السفن الكبيرة، وسوف نتمكن من تعزيز قدرات المحطة بشكل أكبر من خلال إضافة الرافعات الجديدة".

فهو يقول إن القيم التجارية، كالكفاية والخبرة، تساعد الشركة على تلبية متطلبات عملائها في أي مكان وزمن، ذلك أن قيمهم عالمية، ذات قابلية ونفاذ في أي مكان وزمن.

وكذلك تصريح آرثر فلين، مدير عام موانئ دبي العالمية - عدن:

"تعتبر سفينة الشحن كوتا كاروم واحدة من أكبر السفن التي تقوم بزيارة محطتنا، ونود أن نشكر باسيفيك إنترناشونال لاينز على الثقة التي وضعتها في قدرات وخدمات موانئ دبي العالمية-عدن. لقد مكنا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية المُثبتة من استقبال مثل هذه السفينة الضخمة. نحن فخورون لأن فريقنا التشغيلي كان قادراً على إنجاز العمل بسلامة وخلال وقت ممتاز".

يتحدث في التصريح عن سفينة عالمية رست في ميناء عدن، ويستطرد في وصف السفينة، فهي (من أكبر السفن)، وهي سفينة (ضخمة)، واحتاج استقبالها إلى (كفايات تشغيلية)... إلخ، وهذا الاستطراد الوصفي مؤداه الاستدلالي أن كبار الخبراء أو المختصين في مجال ما – يثقون في خدماتـ(نا) أو شركتـ(نا)... إلخ. ومن ثم فهو يجعل من قيمه قيما عالمية، تثق فيها الشركات العالمية، ويظهر ذلك بإظهار أن كبار الخبراء العالميين يمنحوننا ثقتهم.

(٥) عولمة الإدراك:

ويتمثل الإدراك في (المعرفة أو الاعتقاد أو الرغبة)... إلخ، وبعولمة الإدراك يظهر المتحدث أن ما يدركه ليس شأنا خاصا به، بل هو شأن عالمي، فكأنه يقول: ما أعرفه (أنا) ينبغي أن يعرفه العالم كله، و(ما أعتقده ينبغي أن يعتقده العالم)، و(ما لدي من قوة أو خبرة أو تفوق ينبغي أن يعرفها العالم)... إلخ. مثال ذلك ما جاء في كلمة الرئيس الأمريكي حين أعلن استراتيجية بلاده الدفاعية:

" نعم. قواتنا العسكرية ستصبح أضمر من ذي قبل، ولكن ينبغي على العالم أن يعرف أن الولايات المتحدة ستحافظ على تفوقها العسكري بقوات مسلحة تمتاز بالفطنة وخفة الحركة والمرونة والتأهب لكافة أطياف الحالات الطارئة والمخاطر والتهديدات".

ومن هذا القبيل أيضا ما ورد في كلمة وزيرة الخارجية الأمريكية في كلمتها في الجلسة الافتتاحية للحوار الاستراتيجي والاقتصادي الأميركي – الصيني:

"والآن، بالطبع، كجزء من حوارنا، تشير الولايات المتحدة أهمية حقوق الإنسان والحريات الأساسية لأننا نؤمن بأن على جميع الحكومات أن تستجيب لطموحات مواطنيها من أجل الكرامة وسيادة القانون، وأنه لا يجوز أن تتنكر أية دولة لهذه الحقوق".

فالرئيس الأمريكي، في خطابه يطرح رؤيته، ويفرض على العالم معرفتها، بقوله: (ينبغي على العالم أن يعرف...) فهو أمر لا خيار للعالم في أن يعرفه أو يتجاهله، بل إن معرفته واجبة، كما توحي بذلك الصيغة (ينبغي أن). وكذلك الأمر في خطاب الوزيرة كلينتون، فاعتقادها شيء لا يخصها وحدها، بل إنه يتحول إلى سلوك مفروض على الحكومات (**نؤمن بأن على جميع الحكومات**).



ثانياً: استراتيجيات التوجيه القصدية:

التوجيه هو صورة سلطوية تفصح عن مدى التغيير الذي يريد المتحدث أن يحدثه لدى المخاطَب. وقد بينت أن استراتيجيات التوجيه تتعلق بخمس فئات: الانتماء، والفعل، والمصير، والقيم، والإدراك.

(١) توجيه الانتماء:

يستخدم توجيه الانتماء تقنية "ينبغي أن تكون"، فهو يعيد رسم خارطة الانتماء للطرف الآخر، ومن أمثلة ذلك تصريح وزير الإعلام اليمني بشأن النزاع مع إيران:

"كان المتوقع أن يدعموا استقرار اليمن ووحدتها وتنميتها ويقفوا مع الدولة اليمنية وقيادتها ومع خمسة وعشرين مليون إنسان، بدلاً من إسنادهم فئات محدودة وشراذم متطرفة، هنا وهناك".

- فهو يوجه الطرف الآخر إلى محل الانتماء الصحيح (التحالف السياسي)، فبدلا من تحالفهم الحالي المشبوه (مع شراذم)، عليهم (ويعبر عن ذلك بصيغة: كان من المتوقع) أن ينتموا للشعب الكبير.

(٢) توجيه الفعل:

حيث يرسم المتحدث للطرف الآخر ما ينبغي عليه أن يفعله، ومن أمثلة ذلك تصريح مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية، أمير عبد اللهيان، حيث دعا الحكومة اليمنية إلى:

«تلبية مطالب شعبها بدلا من توجيه اتهامات كاذبة للآخرين».

فهو يقول إنه ينبغي على الحكومة اليمنية أن تشغل نفسها بتلبية مطالب شعبها، لا بالعيش على التهم.

وكذلك تصريح وزير الخارجية اليمني:

"إيران دولة إسلامية ذات ثقل وذات إمكانات ومن مصلحة اليمن ومصلحة العالم الإسلامي أن نرى إيران دولة فاعلة في تعزيز العمل الإسلامي المشترك وفي بناء قدرات الدول الإسلامية، وتحقيق شراكة حقيقية بين الدول الإسلامية".

يرسم الوزير للطرف الآخر إطار الفعل الذي ينبغي أن يقوم به: تعزيز العمل الإسلامي المشترك، وبناء القدرات، وتحقيق الشراكة... بدلا من التدخل في شؤون اليمن، وتمويل الفئات التي تزعزع الأمن والاستقرار. والوزير يقدم لهذا التوجيه بتمثيل إيجابي للطرف الآخر، حيث إن إيران (ذات ثقل وإمكانات، وهي دولة فاعلة)؛ وفي هذا نوع من التعامل بشيء من التنازل مع الطرف الآخر (patronizing)، فيبين بهذه العبارات أهمية ما يملكه الطرف الآخر، ويوجهه إلى حسن استخدامه.

(٣) توجيه المصير:

غالبا ما يأتي توجيه المصير في سياق التهديد، حيث يرسم المتحدث للطرف الآخر مصيره إذا ما أصر على الاستمرار في نزاعه معه، فكأنه يقول له: كفّ عن هذا وإلا فإن مصيرك سيكون كذا وكذا. ومثال ذلك قول الرئيس اليمني مخاطبا إيران:

"نقول بالمفتوح لهم برسالة واضحة.. على أشقائنا في إيران أن ترفع يدها من اليمن.. على أشقائنا في إيران بأن يرفعوا يدهم من اليمن.. وأن اليمن صعب.. وأن اليمن لن يكون كما يفكرون، مهما دفعوا من فلوس ومهما عملوا مع ضعفاء النفوس.. ونقول لهم كفى لديهم خمس قنوات تتحدث عن اليمن ٢٤ ساعة، فاكتفوا بالقنوات ما لم سنتخذ إجراءات، وستكون إجراءات صعبة ومرة عليهم".

فهو تحذير شديد اللهجة، وقد كرر مرارا في هذه الجمل القصيرة (ارفعوا أيديكم)، والأمر هذا فيه توجيه الفعل، ثم تبعه توجيه المصير في العبارة الأخيرة (فاكتفوا بالقنوات ما لم سنتخذ إجراءات مرة وصعبة).

(٤) توجيه القيم:

حيث يرفض المتحدث قيم الطرف الآخر، ويسعى إلى تغيير نموذجه القيمي، مثال ذلك تصريح ليو ويمين، الناطق باسم وزارة الخارجية الصينية:

> **"إن الصين غير راضية بالمرة من الموقف الأمريكي، وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين".**

فهو يوجه أمريكا إلى الاعتراف بالخطأ، وهي قيمة ينبني عليها الاعتذار. ومثله أيضا تصريح أوباما:

> **"إن الصين لم تقم بما فيه "الكفاية" لرفع سعر اليوان رغم التحسن الطفيف الذي طرأ على قيمة العملة الصينية، وإن على بكين التصرف (كشخص بالغ) والتقيد بمعايير المجتمع الدولي في الشأن الاقتصادي".**

فالرئيس الأمريكي هنا يوجه الصين إلى التخلي عن موقفها اللامسؤول، والتقيد بمعايير المجتمع الدولي.

(٥) توجيه الإدراك:

يوجه المتحدث الطرف الآخر إلى تغيير إدراكه، أو تصوراته،... إلخ. ويأتي بعبارات نحو: عليك أن تعرف، عليك أن تدرك... إلخ.

المطلب الثالث: تحليل عينة: قرار مجلس الأمن (١٩٧٣)

اتخذ مجلس الأمن القرار رقم (١٩٧٣)، بتاريخ (١٧/ ٣/ ٢٠١١م)، وتضمن فرض حظر جوي على ليبيا، سأدرس استراتيجيات التوجيه في هذا القرار؛ بوصفه قراراً صادرا عن أكبر مؤسسة دولية. (نص القرار في الملحق رقم: ١).

يتألف القرار من: عنوان، ومقدمة، ومتن (ومرفقات). وهذا الهيكل هو هيكل قرارات المجلس عموما. وأبين أن القرار لا يرد فيه أي تقسيم، واستندت في هذا التقسيم إلى اختلاف الوظائف اللغوية والتواصلية في القرار، كما سيتبين في هذا التحليل.

أولا - تحليل بنية القرار:

(١) العنوان

العنوان كان على النحو التالي:

القرار ١٩٧٣ (٢٠١١)

الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته ٦٤٩٨، المعقودة في ١٧ آذار/ مارس ٢٠١١

يلحظ أن العنوان ينقسم قسمين: رئيساً وثانوياً، فالعنوان الرئيس يشتمل على رقم القرار وسنة صدوره، مبتدئا بلفظ "القرار". أما العنوان الثانوي فيأتي في السطر الثاني، ويشتمل على الفاعل الذي اتخذ القرار (مجلس الأمن)، ورقم الجلسة، والتاريخ التفصيلي للجلسة.

يفرض العنوان سلطته من خلال عدة أمور، أولاً: استخدام لفظ "القرار"، فهو قرار، وليس شيئا آخر، والقرار لا بد من تنفيذه، ثانياً: إضافة (قرار) إلى الفاعل الدولي "مجلس الأمن"، فهو الفاعل الأول في الساحة الدولية، وليس أي فاعل آخر، فيلزم على من صدر بحقه القرار الإذعان له، وعدم اعتراض "الإرادة الدولية"، ثالثاً: اختيار الفعل (اتخذ) فمجلس الأمن قد اتخذ القرار، والاتخاذ يدل على أنه لم يتم إلا بعد نظر وتأمل، ويوحي بأنه الخيار الوحيد أمام الإرادة الدولية. وأخيرا ذكر رقم الجلسة، التي تفيد الالتزام الدولي تجاه قضايا العالم، فثمة آلاف الجلسات التي صدرت فيها مئات القرارات.

وعناوين القرارات لا تتضمن الإشارة إلى موضوع القرار، ومن ثم فهي تأخذ صيغة واحدة في جميع قرارات المجلس، وكل قرار يتميز عن الآخر بثلاثة أمور، الأول: رقم القرار، والثاني: رقم الجلسة، والثالث: تاريخ الجلسة. وتفسيري لذلك أن ثمة إرادة لإضفاء طابع الهيبة على القرار الدولي، بعدم التغيير في العنوان، ومن ثم فلا توجد كلمة متغيرة، وما يتغير هي الأرقام فقط.

(٢) المقدمة:

تبدأ المقدمة بالصيغة التالية:

إن مجلس الأمن،

إذ يشير إلى قراره ١٩٧٠ (٢٠١١) المؤرخ في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠١١،

وإذ يعرب عن استيائه لعدم امتثال السلطات الليبية لمضمون القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)،

وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين،

وإذ يكرر تأكيد مسؤولية السلطات الليبية عن حماية السكان الليبيين،

.... إلخ.

تشتمل المقدمة على حيثيات ومسوغات القرار، وتبدأ بالتأكيد "إن مجلس الأمن"، فهو تأكيد وحضور مهيمن للفاعل الذي يراقب ويتابع ويهتم ويضطلع بالمسؤولية... إلخ. ثم تأتي فقرات مستقلة، الفقرة عبارة عن جملة واحدة غالباً، وقد تكون مجموعة من الجمل المترابطة، كل فقرة تبدأ بـ (إذْ)، والفعل المضارع المتضمن فعلا تواصليا متعلقا بالقرار، وتنتهي الفقرة بالفاصلة (،)، ثم تبدأ الفقرة الجديدة من أول السطر. ويكتفى بذكر الفاعل في مطلع المقدمة، ليظل مهيمنا على المشهد كله، دون حاجة إلى إعادة ذكره. ويُلحظ أيضاً أن الفاعل (إن مجلس الأمن)، والأفعال المبدوءة بها فقرات المقدمة، تكتب بخط غليظ مائل، وذلك لإظهار التأكيد البصري على الفعل التواصلي في الفقرة.

(٣) المتن:

يبدأ المتن بالفقرات التالية:

١ - **يطالب** بالإرساء الفوري لوقف إطلاق النار والإنهاء التام للعنف ولجميع الهجمات على المدنيين وللاعتداءات المرتكبة في حقهم؛

٢- يشدد على الحاجة إلى تكثيف الجهود من أجل إيجاد حل للأزمة يستجيب للمطالب المشروعة للشعب الليبي، ويحيط علما بقرار الأمين العام إرسال مبعوثه الخاص إلى ليبيا وبقرار مجلس السلام والأمن التابع للاتحاد الأفريقي إرسال لجنته المخصصة الرفيعة المستوى إلى ليبيا بهدف تيسير إجراء حوار يفضي إلى الإصلاحات السياسية اللازمة لإيجاد حل سلمي دائم؛

متن القرار هي البنود التي يقررها المجلس، ويتألف من مجموعة مرقمة من الفقرات، تبدأ بالرقم ١، وتعد هذه فقرات رئيسة في القرار، وقد تتفرع بعض الفقرات الرئيسة إلى فقرات فرعية وتأخذ الترقيم الأبجدي: (أ، ب، ج، د...الخ). وكل فقرة من الفقرات تبدأ بفعل مضارع تواصلي (يطالب، يشدد، يأذن، يقرر.... الخ)، ويكتب بخط غليظ مائل؛ كما في فقرات المقدمة، وتنتهي كل فقرة بالفاصلة المنقوطة (؛)، بخلاف فقرات المقدمة التي تنتهي بالفاصلة العادية (،)، فما تفسير هذا الاختلاف؟

من المعروف أن من مواطن استخدام الفاصلة العادية أن تربط بين مجموعة من الجمل لتكون كلاما تام الفائدة، وبذلك يتم النظر في كل فقرة على أنها جملة، ومجموع فقرات المقدمة تشكل كلاما تام المعنى، فالحيثيات والمسوغات كلها مترابطة، ويهدف صاحب القرار إلى أن يتم النظر إليها جملة واحدة، ولذلك يتكرر العطف في أول كل فقرة (وإذ..)، وهذا في المقدمة.

أما الفاصلة المنقوطة فاستخدامها في العربية لا يساعدنا على إيجاد تفسير لاستخدامها في آخر الفقرة، غير أن مواطن استخدامها في الكتابة الإنجليزية قد تساعدنا على تفسير استخدامها، فمن تلك المواطن: الفصل بين العبارات ذات الأهمية المتساوية. وعلى ذلك يتبين أن صاحب القرار يريد أن يقول إن فقرات القرار كلها مهمة، بل تحظى بالأهمية نفسها.

وفقرات المقدمة انتهت بالفاصلة (،)، ثم بدأت فقرات القرار بالأرقام، وفقرات المتن انتهت بالنقطة (.)؛ إيحاء بأن فقرات القرار انتهت.

وهذه آخر فقرة في المقدمة مع أول فقرة في المتن:

وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة،

١ - يطالب بالإرساء الفوري لوقف إطلاق النار والإنهاء التام للعنف ولجميع الهجمات على المدنيين وللاعتداءات المرتكبة في حقهم؛

وهذه آخر فقرة في القرار:

٢٩ - يقرر أن يبقي المسألة قيد نظره الفعلي.

كما يتم استخدام العناوين الفرعية في متن القرار، حيث يأتي عنوان فرعي، وتحته مجموعة من الفقرات، فقرتان أو ثلاث... إلخ، ثم يأتي عنوان فرعي آخر، وهكذا، ويكتب العنوان بخط غليظ، وهذا مثال على ذلك:

حماية المدنيين

٤ - يأذن للدول الأعضاء التي أخطرت الأمين العام، وهي تتصرف على الصعيد الوطني أو عن طريق منظمات أو ترتيبات إقليمية، وبالتعاون مع الأمين العام، باتخاذ جميع التدابير اللازمة،... الخ؛

٥ -...

فالعنوان الفرعي (حماية المدنيين)، اشتمل على الفقرتين ٤ و٥، ثم عنوان آخر (منطقة حظر الطيران)، اشتمل على الفقرات (٦ - ١٢)... إلخ.

فالخلاصة أن المتن من الناحية الشكلية الكتابية يتميز عن المقدمة بأربع خواص، أوضحها في الجدول التالي:

م	الفرق من حيث:	المقدمة	المتن
١.	وضع الأرقام في الفقرات	لا توجد أرقام	لكل فقرة رقم
٢.	علامات الترقيم	كل فقرة تنتهي بفاصلة	كل فقرة تنتهي بفاصلة منقوطة
٣.	استخدام العناوين الفرعية	لا	نعم
٤.	استخدام النقطة في النهاية	لا	نعم

جدول (٤): الفروق الشكلية الكتابية بين المقدمة والمتن في قرارات مجلس الأمن

وقد جاء القرار مشفوعا بمرفقين، يضم الأول منهما أسماء المحظورين من السفر، فيما يضم الثاني أسماء الأشخاص المطلوب تجميد أصولهم، مع بيانات هوية كل منهم ومسوغات القرار.



ثانياً: الوظائف التواصلية في القرار:

(١) المقدمة:

اشتملت مقدمة القرار (١٩٧٣)، الخاص بالشأن الليبي، على ثمان وعشرين فقرة، كل فقرة منها مبدوءة بفعل تواصلي يعد مسوغا من مسوغات القرار، وبعض هذه الأفعال تتكرر مع مضامين مختلفة، الأفعال هي: إذ يشير، وإذ يعرب عن استيائه، وإذ يعرب عن القلق البالغ، وإذ يؤكد، وإذ يكرر تأكيد، وإذ يدعو، وإذ يحث، وإذ يشدد على، وإذ يدعم، وإذ يدين، وإذ يرى، وإذ يعرب عن تصميمه، وإذ يحيط علما، وإذ يرحب، وإذ يعيد تأكيد التزامه، وإذ يقرر، وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

يمكن تقسيم هذه الأفعال إلى: أفعال إشارية، وأفعال إشادة، وأفعال طلبية، وأفعال التزامية، وأفعال استنكارية، وأفعال تسويغية. وهذه الأفعال تتضمنها الوظائف التواصلية الثلاث: أن تعرف (الأفعال الإشارية)، وأن تصدق (الأفعال التسويغية)، وأن تفعل (بقية الأفعال).

أ - الأفعال الإشارية:

أمثلة (هذه الأمثلة التي هنا والتي سأوردها لاحقا - أخذت من فقرات متفرقة من مقدمة القرار):

> إذ يشير إلى قراره ١٩٧٠ (٢٠١١) المؤرخ في ٢٦ شباط / فبراير ٢٠١١،
> وإذ يحيط علماً بالبيان الختامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المؤرخ ٨ آذار/ مارس ٢٠١١،
> وبيان مجلس السلام والأمن للاتحاد الأفريقي المؤرخ ١٩ آذار/ مارس ٢٠١١ الذي أنشئت بموجبه لجنة مخصصة رفيعة المستوى معنية بليبيا،

ترتبط هذه الأفعال الإشارية عادة بقرارات أو بيانات أو مواقف سابقة للمجلس أو للمنظمات الدولية الأخرى، ووظيفتها (ولا سيما فعل: يشير) الربط بين القرار الذي سوف يُتخَذ وقرارات وبيانات سابقة اتخذتها منظمات دولية. الفعلان (يشير، ويحيط علما) تكررا في المقدمة ست مرات، والفعل (يشير) هو أول فعل تواصلي ورد فيها، لربط هذا القرار بالقرار السابق (١٩٧٠).

ب - أفعال الإشادة:

> وإذ يرحب باستجابة الدول المجاورة، وبالخصوص تونس ومصر، لتلبية احتياجات أولئك اللاجئين والعمال الأجانب،

الفعل (يرحب)، هو فعل إشادة يحمل معنى الإشارة أيضاً، فوظيفته أساسا ليس الربط (كأفعال الإشارة)، وإنما الإشادة بقرار أو بيان أو موقف سابق، اتخذته منظمات أو جهات أخرى (ليس من بينها مجلس الأمن بالطبع). وهناك أفعال أخرى تستخدم في قرارات المجلس عادة للتعبير عن الإشادة بمواقف أو قرارات متخذة من جهات أخرى، منها: يشيد، يثني، يقدر، ينوه بـ، يعترف بـ. وهذه الأفعال تعبر عن رضا المجلس الدولي عن الجهة التي يثني عليها، ومن شأن هذا التعبير عن الرضا أن يحقق وظيفة تواصلية؛ إذ يوجه المتلقي المباشر أو غير المباشر إلى الإطار الذي ينبغي أن يندرج ضمنه فعلُه حتى يحصل على "الرضا الدولي"، الذي يمنحه "مجلس الأمن"، فهو توجيه غير صريح لما ينبغي أن يكون / أن يفعل.

ج - الأفعال الطلبية:

وإذ يدعو المجتمع الدولي إلى دعم تلك الجهود،

وإذ يحث هذه السلطات على الوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي على النحو المبين في القرار، (٢٠٠٦) ١٧٣٨،

تقترن الأفعال الطلبية بطلبات محددة تأتي بصيغ مختلفة: يدعو، يحث، يناشد، يهيب بالسلطات أن تفعل، يشجع على، يذكر بمسؤوليات... إلخ. وكلها تهدف إلى أن يقوم من وجه إليه الطلب بالفعل. وإيرادها في المقدمة بوصفها من المنطلقات التسويغية التي يستند إليها المجلس في اتخاذ قراره.

د - الأفعال الالتزامية:

وإذ يعرب عن تصميمه على كفالة حماية المدنيين والمناطق الآهلة بالسكان المدنيين وضمان مرور إمدادات الإغاثة الإنسانية بسرعة وبدون عوائق وتأمين سلامة العاملين في المجال الإنساني،

وإذ يعيد تأكيد التزامه القوي بسيادة واستقلال وسلامة الأراضي والوحدة القومية للجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يشدد على ضرورة محاسبة المسؤولين عن الهجمات التي تستهدف السكان المدنيين، والبحرية، أو المشاركين فيها، بما فيها الهجمات الجوية،

وإذ يؤكد من جديد أن أطراف النزاعات المسلحة تتحمل المسؤولية الأساسية عن اتخاذ جميع الخطوات الممكنة لكفالة حماية المدنيين،

وإذ يكرر تأكيد مسؤولية السلطات الليبية عن حماية السكان الليبيين،

تعبر الأفعال الالتزامية (يلتزم بـ، يصمم على، يدعم،..) عن مجموعة من الالتزامات يضطلع بها المجلس، كما في هذه الأمثلة، حيث يؤكد التزامه بحماية المدنيين، والحفاظ على استقلالية الأرض الليبية، ومحاسبة المنتهكين... إلخ.

وهذه الالتزامات بعضها مسندة إلى المجلس (تصميمه على، التزامه بـ)، وهي التزامات يتولى المجلس مسؤوليتها.

وهناك التزامات غير مسندة إلى المجلس بصريح العبارة (يشدد على ضرورة محاسبة المسؤولين..، يؤكد مسؤولية السلطات..)، فمن الذي يحاسبهم على هذه المسؤولية؟ الفاعل الذي سيحاسب غير مذكور هنا، وبذلك فالمجلس يمنح حق القيام بهذه المهمة "للمجتمع الدولي"، والمجلس هو من يمثل هذا المجتمع، فهو التزام بصيغة غير صريحة، واقترن بأفعال التوكيد (يؤكد، يشدد...). وكلها التزامات تعد مسوغات لاتخاذ القرار.

و تأتي هذه الالتزامات في عبارات ومفردات تمثّل أعلى صيغ الالتزام (يؤكد، يشدد)، ولا غرابة في ذلك، فهي تنطلق مما يمكن أن نسميه "الهوية الدولية" للمجلس، الذي له من الصلاحيات والإمكانات ما يخوله أن يتحدث بهذا المستوى العالي من الالتزام.

والأفعال الالتزامية – كما بينت في الصيغ التعبيرية للتوجيه – هي من التوجيه غير المباشر، فهو توجيه يعود إلى الذات من خلال الالتزام أو الوعد؛ مما يعطي انطباعا بتصميم المتحدث على الفعل مهما كانت الظروف.

هـ – الأفعال الاستنكارية:

وإذ يعرب عن استيائه لعدم امتثال السلطات الليبية للقرار ١٩٧٠ (٢٠١١)،

وإذ يدين الانتهاكات الجسيمة والممنهجة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة،

وإذ يكرر تأكيد قلقه إزاء معاناة اللاجئين والعمال الأجانب الذين اضطروا للفرار من العنف الحاصل في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يعرب عن قلقه أيضا على سلامة الرعايا الأجانب وحقوقهم في الجماهيرية العربية الليبية،

الأفعال الاستنكارية من صيغ التوجيه المباشر، وتأتي هذه الأفعال على صورتين، أولاهما: الاستنكار الصريح (يستنكر، يستهجن، يدين، يشجب، يعبر عن استيائه...الخ)، وأعلى هذه الأفعال نبرة هو فعل الإدانة (يدين)، الذي يتضمن، إضافة إلى دلالته على الاستنكار، معنى تحميل المسؤولية.

وتأتي الصورة الثانية للاستنكار بأفعال غير صريحة، وعادة ما ترتبط بالتعابير الوجدانية، كالقلق، والتخوف. وتتجه أفعال الاستنكار الصريحة إلى الفاعل (المجرم، الجاني) فتستنكر عمله، أما الأفعال غير الصريحة فتتجه إلى المفعول به (الضحية، المعتدى عليه...)، فتستنكر ما لحق به من ظلم أو معاناة أو... إلخ.

و – الأفعال التسويغية:

> وإذ يرى أن فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية العربية الليبية يشكّل عنصرا هامًا في حماية المدنيين وسلامة إيصال المساعدة الإنسانية وخطوة حاسمة في سبيل وقف الأعمال العدائية في ليبيا،
>
> وإذ يقرر أن الحالة في الجماهيرية العربية الليبية ما زالت تشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين،
>
> وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة،

الأفعال التسويغية هي الأفعال التي تسوغ للمجلس اتخاذ القرار، ويستند هذا التسويغ عادة إما إلى استراتيجية السلطان، أو الأخلاق، ويعبر عن ذلك بمجموعة من الأفعال (يرى أن، يقرر أن، يعتبر أن، يتصرف بموجب..). والفعل (يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة) يؤسس الشرعية القانونية للقرار، وقانونية اتخاذ المجلس لذلك القرار. وتؤسس الأفعال السابقة للشرعية الأخلاقية المبنية على رؤية عالمية، أساسها أن الخير والمصلحة يقتضيان اتخاذ هذا القرار، فالمجلس يرى (أن فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية العربية الليبية يشكّل عنصرا هامًا في حماية المدنيين...)، وما دام أن المجلس يرى هذا المسوغ الأخلاقي فإنه يحق له أن يحول هذه الرؤية إلى قرار دولي.... إلخ.

(٢) المتن:

يبدأ المتن بالفعل المضارع التواصلي، كالمقدمة، إلا إن الفعل في المقدمة يقترن بـ (وإذ)، معطوفا على ما قبله، والفقرة الأولى ترد بـ(إذ)، وتتمثل وظائف الأفعال التواصلية في المقدمة في إيجاد

حيثيات ومسوغات للقرار. أما المتن فتبدأ كل فقرة منه بفعل مضارع غير مسبوق بأي رابط، وتشكل أفعال المتن بمجموعها القرار المتخذ.

وبالنظر في القرار (١٩٧٣)، فقد اشتمل على تسع وعشرين فقرة، كل فقرة منها تبدأ بفعل مضارع يبرز الوظيفة التواصلية التي يريدها المجلس، وقد اشتمل القرار على عشرة أفعال، سأوردها مع عدد مرات تكرارها: (يأذن: ٢)، (يحث: ١)، (يدعو: ١)، (يشدد على: ١)، (يطالب: ٣)، (يطلب إلى: ٤)، (يعرب عن استيائه: ١)، (يقر: ١)، (يقرر: ١٣)، (يؤكد: ٢). وفي الجدول التالي بيان لكل فعل، والمخاطَب في الفقرة (في حال ذكرها صراحة)، ومضمون الفقرة، والموضوع الفرعي كما نص عليه في متن القرار.

رقم الفقرة	الفعل	المخاطَب في الفقرة	مضمون الفقرة	الموضوع
١.	يطالب بـ		الوقف الفوري لإطلاق النار	
٢.	يشدد على		تكثيف الجهود لإيجاد حل للأزمة	
٣.	يطالب	السلطات الليبية	الوفاء بالتزاماتها	
٤.	يأذن لـ	الدول الأعضاء	اتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المدنيين	حماية المدنيين
٥.	يقر بـ ويطلب إلى	جامعة الدول العربية وأعضاؤها	إقرار بدورها، ومطالبة أعضائها بالتعاون لتنفيذ الفقرة ٤	
٦.	يقرر		فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي الليبي	منطقة حظر الطيران
٧.	يقرر		ألا تشمل الفقرة ٦ الرحلات الجوية ذات الغرض الإنساني، أو لفائدة الشعب الليبي	
٨.	يأذن لـ	الدول الأعضاء	اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتنفيذ الحظر الجوي	
٩.	يدعو	جميع الدول الأعضاء	إلى تقديم المساعدة	
١٠.	يطلب إلى	الدول الأعضاء المعنية	التنسيق بشأن التدابير المتخذة لتنفيذ الفقرات ٤ و٦ و٧ و٨	
١١.	يقرر	(الدول الأعضاء المعنية)	أن تبلغ الدول الأعضاء المعنية الأمينَ العام وأمين جامعة الدول العربية فورا بأي تدابير متخذة	
١٢.	يطلب إلى	الأمين العام	إبلاغ المجلس فورا بأي إجراءات تتخذها	

رقم الفقرة	الفعل	المخاطَب في الفقرة	مضمون الفقرة	الموضوع
			الدول الأعضاء المعنية	
١٣.	يقرر		تغيير فقرة من القرار السابق ١٩٧٣، متعلقة بالتنفيذ الصارم لحظر الأسلحة، بتفتيش السفن والطائرات المتجهة إلى ليبيا أو القادمة منها	إنفاذ حظر الأسلحة
١٤.	يطلب إلى	الدول الأعضاء المعنية	التنسيق بشأن التدابير المتخذة لتنفيذ الفقرة ١٣	
١٥.	يطالب	أي دولة عضو	تقديم تقرير خطي إلى اللجنة في حال تنفيذ الفقرة ١٣	
١٦.	يعرب عن استيائه ويطلب إلى	المجلس الدول الأعضاء	استمرار تدفق المرتزقة إلى ليبيا، ويطلب منع التدفق	
١٧.	يقرر	(جميع الدول)	أن ترفض جميع الدول السماح لأي طائرة ليبية أن تقلع من أراضيها أو تهبط فيها أو تعبر	حظر الرحلات الجوية
١٨.	يقرر	(جميع الدول)	أن ترفض جميع الدول السماح لأي طائرة (يشك باحتوائها على أسلحة أو مرتزقة أو.. لليبيا) أن تقلع من أراضيها أو تهبط فيها أو تعبر	
١٩.	يقرر	(جميع الدول)	تجميد الأصول المالية والموارد الاقتصادية، وأن تكفل جميع الدول تنفيذ ذلك	تجميد الأصول
٢٠.	يؤكد تصميمه	المجلس	إتاحة الأصول المجمدة لمصلحة الشعب الليبي لاحقا	
٢١.	يقرر	(جميع الدول)	أن تطالب جميع الدول مواطنيها باليقظة والتحري في كافة المعاملات التي تخص ليبيا	
٢٢.	يقرر		خضوع الأفراد المدرجة أسماؤهم في المرفقات للعقوبات: تجميد الأصول، وحظر السفر	تحديد الأسماء
٢٣.	يقرر		انطباق التدابير المحددة في الفقرات... على من انتهكوا أحكام القرار ١٩٧٠، وفق تحديد	

رقم الفقرة	الفعل	المخاطَب في الفقرة	مضمون الفقرة	الموضوع
			المجلس أو اللجنة.	
٢٤.	يطلب إلى	الأمين العام	إنشاء فريق الخبراء للاضطلاع بمجموعة من المهام، حددتها الفقرات الفرعية	فريق الخبراء
٢٥.	يحث	جميع الدول وهيئات الأمم المتحدة ذات الصلة والأطراف المهتمة الأخرى	أن تتعاون مع اللجنة وفريق الخبراء	
٢٦.	يقرر		أن تسري أيضا ولاية اللجنة المبينة في الفقرة ٢٤ من القرار ١٩٧ (٢٠١١) على التدابير المنصوص عليها في هذا القرار؛	
٢٧.	يقرر	(جميع الدول، بما فيها الجماهيرية العربية الليبية)	أن تتخذ التدابير اللازمة لكفالة عدم تقديم أي مطالبة بناء على طلب من السلطات الليبية	
٢٨.	يؤكد من جديد اعتزامه	المجلس	إبقاء أعمال السلطات الليبية قيد الاستعراض المستمر	
٢٩.	يقرر	(المجلس)	يبقي المسألة قيد نظره الفعلي	

جدول (٥): الأفعال التواصلية في متن القرار ١٩٧٣

بالنظر في الأفعال التواصلية، والمخاطبين المعنيين، والموضوعات المتعلقة، يمكن القول إن الأفعال التواصلية في متن القرار تنقسم إلى ست مجموعات: أفعال التفويض، وأفعال التكليف، والأفعال الطلبية، والأفعال الالتزامية، والأفعال الإلزامية، وأخيرا أفعال موطئة لأفعال أخرى. وكل هذه الأفعال تندرج تحت الوظيفة التواصلية: التوجيه (أن تفعل).

أ - أفعال التفويض: (يأذن)

> **يأذن** للدول الأعضاء التي أخطرت الأمين العام، وهي تتصرف على الصعيد الوطني أو عن طريق منظمات أو ترتيبات إقليمية، وبالتعاون مع الأمين العام، باتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المدنيين والمناطق الآهلة بالسكان المدنيين المعرضين لخطر الهجمات في الجماهيرية العربية الليبية بما فيها بنغازي؛

استخدم القرار فعل التفويض (يأذن لـ)، مرتين، وجاء الفعل مسندا إلى فاعل يحدده المجلس (الدول الأعضاء...)، والمهمة التي فوضها المجلس إلى تلك الدول: اتخاذ التدابير اللازمة لحماية المدنيين... إلخ. وفعل التفويض فعل قانوني، يعطي شرعية قانونية لتنفيذ القرار، وقد استند إليه الحلفاء في تنفيذهم للقرار.

ب - أفعال التكليف: (يطلب، يطالب)

يطلب إلى الأمين العام أن يبلغ المجلس فورا بأي إجراءات تتخذها الدول الأعضاء المعنية...

يطالب السلطات الليبية بالوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الدولي،....

استخدم الفعل (يطلب) مرتين مسندا إلى (الأمين العام)، وتكليفه بإبلاغ المجلس (الفقرة ١٢)، وتكليفه بإنشاء فريق الخبراء (الفقرة ٢٤). كما استخدم مسندا إلى الدول الأعضاء وتكليفها بالتنسيق في أي إجراءات متخذة. وقد استخدم الفعل في الفقرة الخامسة أيضاً مسندا إلى أعضاء جامعة الدول العربية (ويطلب إلى الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية أن تتعاون مع الدول الأعضاء الأخرى في تنفيذ الفقرة ٤)، فالتكليف واضح في الصيغة.

أما الفعل (يطالب)، فقد استخدم للتكليف، حيث طالب المجلس الدول الأعضاء بالتنسيق، فهي مطالبة على وجه التكليف وليس على وجه الحث. واستخدم للإلزام، كما في الفقرة الثالثة: مطالبة المجلس السلطات الليبية بالوفاء بالتزاماتها.

ج - الأفعال الطلبية: (يحث، يدعو)

يدعو جميع الدول الأعضاء، المتصرفة على الصعيد الوطني أو عن طريق منظمات أو ترتيبات إقليمية، إلى تقديم المساعدة، بما في ذلك الموافقة على أي عبور جوي ضروري، لأغراض تنفيذ الفقرات ٤ و٦ و٧ و٨ أعلاه؛

الطلب صيغة غير إلزامية، فهو يدعو أو يحث، ولكنه يتوقع الاستجابة، حتى يتم تنفيذ القرار. وتستخدم الأفعال الطلبية مسندة إلى جهة واضحة، فهي دعوة أو حث لجهات يحددها المجلس "الدولي"، وعليها تلبية طلب المجلس.

د – الأفعال الالتزامية:

يشدد على الحاجة إلى تكثيف الجهود من أجل إيجاد حل للأزمة يستجيب للمطالب المشروعة للشعب الليبي...

يؤكد تصميمه على كفالة إتاحة الأصول التي يتم تجميدها عملا بالفقرة ١٧ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) لشعب الجماهيرية العربية الليبية ولصالحه، في مرحلة لاحقة؛

هذه التزامات يقطعها المجلس على نفسه، وتأتي عادة مع أفعال التأكيد (يؤكد، يشدد)، ويأتي الالتزام بصيغة المصدر، وقد لحظت ذلك في عديد من قرارات المجلس، فهو لا يستخدم اللفظ الصريح المباشر: يلتزم، يصمم... إلخ، بل يستخدم فعل التأكيد (ويؤكد تصميمه..)، حتى يمنح التزامه قوة خاصة، فهو التزام دولي، وسيفي المجلس به، وبذلك يترك انطباعا إيجابيا تجاه التزاماته.

كما يلحظ في الأفعال الالتزامية أنها قد تسند إلى المجلس، كما في الفقرة ٢٠، والفقرة ٢٨، (يؤكد تصميمه)، حيث يعود الضمير إلى المجلس. وقد لا تسند إلى أي جهة، كما في الفقرة الثانية (يشدد على الحاجة إلى تكثيف الجهود)، والسؤال: من الذي يلتزم بتكثيف الجهود، وطالما أن المجلس لم يسند ذلك إلى جهة ما، وهو يؤكد هذا الأمر، فالمجلس إذن هو من سيتولى ذلك.

هـ – الأفعال الإلزامية: (يقرر)

يقرر فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية العربية الليبية من أجل المساعدة على حماية المدنيين؛

يقرر أن ترفض جميع الدول السماح لأي طائرة مسجلة في الجماهيرية العربية الليبية أو يملكها أو يشغلها رعايا ليبيون أو شركات ليبية بالإقلاع من أراضيها أو الهبوط فيها أو عبورها ما لم تكن اللجنة قد وافقت مسبقا على تلك الرحلة المعينة، أو ما عدا حالات الهبوط الاضطراري؛

احتوى القرار على تسع وعشرين فقرة، جاءت ثلاث عشرة فقرة منها مبدوءة بالفعل الإلزامي المقصود من القرار (يقرر)، فهو الفعل الدال على إمضاء القرار، وإلزام الجميع به. وقد كان الفعل المهيمن على فقرات القرار.

ويصاغ الفعل الإلزامي مبتدئا بالفعل (يقرر)، ثم يليه المصدر الصريح أو المؤول، وفي حال المجيء بالمصدر الصريح فإنه لا يضاف إلى أي فاعل، كما في الفقرة السادسة (يقرر فرض حظر جوي)، فمن الذي يقوم بالفرض؟ القرار لا يذكره ولا يقول شيئا عن ذلك، والهدف من ذلك أن القرار يريد تجسيد الفعل (فرض الحظر)، باعتباره قرارا صارما يسري على الجميع، وعلى الجميع الامتثال له، وتنفيذه (ثم تأتي بعد ذلك فقرة أخرى لتسند الإذن بالتنفيذ إلى الدول الأعضاء). كما أن تحويل الفعل إلى مصدر وإبهام الفاعل، يهدف إلى التعتيم على الهيمنة وإخفاء التسلط والقمع، كما يقول أورويل (الزليطني، ٢٠١٤، ص١٨).

أما في حال المجيء بالمصدر المؤول (أن يفعل)، فينص القرار على الجهة التي يلزمها المجلس بالتنفيذ، كما في الفقرة ١٧، (يقرر أن ترفض جميع الدول السماح...) فالفعل (ترفض)، والفاعل (جميع الدول)، والمفعول (السماح..)، ومن ثم فهو يوجه إلزامه إلى جهة أو جهات ما، ويحدد لها الفعل بوضوح (رفض السماح..)، ويبدأ ذلك بالفعل (يقرر)، فهو أمر إلزامي لا خيار فيه، هو ليس دعوة أو مطالبة، بل قرار.

و - أفعال موطئة لأفعال أخرى:

> يقر بالدور المهم الذي تؤديه جامعة الدول العربية في المسائل المتصلة بصون السلم والأمن الدوليين في المنطقة، ويطلب إلى الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية أن تتعاون مع الدول الأعضاء الأخرى في تنفيذ الفقرة ٤، واضعا في اعتباره الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة؛
>
> يعرب عن استيائه لاستمرار تدفق المرتزقة إلى الجماهيرية العربية الليبية، ويطلب إلى جميع الدول الأعضاء أن تفي بدقة بالتزاماتها بموجب الفقرة ٩ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) لمنع توفير أفراد المرتزقة المسلحين للجماهيرية العربية الليبية؛

ابتدأت الفقرة الخامسة بالفعل (يقر)، وهو من أفعال الإشادة، ولكن الهدف من إيراده ليس الإشادة، وإنما التمهيد لفعل آخر، فهو فعل موطئ، ثم جاء الفعل الآخر وهو فعل أقرب ما يكون إلى التكليف (يطلب إلى...)، فهو يقول: طالما أن جامعة الدول العربية قامت بدور معروف تجاه الشأن الليبي، فعلى أعضائها أن يتحملوا مسؤولياتهم.

وفي الفقرة ١٦، جاء الفعل (يعرب عن استيائه) موطئا للطلب، فالمجلس لا يريد أن يقرر أنه يعرب عن استيائه، ولكنه يريد القول إن تدفق المرتزقة ما يزال مستمرا، وهذا أمر مثير للاستياء، ومن ثم فواجب الدول (ولا سيما المحيطة) أن تفي بالتزاماتها.



وبالنظر مرة أخرى في الوظائف التواصلية التي يتضمنها القرار، فإن وظيفة متن القرار هي التوجيه، كما تبين في التحليل، وهو توجيه ظاهر مباشر غالبا (وأحيانا غير مباشر كما في الأفعال الالتزامية)، وصريح. وقد تفاوتت مستويات التوجيه من حيث قوتها، فالأفعال الإلزامية تأتي في المرتبة الأولى، تليها أفعال التفويض، ثم التكليف، ثم الطلبية.

وتوزعت الوظائف التواصلية في مقدمة القرار بين المعرفة والتصديق والتوجيه.

فأفعال الإشارة تمثل جانبا معرفيا لا يهدف إلى إنشاء المعرفة، وإنما إلى ربط المعارف والمعلومات بعضها ببعض، وبناء بعضها على بعض، بحيث تبدو متماسكة، وتُظهر المجلس بوصفه جهة منظمة واعية لما فُعل أو قيل من قبل، سواء من جهتها أو من جهة غيرها.

أما الأفعال التسويغية فتمثل وظيفتين، الأولى الوظيفة المعرفية؛ فهي تعرف المتلقي بالمسوغات التي يتخذ في ضوئها القرار، والثانية الوظيفة الحجاجية، حيث تضفي الشرعية على الفعل، أو تنزعها عنه.

وتؤدي الأفعال الاستنكارية وظيفتي الحجاج والتوجيه؛ ويظهر طابع الحجاج فيها لكونها تقدم مسوغا حجاجيا لما يمكن أن يتخذ من فعل بعد ذلك، وأما التوجيه فيها فغير مباشر؛ إذ إن القرار يحث جهة ما على إيقاف هذه الأفعال المستنكرة.

وتمثل أفعال الإشادة والطلبية الوظيفة التوجيهية في القرار، (الإشادة: توجيه غير صريح، والطلب: توجيه صريح). وأما الأفعال الالتزامية فتؤدي وظيفة التوجيه غير المباشر.

ثالثاً: استراتيجيات التوجيه والعولمة القصدية في القرار

تحدثت في المطلب السابق أن ثمة خمس استراتيجيات للعولمة والتوجيه، هي: عولمة / توجيه الانتماء، وعولمة / توجيه الفعل، وعولمة / توجيه المصير، وعولمة / توجيه القيم، وعولمة / توجيه الإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات). وسأدرس القرار في ضوء هذه الاستراتيجيات.

(١) الانتماء:

وضع مجلسُ الأمن نفسَه في إطار واحد مع المنظمات الدولية المختلفة: جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والاتحاد الإفريقي، وتمثل هذه المنظمات الدولية مختلف دول العالم الفاعلة، وليبيا عضو فيها كلها، ومن ثم فالأفعال الإشارية كرست عولمة الانتماء، وبدا القرار قرارا عالميا، جاء نتاجا لجهود عالمية مختلفة، كما يتبين من فقرات المقدمة (وخاصة الأفعال الإشارية: يشير إلى، يحيط علما). وكذلك أفعال الإشادة (يرحب بجهود..)، تجعل ما يقدم عليه المجلس شيئا لا يختص به وحده، بل هو ينتمي إلى جميع الدول والمنظمات.

في الوقت نفسه، فإن القرار يعزل السلطات الليبية، ويخرجها من كافة الأطر العالمية: الشرعية والقانونية والأخلاقية، فهي دولة تستمر في انتهاك القانون الدولي وخرق الأعراف الدولية، وتحدي الإرادة الدولية، وهذه الممارسات تجعل المجتمع الدولي لا يسمح لها بالبقاء في عالم يحترم القانون والعرف الدولي. وبوصول السلطات الليبية إلى هذا المستوى، فإنه يتوجب على المجتمع الدولي أن يعيدها إلى مسارها الصحيح، ضمن الأسرة الدولية، فهي عضو نشاز، وبقاؤه بهذا الوضع سوف يسيء للمجتمع الدولي، ويهدد السلم والاستقرار الدولي. وقد كان هذا إطارا لحصار المسؤولين والمؤسسات الليبية، حصارا اقتصاديا بتجميد الأصول، وحظر التعاملات، وحصارا حقوقيا بالمنع من السفر، وحصارا دبلوماسيا وعسكريا... إلخ. وقد تم إدراج مرفقين تضمنا "الأفراد والهيئات" الليبية، التي يتم تنفيذ بنود القرار عليها من تجميد للأصول وحظر للسفر... إلخ.

(٢) الفعل:

يعد القرار بالدرجة الأولى توجيها للفعل، سواء أكان توجيها مباشرا للسلطة الليبية، أو للدول الأعضاء باتخاذ إجراءات تنفيذية لإجبار السلطات الليبية على الفعل. ومن ثم فمعظم فقرات متن القرار ترسخ هذا التوجيه. وفي الوقت نفسه، فإن القرار بإسناده الفعل إلى المجتمع الدولي، والدول الأعضاء فإنه يعولم الفعل، فهو فعل لا تقوم به دولة ما، ولكن مختلف الدول. وقد ركز القرار في ضرورة أن تقوم الدول العربية بجهود ملموسة في تنفيذ القرار (الفقرة ٥)، وذلك حتى لا يبدو وكأن الفعل الذي تم تنفيذه حملة غربية ضد دولة عربية مسلمة، فمشاركة الدول العربية ستسقط هذا الافتراض.

(٣) المصير:

تحميل السلطة الليبية المسؤولية يرهن مصيرها بمسؤوليتها تجاه الانتهاكات، ومن ثم فإن مصير شرعيتها على المحك. وهو حين يدين الانتهاكات وأعمال العنف "التي ترتكبها السلطات الليبية"، فإنما يقدم مستندا قانونيا يحدد مصير هذا الطرف الذي انتهك القوانين والأعراف، وفقد شرعيته. فمصيره إلى الزوال، وقد كان ذلك واضحا في القرار حين فوض الدول الأعضاء باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ القرار.

كما أن القرار يجعل مصير النظام الدولي على المحك، فخطر السلطات الليبية لا يقتصر على الشعب الليبي، بل يهدد المجتمع الدولي: فالقرار، في الفقرة الخامسة، "يقر بالدور المهم الذي تؤديه جامعة الدول العربية في المسائل المتصلة بصون السلم والأمن الدوليين في المنطقة". فاستخدام لفظ (المنطقة) يعكس الهيمنة العالمية في أن يظل النظام العالمي كما يريده "الفاعل الدولي"، في أي منطقة في العالم. فمصير العالم كله مرتبط بمصير أي منطقة يتم تهديد أمنها وسلمها. فالأمن والسلم لا يخصان المنطقة وحدها بل هما يوحدان مصير العالم تجاه أي تهديد.

(٤) القيم:

تأخذ القيم في القرار منحيين، المنحى الأول: ما يتعلق منها بالسلطات الليبية، والمنحى الثاني ما يتعلق منها بمجلس الأمن.

أما ما يتعلق بالسلطات الليبية، فيستخدم صيغ التوجيه الصريح، كمطالبة السلطات الليبية بالوفاء بالتزاماتها، وصيغ التوجيه غير الصريح، كالتعبير عن استيائه من الممارسات اللاأخلاقية التي أقدمت عليها السلطات الليبية، كتجنيد المرتزقة.

وأما ما يتعلق بمجلس الأمن، فيضع المجلس على نفسه مجموعة من الالتزامات الأخلاقية، كما في الفقرة ٢٠، وهي التزامات ذات طابع دولي، يهدف من ورائها إلى بعث الثقة لدى الشعب الليبي، فمن يلتزم بها هو مجلس الأمن، ولذلك جاءت بصيغ التوكيد "يؤكد تصميمه على ضمان توفر الأصول...".

(٥) الإدراك:

ورد في مقدمة القرار عديد من الحيثيات، ولا سيما الأفعال التسويغية، فمثلاً: "وإذ يرى أن الهجمات الممنهجة الواسعة النطاق التي تُشن حاليا في الجماهيرية العربية الليبية على السكان

المدنيين قد ترقى إلى مرتبة جرائم ضد الإنسانية"، فاستخدم الفعل (يرى)، ليدل على أن هذه الرؤية رؤية عالمية، فطالما أن المجلس "العالمي" رأى أن تلك الانتهاكات قد ترقى إلى مرتبة "جرائم ضد الإنسانية"، فحتما أنها رؤية مسوغة لمعاقبة المسؤولين. وقد تكرر فعل الرؤية مرتين في المقدمة، هذه، والثانية: "وإذ يرى أن فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية يُشكّل عنصراً هاماً في حماية المدنيين وسلامة إيصال المساعدة الإنسانية وخطوة حاسمة في سبيل وقف الأعمال العدائية في ليبيا". فالرؤية العالمية للمجتمع الدولي تسوغ اتخاذ قرار لإيقاف خطورة الجرائم، وهو الحظر الجوي الذي استند إلى الحيثيات المتقدمة؛ فالعولمة الإدراكية لا تقتصر على دولة أو دولتين، ولكن هذه هي رؤية "عالمية".

المبحث الثاني: مستويات تصعيد الصوت:

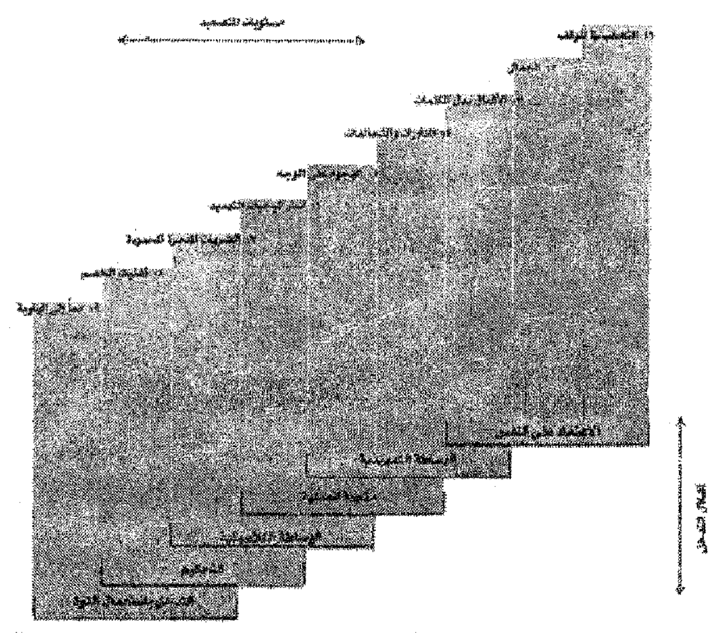
- المطلب الأول: مستويات تصعيد الصوت لدى طرفي النزاع
- المطلب الثاني: مستويات تصعيد الصوت لدى الطرف الثالث
- المطلب الثالث: التذبذب الخطابي في النزاع حول المواقف

المطلب الأول: مستويات تصعيد الصوت بين طرفي النزاع

أولا: مدخل نظري:

تعد استراتيجيات التواصل في النزاع وتسويته، التي حددها عالم التواصل كينيث توماس (Thomas, 1976) منطلقا لكثير من الباحثين في استراتيجيات التواصل في النزاع. وهي خمس استراتيجيات تواصلية: ١) المنافسة: أي السعي إلى تحقيق الحد الأقصى من المصلحة الذاتية، ولو على حساب الآخرين. ٢) التعاون: أي التعاون مع الطرف الآخر في إيجاد أرضية للتسوية، وحلول وسط. ٣) التهدئة: أي الاستسلام أمام الطرف الآخر. ٤) التجنب (أو: الانسحاب): أي تجنب الدخول في النزاع، أو الانسحاب منه. ٥) التشارك: أي السعي في تحقيق مكاسب مشتركة لكل الأطراف، دون إلحاق الضرر بالغير، أو تقديم تنازلات لا داعي لها، أو الاستسلام.

وبالنظر في مستويات التصعيد، فقد قدم (غلاسل) نموذجا يشتمل على تسعة مستويات، تبدأ من المستوى الأقل إلى المستوى الأشد، ويعتبر أنها مستويات نازلة تتجه من الأعلى إلى الأسفل، حيث يتم استدراج أطراف النزاع من مستوى إلى مستوى أدنى، بطريقة تشبه سلسلة الانهيارات الصخرية المتتالية. ويربط غلاسل بين المستويات وأشكال التدخل، ففي المستويات الأولى يمكن للأطراف نفسها أن تحل النزاع، ولكن كلما زاد التصعيد تضاءل اعتماد الأطراف على نفسها، وأدى ذلك إلى تدخل طرف ثالث (Mason, & Rychard, 2005, p7).



شكل (٩): مستويات التصعيد وفقا لنموذج غلاسل (Mason, & Rychard, 2005, p7)

١ - التصلب في الموقف (Hardening): في هذا المستوى، تظهر بوادر المواجهة، ويبدي كل طرف تصلباً في موقفه.

٢ - الجدال (Debate, polemics): في هذه المرحلة، ينشأ لدى الطرفين إدراك بتعارض التفكير والشعور والإرادة، فيتنامى الشعور بالاستعلاء والدونية.

٣ - الأفعال بدل الكلمات (Actions not words): يسود الاعتقاد بأن "الكلام لم يعد مفيدا"، والحرص على استراتيجية "طرح الحقائق على الأرض"، وفيه تترك العواطف جانبا، ويتنامى التأويل الخاطئ لما يقوله أو يفعله الطرف الآخر.

٤ - المناورات والتحالفات (Images, coalitions): تبدأ المناورات بين الأطراف، وكل طرف يسعى للبحث عن دعم أطراف أخرى.

٥ - المواجهة الصريحة (Loss of face): ويتجلى هذا في حملات علنية ومباشرة، تطعن في أخلاق الخصم، لتشويهه وإهانته وإحراجه. وهي خطوة تصعيدية كبيرة.

٦ - استراتيجيات التهديد (Strategies of threats): وفي هذا المستوى يلجأ الأطراف إلى التهديدات والتهديدات المضادة بأعمال انتقامية، مع الإمهال.

٧ - الضربات المدمرة المحدودة (Limited destructive blows): في هذه المرحلة، يلجأ الأطراف إلى توجيه ضربات مدمرة محدودة، مع إضفاء الشرعية عليها، وكل طرف يعد الهزائم الصغيرة انتصارات بالنسبة إليه.

٨ - تفتيت الخصم (Fragmentation): في هذه المرحلة، يصبح هدف كل طرف تدمير قوة الخصم وتفتيتها.

٩ - معاً إلى الهاوية (Together into the abyss): في هذه المرحلة، يصل الأطراف إلى المواجهة الشاملة دون تراجع، ويصير تدمير الذات مقبولا إذا كان ثمنه تدمير الخصم.

تحدثت في تمهيد هذا الفصل عن الصوت، وذكرت أن مفهومه: (كافة الإجراءات الخطابية التي يمارسها المتكلم في خطابه المنطوق وغير المنطوق، وتظهر في أفعاله وممارساته). فهو يشتمل على الصوت اللغوي وغير اللغوي. وسأحلل مستويات التصعيد في العينة بالنظر في الصوت اللغوي وغير اللغوي، سواء لطرفي النزاع أم للطرف الثالث.

ثانياً: تحليل عينة

عينة النزاع المختارة: التدخل الدولي في ليبيا في المدة من (١٧/ ٢/ ٢٠١١م) يوم اندلاع الثورة الليبية، حتىٰ آخر شهر مارس ٢٠١١م، بعد أن بدأ تنفيذ قرار مجلس الأمن بفرض الحظر الجوي.

(١) وصف العينة وأطراف النزاع وأنواع النصوص:

بلغت خطابات النزاع التي جمعتها في هذه المدة: (١٥٥) خطابا، وقد توزعت علىٰ مجموعة من الأطراف، يمكن تقسيمها إلىٰ: النظام الليبي (٢٥ خطاباً، والمعارضة الليبية (٩)، والأطراف الدولية وتتمثل في: الولايات المتحدة الأمريكية (٥١)، ودول أوروبا بما فيها الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو (٢٥)، وروسيا (٢٤)، وتركيا (٤)، ومنظمات دولية: الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة العالم الإسلامي، ومحكمة الجنايات الدولية (١٢)، وأخرىٰ: مصر والإمارات وفنزويلا والكويت (٥).

أما طرفا النزاع الأساسان فهما النظام الليبي والشعب الليبي، وأما بقية الأطراف فمعظمها كانت بطبيعة الحال ضد النظام الليبي. وما ينبغي إيضاحه أن الطرف الأمريكي بدأ طرفاً محايداً، ولكن تحول بعد ذلك إلىٰ طرف ثانٍ في النزاع، وكذلك الطرف الأوروبي. ويمكن القول إن ثمة ثلاثة أطراف يمثلون الفاعلين الحقيقيين في النزاع الليبي، الأول: النظام الليبي، والثاني: المعارضة الليبية، والثالث: الطرف الأمريكي ومعه بعض دول أوروبا كفرنسا وبريطانيا.

خرج الشعب الليبي بتاريخ ١٧/ ٢ في مظاهرات ضد النظام الليبي، ويلحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ لسان الرئيس الأمريكي (في ١٨/ ٢)، ثم وزيرة الخارجية (في ٢٠/ ٢)، كانت سبّاقة إلىٰ التعليق علىٰ الحدث. ثم جاءت كلمة الرئيس الليبي في اليوم الرابع. ويلحظ دائما أن الطرف الأمريكي في أي نزاع دولي (أو حدث محلي) يخرج مباشرة ببيان أو كلمة أو تصريح أو تعليق علىٰ الحدث... إلخ، بما يعكس إرادة الهيمنة لديه، وإحساسه بأن قيادته للعالم تملي عليه مسؤولية تجاه أي حدث يقع في العالم. كما يلحظ أن خطابات الطرف الأمريكي حول النزاع كانت هي الأكثر في العينة (٥١ خطابا)، أي ثلث العينة.

أنواع النصوص:

تنوع الصوت في العينة، وقد سبق أن قسمت الصوت قسمين: الصوت اللغوي وغير اللغوي. فأما الصوت اللغوي، فيظهر مثلاً من خلال: بيان، أو تصريح، أو كلمة، أو قرار، أو مؤتمر

صحفي، أو رسالة، أو شرح حيثيات، أو استيضاح، أو مقابلات صحفية، أو مكالمات. وأما الصوت غير اللغوي، فيظهر مثلا من خلال حدث معين (كالمظاهرات)، أو شن الحرب، أو إجراءات رسمية كالعقوبات، أو الاعتراف بالمعارضة، أو فتح تحقيق، أو إصدار مذكرة اعتقال. وأتت التصريحات والبيانات في المرتبة الأولى ضمن عينة هذا البحث، (٨٣ تصريحا، و٢٤ بيانا).

(البيان) عادة ما يكون نصا مكتوبا، ويقرأه الناطق الرسمي، وأحيانا المسؤول الأول، كوزير الخارجية أو الرئيس؛ أما (التصريح) فهو ما يلقيه المسؤول الأول أو الناطق الرسمي في المؤسسة، دون أن يكون مكتوبا، ويغلب عليه الاقتضاب، والتركيز؛ وأما (الكلمة) فهي خطاب ارتجالي غالبا، وتتسم بالطول النسبي.

ويمتلك منشئو هذه النصوص سلطات مهيمنة على مستوى العالم، فهم الفاعلون الأساسيون في الدول والمنظمات الكبرى. ومن ثم تأخذ النصوص النزاعية طابعا حيويا فاعلا وتنفيذيا.

وسأهتم في الفقرات القادمة بتحليل التصعيد الخطابي في صوت النزاع، وسأتناول صوت أربعة أطراف: النظام الليبي، والمعارضة الليبية، والطرف الأمريكي (مع فرنسا وبريطانيا)، والطرف الروسي.

(٢) صوت المعارضة الليبية والنظام الليبي:

أ - صوت المعارضة الليبية:

أ-١- الصوت غير اللغوي:

أعلن الشعب الليبي صوته عند نزوله إلى الشارع في مظاهرات احتجاجية في ١٧ فبراير ٢٠١١م، وهو صوت غير لغوي، ويمثل هذا الحدث البؤرة الأساس التي يلتقي حولها أطراف النزاع جميعا. وقد رافق هذا الصوتَ غيرَ اللغوي صوتٌ لغوي تمثل في المطالب الاحتجاجية التي رفعها المتظاهرون بإسقاط النظام.

وبتتبع صوت المعارضة خلال مدة التحليل، نجد أن الصوت الأساس لأنصارها غير لغوي، تمثل أولاً في مظاهرات، ثم تحولت المظاهرات بعد قمع النظام لها إلى مقاومة مسلحة، ثم إلى حرب.

أ-٢- الصوت اللغوي:

بالنسبة إلى الصوت اللغوي، فقد كان أول الأمر صوتاً غير منظم وغير فاعل في الأحداث، وبدأ يتشكل بصورة منظمة وفاعلة في مرحلة لاحقة، مع تشكيل المجلس الوطني الانتقالي، الذي أصبح يمثل المعارضة، ويحدد مطالبها، ويتواصل دوليا. وليس الحديث هنا عن إعلام المعارضة، ونقل أخبارها، ولكن عن صوت مؤسسي فاعل في النزاع الدولي.

ربما كان أول صوت لغوي للمعارضة صوت المندوب الليبي في مجلس الأمن (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م)، وتظهر في كلمة المندوب الوظائف التواصلية: (الهجوم) على النظام الليبي – القذافي تحديدا، ونزع شرعية بقائه، (دعوة) المجتمع الدولي إلى التحرك العاجل لإنقاذ الشعب الليبي. وقد صاحب الكلمة دموع المندوب؛ وإلقاء وجداني مؤثر، كان له تأثير قوي في المجتمع الدولي. ومثّل الخطاب تصعيدا قويا ضد النظام الليبي؛ لأنه طعن في شرعيته مباشرة، ودعا المجتمع الدولي إلى نزعها منه بالقوة.

وفي (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م)، شُكّل المجلس الوطني الانتقالي برئاسة المستشار مصطفى عبد الجليل، وركز خطابه في ثلاث وظائف تواصلية توجهت إلى ثلاث فئات:

الأولى: الهجوم على النظام الليبي ونزع شرعيته وكشف ممارساته ضد الليبيين حاليا أو على مدى أربعة عقود سابقة؛ ففي أول ظهور له قال المستشار إن النظام الليبي:

> "عمل منذ أكثر من أربعة عقود على تفتيت الوحدة الوطنية وبث الفتنة بين الناس عبر لجانه الشعبية ودكتاتوريته المتعجرفة".

والثانية: تجميع الطوائف والقبائل الليبية تحت إطار المجلس؛ حتى يكون له شرعية تمثيل الشعب الليبي. وكان هذا واضحا في الخطابات الأولى، كما في قول المستشار:

> "إن المجلس لن يستثني في تركيبته أي شبر من البلاد الليبية بمختلف طوائفها وقبائلها بالداخل وحتى الخارج بما في ذلك قبيلة "القذاذفة" التابعة للزعيم الليبي معمر القذافي".

أو تصريح الدباشي – أحد أعضاء المجلس – لوكالة الأنباء الفرنسية:

> "الجميع يدعم الحكومة الانتقالية. إنها تحظى منذ الان بدعم الشعب في جميع مناطق البلاد، (ونحن) نريد تشكيلها في اقرب وقت ممكن لتقيم رابطا بين الشعب الليبي والعالم الخارجي".

والثالثة: التواصل مع المجتمع الدولي والسعي إلى الحصول على الاعتراف به ممثلاً شرعياً للشعب الليبي. وهذا ما حدث فعلا بدءا بفرنسا التي اعترفت به في (١٠/ ٣/ ٢٠١١م).

وقد تم في هذا الإطار تصعيد خطاب المعارضة؛ فالخطاب منذ البداية كان هجوميا على النظام، ورافضا لبقائه، ووفقا لذلك كان يرفض الحديث عن الحوار أو التفاوض معه قبل تنحيه.

في ٣/٤ قال المتحدث باسم المجلس الوطني: "لن نقبل أبداً بالتفاوض مع أي كان على دماء شعبنا."، وفي ٣/٧ بيان للمجلس الوطني أكد على أنه "ليس هناك مجال لحوار موسع مع حكومة القذافي وإن أي محادثات يجب أن تكون على أساس تنحي القذافي".

يمكن القول إن الخطاب المعارض بدأ قويا، وفي الذروة؛ وتفسير ذلك أنه بدأ متأخرا بعض الشيء عن الصوت غير اللغوي (المظاهرات)، وكان النظام قد استخدم العنف في قمعها، وأريقت الدماء، فجاء خطاب المعارضة رافضاً الحوار وطالباً التنحي.

ب – صوت النظام الليبي:

ب-١ – الصوت غير اللغوي:

بدأ النظام الليبي بقمع الاحتجاجات السلمية، واستخدم العنف لمحاولة القضاء على الثورة، وكان عنيفاً منذ البداية. وعندما تحولت الثورة إلى مسلحة دخل في حرب حقيقية انتهت بسقوطه. يكاد الصوت غير اللغوي الفاعل يقتصر على استخدام العنف مع الثوار، ومن ثم ارتبط تصعيده بازدياد قوة الثوار، وارتفعت حدته قبل القصف الفرنسي، وبعد التدخل الدولي شلت القوة الجوية للنظام، وبدأ خط الانهيار حتى مقتل القذافي.

ب-٢- الصوت اللغوي:

ب-٢-١- (خطاب القذافي في ٢٢/ ٢/ ٢٠١١م):

بدأ صوت النظام الليبي بخطاب ألقاه العقيد القذافي في الساحة الخضراء أمام بيته -الذي شنت القوات الأمريكية عليه غارات جوية عام ١٩٨٦م - وسط حشد من أنصاره في (٢٢/ ٢/ ٢٠١١م). وقد كان خطابا ارتجاليا مطولا بلغ ٧٠٠٠ كلمة تقريبا، وتجاوزت مدة إلقائه سبعين دقيقة. ويلحظ أن الخطاب استخدم كافة الوظائف التصعيدية ضد المحتجين: الهجوم، والتهديد، والتحدي، والتحريض ضدهم، والتوعد بالإبادة. كما استخدم أفعالا تصعيدية ضد أطراف دولية: قطر، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية. وأفرغ كل ما في جعبته من سباب

وشتم وتهديد للمتظاهرين، وتحريض للشرطة وللشعب الليبي ضدهم، كما أنه استدعى أحداثا تاريخية كثيرة أساء بها إلى أطراف دولية لم تتدخل بعد في النزاع. فكان خطابه خطابا تصعيديا عدوانيا.

ووفقا لتحليل القوسي لهذا الخطاب، فقد نطق باسمه الصريح تسع عشرة مرة، واستخدم ضمير المتكلم ٣٧٤ مرة؛ مما يعني أنه يضع نفسه دائما في قلب الحدث، فهو مدار الأحداث وحوله تسير كل الأمور (القوسي، ٢٠١٢، ص٢٤٣). ومن ثم فالخطاب لم يسعَ لبناء وظائف تواصلية إيجابية لا مع الشعب ولا مع المجتمع الدولي، بل قام بتصنيفهم وفقا لموقفهم منه شخصيا؛ لأنه هو ليبيا وهو الثورة – على حد تعبيره.

أمثلة من الخطاب (سأركز في الوظائف التواصلية التصعيدية):

(الوظائف التوجيهية):

هجوم على المتظاهرين واتهامهم بالعمالة واحتقارهم واستعلاء عليهم، فوصفهم بأنهم (جرذان)، و(شراذم)، وأنهم (جلبوا العار لأولادهم وقبائلهم).

تحدي لأمريكا ودول أخرى:

"تحدينا أمريكا في هذا المكان بجبروتها وقوتها، تحدينا الدول الكبرى النووية في العالم وانتصرنا عليها، طأطأوا رؤوسهم، إيطاليا قبّلت يد ابن الشهيد شيخ الشهداء "عمر المختار".

هجوم على أمريكا وتذكيرها بما فعلته في العراق وأفغانستان:

"بغداد دُمرت بالكامل، كم من مدنيين ماتوا، عائلات ماتت، ومناسبات أفراح ضُربت قالوا إنهم حسبوا أنها تجمع معادٍ، وعمارة قالوا إن فيها إرهابيا، دمروها على من فيها. مليون، مليونان، ثلاثة، ماتوا في بغداد بالطائرات الأمريكية".

تهديد باستخدام القوة:

" نحن لم نستخدم القوة بعد، والقوة تساند الشعب الليبي. إذا وصلت الأمور إلى حد استخدام القوة، فسنستخدمها وفقا للقانون الدولي ووفقا للدستور الليبي والقوانين الليبية"

تبرير قانوني لاستخدام العنف:

"عن جرائمهم في قانون العقوبات الليبي الصادر قبل الثورة، تقول: "يعاقب بالإعدام كل من: – رفع الليبيين السلاح ضد الدولة. – دس الدسائس مع الدول الأجنبية لإثارة الحرب ضد ليبيا. – المساس بأراضي الدولة وتسهيل الحرب ضدها..."."

تبرير تاريخي لاستخدام العنف، وإيحاء بأنه سيفعل بالمتظاهرين كذلك:

"يلتسن رئيس روسيا، عندما اعتصم مجلس الدوما، النواب اعتصموا في مجلس النواب اعتصاما فقط، قال لهم "اطلعوا"؛ قالوا له "لا، نحن محتجون"، وظل يقول لهم "اطلعوا، اطلعوا" لم يرضوا.. يوما، اثنين؛ ثلاثة؛ أربعة، أمام العالم يساومونهم "اطلعوا"، وهم يقولون لن "نخرج". أحضر الدبابات – وقد كانت منقولة بالإذاعة المرئية، بالتلفزيون –، ودكّ مبنى مجلس النواب والأعضاء موجودون بداخله. دكّهم بالدبابات حتى خرجوا مثل الفئران، والغرب لم يحتج؛ بل قال "أنت تقوم بعمل قانوني".. وذكر أمثلة أخرى كاحتجاجات الطلبة في بكين.

تحريض للشعب ضد المتظاهرين:

"عندئذ نقول لكم، سيعلن الزحف، سيعلن الزحف المقدس، مثل مسيرة ألف ميل التي قادها "ماو تسي تونغ"، وحرر بها الصين حتى اليوم، وجعلها دولة تملك القنبلة الهيدروجينية"

"أنا سنوجه نداء للملايين من الصحراء إلى الصحراء، وسنزحف أنا والملايين، لتطهير ليبيا شبرا شبرا، بيتا بيتا، دارا دارا، زنقة زنقة، فردا فردا، حتى تتطهر البلاد من الدنس والأنجاس.... من أنتم؟! دقت ساعة العمل، دقت ساعة الزحف، دقت ساعة الانتصار، لا رجوع".

وهناك ثلاثة أفعال تواصلية، تفاعل من خلالها إيجابيا إلى حد ما مع مطالب المحتجين:

الأول: الرد على المحتجين الذين خرجوا يطالبون بتنحيه، بأنه ليس رئيسا، ولا يمتلك سلطة، ومن ثم لا يمكنه التنحي، أي أنه رمز يمتلكه الشعب الليبي ولا يمكن التفريط فيه، فحول نفسه إلى رمز مقدس.

"نحن تركنا السلطة للشعب الليبي من عام ٧٧، أنا والضباط الأحرار، ولم يعد لنا أي منصب ولا أي صلاحية ولا نصدر أي قانون ولا أي قرار، وتركنا السلطة للشعب الليبي للمؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية" "معمر القذافي" ليس رئيسا، هو قائد ثورة، والثورة تعني التضحية دائما وأبدا حتى نهاية العمر".

والثاني: مطالبة المحتجين بتسليم السلاح "المطلوب تسليم الأسلحة فوراً التي روعت الناس".

والثالث: إعلانه بأنه لا مانع لديه من إنشاء دستور، وكأن المتظاهرين يطالبون بهذا:

" ليس عندي مانع أن الشعب الليبي يعمل دستورا، ويعمل قانونا أساسيا، يعمل مرجعية، يعمل أي نظام قانوني".

وبالنظر في وظائف هذا الخطاب نجد أن معظمها تنتمي إلى "التوجيه"، وهذا نتيجة لأمرين، الأول: الإحساس بالقوة والعظمة المطلقة، ومن ثم فهو لا يزال ينظر إلى الآخرين باستعلاء، سواء أكانوا في الداخل (الشعب، والمعارضة، وحتى أتباعه)، أو في الخارج (أمريكا وغيرها من الأطراف). والثاني: الإحساس بالصدمة، فهو لا يكاد يصدق أن ثمة من يخرج عليه في بلده، وهو الذي بيده السيطرة والهيمنة، فذهب يرمي الاتهامات، ويستخدم لغة تحريضية غريبة مبتذلة، لم نشهدها في خطابات غيره من الزعماء المستبدين.

الوظائف المعرفية والحجاجية:

هناك بعض الوظائف المعرفية والحجاجية، كالرد على المتهمين بأنه ليس رئيسا، وكالتبريرات القانونية والتاريخية التي ساقها لإضفاء الشرعية على استخدام القوة.

لم تأت خطابات القذافي اللاحقة بجديد على مستوى الوظائف التواصلية، سوى تكرار ما في هذا الخطاب، لكنها أقل حدة وتصعيدا، فكلها تكرر هذه الوظائف التواصلية، باستثناء خطابه أثناء التداول على مسودة قرار بفرض حظر جوي، حيث أرسل تهديدات صريحة للدول الغربية، فقال:

" الاستعمار سيهزم.. أمريكا ستهزم.. فرنسا ستهزم.. بريطانيا ستُهزم.. العملاء سيهزمون.. نحن مصممون على ان نسحق الأعداء"، وخاطب فرنسا وأمريكا: "إحنا اللي نضربوك.. ضربناك في الجزائر.. ضربناك في فيتنام. إحنا اللي ضربناك.. أنت اللي تضربنا.. جرب تعالى".

وفي مقابلة تلفزيونية أجرتها القناة الفرنسية مع القذافي بتاريخ (٧/ ٣/ ٢٠١١م)، نزل من الذروة التصعيدية التي وسمت الخطابات السابقة إلى محاولة استمالة الغرب، وبناء أرضية مشتركة معه، فذكر أن:

"علاقة ليبيا طيبة مع دول الجوار والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وأن ليبيا تلعب دوراً أساسياً في الحفاظ على السلام الإقليمي والعالمي، وأنها صمام الأمان أمام موجات الهجرة السرية نحو أوروبا وشريك رئيسي في الحرب على الإرهاب وخطر الإسلام المتطرف".

فهو في هذا الخطاب يركز في المشترك بينه وبين الغرب، ويحاول أن يرمم العلاقة مع دول الجوار وأوروبا وأمريكا، وأن يبين لهم أنه يقاتل تنظيم القاعدة في ليبيا... إلخ.

ب-٢-٢- خطابات غير القذافي:

تميز الخطاب اللغوي للنظام الليبي بأنه خطاب غير مؤسسي، فلا حضور لوزارة الخارجية أو لمؤسسات الدولة التي يفترض أنها من تصدر البيانات وتلقي التصريحات، وتقيم المؤتمرات الصحفية. فالقذافي نفسه في خطابه الأول تحدث عن سيف الإسلام، ولم يتحدث عن وزير خارجية أو رئيس وزراء..

" أنا أساند السلطة الشعبية وأدعو الشعب الليبي إلى تشكيل الشعبيات الجديدة والبلديات الجديدة، غدا، حسب البرنامج الذي وضّحه لكم "سيف الإسلام""، وقال: "أما الدستور، وما يخص الصحافة، ومنظمات المجتمع المدني وما إليه، وهذه تحدث لكم فيها "سيف الإسلام"، وهي تخص "سيف الإسلام" والمحامين والقضاة والمدونين والكتاب والصحفيين والشباب الآخرين، فهذه كلها تهم "سيف الإسلام"، وتهم هذه المجموعات، ويتفاهمون فيها مع المحامين، ومع الذين يتكلمون عن الدستور".

ثم بعد ذلك، بدأ ظهور وزارة الخارجية ولا سيما الناطق الرسمي.

بعد قرار مجلس الأمن (١٩٧٠) بفرض عقوبات على ليبيا، وجه وزير الخارجية الليبي رسالة إلى المجلس في (٥/ ٣/ ٢٠١١م). وقد اشتملت الرسالة على مجموعة من الوظائف التواصلية:

- مطالبة المجلس "بتعليق قرار منع السفر وتجميد الاصول الصادر بحق القذافي والمقربين منه إلى أن يتم جلاء الحقيقة"، كما طالب بـ"التصدي للدول التي تهدد باللجوء الى القوة ضد النظام الليبي". (وظيفة التوجيه)

- الطعن في شرعية القرار، حيث إنه "تم تبنيه استنادا الى صحف اجنبية ومعلومات صحافية اكثر منه الى احداث موثقة ومثبتة من جانب لجنة تحقيق مستقلة". (وظيفة التصديق)

- تبرير موقف النظام، فهو يتصرف بمسؤولية وقانونية، فقد نصت الرسالة على أنه لم يستخدم إلا "الحد الأدنى من القوة ضد مخالفين للقانون، سعوا الى زرع الفوضى ومهاجمة واحراق مراكز امنية ومقار للشرطة ومصادر اسلحة وقتل جنود ومدنيين". وهذه إجراءات تدخل في "مهمة الدولة في الحفاظ على الامن". كما أن النظام اتخذ "كل التدابير الممكنة لتوفير الامن وحماية ممتلكات الاجانب في ليبيا وتسهيل سفر الراغبين في مغادرة البلاد"، كما أنه تم تشكيل "لجنة قضائية مستقلة بدأت التحقيق في الحوادث". (وظيفة التصديق)

- نزع شرعية استخدام القوة ضد ليبيا، فـ" أي عمل عسكري ضد ليبيا سيكون مخالفا لميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي، ويشكل تهديدا للسلام والامن في المنطقة وفي العالم". (وظيفة التصديق)

- التأكيد أن السلطة تريد الحوار، "السلطات الليبية تريد قيادة حوار وطني موسع والاطراف المعنيون منخرطون في التحضيرات في هكذا حوار، وهو ما يجب ان ينطلق في اسرع وقت ممكن". (وظيفة التصديق والمعرفة)

ما يمكن قوله هنا، إن الرسالة تمثل أول خطاب للنظام الليبي يتعامل بمسؤولية مع الحدث، فالوظائف التواصلية في الرسالة واضحة وتشير إلى أن السلطة تريد أن تتعامل بإيجابية مع القرار الدولي.

ب-٢-٣- الخطاب الليبي بعد قرار مجلس الأمن (١٩٧٣):

حدث تغير في الخطاب الليبي بعد قرار مجلس الأمن (١٩٧٣) بفرض الحظر الجوي على ليبيا، وما أعقبه من هجوم الحلفاء، وقد أخذ عدة مسارات:

- مسار الاستخفاف بالتهديد الدولي، فأول رد فعل رسمي للخارجية الليبية (١٨/ ٣/ ٢٠١١م)، جاء فيه أن القرار "لا يستحق الورق الذي كتب عليه". وكذلك إظهار عدم المبالاة به، قال سيف الإسلام "نحن في بلدنا ومع شعبنا ولسنا خائفين". وقال القذافي مخاطبا باراك أوباما: أنه "بركة حسين أوباما": وخاطبه: "قلت لك في السابق إنه حتى لو دخلت ليبيا والولايات المتحدة في حرب لا سمح الله سوف تبقى بمثابة ابن لي". (وظيفة التوجيه)

- مسار الهجوم على القرار الدولي ونزع شرعيته، قال القذافي: "مجلس الأمن قراراته باطلة لأنه ليس مختصاً بالشؤون الداخلية"، ورأى القرار "عدواناً فاضحاً ومخاطرة غير محسوبة العواقب" (وظيفة التوجيه والتصديق).

- مسار التهديد بضرب مصالح الحلفاء، فقد جاء على لسان القذافي بعد الهجوم (١٩/ ٣/ ٢٠١١م): "ستندمون اذا تدخلتم في بلادنا"، وأن مصالح الدول المتدخلة "ستكون في خطر من الان فصاعدا". وقال إن القوات الأجنبية "سوف تهزم وينتهي مصيرها في مزبلة التاريخ". ووصف العمليات الغربية بـ"العدوان الاستعماري الصليبي"، وأعلن انه سيقوم بتسليح الشعب الليبي لمواجهة "العدوان الصليبي". فهو يستدعي ذاكرة العرب والمسلمين التاريخية للحملات الصليبية، وعدوانها على العالم المسلم. (وظيفة التوجيه)

- مسار الطعن في أخلاق (المعتدين) الذين شنوا الحملة العسكرية، ببيان آثارها المدمرة التي طالت المدنيين، وقد تولى التلفزيون الليبي هذه الوظيفة التواصلية، فكان يعلن عن الضحايا باستمرار، ويعرض صورا لهم، ويؤكد أن الأهداف مدنية، ووصفت الغارات بأنها "جريمة ضد الإنسانية". (وظيفة التصديق)

لم يتحرك النظام الليبي للتعامل بجدية مع القرار الدولي، وتهديد الدول الأوروبية وأمريكا، باستثناء مطالبة الخارجية الليبية بعد الهجوم بـ"عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن الدولي لبحث الهجوم العسكري". غير أن الطرف الأمريكي (والحلفاء) رفضوا هذا الطلب؛ لأنه - كما قالوا -لم يصاحبه وقف فوري لإطلاق النار.

المطلب الثاني: مستويات تصعيد الصوت لدى الطرف الثالث

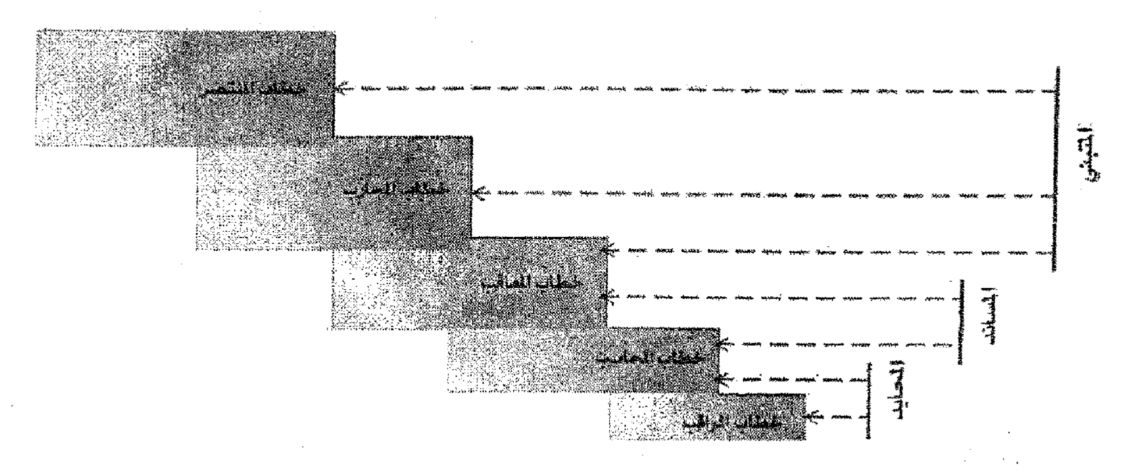
الطرف الثالث في النزاع الليبي يشمل أطرافا عدة، منها: الطرف الأمريكي، والأطراف الأوروبية، والطرف الروسي. وسأقتصر في التحليل على صوت الطرف الأمريكي؛ إذ إن الصوت الأمريكي هو الأكثر حضورا وتأثيرا وفاعلية على الأرض، سواء الصوت اللغوي أم غير اللغوي. يتميز الصوت الأمريكي بتصعيد الخطاب مع الحدث، وبأنه خطاب مؤسسي، فالمتحدثون: (الرئيس، ووزيرة الخارجية، والمندوبة لدى الأمم المتحدة، والناطق باسم البيت الأبيض، ووزير الدفاع... الخ)، جميعهم من الشخصيات الفاعلة على رأس المؤسسات الكبرى في الدولة.

ويمثل الصوت الأمريكي اللغوي نموذجا جيدا لتصعيد الخطاب، ومن خلال التحليل يتبين أن المسؤولين الأمريكيين يتبعون استراتيجيات خطابية تصعيدية واضحة ومحددة المعالم، وقد اعتمد الخطاب الأمريكي خمسة مستويات تصعيدية تمثل نموذجا لتحليل خطاب الطرف الثالث، وهذه المستويات هي: (١) خطاب المراقب، (٢) خطاب المحاسب، (٣) خطاب المعاقب، (٤) خطاب المحارب، (٥) خطاب المنتصر.

والطرف الثالث إما يكون محايدا أو مساندا لأحد الطرفين، أو متبنيا موقف أحد الطرفين. فهذه ثلاث حالات للطرف الثالث.

أما المحايد فيقف في دور (المراقب)، ومن ثم فطرفا النزاع يرتضيانه حكما أو مصلحا طالما وقف على الحياد، وسيمارس الفصل بين الطرفين وتكون أحكامه محل رضا. أما حين يحكم لمصلحة طرف ما فإنه ينتقل إلى دور (المحاسِب) الذي يحمل أحد الطرفين الخطأ، وحكمه نافذ. أما المساند فهو يمارس دوره بوصفه داعماً لأحد الطرفين، فحين يساند طرفا ما فإنه يحاسب الطرف الآخر، وقد يتولى عقابه. وأما خطاب الحرب فيعني التبني، أي أن الطرف الثالث أصبح متبنيا تبنياً تاماً لدور الطرف الثاني، ومن ثم فهو انتقال من دور المساند والداعم إلى دور المتبني الذي يكون مستعداً لخوض الحرب مع الطرف الآخر، ومن ثم يكون النصر أو الفوز مكسبا مباشرا للطرف الثالث نفسه.

وفيما يلي تحليل لكل مستوى من هذه المستويات، وإبراز الوظائف التواصلية التي ظهرت فيه، مع ملاحظة تداخل هذه المستويات أحيانا. ويوضح الشكل التالي هذه المستويات وتداخلها:



شكل (١٠): مستويات التصعيد الخطابي للطرف الثالث في النزاعات المسلحة

وفيما يلي إيضاح لهذه المستويات التصعيدية:

أولاً: خطاب المراقب

بدأ الطرف الأمريكي يمارس رقابته على الحدث في ليبيا مباشرة، فالمظاهرات خرجت في ٢/١٧، وفي ١٨/ ٢/ ألقى الرئيس الأمريكي بيانا بخصوص الوضع في ليبيا. يحاول خطاب المراقب أن يقف موقفا محايدا من الأطراف، ويستخدم التعبيرات الوجدانية، كالشعور بالقلق إزاء الوضع، والتعبير عن المواساة إزاء ضحايا العنف، وتذكير الأطراف بمسؤوليتها، ومناشدتها باحترام الحقوق، وقد يدين استخدام العنف دون أن يسمي طرفا...

> جاء في بيان الرئيس الأمريكي (١٨/ ٢/ ٢٠١١م): "إنني أشعر بقلق بالغ حيال التقارير التي تفيد بحدوث أعمال عنف في البحرين وليبيا واليمن. إن الولايات المتحدة تدين استخدام العنف من قبل حكومات ضد متظاهرين مسالمين في تلك البلدان وأي مكان آخر قد يسجل فيها عنف. ونعرب عن تعازينا لأسر وأصدقاء أولئك الذي لقوا مصرعهم خلال المظاهرات. إن الناس أينما كانوا يتمتعون بحقوق عامة معينة بما فيها حق التجمع سلميا. والولايات المتحدة تحث حكومات البحرين وليبيا واليمن على التحلي بضبط نفس في الرد على تظاهرات احتجاج سلمية وعلى احترام حقوق شعوبها".

هذا البيان خطاب مراقب للحدث، ولكنه اشتمل على عبارات تصنف في خطاب المحاسب، فهو أدان الحكومات وحثها على احترام الحقوق. ويرجع ذلك إلى أن الطرف الآخر طرف سلمي أعزل عن السلاح، فأي عنف ستتحمل مسؤوليته الحكومة. وقد استخدم لفظ (من قبل حكومات) نكرة، "مع أنه ذكر الدول المعنية في البداية وحددها، وفي هذا نوع من المراوغة لعلها

محاولة لترك باب التفاوض مفتوحا، أو لبيان أن إدانة مثل تلك التصرفات من الحكومات مبدأ دولي عام يدان من يخالفه أيا كان"[1].

وكذلك الأمر في بيان مساعد وزيرة الخارجية الأمريكي (٢٠/ ٢/ ٢٠١١م):

> **"ونحن عبرنا عن اعتراضنا الشديد على استخدام القوة المميتة ضد المتظاهرين المسالمين... ونحن نناشد الحكومة الليبية احترام هذا الالتزام، ومحاسبة أي مسؤول أمني لا يعمل وفقاً له".**

وفي بيان وزيرة الخارجية (٢١/ ٢/ ٢٠١١م):

> **"يتابع العالم الموقف في ليبيا بقلق شديد. ونحن نشارك المجتمع الدولي في شجب العنف في ليبيا بشدة. وأفكارنا وصلواتنا مع هؤلاء الذين فقدوا أرواحهم، ومع أحبائهم. إن على الحكومة الليبية مسؤولية احترام حقوق الشعب العالمية، بما في ذلك الحق في حرية التعبير والتجمع. والآن حان الوقت لوقف هذه الإراقة غير المقبولة للدماء. ونحن نعمل بشكل عاجل مع الأصدقاء والشركاء حول العالم لإيصال تلك الرسالة إلى الحكومة الليبية".**

بيان وزيرة الخارجية ينحو منحىً متقدما، فأمريكا ليست وحدها التي تدين العنف، ولكنها تشترك في ذلك مع المجتمع الدولي، وفي هذه العبارة تلميح إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستخطو خطوة تصعيدية جديدة تجاه الموقف، ويؤكد هذا استخدام ظرف الزمان "الآن" لإيصال الرسالة: "والآن حان الوقت لوقف...".

ومما يتصل بخطاب المراقب، ما أسميه استراتيجية "مباركة الخطوات"، وسأتحدث عن ذلك في "خطاب المحارب".

ثانياً: خطاب المحاسب:

حملت كلمة العقيد القذافي التي ألقاها في (٢٢/ ٢/ ٢٠١١م)، كما مر بنا، خطابا عدوانيا تهديديا تحريضيا تجاه المتظاهرين، وحملت تهديدات للمجتمع الدولي ولا سيما أمريكا. فتحول خطاب الطرف الأمريكي بعدها من خطاب المراقب إلى خطاب المحاسب، وكان ذلك في تصريح الرئيس الأمريكي يوم (٢٣/ ٢/ ٢٠١١م)، الذي برزت فيه مجموعة من الوظائف التواصلية: إدانة مباشرة صريحة، وتحميل طرف بعينه المسؤولية، والدعوة إلى محاسبته على جريرته:

---

(١) أفادني بهذه الملحوظة الدكتور محمد لطفي الزليطني.

"إن المعاناة وسفك الدماء فظيعـان وغـير مقبـولين. وكـذلك التهديـدات والأوامـر بإطلاق النار على المحتجين المسالمين والمزيد من معاقبة الـشعب الليبـي. إن هـذه الأعـمال تشكل انتهاكا للأعراف الدولية ولكل معيار من معايير اللياقة العامـة. ويجـب أن يتوقـف هذا العنف"... "والحكومة الليبية شأنها شأن كـل الحكومـات تترتـب عليهـا مـسؤولية الإحجام عن استعمال العنف والـسماح للمـساعدات الإنـسانية بالوصـول إلى المحتـاجين إليها، واحترام حقوق شعبها. ويجب اعتبارها خاضعة للمحاسبة على فشلها في تلبية تلـك المسؤوليات وعليها أن تتحمل ثمن استمرار انتهاكها للحقوق الإنسانية".

فالتصريح يستخدم أفعالا صريحا، ويَذْكر الفاعـل بـصراحة، ويحملـه مـسؤولية الانتهاكـات، ويتحدث عن وجوب محاسبته عليها، ففعل التهديد بالمحاسبة واضح في هـذا الخطـاب. وانتهـاج الولايات المتحدة هذا الموقف، ينطلق مما ترى أنه مسؤوليتها الأخلاقية، وتأييد منها لحق الـشعب في الحياة الكريمة، ومن ثم فهي ليست طرفـا في النـزاع، ولا تريـد التـدخل، إنـما هـي الأخـلاق والمسؤولية فقط:

"وإن الولايات المتحدة تؤيد بشدة أيضا الحقوق العامة والشاملة للشعب الليبـي"... "إن التغيير الجاري عبر المنطقة مدفوع بشعوب المنطقة"... "وستستمر الولايات المتحدة طوال فترة التغيير هذه في النهوض من أجل الحرية والوقوف من أجل العدالـة والوقـوف من أجل كرامة كل الناس".

ويستمر المـسار الـذي بـدأه الأمريكـان، وهـو مـسار المـشاركة الدوليـة، فمعظـم الخطابـات الأمريكية تؤكد أنهم لا يتحركون وحدهم، وأنهم ينسقون مع المجتمع الدولي، وأن عـلى المجتمـع الدولي أن يوحد صوته ضد العنف... إلخ. جاء في الخطاب المشار إليه:

"ويتحتم على دول وشعوب العالم، في ظل وضع متفجر كهـذا، أن تتحـدث بـصوت واحد"...

"إن هذا ليس مجرد مبعث قلق للولايـات المتحـدة وحـسب. فالعـالم بـأسره يراقـب وسوف ننسق مساعداتنا وتدابيرنا مع المجتمع الدولي للمحاسبة....".

إن أبرز الوظائف التواصلية في خطاب المحاسب: استخدام لغة المحاسبة على الفعل، والتهديد بالعقوبة جراء التمادي فيه، والطلب الصريح بالانصياع. كما يتميز بكونـه يـسمي الطـرف المـدان بوضوح، ويحمله مسؤولية الانتهاكات، كما يـضع فعلـه في إطـار دولي، فـالمجتمع الـدولي يؤيـده

ويقف معه، وسيحاسب أيضاً معه... إلخ. وقد تجلت هذه الوظائف بوضوح في بيان الرئيس الأمريكي أيضا في (٢٥/ ٢/ ٢٠١١م):

"تواصل الحكومة الليبية انتهاكها لحقوق الإنسان ومعاملة شعبها بوحشية، فاستدرجت تهديداتها الفظيعة عن حق الشجب الشديد والواسع من المجتمع الدولي. فقد انتهكت حكومة معمر القذافي الأعراف الدولية واللياقة العامة بكل المعايير، ويجب أن تخضع للمحاسبة. ولذا، فإن هذه العقوبات تستهدف حكومة القذافي بينما تعمل في الوقت ذاته على حماية الممتلكات التي تخص الشعب الليبي. وإن الولايات المتحدة، إذ تتطلع قدما، ستواصل تنسيق تدابيرنا بشكل وثيق مع المجتمع الدولي بما في ذلك أصدقاؤنا وحلفاؤنا والأمم المتحدة. وسوف نقف بثبات إلى جانب أبناء الشعب الليبي في مطالبته بحقوقه العامة والشاملة وبحكومة مستجيبة لطموحاته وتطلعاته. إذ لا يمكن حرمانه من كرامته".

فالفعل "تواصل" الدال على التمادي في الانتهاكات، والفاعل هو "الحكومة الليبية"، والفعل: انتهاكات ومعاملة وحشية وتهديدات فظيعة". ومن ثم فاعتداء الحكومة الليبية لا يخص الشعب الليبي، بل يخالف الأعراف الدولية، فهو اعتداء على المجتمع الدولي، ومن ثم فعلى المجتمع الدولي أن يحاسب المعتدين، وهذا ما تضطلع به الولايات المتحدة التي تواصل تنسيقها مع المجتمع الدولي.

وقد بدأ الخطاب بالإشارة إلى المرحلة التصعيدية الأخرى (خطاب المعاقب)، فهو يهدد بعقوبات "تستهدف حكومة القذافي" فقط، دون أن تصل إلى "الشعب الليبي"، بل ستكون "ممتلكات الشعب الليبي" محمية.

ثالثاً: خطاب المعاقب:

(١) الصوت اللغوي:

تتمثل وظائف هذا الخطاب في نزع شرعية الطرف الآخر، ومن ثم اتخاذ عقوبات تجاهه؛ لأنه أصبح معتديا على الشرعية، والعقوبات تعد تهديدا بالفعل وليس بالقول، لعل ذلك يثني الطرف المعاقَب عن موقفه، والرضوخ للمطالب المفروضة عليه، ومن هذه الوظائف:

- تأكيد انتهاء المشروعية:

ففي الخطاب تأكيد انتهاء شرعية القذافي؛ مما يعطي مبررا قانونيا للحكومة في ما تتخذه من عقوبات ضد نظام فقد شرعيته.

المتحدث باسم البيت الأبيض في (٢٥/ ٢/ ٢٠١١م): قال "إن انتهاك القذافي الواضح لحقوق الإنسان غير مقبول على الإطلاق، وأن الشعب الليبي يستحق حكومة تحمي سلامته، ومشروعية الزعيم الليبي معمر القذافي أصبحت صفراً".

الرئيس الأمريكي في (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م): "عندما تصبح الوسيلة الوحيدة لزعيم ما للبقاء في السلطة هي استخدام العنف الجماعي ضد أبناء شعبه نفسه، فإنه يكون عندئذ قد فقد شرعيته في الحكم، وعليه أن يقوم بالعمل الصائب من أجل بلده، وهو أن يغادر الآن".

وهي لهجة خطابية تصعيدية متقدمة، فطالما أنه فقد مشروعيته فعليه أن يتنحى الآن.

وبيان وزيرة الخارجية في اليوم نفسه أيضا: "ولقد دأبنا دوما على القول بأن مصير حكومة القذافي شأن أمر تقريره عائد إلى أبناء الشعب الليبي، وقد أوضحوا أنفسهم بصراحة. فعندما تكون الوسيلة الوحيدة لزعيم ما للبقاء في السلطة هي استخدام العنف الجماعي ضد شعبه بالذات فإنه يكون قد فقد الشرعية في الحكم وينبغي عليه عندئذ أن يفعل ما هو صواب لبلده وهو الرحيل الآن. ومعمر القذافي قد فقد ثقة شعبه وعليه أن يرحل دون مزيد من سفك الدماء والعنف".

يلحظ أن الوزيرة في خطابها أعادت عبارة كاملة وردت في خطاب الرئيس دون أن تنسبها إليه – كعادتها – لتعطي للخطاب بعداً مؤسسيا، وفي الوقت نفسه يبرز اليد المؤسسية وراء الخطابات والمواقف الموحدة. كما جاء تأكيد انتهاء المشروعية على لسان المندوبة الأمريكية في الأمم المتحدة؛ مما يدل على التنسيق في التصعيد الخطابي. ومن ذلك أيضاً تصريح وزيرة الخارجية في مؤتمر صحفي في (٢٧/ ٢/ ٢٠١١م):

"نحن نريده أن يرحل ونريده أن ينهي نظام حكمه وأن يسحب المرتزقة أو القوات المتبقية التي ما تزال موالية له. أما كيف سيتدبر ذلك فمن الواضح أنه يعود له ولأسرته. لكننا كنا ثابتين في أحاديثنا خلال الأسبوع الماضي، على بعث رسائل باستمرار أوضحنا فيها مع شركائنا في المنطقة وفي خارجها، أننا نتوقع منه أن يرحل. لكننا لم ندخل في أية مفاوضات معه حول هذا الموضوع".

تعبر الوزيرة عن الإرادة الدولية بـ(نحن نريده)، وبينت أن رسائلها خلال المدة الماضية كانت "نتوقع"، فكان توجيها غير صريح، ولأنه لم يفهم تلك الرسائل تحول إلى توجيه صريح "نريده أن يرحل".

وفي (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م)، قال المتحدث باسم البيت الأبيض: "الخروج للمنفى من ضمن الخيارات المتاحة أمام القذافي امتثالا للمطالب الدولية الخاصة بمغادرة السلطة"،

فالخطاب تقدم خطوة تصعيدية في الضغط على القذافي بالرحيل، وأصبح يتحدث عن المنفى، فهو رحيل خارج البلد، وليس مجرد ترك السلطة.

- البحث عن شرعية دولية لتنفيذ العقوبات:

يظهر في خطاب المعاقب هذا المسار بوضوح، وهو مسار تكرر في المستويات التصعيدية السابقة، إلا أنه الآن ينحو منحى الفعل، فالخطاب الأمريكي يؤكد أنه ينسق مع المجتمع الدولي لاتخاذ عقوبات ضد القذافي،

جاء على لسان وزيرة الخارجية (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م): "إننا نتحرك بسرعة نحو اتخاذ سلسلة من الخطوات لإخضاع الحكومة الليبية للمحاسبة على انتهاكها لحقوق الإنسان وحشد الرد القوي من المجتمع الدولي". "وتعمل الولايات المتحدة مع أصدقائنا وشركائنا أيضا من أجل حشد رد قوي وموحد من المجتمع الدولي لإخضاع مرتكبي هذه الانتهاكات غير المقبولة لحقوق الإنسان العالمية للمحاسبة. وقد واصلتُ عصر اليوم المشاورات مع حلفائنا الأوروبيين بمن فيهم المفوضة السامية للاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون. كذلك هناك مفاوضات جارية في مجلس الأمن الدولي حول استصدار قرار يفرض عقوبات وقيودا جديدة".

يصف البيان التحرك الدولي، ويحدد الهدف منه المتمثل في إخضاع الحكومة الليبية للمحاسبة، وتتحدث الوزيرة عن خطوات قامت بها ومشاورات أجرتها، وتسمي أطرافا عديدة تم التشاور معها، فهي تظهر الفاعلين الدوليين.

وبعد قرار مجلس الأمن الذي فرض عقوبات على النظام الليبي قالت الوزيرة (٢٧/ ٢/ ٢٠١١م): "إن قرار مجلس الأمن أمس (٢٦ شباط/ فبراير) كان جزءا من مجهود موحد عكفت الولايات المتحدة على تأمين الحشد له وتنفيذه خلال الأيام الأخيرة، من أجل عمل أحادي ومتعدد الأطراف. ونحن سنواصل بنشاط متابعة خطوات نعتقد انها ستحدث فارقا. ومن الجلي أن قرار مجلس الأمن الدولي الذي أقر خلال فترة قياسية وأيدته بلدان غالبا ما كانت تؤيد على مضض اتخاذ مثل هذه التدابير، إنما يبعث برسالة

قوية لا لبس فيها. والحيثيات التي تتحدث عن عقوبات موجهة وحظر على السلاح وغير ذلك من تدابير هي بالضبط ما كنا نتطلع إليه ونبتغي تحقيقه خلال هذه الفترة".

يبرز البيان الفاعل الأمريكي الذي وقف خلف القرار الدولي، وحشد التأييد له، وتؤكد الوزير في خطابها أن الحشد الدولي كان "جزءا من مجهود موحد عكفت الولايات المتحدة على تأمين الحشد له"، فهناك عكوف ومكافحة، وما صدر إنما هو جزء من المجهود، ففي المجهود أجزاء أخرى أيضا، وتؤكد مواصلة الجهود. فالخلاصة أن هذه العبارة تصف النجاح الأمريكي على المستوى الدولي، وتعطيه رصيدا في تحقيق مزيد من النجاح في هذا السياق.

- الحديث عن عقوبات محددة:

المتحدث باسم البيت الأبيض في (٢٥/ ٢/ ٢٠١١م): قال "إن الولايات المتحدة قررت تجميد المبيعات الأمريكية لقطع الغيار العسكرية الموجه لليبيا"، و"ستنهي واشنطن أيضاً تعاونها العسكري المحدود مع ليبيا، وإنها ستمضي قدماً في عقوبات أحادية ضد حكومة القذافي".

ووزيرة الخارجية في (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م): "وقد اتخذت الولايات المتحدة مساء أمس تدابير للحد من قدرة كبار المسؤولين في نظام القذافي على السفر. وبصفتي وزيرة للخارجية وقّعت أمرا يطالب الوزارة بإلغاء تأشيرات السفر الأميركية الممنوحة لهؤلاء المسؤولين وغيرهم من المسؤولين عن ارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان في ليبيا وأفراد عائلاتهم المباشرين. ومن قبيل السياسة ستُرفَض أية طلبات جديدة للحصول على تأشيرات. تأتي هذا الخطوة في أعقاب أمر الرئيس أوباما التنفيذي بتجميد الأصول والممتلكات العائدة لأعضاء النظام وفرض عقوبات مالية عليهم لمسؤوليتهم عن الإساءات التي اقترفت ضد شعبهم بالذات ووقف التجارة العسكرية المحدودة جدا التي لنا مع ليبيا".

هذا البيان، وهو صوت لغوي، يصف الصوت غير اللغوي، فهي ليست إجراءات فحسب، بل إجراءات يتحدثون عنها؛ لعلها تردع الطرف المعنيّ.

- التهديد بالتصعيد:

استخدم الطرف الأمريكي في هذا المرحلة كثيرا من التهديدات بالتصعيد ضد النظام الليبي إذا لم ينصع للإرادة الدولية المتمثلة في قرار مجلس الأمن رقم (١٩٧٠).

فوزيرة الخارجية صرحت بعد يوم من القرار: "وقرار مجلس الأمن الذي صدر بالإجماع يوم أمس يوضح بأنه ستكون هناك محاسبة على الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وغيرها من فظائع تقترف ضد الشعب الليبي، وتضمن الإحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية. وأنا أود أن أشدد على أهمية هذه الرسالة الإجماعية لمجلس الأمن الدولي إلى أولئك المحيطين بالقذافي القائلة بأنكم ستحاسبون على التدابير التي تتخذ واتخذت ضد شعبكم بالذات".

والمتحدث باسم البيت الأبيض في (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م): "جميع الخيارات مطروحة على الطاولة بالنسبة لليبيا".

النبرة التهديدية باتخاذ عقوبات دولية واضحة جداً، فالوزيرة تصرح بأنه (ستكون هناك محاسبة)، والآخر لا يستبعد أي خيار.

وخطاب وزيرة الخارجية الأمريكية في (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م)، الذي ألقته أمام مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، يكاد يشتمل تقريبا على كل الوظائف التواصلية التي ذكرتها في خطاب المعاقب، من تأكيد نزع شرعية النظام الليبي، وضرورة اضطلاع المجتمع الدولي بدوره في محاسبة المنتهكين، وتحدثت عن العقوبات التي فرضتها الإدارة الأمريكية، وحثت المجتمع الدولي على فرض عقوبات مماثلة، وأرسلت رسائل تهديد للنظام الليبي، بل وتحدثت بصورة غير مباشرة عن ليبيا ما بعد القذافي:

"تُشكِّل الانتخابات الحرة والنزيهة ضرورة لبناء الديمقراطية والحفاظ عليها، ولكن الانتخابات بمفردها لا تكفي. تُبنى الديمقراطيات المستدامة على مؤسسات قوية تشمل سلطة قضائية مستقلة تعزز حكم القانون، وتساعد في تأمين المساءلة والشفافية للحكومة، وتتصدى للفساد بقوة".

(٢) الصوت غير اللغوي:

أما الصوت غير اللغوي في هذه المرحلة فقد تمثل في أمرين، الأول: السعي للحشد الدولي الذي انتهى بقرار مجلس الأمن (١٩٧٠)، الذي تضمن فرض مجموعة من العقوبات على ليبيا. والثاني: قيام الحكومة الأمريكية من جهة بفرض عقوبات تمثل حصارا سياسيا واقتصاديا للمعاقَب، وقيامها من جهة أخرى بتقديم المساعدات الإنسانية للشعب الليبي. وقد تحدث عن ذلك المسؤولون كثيراً، كما قالت وزيرة الخارجية (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م):

"لقد فرضت الولايات المتحدة قيوداً على السفر وفرضت عقوبات مالية على القذافي ومسؤولين ليبيين كبار. لقد جمدنا الأصول الليبية لتأمين المحافظة عليها للشعب الليبي. وأوقفنا تجارة الأسلحة الدفاعية المحدودة جداً لنا مع ليبيا. كما نعمل سوية مع الأمم المتحدة، وشركائنا، وحلفائنا، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومنظمة الهلال الأحمر وغيرها من المنظمات غير الحكومية من أجل وضع الأسس لتنفيذ استجابة إنسانية قوية تجاه هذه الأزمة".

رابعاً: خطاب المحارب:

سأتناوله في محورين، الأول: التمهيد للحرب، والثاني: الحرب.

(١) التمهيد للحرب (دق الطبول)

أ - الصوت غير اللغوي:

يمثل الصوت غير اللغوي في هذه المرحلة الإعداد والتحضير للحرب على المستوى الدبلوماسي، من خلال الحشد الدولي، والنجاح باستصدار قرار مجلس الأمن الدولي (١٩٧٣)، الذي تضمن فرض حظر جوي على ليبيا، وكذلك على المستوى العسكري، سواء بالتنسيق مع قوات الناتو التي كانت مستعدة للحرب، فبعد أقل من ٢٤ ساعة من صدور القرار كانت فرنسا قد وجهت الضربات الأولى على قوات القذافي، أو على المستوى اللوجستي، حيث إرسال القوات إلى ليبيا.

كما أن الخطوة التي قامت بها فرنسا في (١٠/ ٣/ ٢٠١١م)، حيث اعترفت بأن المجلس الوطني الانتقالي هو الممثل الوحيد للشرعية في ليبيا - تعد تمهيدا صريحا للحرب؛ فبما أن المجلس الوطني هو الممثل الشرعي فذلك يعني أن نظام القذافي مغتصب للسلطة وينبغي إجباره على التنحي.

ب - الصوت اللغوي:

أما الصوت اللغوي، فتمثل في مجموعة من الوظائف التواصلية، وهي: الالتزامات، وحشد الشرعية للحرب، والتحرك في ظل الشرعية الدولية، والإنذار الأخير ووضع شروط الاستسلام، وتحديد خطوات الفعل القادمة.

- الالتزامات: بدأ التمهيد للحرب بمجموعة من الالتزامات التي قطعتها الولايات المتحدة الأمريكية على نفسها في مساندة الشعب الليبي، والحديث عن أن هذه الالتزامات يجب أن تنفذ فعلا، ثم الحديث عن ما سوف يتم فعله من إرسال للقوات، والحديث عن التحضير للحرب،

والنظر في تقييم الخيارات العسكرية... إلخ. يعد تصريح وزير الدفاع الأمريكي في (١/ ٣/ ٢٠١١م)، تمهيدا مبكرا للحرب، حيث أعلن:

أن الولايات المتحدة الأمريكية "سترسل المئات من قوات المارينز وسفينتي إنزال إلى البحر المتوسط، قبالة سواحل ليبيا، تحسبا لطوارئ على صلة بالوضع المضطرب هناك".

وفي (٢/ ٣) قالت وزيرة الخارجية الأمريكية: "إن الولايات المتحدة تشارك الشعب الليبي إصراره على ضرورة تنحي القذافي الآن".

فالخطاب يتحدث عن قوات ستقوم أمريكا بإرسالها إلى المنطقة، وكلينتون تؤكد أن أمريكا ستشارك الشعب في قراره بتنحي القذافي، وهو تلميح باستخدام القوة.

وفي (٣/ ٣) صرح الرئيس الأمريكي أنه طلب من وزارتي الدفاع والخارجية "بحث النطاق الكامل من الخيارات، بما في ذلك احتمال فرض منطقة لحظر الطيران لمنع الهجمات الجوية على المعارضة الليبية"، فهو يفتح الخيارات كلها، بما يعني ذلك احتمالية الحرب.

وفي (٧/ ٣) صرح الناطق باسم البيت الأبيض أن "البيت الأبيض يدرس خيارات عسكرية للتعامل مع الوضع في ليبيا، وأن تسليح المعارضين الليبيين بين الخيارات المطروحة قيد الدرس لكن أمريكا لا تريد استباق الأحداث. فالولايات المتحدة تعمل على وجه السرعة على تقييم الخيارات".

فالخيارات المفتوحة تحولت إذن إلى خيارات عسكرية، وأصبحوا يتحدثون عن تقييمها.

وفي اليوم نفسه صرح السفير الأميركي لدى الناتو في اجتماع لدى الحلف قائلا: "وقد اجتمعنا هنا اليوم لإعطاء أول تحديث موجز حول الخطة العسكرية بالنسبة للكيفية التي يمكننا، بما كتحالف، أن ندعم الجهود الدولية للإغاثة الإنسانية، بما في ذلك كيف يمكننا المساعدة في عمليات الإجلاء. لأن هذا يُشكِّل جزءاً من مجموعة كاملة من الخطط التي تدرسها السلطات العسكرية- وعلى سبيل المثال، وسائل فرض تطبيق حظر الأسلحة، وكيف نقيم منطقة حظر الطيران، أما اليوم فإن التركيز الحقيقي الآن هو على ما يستطيع حلف الناتو أن يفعله بمفرده، وما هي القدرات التي يملكها حلف الناتو التي تفيد بمفردها في دعم الجهود الدولية للإغاثة الإنسانية".

يشكل الخطاب خطوة تصعيدية، فهو يحضر للحرب، ويدرس الإمكانات التي لدى الحلف.

- حشد الشرعية للحرب:

حشد الشرعية للحرب تتم بوسائل عديدة، منها اتهام الطرف الآخر بحيازة ممنوعات تستوجب عقابا، فقد صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية يوم (١١/ ٣/ ٢٠١١م) بأن: "بلادها قلقة بشأن الأسلحة الكيماوية لدئ القذافي وغيرها من المواد القذرة".

فكون النظام يمتلك أسلحة كيمياوية يستوجب تدخلا دوليا حفاظا على السلم العالمي.

كذلك بيان خطر الطرف الآخر على السلم الدولي واستقرار النظام العالمي، ففي خطاب الرئيس الأمريكي في (١٨/ ٣/ ٢٠١١م):

> "والآن، إليكم السبب في أن هذا الأمر مهم بالنسبة لنا. إذا تركناه دون ردع، فهناك أسباب واضحة تدعونا للاعتقاد بأن القذافي سيرتكب الفظائع ضد شعبه. الآلاف قد يموتون. وسوف يتبع ذلك أزمة إنسانية. ومن الممكن أن يتزعزع الاستقرار في المنطقة بأسرها، مما يهدد العديد من حلفائنا وشركائنا. ولن تتم الاستجابة لنداءات الشعب الليبي للحصول على المساعدة. وسيتم سحق القيم الديمقراطية التي نمثلها. وعلاوة على ذلك، ستصبح كلمات المجتمع الدولي بمثابة عبارات جوفاء".

فالجملة الأخيرة تشير إلى أن هيبة المجتمع الدولي ستضيع إذا لم ينصع القذافي لها، وهذا يهدد استقرار هذا النظام، كما يهدد استقرار تلك القيم العالمية التي يمثلها الشعب الأمريكي "وسيتم سحق القيم الديمقراطية التي نمثلها".

وقد قام المستشار القانوني لوزارة الخارجية بشرح حيثيات ومسوغات استخدام القوة في ليبيا (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م)، ومما جاء فيه:

> "والمهمات العسكرية الأميركية هذه تستند إلى سلطة قانونية دولية وافرة. فالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة يمنح صلاحيات لمجلس الأمن كي يقرر أيا من الإجراءات التي يلزم اتخاذها للمحافظة أو استعادة السلام والأمن الدوليين حيثما يجد أي تهديد للسلام، أو خرق للسلام أو عمل عدواني (الفصل ٣٩). كما أن المادتين ٤١ و٤٢ تنصان تحديدا على أن مجلس الأمن يمكن أن يتخذ مثل هذا الإجراء عن طريق قوات جوية وبحرية وبرية كما تقتضي الضرورة للمحافظة على، أو استعادة، السلام والأمن الدوليين. وقد قرر مجلس الأمن، في ضوء الفصل السابع، وفي قراره رقم ١٩٧٣، أن الوضع في الجماهيرية العربية الليبية يشكل تهديدا للسلام والأمن الدوليين، و(١) في

الفقرتين ٦ و٨ من القرار فرض منطقة حظر طيران في المجال الجوي للجماهيرية العربية الليبية لغرض حماية المدنيين، وفوض دولا باتخاذ "كل الإجراءات الضرورية" لتنفيذ منطقة حظر الطيران وفقا للقرار؛ و(٢) الفقرة الرابعة فوضت الدول الأعضاء باتخاذ كل التدابير اللازمة لحماية المدنيين والمناطق المأهولة بالمدنيين المعرضة للتهديد بالهجوم في الجماهيرية العربية الليبية، ومن ضمنها مدينة بنغازي، في حين استبعد وجود قوة احتلال أجنبي بأي شكل على أي جزء من الأراضي الليبية.؛ و(٣) في الفقرة ١٣ خول الدول الأعضاء باستخدام كل الإجراءات التي تتمشى مع ظروف محددة لتنفيذ عمليات التفتيش ترمي إلى تطبيق الحظر على السلاح. وبموجب ما فوض به مجلس الأمن يجوز للدول الأعضاء أن تعمل من خلال منظمات أو ترتيبات إقليمية مع شركاء محليين تتشاطر معها هدف منع هجمات على مدنيين أو مناطق مأهولة بالمدنيين".

فإذن هناك مسوغات قانونية تخول الولايات المتحدة الأمريكية بالحرب، وهذا الشرح يستند إلى قرار مجلس الأمن، وموجب تفويضه للدول الأعضاء باستخدام القوة لتطبيقه.

- التحرك في ظل الشرعية الدولية:

مما يميز الصوت الأمريكي في النزاع الليبي هو الإصرار على أن تكتسب كل حركة دعما دوليا، وأن يكون الصوت الدولي داعما وقائما بدوره، فقد صرح الرئيس الأمريكي يوم (١١/ ٣/ ٢٠١١م):

"وحشدنا صفوف المجتمع الدولي عبر الأمم المتحدة، بحيث بدأنا في جميع الحالات نضيّق الخناق على القذافي. وقد أصبح معزولاً دولياً بدرجة متزايدة نتيجة العقوبات"... "وأعتقد انه من المهم الإدراك بأننا تحركنا بأقصى سرعة ممكنة كائتلاف دولي لفرض عقوبات على القذافي"... "من المهم أيضاً، من وجهة النظر السياسية، وبأكبر قدر ممكن، المحافظة على الائتلاف الدولي القوي القائم بيننا الآن".

اهتمت الإدارة الأمريكية أيضا بدعم المنظمات الدولية، ولا سيما جامعة الدول العربية، كون ليبيا دولة عربية، فبعد قرار الجامعة بدعوة مجلس الأمن لفرض حظر جوي على ليبيا (١٢/ ٣/ ٢٠١١م)، قال الناطق بأسم البيت الأبيض:

"نرحب بهذا التقدم المهم للجامعة العربية الذي يعزز الضغط الدولي على القذافي ودعم الشعب الليبي".

وفي (١٥/ ٣) صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية قائلة:

"ونحن نتشاور مع جامعة الدول العربية حول فهمها لأهداف وأساليب تنفيذ منطقة حظر الطيران بالإضافة إلى أشكال أخرى من الدعم. إننا ندرك الحاجة الماسة لذلك ولهذا السبب نرفع حجم مساعدتنا الإنسانية. ونحن نبحث عن طرق لندعم من خلالها المعارضة، التي التقيت بأعضائها مساء أمس. ولكننا نعتقد أن هذا يجب أن يكون جهداً دولياً وان تتخذ قرارات في مجلس الأمن بغية تحقيق تقدم في هذه الخطوات".

وبعد صدور قرار مجلس الأمن رأى الأمريكان أنه تفويض دولي لأمريكا باستخدام القوة، ففي خطاب المندوبة الأمريكية في مجلس الأمن قالت (١٧/ ٣/ ٢٠١١م):

"واستجابة لنداء الشعب الليبي وجامعة الدول العربية خوّل مجلس الأمن الدولي استخدام القوة بما في ذلك فرض منطقة حظر للطيران لحماية المدنيين والمناطق المدنية الذين يستهدفهم العقيد القذافي وأجهزة استخباراته وقوات أمنه ومرتزقته"... "ومصير ليبيا يجب أن يقرره شعب ليبيا. والولايات المتحدة تقف مع الشعب الليبي تأييدا لحقوقه العالمية".

فالوقوف يفسر في هذا السياق بأنه إعلان للحرب، وإيذان باستخدام القوة دعما لمطالب الشعب الليبي. كما صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية يوم (١٩/ ٣/ ٢٠١١م) بما يلي:

"اليوم، تمكنت من مناقشة الخطوات التالية مع كامل المجموعة كما أجريت أيضاً محادثات مركزة أصغر حجماً مع العديد من زملائي. لقد اجتمعت أولاً مع الرئيس ساركوزي ومع رئيس الوزراء (البريطاني) كامرون. تقدمت كل من فرنسا والمملكة المتحدة، إلى جانب شركاء أساسيين آخرين، للعب دور قيادي في تنفيذ القرار ١٩٧٣. واستعرضنا آخر التقارير الميدانية وناقشنا كيفية العمل معاً بصورة أكثر فعالية في الساعات والأيام القادمة، وكيف يمكننا ان نعمل بصورة تعاونية جداً مع شركائنا الآخرين، بما في ذلك بلجيكا، وكندا، والدانمارك، وألمانيا، واليونان، وإيطاليا، وليثوانيا، وهولندا، والنرويج، وبولندا، والبرتغال، وإسبانيا، وتركيا كما ومع آخرين لم ترد أسماؤهم في هذه القائمة الطويلة. لقد سنحت لي أيضاً الفرصة للتحدث مع نظرائي العرب، بما في ذلك وزير الخارجية العراقي زيباري بصفته رئيس القمة العربية، والأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، ورئيس الوزراء القطري حامد بن جاسم، والشيخ عبدالله بن زايد من الإمارات العربية المتحدة، ووزير خارجية المغرب الفاسي فهري، ووزير خارجية الأردن

ناصر جودة. لقد قلنا منذ البداية ان القيادة والمشاركة العربية في هذه الجهود حاسمة، وأظهرت الجامعة العربية من خلال بيانها المحوري حول ليبيا ما الذي يعنيه ذلك. أدى هذا إلى تغيير المشهد الدبلوماسي. لقد بعثوا برسالة قوية أخرى عن طريق حضورهم هنا اليوم، ونحن ننظر إليهم لمواصلة القيادة كما والمشاركة والشراكة النشطة في المستقبل."

يهتم الخطاب بتسجيل تفاصيل عديدة، فيذكر أسماء الفاعلين في المجتمع الدولي، الذين نسقت معهم، وتشاورت معهم بخصوص الشأن الليبي. وقد تعمدتُ إيراد كل هذه الأسماء التي ذكرتها الوزيرة، حتى ندرك ملمحا مهما من ملامح الخطاب السياسي الأمريكي، الذي يهتم بالسرد، سرد التفاصيل والأشخاص، ويشرعن من خلالها موقفه، ويحيط نفسه بإطار دولي يتحرك في ظل التشاور معه. وهذه تعكس نفسية الشعور بالقيادة الدولية، حيث يقوم القائد باستمرار بمشاورة الآخرين، وإشعارهم أنه يطلب موافقتهم لتحركاته، وأنه يستمد قراراته من مواقفهم المؤيدة... إلخ.

وفي الخطاب نفسه أكدت الوزيرة قولها:

"إننا لم نقد ذلك، ولم ننخرط في عمل أحادي بأي شكل من الأشكال، لكننا ندعم بقوة المجتمع الدولي الذي يقوم بأعمال ضد الحكومات والقادة الذين يتصرفون كما يتصرف القذافي مع الأسف الآن. ونعتقد ان وجود هذا النظام الدولي القادر على بلوغ هذا النوع من الوحدة هو إلى حد كبير في مصلحة أميركا".

فهي تؤكد أن أمريكا لم تنخرط بعمل أحادي، وتظهر نفسها وكأنها تابعة للمجتمع الدولي لم تقده، وأن المجتمع الدولي لديه الإرادة لمعاقبة الأنظمة المارقة... إلخ. بالرغم من أنها قد أكدت سابقا أنهم يتحركون لتجييش المجتمع الدولي. ويفسر هذا التناقض بما ذكرته آنفا، أن القائد يحاول الإيحاء لتابعيه أنهم هم من توصلوا إلى القرار، وأنه ليس إلا تابعا لهم.

- الإنذار الأخير ووضع شروط الاستسلام:

جاء في بيان البيت الأبيض في (١٨/ ٣/ ٢٠١١م):

"إن أوباما اتصل بساركوزي وكاميرون، بعد اعتماد القرار الذي يفرض منطقة حظر جوي ويجيز استخدام القوة ضد ليبيا، للتنسيق بشأن استراتيجية التعامل مع ليبيا. اتفق القادة على أن ليبيا يجب أن تمتثل فوراً بكافة بنود القرار، وأن توقف أعمال العنف ضد السكان المدنيين في ليبيا".

وفي خطاب الرئيس الأمريكي عشية الحرب في (١٨/ ٣/ ٢٠١١م):

"هناك خيار أمام معمر القذافي. القرار الذي صدر يحدد شروطا واضحة جداً يجب تلبيتها. الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، والدول العربية توافق على وجوب تنفيذ وقف إطلاق النار فورا. وهذا يعني أن جميع الهجمات ضد المدنيين يجب أن تتوقف. وعلى القذافي أن يوقف قواته عن الزحف نحو بنغازي، وسحبها من أجدابيا، ومصراتة، والزاوية، وإعادة إمدادات المياه والكهرباء والغاز إلى جميع المناطق. ويجب السماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى الشعب الليبي. دعوني أكون واضحاً. إن هذه الشروط غير قابلة للتفاوض. هذه الشروط ليست موضوعاً يمكن التفاوض حوله. فإذا لم يمتثل القذافي للقرار، فإن المجتمع الدولي سيفرض العواقب المترتبة على ذلك، وسوف يطبق القرار من خلال العمل العسكري".

- **تحديد خطوات الفعل القادمة:**

جاء في تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية في (١٩/ ٣/ ٢٠١١م): "الآن، لدى أميركا قدرات فريدة، وسوف نستعملها لمساعدة حلفائنا الأوروبيين والكنديين وشركائنا العرب لوقف المزيد من العنف ضد المدنيين، بما في ذلك عبر التنفيذ الفعال لمنطقة الحظر الجوي. فكما قال الرئيس أوباما، اننا لن ننشر الجيوش على الأرض، ولكن يجب أن لا يكون هناك أي شك في التزامنا إزاء تلك الجهود".

(٢) الحرب:

تتشمل وظائف الخطاب في مرحلة الحرب، في الإعلان عن الحرب، والإعلان عن أهدافها، ومتى يمكن أن تتوقف، كذلك وصف الفعل، وإطلاع الناس على سير الحرب، والحديث عن أن الفعل يتم في الإطار المرسوم، ويحقق أهدافه، كذلك الشرعنة المستمرة للفعل، وتحميل الطرف الآخر مسؤولية الفعل، و"النافذة المفتوحة للخصم"، والتفتيت الممنهج لقوة الخصم. ومن الأمثلة على الخطاب الأمريكي - بعد أن دخل الحرب بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠١١م - رسالة الرئيس الأمريكي إلى الكونجرس بتاريخ (٢١/ ٣/ ٢٠١١م)، وهي تمثل نموذجا جيدا لخطاب المحارِب الذي بدأ الحرب، وسأشير إلى أهم الوظائف التواصلية في الرسالة:

- الإعلان عن الفعل (الحرب)، فالفقرة الأولى من الخطاب جاءت بتفصيل الحدث، وكأنه خبر، فحددت الزمن، والفعل، والتوجيه، وفاعل التوجيه، وهدف الفعل، كما ألح على بيان أن

الفعل لم يكن أحاديا، وإنما في ظل شركاء دوليين ينفذون قرار مجلس الأمن. والتحديد المفصل لطبيعة الفعل الأمريكي مع هؤلاء الشركاء، وهذا نص الفقرة الأولى من خطاب الرئيس الأمريكي المشار إليه:

في حوالي الساعة الثالثة مساء بالتوقيت الصيفي لشرقي الولايات المتحدة من يوم ١٩ آذار/ مارس ٢٠١١ وبتوجيه مني بدأت القوات العسكرية للولايات المتحدة عمليات هدفها مساعدة مجهود دولي فوض به مجلس الأمن الدولي واتُّخذ بدعم حلفاء أوروبيين ودول عربية شريكة، لتفادي وقوع كارثة إنسانية والتعامل مع التهديد للسلام والأمن الدوليين جراء الأزمة في ليبيا. وكجزء من الرد المتعدد الفرقاء الذي خوله قرار مجلس الأمن الدولي ١٩٧٣ باشرت قوات عسكرية اميركية تحت إمرة رئيس القيادة العسكرية الأفريقية سلسلة ضربات ضد منظومات دفاع جوي ومطارات عسكرية لغرض الإعداد لمنطقة حظر طيران. وستكون هذه الضربات محدودة في طبيعتها وأمدها ونطاقها. والغرض منها هو مساندة تحالف دولي وهو يستعد لاتخاذ ما يلزم من تدابير لتنفيذ بنود قرار مجلس الأمن رقم ١٩٧٣ . وهذه الإجراءات الأميركية المحدودة ستمهد الطريق أمام إجراء إضافي من قبل شركاء آخرين في الائتلاف

- التأكيد أن الفعل تم في إطاره الشرعي. الفقرة الثانية من الرسالة تضع الفعل في إطاره الشرعي القانوني الدولي. وقد حدث خلاف بين الطرف الأمريكي وبين الطرف الروسي والألماني في تفسير هذه الشرعية، سأشير إلى الخلاف لاحقا، يقول الرئيس الأمريكي في رسالته: (وقد خول قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٩٧٣ الدول الأعضاء بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة باتخاذ كل الإجراءات الضرورية لحماية المدنيين...إلخ).

- تحميل الطرف الآخر مسؤولية الفعل، فهو بتماديه في الجرائم، وانتهاكاته، ورفضه للإرادة الدولية، كان سببا في الحرب. الفقرتان الثالثة والرابعة من الرسالة تعرض هذه الوظيفة، وتشرعن لها من خلال السرد الذي يتحدث عن تمادي الطرف الآخر، وقد سرد كثيرا من المبررات. وهذا واضح كما في رسالته:

وكانت قد نقلت للعقيد معمر القذافي رسالة جلية جدا بوجوب تطبيق وقف إطلاق نار فوري. وقد أوضح المجتمع الدولي أن كل الهجمات على المدنيين يجب ان تتوقف وكان

لزاما على القذافي أن يوقف قواته عن التقدم باتجاه بنغازي، وسحبها من أجدابيا ومصراتة والزاوية....إلخ.

ورغم أن وزير خارجية القذافي أعلن عن وقف إطلاق نار فوري، لم يقم القذافي وقواته بأي محاولة لتنفيذ وقف إطلاق نار من هذا القبيل، وعوضا عن ذلك واصلت قواته هجماتها على مصراتة وتقدمت باتجاه بنغازي....إلخ.

- تبرير دوافع الفعل، فالرئيس الأمريكي يتحدث عن أن أمريكا لم تقم بهذا الفعل إلا لأنها تنفذ مهمة (مقدسة)، تحمي المدنيين وتحقق الإرادة الدولية. يقول:

إن الولايات المتحدة لم تنشر قوات برية في ليبيا بل إنها تنفذ مهمة محدودة ومحددة المعالم دعما لجهود دولية لحماية المدنيين وللحيلولة دون وقوع كارثة إنسانية. وبالتالي، استهدفت القوات الأميركية منظومات الدفاع الجوي لحكومة القذافي وبنى قياداته العسكرية وغير ذلك من قدرات قواته المسلحة التي تستخدم للاعتداء على المدنيين والمناطق المأهولة بالمدنيين. وسنسعى لنقل عاجل لكنه مسؤول عن العمليات إلى تنظيمات إقليمية ودولية وحليفة جاهزة لمواصلة العمليات كما قد تدعو الحاجة لتحقيق أهداف قراري مجلس الأمن الدولي ١٩٧٠ و١٩٧٣.

- في الفقرة السادسة والأخيرة من الرسالة، ينتقل من الحديث عن الفعل إلى الحديث عن الفاعل (الذي هو الرئيس نفسه)، ومن ثم فهو اتخذ الإجراءات لأنه المسؤول عن حماية المصالح الأمريكية؛ ولأنه المخول دستوريا، ولأنه المسؤول الأول عسكريا في البلد. وهذه الفقرة تبطن ردا ما، وكأن ثمة من ينازعه هذا الحق، فأراد بذكر ذلك أن يثبت أن الحق له. وبالتأكيد أنها موجهة إلى الداخل الأمريكي وليس إلى الخارج. وهذا نص الفقرة:

ولهذه الغايات أوعزت باتخاذ هذه الإجراءات التي تتوافق مع المصالح القومية ومصالح السياسة الخارجية للولايات المتحدة، استنادا إلى صلاحياتي الدستورية لإدارة شؤون العلاقات الخارجية وبصفتي قائدا أعلى للقوات المسلحة.

ومن الوظائف في خطاب الحرب:

- تحديد أهداف الحرب، وهذا يعني: متى وكيف تنتهي الحرب. جاء في رسالة الرئيس الأمريكي: "وستكون هذه الضربات محدودة في طبيعتها وأمدها ونطاقها...إلخ". فقد حدد هدف

الضربات بأنها لشل منظومة الدفاع الجوي الليبي. وهذا من شأنه تمهيد الطريق أمام (إجراء إضافي) للشركاء، ولكننا لا ندري ما الإجراء الإضافي، هل هو إجبار القذافي على ترك السلطة أو ماذا؟

لم يطل التساؤل كثيرا، فبعد ساعات من رسالة الرئيس الأمريكي أعلنت الخارجية الأمريكية أن "الهدف النهائي لعمليات التحالف الدولي في ليبيا هو إجبار العقيد معمر القذافي على ترك السلطة". إذن أمريكا هي فقط مساعِدة، وفعلها محدود، وليس هدفها إسقاط القذافي، بل فرض الحظر الجوي، ولكن التحالف الدولي هو من يهدف إلى ذلك، ومن يعلن عن هذا هي وزارة الخارجية الأمريكية.

هناك غموض في تحديد الهدف النهائي، ولا سيما أن وزير الخارجية الفرنسي صرح بعد ذلك أن "كافة العمليات القتالية ستتوقف عندما يلتزم الزعيم الليبي معمر القذافي بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة". تناقض في الخطاب بين الحلفاء، وكأنه ليس ثمة هدف واضح لانتهاء الحرب، وليس ثمة فاعل واضح له القرار النهائي، وقد عبر عن ذلك بيان لوزارة الخارجية الليبية بعد القرار: "إننا جاهزون لهذا القرار، لكننا نحتاج أن نتكلم مع طرف محدد لنناقش كيفية تطبيقه".

ولعل التناقض كان مقصودا؛ حتى يستمر الفعل إلى مداه، ويتم التشويش على الطرف الآخر، ويحقق هدفه الذي لم ينص عليه القرار، ولكنه كان واضحا لدى الائتلاف الدولي، وهو تغيير ميزان القوى في ليبيا، وتنحية القذافي، وإنهاء حكم عائلته.

وقد تحدث الرئيس الأمريكي بتاريخ (٢٨/ ٣/ ٢٠١١م) عن رغبة الأطراف الدولية في إنهاء سلطة القذافي، ولكنه ردها إلى المسار الدبلوماسي، وليس العسكري:

> **"بالطبع، ليس هناك شك في أن ليبيا - والعالم - سيكونان أفضل حالا بدون وجود القذافي في السلطة. إنني قد تبنيت هذا الهدف جنبا إلى جنب مع العديد من الزعماء الآخرين في العالم، وستتابعه بشكل فعال من خلال الوسائل غير العسكرية. لكن توسيع نطاق مهمتنا العسكرية لتشمل تغيير النظام سيكون خطأ".**

- مباركة الخطوات

هذه استراتيجية يتميز بها الخطاب الأمريكي كثيرا، فما من حدث يقوم به طرف ما، أو منظمة ما، مما يتصل بأهداف الولايات المتحدة الأمريكية، إلا وتقوم الخارجية الأمريكية أو البيت الأبيض بالإشادة بهذا الحدث، وتصدر بيانا خاصا به. الأمثلة على هذا كثيرة، وسأكتفي بالإشارة إلى بعضها، فحين أيدت دولة الإمارات قرار مجلس الأمن، صدر بيان من البيت الأبيض (٢٤/ ٣/ ٢٠١١م)

يرحب بهذا التأييد. وحين اجتمع الاتحاد الإفريقي لمناقشة الوضع في ليبيا صدر بيان الخارجية الأمريكية (٢٦/ ٣/ ٢٠١١م) يثني على "عقد الاتحاد الإفريقي لهذا الاجتماع".

هذه الاستراتيجية تكشف عن "نفسية الأب"، فالأب ينظر إلى أبنائه، ويشيد بأي خطوة يقومون بها، أو يوجههم إلى الخطأ، فاستراتيجية "مباركة الخطوات" تعكس الخطاب الأبوي لدى الإدارة الأمريكية. وكما تتجلى هذه الأبوية في مباركة الخطوات، فهي تتجلى أيضاً في الانتقادات التي توجهها الإدارة الأمريكية لأي طرف، وقد سبق الحديث عنها في "خطاب المراقب".

ومن الوظائف في خطاب الحرب:

- الإطلاع: وأقصد به أن صاحب الخطاب يتحمل مسؤولية إطلاع الناس على ما يحدث، فتصدر بيانات مستمرة تصف الأعمال العسكرية، وكأنها توثقها بالصوت اللغوي، كما أنها تمتلك سلطة الحديث عنها، فهي الفاعلة وهي التي تتحدث عن فعلها، ولا تترك ذلك لوسائل الإعلام، ولا للتكهنات. وفي الوقت نفسه يصفون ما يريدون وصفه، بمعنى أنهم يبرزون للمشهد الأفعال التي يريدونها أن تظهر.

كان المسؤولون الأمريكيون يظهرون يوميا للحديث عما أنجزوه من أفعال عسكرية، ولذلك كانت الأحداث تتكرر كثيرا في خطاباتهم؛ نظرا إلى استراتيجية السرد التي يفضلونها على غيرها، فكل مرة يعيدون سرد الأحداث من بدايتها، وما سردوه مفصلا من قبل، يحاولون إعادته مجملا، وربطه بالحدث الجديد. الرئيس الأمريكي نفسه سمى هذه الوظيفة بـ "الإطلاع". فهو يقول (٢٦/ ٣/ ٢٠١١م):

> **"في الأسبوع الماضي عندما وجّهت التعليمات إلى قواتنا المسلحة للمساعدة في حماية الشعب الليبي من وحشية معمر القذافي، تعهدت بأن أبقي الشعب الأميركي على اطلاع تام بما يجري".**

وفي خطاب آخر يوم (٢٨/ ٣)، صدر الرئيس الأمريكي كلامه بالقول:

> **"أود أن أطلع الشعب الأميركي الليلة على مستجدات الجهود الدولية التي قدناها في ليبيا – وما فعلنا، وما نخطط لفعله، ولماذا تعنينا هذه المسألة".**

وعلى سبيل المثال، ألقت وزيرة الخارجية الأمريكية في (٢٤/ ٣/ ٢٠١١م) خطابا طويلاً، تصف فيه الأحداث بالتفصيل، بمن اجتمعت الوزيرة، ولماذا، ثم سرد مشهد الحرب منذ أن

بدأت وكيف تطورت، وما الذي تم، وما الذي حققته على الأرض، ثم ربط السرد بالوعد الأمريكي الذي ينص على أن تكون الضربات محدودة، ثم الوفاء بالوعد. ثم الحديث عن الخطوة التالية، وهو نقل القيادة العسكرية... إلخ.

- ومن الوظائف أيضاً في خطاب الحرب: (النافذة المفتوحة للخصم)، وذلك بعدم حشر الخصم في زاوية، فالطرف يحاول أن يترك فرصة لخصمه يستطيع من خلالها أن يتراجع، أو يترك له ثغرة يمكنه التسلل منها، مصانعة له، وتخفيفا من عبء النزاع. كتصريح المندوبة الأمريكية في مجلس الأمن في ١/ ٤/ ٢٠١١م:

"الحظر المفروض على القذافي لن يمنع مغادرته البلاد حفظاً لأمنه". وتصريح الحلفاء في مؤتمر لندن الذي عقدوه بتاريخ ٢٣/ ٣/ ٢٠١١م: "بإمكانية السماح للقذافي وعائلته بالذهاب الى المنفى اذا قبلوا العرض وانهاء ستة أسابيع من اراقة الدماء".

- ومن الوظائف أيضاً: التفتيت المنهج لقوة الخصم السياسية والدبلوماسية، ومحاولة شل قدراته التنظيمية، والتأثير في نفسيات المقاتلين. ولهذا التفتيت استراتيجيات خطابية وغير خطابية كثيرة، ومنها: محاولة شق صف الخصم، كالبيان المشترك للرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء البريطاني (٢٨/ ٣/ ٢٠١١م)، إذ جاء فيه: "ندعو كل أنصار القذافي للتخلي عنه قبل فوات الأوان".

خامساً: خطاب المنتصر:

يبرز خطاب المنتصر ما الذي حققه فعلاً من أهداف وكيف كان ذلك، وكيف أوقف الانتهاكات، وكيف حمى المدنيين... إلخ. كما يبرز النجاح الذي حققه في ظل ما سعى له من حشد دولي. وخطاب الرئيس الأمريكي بتاريخ (٢٨/ ٣/ ٢٠١١م)، مثال - إلى حد ما - لخطاب المنتصر، باعتبار أنه حقق الهدف الذي أعلن عنه وهو شل القدرات الجوية للخصم.

بداية نلحظ طول الخطاب، حيث بلغ تقريبا ٣٠٠٠ كلمة، ويعد أطول خطاب أمريكي منذ اندلاع الأزمة، وقد اشتمل الخطاب على مجموعة من الوظائف التواصلية، يمكن تصنيفها إلى الاستراتيجيات التالية: استراتيجية المغرور، والمستوعِب، والمنقذ، والناجح.

- **استراتيجية المغرور**

يبرز الغرور في خطاب المنتصر بصورة كبيرة، فهو يفتخر بفريق العمل، ويفتخر بالقيم، ويفتخر بتاريخه... إلخ. ويريد القول: أنا حققت الإنجاز لكفايتي، وكفاية الفريق الذي معي،

وفعالية القيم التي نسترشد بها... إلخ. وبذلك فهو خطاب تصنيفي سلطوي بامتياز، يرسم صورة ذهنية منفردة عن الذات، وعن قيمها. وقد بدأ الخطاب بهذه الوظيفة:

"أريد أن أبدأ بالإشادة برجالنا ونسائنا المنتسبين في الخدمة العسكرية الذين تصرفوا مرة أخرى بشجاعة ومهنية ووطنية...." إلى آخر الفقرة الطويلة.

ففي هذه الفقرة من الخطاب يشيد بفريق العمل باعتباره الفاعل الذي حقق الإنجاز، ويقول إن هذا الإنجاز ليس إلا إنجازا واحدا من إنجازات عديدة تمتد أفقيا، ورأسيا عبر أجيال عديدة. ومن ثم فهو يبرز القائد الحكيم القوي، كما في عبارته الأخيرة: "نحن بطبيعة الحال نتردد في استخدام القوة لحل الكثير من المشاكل العالمية. ولكن عندما تتعرض مصالحنا وقيمنا للخطر تقع على كاهلنا مسؤولية العمل". فهناك حكمة في استخدام القوة، وهو ليس مجرد مغامر امبراطوري، بل يتردد كثيرا، ولكنه يفصل حين يقتضي الأمر الفصل.

- استراتيجية المستوعِب:

الوظيفة السابقة (الغرور) ترد كل الإنجاز إلى الذات، أما وظيفة (المستوعِب) فيحاول المتحدث من خلالها إظهار جهود الفاعلين الآخرين ضمن جهوده هو، فهو الذي حشدهم، وهو الذي وجههم، وهم يقومون بعمل رائع (وبالتأكيد أن إنجازهم سيحسب له)، وأسمي هذا بـ"المستوعب"، وهو جزء من خطاب القائد، الذي يظهر لمعاونيه أن جهودهم ذات شأن. كما في قول الرئيس الأمريكي في خطابه: "لم تتصرف الولايات المتحدة وحدها في هذا الجهد. فبدلا من ذلك انضم إلينا ائتلاف يزداد قوة وكثرة. فهو يضم أقرب حلفائنا... ويضم شركاء عربا مثل قطر والإمارات"، [وكذلك الفقرات التالية في الخطاب].

والرئيس الأمريكي يحدد مهمته بأنها تتمثل في تعبئة المجتمع الدولي، والدفع به إلى تحمل مسؤوليته، وأنه كقائد عالمي مسؤول عن تهيئة الظروف للآخرين ليكونوا مسؤولين أيضا. "ولكن عبء العمل يجب ألا يكون على عاتق أميركا وحدها. فكما فعلنا في ليبيا، فإن مهمتنا بدلاً من ذلك تتمثل في تعبئة المجتمع الدولي من أجل القيام بعمل جماعي...".

- استراتيجية المنقذ:

يعمد خطاب المنتصر أولاً: إلى التذكير، بل وتكرار هذا التذكير، بما كان عليه الحال قبل دخوله إلى ساحة الفعل، فهو يقول: كذلك كان الحال، ولولا تدخلي لاستمر بل كان أشد بشاعة... كما في هذه الفقرات من الخطاب:

في الشهر الماضي بدأت قبضة القذافي في التخويف تتراخى أمام وعد الحرية. ففي مدن وبلدات عبر البلاد نزل الليبيون إلى الشوارع مطالبين بحقوقهم الإنسانية الأساسية. وكما قال أحد الليبيين، "لأول مرة يحدونا الأمل أخيرا بأن حلمنا الذي دام أربعين عام سينتهي عاجلا." بدأ القذافي، عندما واجه المعارضة، في مهاجمة شعبه.... إلخ.

والتذكير بحال الناس سابقا، يقتضي إبراز دوره البطولي كمنقذ، جاء في اللحظة الفاصلة، فغير الموازين، وانتصر للمظلومين، ودحر الأشرار... إلخ. ففي خطاب الرئيس الأمريكي، بعد أن أطال في وصف وحشية القذافي وانتهاكاته وتمرده على الإرادة الدولية، وخطره على النظام العالمي... إلخ، فقال بعد ذلك:

عند هذه النقطة واجهت الولايات المتحدة والعالم خيارا. فقد أعلن القذافي أنه لن يبدي "أي رحمة" تجاه شعبه.... وأدركنا أننا إذا انتظرنا يوما واحدا أكثر فإن بنغازي يمكن أن تواجه مجزرة... لم يكن ترك ذلك يحدث في مصلحتنا. فرفضتُ حدوث ذلك..... والليلة أستطيع أن أبلغ أننا أوقفنا تقدم القذافي القاتل.

كما يبرز (القائد المنقذ) الدوافع والمسؤوليات التي جعلته يتخذ هذا العمل (الإنقاذ)؛ إنها المسؤولية الأخلاقية، ففي خطاب الرئيس الأمريكي: "إنه لمن الخيانة لطبيعتنا أن ننحي جانبا مسؤولية أميركا كقائدة وزعيمة – وبشكل أكثر عمقا – مسؤولياتنا تجاه إخواننا في البشرية في ظل هذه الظروف....إلخ".

ومن خلال استراتيجية السرد (الاستراتيجية المفضلة لدى القادة الأمريكان)، ينتقل الخطاب خطوة أخرى في الحديث عن الدور الإنقاذي الذي قاموا به، فأولئك الذين أنقذهم يعترفون به، وهو لا يتحدث عن السياسيين الذين يراوغون، ولكن عن العامة الذين تمثل عباراتهم صورة ذهنية تعكس نظرتهم إلى الآخر. جاء فيه:

"ورغم ذلك فإنه عندما هبط الطيار الذي كان يقودها بمظلّته إلى الأرض، في بلد دأب زعيمه على تشويه سمعة الولايات المتّحدة – في منطقة لها مثل هذه التاريخ الصعب مع بلادنا– لم يجد هذا الأميركي أي أعداء. بل بدلا من ذلك استقبله الناس بالأحضان وعانقوه. وقال أحد الشباب الليبيين الذين جاؤوا لمساعدته، "نحن أصدقاؤك. نحن ممتنون للغاية لأولئك الرجال الذين يحمون سماءنا."

والإنقاذ – كما يرى الخطاب – ليس للطرف الآخر فحسب، ولكنه إنقاذ أيضا للمصالح والقيم الأمريكية، وإنقاذ للسلم الدولي، ولاستقرار نظامه العالمي. فهو منقذ العالم. كما في خطاب الرئيس الأمريكي:

> **لقد أوضحت غاية الوضوح أنني لن أتردد في استخدام قواتنا العسكرية بشكل سريع وحاسم، ومن جانب واحد، حين يكون ذلك ضروريا للدفاع عن شعبنا ووطننا، وحلفائنا، ومصالحنا الجوهرية.....**
>
> **وستكون هناك أوقات، رغم ذلك، لا تكون فيها سلامتنا مهددة بشكل مباشرة، بل مصالحنا وقيمنا. وفي بعض الأحيان، يشكل مسار التاريخ تحديات تهدد إنسانيتنا المشتركة وأمننا المشترك.....**

- **استراتيجية الناجح:**

في هذا الجزء من الخطاب، يتحدث عن النجاح الذي حققه، ويبين أن أهدافه قد تحققت فعلا، وأنه وعد فوفى بوعده، وهدد فنفذ تهديده... إلخ. والفرق بين خطاب الناجح والمنقذ، أن المنقذ يركز في الدور البطولي، الذي يقوم عادة على الإنقاذ والتغيير، فهو يتجه إلى من أنقذهم، أي إلى من فعل الفعل لأجله، بينما الناجح يركز في النجاح في الفعل، أيا كان الفعل، فهو يتجه إلى الفعل فحسب. كما في خطاب الرئيس الأمريكي:

> **"وعلاوة على ذلك أنجزنا هذه الأهداف وفاء بالعهد الذي قطعته للشعب الأميركي في بداية العمليات العسكرية... وها نحن الليلة نفي بهذا التعهد.**
>
> **لذا، وبالنسبة لأولئك الذين شكوا في قدرتنا على تنفيذ هذه العملية، أود أن أكون واضحا في قولي إن الولايات المتحدة الأميركية فعلت ما قلنا إننا سنفعله.**

هناك وظائف تواصلية في هذا الخطاب تتعلق بخطاب المحارب، نظرا إلى أن الحرب ما زالت مستمرة، والعمل ما زال متواصلا. إلا أن هذا الخطاب اشتمل على كثير من الوظائف التواصلية لخطاب المنتصر، ولا سيما بعد أن حققت أمريكا هدفها بتدمير القوة الجوية الليبية.

المطلب الثالث: التذبذب الخطابي في النزاع حول المواقف

تنازعت الأطراف الدولية، ولا سيما الطرف الأمريكي والروسي، في مواقف عديدة، وتذبذبت خطاباتها في تلك المواقف، وسأبين التذبذب الخطابي في النزاع حول بعض الموضوعات، وهي: العقوبات، والتدخل العسكري، وتفسير قرار جامعة الدول العربية، والمشاركة في الحرب، وتفسير قرار مجلس الأمن (١٩٧٣).

أولاً - النزاع حول العقوبات:

منذ أن بدأ الخطاب الأمريكي وبعض دول أوروبا بتبني "خطاب المحاسب"، والتلويح بفرض عقوبات على النظام الليبي، بدأ الخطاب الروسي برفض هذا الخطاب، فصرح الناطق الرسمي باسم الخارجية الروسية، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١١م)،

> **"إننا ننطلق في تقديرنا للأحداث في ليبيا والشرق الاوسط وشمال افريقيا من ان العنف أمر مرفوض. وينبغي على المجتمع الدولي والعربي إيجاد سبل لحل القضايا في اطار التسوية السلمية والقانون. وإن العقوبات قد تكون فعالة في بعض الأحيان إلا انه بشكل عام لا يمكن القول إنها تعد بالنسبة الى المجتمع الدولي وسيلة فعالة للتأثير في مختلف الاوضاع".**
> **وقال: "من غير الجائز التدخل الخارجي في هذه العمليات وخاصة فرض التغييرات الديمقراطية على الدول العربية من الخارج من دون أخذ خصائصها بعين الاعتبار".**

يعد هذا التصريح ردا على تصريح الرئيس الأمريكي في ٢٣/ ٢، الذي حمل النظام الليبي مسؤولية الأحداث، وقال فيه: "ويجب اعتبارها (أي: الحكومة الليبية) خاضعة للمحاسبة على فشلها في تلبية تلك المسؤوليات وعليها أن تتحمل ثمن استمرار انتهاكها للحقوق الإنسانية".
فالتصريح الروسي يرى أن التصريح الأمريكي المبطن بالعقوبة غير فعال لإيقاف العنف في ليبيا، والحل عبر القانون والتسوية السلمية. ويعد هذا التصريح الروسي أول تصريح حول الأحداث في ليبيا، فهو ضمن خطاب المراقب، الذي يرفض العنف، ولم يقل لنا: من الذي يستخدمه؟ ومن ثم يرفض الحديث عن العقوبات، ويعدها غير فعالة. بل رأى أن الحديث عن العقوبات يعد تدخلا خارجيا لفرض التغيير، فهو يتهم أمريكا (وحلفاءها) بأنها تريد فرض رؤيتها وقيمها على

العالم. وهذا ما أكده بيان وزير الخارجية الروسي في اليوم نفسه في اتصال هاتفي مع أمين جامعة الدول العربية.

فروسيا تفسر الحدث أن ثمة ضغطا خارجيا على سير الأحداث في المنطقة، (من الطرف الغربي بالطبع)، وروسيا تعارض هذا. والعبارات الأخيرة من البيان تكشف لنا عن حقيقة هذه المعارضة، فروسيا ترى أن ثمة "ظروفا جديدة" في المنطقة، و"تغيرات كبرى"، ومن ثم فلا بد من "تكثيف العمل على تعزيز مواقع روسيا في المنطقة". إذن فالقضية قضية من يعزز وجوده في المنطقة. أيضاً، البيان يبرر وقوع العنف بقوله "إن المواجهة بين السلطات في هذه الدول والمحتجين كثيرا ما تتعدي اطار القانون مما يؤدي الى اندلاع العنف ووقوع الضحايا". ومن ثم فوقوع العنف أمر طبيعي، ولا تستطيع روسيا إدانة طرف بعينه.

حدث تحول في الخطاب الروسي بعد ثلاثة أيام من البيان السابق، ففي (٢٧/ ٢) صدر بيان لوزارة الخارجية الروسية، عقب اتصال بين وزير الخارجية الروسي لافروف ووزير الخارجية الليبي، جاء فيه:

> **" شدد لافروف على عدم جواز لجوء السلطات الليبية الى استخدام القوة العسكرية ضد المدنيين. وأن المجتمع الدولي بأكمله يدين مثل هذه الأعمال بشكل حاسم. وطالب لافروف القيادة الليبية باحترام حقوق الانسان والالتزام بالقانون الدولي للشؤون الانسانية وضمان أمن السكان المسالمين والمواطنين الأجانب في ليبيا....".**

يمكن القول إن هذا البيان انتقل بالخطاب الروسي إلى "خطاب المحاسب"، فثمة إدانة واضحة، وتحديد صريح للفاعل "السلطات الليبية"، وعبارات صريحة عن الفعل: "استخدام القوة العسكرية ضد المدنيين"، وإدانة بأفعال صريحة "يدين"، ومطالبة صريحة بالالتزام بالمطالب الدولية، و"التوقف الفوري عن الإجراءات القمعية"، ومطالبة بأن يتبع القول الفعل... إلخ. وقد جاء هذا التحول في الخطاب بعد يوم واحد من صدور قرار مجلس الأمن الدولي (١٩٧٠)، الذي يفرض مجموعة من العقوبات على ليبيا.

وتبع هذا التحول تبني "خطاب المعاقب"، ففي ١/ ٣/ ٢٠١١م، صرح مصدر مسؤول في الكرملين قائلا:

" نعتبر أنه حتى لو تمكّن القذافي من السيطرة على الوضع، فهو ميت سياسياً ولا مكان له في العالم المتحضر". وقال: "روسيا ستفرض عقوبات على ليبيا تنفيذا لقرار مجلس الامن الدولي. والعقوبات سيتم اقرارها رسميا وستفرض حتما".

وهو تصريح قوي جدا، ينزع الشرعية عن القذافي، ويأتي بالصورة الاستعارية "ميت سياسيا"، ليصوره جثة في عالم حي، وهي "جثة غير متحضرة" لا تنتمي إلى "العالم المتحضر". ولم يعد الحديث عن "التسوية السياسية"، ولا عن "الضغط الخارجي"... إلخ. ومن الواضح أن وراء التحول في الخطاب تحولاً في المواقف، وإيحاء بوجود اتفاقيات خفية، تضمن لروسيا ما أرادته من "تكثيف العمل على تعزيز مواقع روسيا في المنطقة". وبهذا اختفى النزاع بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حول العقوبات على النظام الليبي، واكتسب الموقف الأمريكي نقاطا جديدة في النزاع. وقد نفذت روسيا فعلا هذه العقوبات بقرار رئاسي في (١٠/ ٣/ ٢٠١١م)، جاء فيه:

" يحظر توريد كافة انواع الاسلحة والمواد المتعلقة بها،.. الى ليبيا من روسيا الاتحادية. كما يحظر بيع وتسليم كل ذلك الى ليبيا خارج اراضي روسيا الاتحادية،.... الخ".



ثانياً - النزاع بشأن التدخل العسكري وعدم التدخل:

تحدثت سابقا (في خطاب المعاقب) عن إشارات الطرف الأمريكي وتلميحه للتدخل العسكري، حيث كان يطرح في خطابه أن كل الخيارات مفتوحة... وفي هذه الأثناء كان ثمة نزاع دولي حول التدخل العسكري.

كان الموقف الروسي رافضاً للتدخل العسكري، يتجلى ذلك في تصريح وزير الخارجية الروسي في (٧/ ٣/ ٢٠١١م) بأنه يرفض "التدخل العسكري"، وأيضاً تصريح نائب وزير الخارجية الروسي في (١١/ ٣/ ٢٠١١م) برفض "استخدام القوة أحادي الجانب"، وأكد الحفاظ على الإطار الدولي الشرعي، وأن يقوم بالحل السلمي لا بالعسكري. وفي تصريح الوزير تأكيد على معاقبة مرتكبي الجرائم، فهو يؤكد الخط العقابي، ولكن دون الوصول إلى التدخل العسكري. وقد رفضت موسكو "خطاب المحارب"، ولم تستخدمه، وحتى بعد صدور القرار رفضت تفسيره بأنه يفوض استخدام القوة.

كما أن الموقف التركي كان رافضاً للحرب، كما جاء ذلك في تصريح رئيس الوزراء التركي (١٤/ ٣/ ٢٠١١م):

"وكلي أمل في أن نمنع وقوع حرب أهلية في ليبيا، لكن يجب أن أذكّر هنا بأنني لا أنظر إلى ما يحدث في ليبيا من الزاوية التي ينظر منها الغرب، فأنا لم أسمع حتى الآن تصريحات وتعليقات سليمة من الدول الغربية حول ما يحدث في ليبيا، وأود أن أكرر وأشدد بأننا نرفض التدخل العسكري الاجنبي في ليبيا".

فالموقف التركي رافض للتدخل، بل يبطن اتهام الدول الغربية بأن تصريحاتهم حول ليبيا غير سليمة، وكأن الأكمة وراءها ما وراءها. وقد عبر بعد ذلك بعبارات صريحة حول هذا التخوف، كما في تصريحه بتاريخ (١٥/ ٣/ ٢٠١١م): "إن تركيا لم تقف يوماً الى جانب تجار السلاح وأولئك الذين يطمعون في ثروات الغير". فهو يرى أن هدف الغرب من التدخل العسكري إنما هو نهب الثروة الليبية، والاستثمار في بيع السلاح (تجار السلاح)، فهم ليسوا دعاة سلام، بل "تجار سلاح"، وهم لا ينطلقون من "قيم" بل طمعا "في ثروات الغير".

ولقد حدث تحول في الموقف التركي، وعبر الخطاب التركي عن ذلك بعد قرار مجلس الأمن (١٩٧٣)، حيث أعلنت الخارجية التركية (١٩/ ٣) استعدادها للمشاركة في "إيقاف هجمات القذافي التي تستهدف الأبرياء العزل". وفسر الخطاب أن ذلك الدعم يأتي "بعد تأمين إطار شرعي دولي مع اتخاذ مجلس الأمن قرار فرض الحظر الجوي على ليبيا".

❖ ❖ ❖

ثالثاً - النزاع حول قرار جامعة الدول العربية:

بعد قرار الجامعة بدعوة مجلس الأمن لفرض حظر جوي على ليبيا، أثارت روسيا تساؤلا بشأن القرار، فقال وزير الخارجية الروسي (١٤/ ٣/ ٢٠١١م):

"نعرف أن جامعة الدول العربية تبنت بيانا ناشدت فيه مجلس الأمن النظر في هذا الاحتمال، وينبغي أن ندرك ما الذي تريده الدول العربية بالتحديد". وقال: "إن الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى أشار في تعليقه على هذه الخطة في ختام جلسة الجامعة إلى أن الدول العربية ترى هذه الخطوة قابلة للتنفيذ إذا كانت مشروطة. وعلى سبيل المثال تقترح جامعة الدول العربية فرض حظر الطيران على ليبيا مع ضمان احترام

سيادة البلاد ودون استخدام القوة للتصدي للأسلحة المضادة للجو الليبية".. "ومجلس الأمن وحده يحق له اتخاذ أي قرار بشأن فرض حظر الطيران، وسندرس بإمعان جميع الاقتراحات التي قد تقدم الى هذه الهيئة العليا لضمان السلم والأمن العالميين".

وفي (١٥/ ٣) صرح وزير الخارجية الروسي: "إن وسائل الإعلام الأمريكية تردد حاليا أقوالا بأن فرض الحظر الجوي على ليبيا شيء لا بد منه، إلا أن روسيا والصين تعارضان هذا. ولكن لم يقدم أحد أي اقتراح بهذا (إلى مجلس الأمن الدولي). ان كنت تريد القدوم إلى مجلس الأمن بمقترحات من هذا النوع، فزودنا بتفاصيل تنفيذ الحظر. أما الحديث عن أن أحدا يقترح فرض الحظر، وآخر يعارضه، فهو ليس حديثا بناء"

الوزير يقول إن روسيا لا ترفض القرار ولا توافق عليه، والمسألة لا تتعلق بذلك، بل بتحديد تفاصيل القرار أولاً. وفي الخطاب "ومجلس الأمن وحده يحق له"، وهي عبارة سلطوية ترسم المشهد الفاعل وراء التحكم في مصير الدول، فمجلس الأمن هذا الغطاء الدولي، ولكنه في الحقيقة خمس دول لا غير هي وحدها التي يحق لها الفصل في ذلك.

وبعد ذلك قدم الطرف الروسي تساؤلات أخرى، حيث صرح الرئيس الروسي (١٦/ ٣/ ٢٠١١م):

"في أية حال، وحتى لو قُدم مشروع قرار أممي ينص بذلك، فيجب أن نتأكد - هل توافق الدول المجاورة لليبيا على ذلك، وإذا وافقت، يجب تحديد ما هي الدول التي ستتحمل الجزء الأساسي للمسؤولية عن تنفيذ هذا الحظر. كل ذلك يشكل مجموعة خطيرة ومعقدة من المسائل يجب النظر فيها في مجلس الأمن، وقد أعطيت التعليمات اللازمة لوزير الخارجية".

وفي الساعات التي سبقت صدور القرار صرح الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية:

" ان روسيا تعتبر ان مشروع القرار الذي يجري تداوله حاليا في مجلس الامن حول فرض حظر جوي على ليبيا يتطلب التوضيح من حيث "سبل التحكم بتنفيذ مثل هذا القرار، ومن سيقوم بتنفيذه، وباستخدام اية قوى وبأية صيغ؟ اذ ان جميع هذه الاسئلة ما تزال غير واضحة. ومن الصعب اتخاذ خطوات اضافية حتى يتم شرح هذه المسائل".

وفي هذه الأثناء كان الطرف المؤيد للحرب (أمريكا وفرنسا وبريطانيا) يفسر ذلك الطلب صراحة بأنه يعني الضربة العسكرية، فوزير الخارجية الفرنسي صرح في (١٦/ ٣/ ٢٠١١م):

" وحده التهديد باستخدام القوة يمكن أن يوقف القذافي. فمن خلال قصفه مواقع معارضيه بواسطة بضع عشرات الطائرات والطوافات التي يملكها فعلياً، استطاع الزعيم الليبي قلب المعادلة. ويمكننا القضاء على قدراته الجوية من خلال ضربات محددة الأهداف. وهذا ما تقترحه فرنسا وبريطانيا منذ أسبوعين".

فالعبارات واضحة باستخدام القوة، وأن القذافي لن يتنحى بدون استخدامها، ولن يخضع "للإرادة الدولية". فيرى وزير الخارجية الفرنسي أن هذا مقترح فرنسي بريطاني قبل أن يكون عربيا، ومن ثم فهو غير معني بالبحث عن فهم الجامعة العربية لقرار حظر الطيران.

وكان البيت الأبيض قد رحب بقرار جامعة الدول العربية دون تحفظ عليه (١٢/ ٣) "نرحب بهذا التقدم المهم للجامعة العربية الذي يعزز الضغط الدولي على القذافي ودعم الشعب الليبي". مما يدل على أن الطرف الأمريكي فسر القرار في إطار سعيه للحشد الدولي للحرب. إلا أن التساؤل الروسي اضطر الطرف الأمريكي إلى الاعتراف به، فجاء في تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية (١٥/ ٣): "ونحن نتشاور مع جامعة الدول العربية حول فهمها لأهداف وأساليب تنفيذ منطقة حظر الطيران بالإضافة إلى أشكال أخرى من الدعم".

وصدر القرار دون أن يقدم الطرف العربي تفاصيل، أو على الأقل لم يصدر بيان من جامعة الدول العربية بالتفاصيل. ومضى القرار كما أراد الطرف الأمريكي، ولم تصوت روسيا للقرار، ولم تستخدم الفيتو أيضاً ضد القرار!! وقد اعتبر المندوب الروسي أن امتناع روسيا عن التصويت إنما يعود إلى كون الأسئلة ظلت بلا أجوبة، فصرح أن (١٨/ ٣/ ٢٠١١م):

"العمل على إعداد الوثيقة لم يجر وفق النظام المطبق في مجلس الامن، ولم توجد أجوبة عن الاسئلة الملموسة والمنطقية التي طرحتها روسيا وغيرها من أعضاء مجلس الأمن، حول كيفية الاجراءات اللازمة لتطبيق نظام حظر الطيران وشروط استخدام القوة وحدوده".

ويمثل هذا النزاع جزءا من النزاع اللاحق حول تفسير قرار مجلس الأمن (١٩٧٣).

❖ ❖ ❖

رابعاً: المشاركة وعدم المشاركة في الحرب:

بعد صدور قرار مجلس الأمن (١٩٧٠)، ووضوح تفسيره لدى الطرف الأمريكي والأوروبي، كانت هناك مجموعة من التصريحات الدولية المتضاربة، لإعلان موقفها من المشاركة في الحرب أو لا.

فالأطراف المؤيدة أعلنت مشاركتها بعبارات واضحة، إذ صرح وزير الخارجية الفرنسي مثلا بوضوح: "التحرك سيبدأ خلال ساعات"، فهو لا يتحدث عن مجرد المشاركة بل إن الموضوع محسوم، ولا سيما أن فرنسا وبريطانيا هما من اقترح مسودة القرار. وكذلك إيطاليا أعلنت أنها "مستعدة لوضع قواعدها الجوية لخدمة تطبيق الحظر الجوي"، وصرحت وزير الخارجية الأمريكية قائلة:

> **"الآن، لدى أميركا قدرات فريدة، وسوف نستعملها لمساعدة حلفائنا الأوروبيين والكنديين وشركائنا العرب لوقف المزيد من العنف ضد المدنيين، بما في ذلك عبر التنفيذ الفعال لمنطقة الحظر الجوي".**

وهو تصريح حصيف، فهي لم تقل: سنشارك في الحرب، بل قالت أنها تساند الحلفاء الأوربيين والشركاء العرب، وبذلك تضع موافقتها في إطار شرعي دولي. ولعدم دلالة هذا التصريح صراحة على المشاركة الأمريكية فقد اضطر أحد الصحفيين في المؤتمر الصحفي نفسه أن يسأل وزيرة الخارجية مرة أخرى: "هل ستشارك القوات العسكرية الأميركية فعلياً في الطلعات الجوية؟ لقد قلتِ مرتين أن الولايات المتحدة سوف تدعم حلفاءنا. وأنا أتساءل إلى أي حد سيكون الاشتراك العسكري". فكان رد الوزيرة: "حسناً، أعتقد أنني سأكرر ما قلته. إننا سندعم تنفيذ القرار ١٩٧٣. لدينا قدرات فريدة نقدمها للجهود الدولية، وننوي القيام بذلك". فهي تصر على عدم تغيير عبارتها ليحتفظ التصريح بدلالته الضمنية على المشاركة في إطار دولي شرعي، ويظهر بصورة دعم وليس مشاركة، وهي بهذا تجنب نفسها كثيرا من الانتقادات حول الحرب، ولا سيما داخل أمريكا نفسها.

غير أن ذلك التحالف الدولي لم يكن أكثر من خمس دول، كما جاء في تصريح البنتاغون (١٩/ ٣): أن: "تحالفا من خمس دول، هي الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وكندا وايطاليا يشن هجمات على ليبيا بهدف شل دفاعات معمر القذافي". وهذا أمر تسبب بالحرج لأمريكا التي

تدعي أن الحرب نتيجة لتحالف دولي، ومن ثم فالمعركة التي كانت تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية هي في كسب مزيد من الحلفاء في الحرب، ولا سيما الطرف العربي، ولذلك بدا التبرم في تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية من الموقف العربي، كما في تصريحها (١٩/ ٣):

"لقد قلنا منذ البداية ان القيادة والمشاركة العربية في هذه الجهود حاسمة، وأظهرت الجامعة العربية من خلال بيانها المحوري حول ليبيا ما الذي يعنيه ذلك. أدى هذا إلى تغيير المشهد الدبلوماسي. لقد بعثوا برسالة قوية أخرى عن طريق حضورهم هنا اليوم، ونحن ننظر إليهم لمواصلة القيادة كما والمشاركة والشراكة النشطة في المستقبل.

لقد كررت مع الشيخ عبدالله ورئيس الوزراء حامد بن جاسم التأكيد على شراكتنا القوية والدائمة. فالولايات المتحدة لديها التزام دائم بالنسبة لأمن الخليج كما ان أولويتنا الرئيسية هي العمل معاً مع شركائنا حول هواجسنا المشتركة المتعلقة بالسلوك الإيراني في المنطقة. إننا نتشاطر وجهة النظر القائلة ان نشاطات إيران في الخليج، بما في ذلك جهودها لتقدم أجندتها في البلدان المجاورة لها، تقوّض السلام والاستقرار. شركاؤنا في الخليج أساسيون بالنسبة لجهود المجتمع الدولي بخصوص ليبيا ونحن نشكرهم لقيادتهم".

في الفقرة الأولى تؤكد أهمية المشاركة العربية، وكيف أن قرار الجامعة غير المشهد السياسي، وفي هذه العبارة توضح لماذا الاهتمام الأمريكي، فالمشهد السياسي يحتاج في تغييره إلى شرعية عربية. ثم تأكيدها "ونحن ننظر إليهم لمواصلة القيادة..."، فالوزيرة تقول إن هناك تلكؤا، والمطلوب مواصلة القيادة والشراكة، وربط الأفعال بالأقوال.

وفي الفقرة الثانية أقحمت الحديث عن الشراكة العربية (الخليجية بالذات) مع الشراكة الأمريكية، وتحدثت عن التزام أمريكا بأمن الخليج ضد الخطر الإيراني. ورغم أن السياق ليس سياق الحديث عن هذا، فقد كان من الواضح أنها ترسل رسالة للخليجيين بضرورة الدعم المادي، وليس الاقتصار على القرار. كما أن الحديث عن إيران يبطن رسائل تهديدية للشركاء العرب، بأن عليهم المشاركة في التحالف الدولي وإلا فإن التزام أمريكا (الدولة القائدة في العالم) تجاههم سيعاد النظر فيه.

ويؤكد هذا التبرمَ وهذه الرسائلَ سؤالٌ وجهه أحد الصحفيين للوزيرة في المؤتمر الصحفي الذي عقدته بعد التصريح:

سؤال: السيدة الوزيرة، لقد ذكرتِ مرتين هنا ان القيادة والمشاركة العربية هامة وأساسية. هل تعرفين بالضبط ما هي تلك القيادة والمشاركة الآن على وجه التخصيص وما هي البلدان التي سوف تفعل ذلك؟

الوزيرة كلينتون: حسناً، اعتقد ان وجود التمثيل الذي كان متواجداً حول الطاولة اليوم، والبيانات القوية جداً التي أدلى بها الممثلون العرب هامة للغاية. لكنني سوف أترك الأمر لهم للإعلان عن مساهماتهم. أعتقد ان هذه هي الطريقة الملائمة لتوفير أية معلومات إضافية.

سؤال: أرجو المعذرة. لكنك تتوقعين شيئاً ما أكثر من مجرد حضورهم حول الطاولة. لقد وعدوا...

الوزيرة كلينتون: نعم، إننا نتوقع أكثر.

الحوار واضح وصريح، وإجابة الوزيرة (نتوقع أكثر)، تكشف عن التبرم الأمريكي من الموقف العربي.

لقد كان هاجس توسيع الائتلاف، والحصول على الدعم اللوجستي العرب، والمشاركة الفعلية – حاضراً بقوة في خطاب الطرف الأمريكي. بل إن إعلانات الدول العربية المشاركة لم نسمعها مباشرة من وزراء خارجية العرب، بل من الأمريكان والأوربيين، ففي (٢٣/ ٣) أعلن رئيس الوزراء البريطاني أن "الكويت والأردن سيقدمان دعماً لوجستياً للعمليات الدولية في ليبيا".

خامساً - الخلاف في تفسير قرار مجلس الأمن:

حدث خلاف بين الطرف الأمريكي من جهة والطرف الروسي والألماني من جهة أخرى في تفسير الشرعية التي منحها مجلس الأمن بقراره (١٩٧٣)، فالطرف الأمريكي اعتبر أن ذلك تفويض من المجتمع الدولي باستخدام القوة لفرض القرار، كما أفادت تصريحاتهم، التي أوردتها. أما الطرفان الروسي والألماني فكان لهما موقف آخر. فالتصريح الروسي (٢٠/ ٣/ ٢٠١١م) يرى أن القرار اتخذ "على عجل"، وأنه أسيء استغلاله فهو لا يعطي تفويضا باستخدام القوة عشوائيا، وأنه خطوة مشكوك فيها منذ البداية... إلخ. والتصريح الألماني (١٨/ ٣/ ٢٠١١م) يبين أنهم لم يصوتوا على القرار بسبب أن القرار مفتوح التأويل، وعبر عن ذلك بارتيابه من استخدامه ذريعة للتدخل العسكري.

كما أن روسيا شككت في نوايا اتخاذ القرار، واتهمت أمريكا والدول الغربية بسوء استغلاله... إلخ، وكان هذا تصعيدا خطابيا ضد الطرف الأمريكي والأوروبي، وبلغت ذروة هذا التصعيد في تصريح رئيس الحكومة آنذاك بوتين (٢١/ ٣/ ٢٠١١م):

"القرار فيه نواقص وعيوب ويسمح بالتدخل الأجنبي في شؤون دولة مستقلة ويذكر بالدعوات إلى الحملات الصليبية في القرون الوسطى".

فهو يطعن في إجراءات اتخاذ القرار (نواقص وعيوب)، ويطعن في دوافعه (يسمح بالتدخل الأجنبي)، ويطعن في أهدافه، حيث يستدعي التاريخ ومشهد "الحملات الصليبية" التي قادتها الدول الأوروبية ضد العالم المسلم. ويكشف النظرة الروسية إلى ما تقوم به دول التحالف، فهي لا تعدو أن تكون حرباً دينية بين حضارتين، تتستر بلباس الدفاع عن حقوق الإنسان. كما أن الخطاب الروسي يبدو كما لو أنه تحول إلى خطاب المراقب والمحاسب للدول المشاركة في الحرب.

وقد أزعجت هذه الحدة الأطراف الأخرى التي تجاهلت التصريح ولم ترد عليه؛ حتى لا يتأجج الموقف في مكان آخر، ولذلك جاء الرد من الرئيس الروسي نفسه بعد ساعات:

"لا أعتبر هذا القرار خاطئا، إنه يعكس عموما فهمنا لما يحدث"... "لا يمكن في أي حال من الأحوال استخدام عبارات مثل "الحملات الصليبية" وغيرها تؤدي إلى تصادم الحضارات. إن ذلك أمر غير مقبول"... "كل ما يحدث في ليبيا يتعلق بالتصرفات الهمجية للقيادة الليبية وتلك الجرائم التي ارتكبتها بحق شعبها"... "انطلاقا من ذلك نحن أيدنا القرار رقم ١٩٧٠ ومررنا القرار رقم ١٩٧٣ لمجلس الأمن الدولي، وذلك تحديدا بهدف حماية السكان المدنيين والحيلولة دون تصعيد النزاع".

يرفض الرئيس الروسي تصريحات بوتين، ويقرر أولا أن القرار غير خاطئ، وليس كما قال بوتين "فيه نواقص وعيوب"، وأن روسيا وافقت بوعي عليه، وإلا كانت قادرة على عدم تمريره. لقد فُهم من تصريحات المندوب الروسي ورئيس الوزراء أن روسيا خضعت لأمر ما، فطالما أن القرار خاطئ فلماذا مررته روسيا. إلا أن الرئيس الروسي حاول أن يعيد التوازن إلى الموقف، وأن يبين أن روسيا لا زالت قوية، ولن تمرر شيئا إلا بإرادتها... إن هذا يعكس الصراع الذي كان يدور بين صناع القرار الروسي.

كما أن الرئيس الروسي يرفض مصطلح "الحملات الصليبية"، فهي ستشعل الفتنة، وذلك "أمر غير مقبول". وحمل النظام الليبي مسؤولية الحرب، فالحرب إذن ليست عدوانا صليبيا، ولكنها دفاع عن الحقوق الإنسانية، ومعاقبة لمرتكبي الجرائم. على أي حال، فالتصريح يحاول إعادة الكبرياء لروسيا، وعدم إظهارها بمظهر الضعف، كما أنه يعيد التوازن إلى الخطاب الروسي الذي كاد يتحول إلى "خطاب المراقب والمحاسب" ليس ضد النظام الليبي، وإنما ضد الطرف الأمريكي والأوروبي المشارك في الحرب. فأعاد الرئيس الروسي توازن المشهد مقررا أن النظام الليبي هو المدان، وهو من يتحمل المسؤولية، وأن القرار الدولي جزء من تنفيذ العقوبة عليه.

بعد ذلك تراجع رئيس الحكومة "بوتين" عن تصريحاته، فقد قال المتحدث باسمه يوم (٢٢/ ٣/ ٢٠١١م):

"نحن نتحدث عن مستوين مختلفين للتقييم، إن تقييم بوتين الاخير للوضع في ليبيا يعبر عن وجهة نظره الخاصة، وأن موقف الرئيس مدفيديف حول ليبيا هو الموقف الرسمي الوحيد لروسيا الاتحادية، وهو الذي يلتزم به الكل".

وصرح بوتين نفسه في مؤتمر صحفي (٢٢/ ٣/ ٢٠١١م):

"في ما يتعلق بوحدة الرأي أو عدمه داخل القيادة الروسية بشأن ليبيا، فإن الرئيس عندنا هو الذي يقود السياسة الخارجية، ولا يمكن أن يحصل تباين على هذا الصعيد"... "اذا كنتم مهتمين بمعرفة ما إذا كان موقفي من هذه الأحداث يختلف عن موقف مدفيديف، أؤكد لكم أننا قريبان جدا وهناك تفاهم متبادل بيننا. ويتعين على الرئيس تحديد موقف البلاد في تعابير مناسبة"... "والأهم في الوقت الراهن هو التفكير في ضحايا الحرب الجارية في هذه البلاد والقصف الغربي لأراضيها".

يحاول المتحدث في التصريح الأول إعادة لملمة الموقف، والظهور بمظهر التوافق أمام العالم، ولكنه في الوقت نفسه ينزع عن رئيس الحكومة حق التعبير عن الموقف الرسمي الخارجي، ومن الواضح أن الارتباك في الموقف الروسي ينبئ عن وجود أشياء خلف الكواليس ونزاعات داخلية سمحت بتمرير القرار، وكأن روسيا أفاقت بعد ذلك وبدأت تمارس خطاب المراقب والمحاسب لأمريكا والدول الغربية. والعبارة الأخيرة لبوتين "والأهم من ذلك.." يحاول فيها إعادة توجيه البوصلة، ونقل التركيز من نقطة الخلاف الروسي إلى النظر في ضحايا الحرب، وهو بذلك يعبر

عن رفضه لتصريح الرئيس، غير أنه لم يرد إظهار ذلك، فعبارات التوافق ليست إلا لذر الرماد في العيون.

وبالرغم من هذا التباين، ومحاولة الظهور بمظهر التوافق، إلا أن الطرف الروسي عاد ليتبنى خطابا مختلفا، وهو خطاب المحاسب، فقد صرح بوتين بعد يوم واحد (٢٣/ ٣/ ٢٠١١م):

> **"إن قرار التحالف الخاص بفرض منطقة حظر جوي إزاء دولة ذات سيادة هو قرار صعب، لكنه ذو هدف نبيل"... "وهناك قلق بشأن سهولة اتخاذ القرارات بشأن استخدام العنف في الشؤون الدولية في السنوات الأخيرة".**

يدين بوتين القرار هنا، ويحاول تغليف الإدانة حتى لا يسبب إحراجاً لروسيا، بقوله إن القرار "ذو هدف نبيل"، فلم يعد هدفه "ألتدخل الأجنبي"، أو "حربا صليبية"... بل أصبح ذا "هدف نبيل". هو يدرك التناقض في تصريحاته، ولكنه يحاول الحفاظ على ماء وجهه، ثم يهاجم مرة أخرى الطريقة التي تم بها اتخاذ القرار، حيث اتخذ على عجل، ويبدي قلقه إزاء ذلك.

وقد أدان وزير الخارجية الروسي في تصريحه بتاريخ (٢٨/ ٣/ ٢٠١١م)، التدخل الدولي، واعتبر أنه أساء استخدام القرار، فهو يخوض حربا "لم يمنح قرار مجلس الامن الدولي صلاحيات بخوضها"، ودعا إلى المحاسبة للضحايا الذين سقطوا نتيجة "غارات التحالف". وأكد أن الهدف هو حماية المدنيين وليس التدخل في حرب بين طرفي النزاع، وهو بهذا يحاول الحفاظ على هيبة روسيا التي وافقت على القرار، فهي وافقت بوعي أن القرار يهدف إلى حماية المدنيين وليس إلى إسقاط القذافي "تلك الصلاحيات تهدف الى حماية المدنيين وليس المشاركة في الحرب الى جانب احد اطرافها، اذ إنه هناك فرق بين اسكات وسائل الدفاع الليبية وضرب ارتال القوات التابعة لزعيم الجماهيرية"، ومن ثم فما يحصل إنما هو سوء فهم من الدول الغربية للقرار، ويؤكد ذلك بقوله "يجب على الاسرة الدولية ان تدرك بان الاحداث تجرى هناك على هذا النحو" [أي: نحو الحرب الأهلية]، إذن فالخلل ليس في إدراك روسيا، وإنما في إدراك "الأسرة الدولية".

خاتمة الفصل

عني هذا الفصل بتحليل استراتيجيات التواصل في خطاب النزاع، وذلك بالنظر إلى قصدية المتكلم، حيث صنفت الوظائف التواصلية وفقا لنموذج (دائرة الوظائف التواصلية)، ويشتمل على ثلاث وظائف: (أنّ تعرف)، و(أن تُصدّق)، و(أنّ تفعل). وقد ركز هذا البحث في الوظيفة التواصلية الثالثة (أن تفعل)، فدرست استراتيجيات التوجيه في خطاب النزاع.

وقد أظهرت نتائج تحليل العينة، أن الأطراف المتنازعة تستخدم في خطاب النزاع أربع استراتيجيات تعبيرية، الأولى: التوجيه الظاهر المباشر الصريح، كالأمر والنهي والتحذير والتهديد والتحفيز، والثانية: التوجيه الظاهر المباشر غير الصريح، كالتوقع الصريح والتوقع الوصفي والتوقع التهكمي، والشرط، والتوجيه المؤطر، والثالثة: التوجيه الظاهر غير المباشر، إما بتوجيه الذات من خلال الالتزام أو الوعد، أو توجيه أطراف أخرى غير الطرف الثاني، والرابعة: التوجيه الخفي (غير الظاهر)، من خلال النموذج القيمي أو العلمية أو رفض نموذج الآخر.

كما تبين من تحليل العينة أن الأطراف المتنازعة تتبنى آليتين لإعادة صياغة نماذج الهوية والتنميط، وهما: العولمة: (تحويل نموذجه إلى العالمية)، والثانية: التوجيه (استلاب نموذج الآخر، وإعادة صناعته). وبتحليلي لخطاب النزاع، تبين أن ثمة خمس استراتيجيات قصدية تستخدم في (آليتي العولمة والتوجيه)، وهي: عولمة/ توجيه الانتماء، وعولمة/ توجيه الفعل، وعولمة/ توجيه المصير، وعولمة/ توجيه القيم، وعولمة/ توجيه الإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات).

كما تبين من خلال تحليل قرار مجلس الأمن (١٩٧٣)، كيف يفرض المجلس سلطته وهيمنته من خلال بنية القرار نفسها، وكيف تتجلى تلك الهيمنة في الصيغ التوجيهية، والاستراتيجيات القصدية، والوظائف التواصلية. فثمة فاعل دولي يسجل حضوره ومتابعته ومراقبته، ويتخذ قراراته بانتظام، ويبدي التزاماته تجاه القضايا العديدة. وقد تبين أن الوظيفة التواصلية الغالبة في القرار هي وظيفة التوجيه ولا سيما متن القرار، أما مقدمة القرار فقد اشتملت على وظيفتي المعرفة والتصديق. وقد اشتملت مقدمة القرار على ستة أفعال كلامية: إشارية، وإشادة، وطلبية، والتزامية، واستنكارية، وتسويغية، وأما متن القرار فاشتمل على: أفعال التفويض، وأفعال

التكليف، والأفعال الطلبية، والأفعال الالتزامية، والأفعال الإلزامية، وأفعال موطئة. وقد تفاوتت مستويات التوجيه من حيث قوتها، فالأفعال الإلزامية تأتي في المرتبة الأولى، تليها أفعال التفويض، ثم التكليف، ثم الطلبية.

وبتحليل عينة النزاع في ليبيا بين طرفي النظام والمعارضة، تبين اتكاء المعارضة في المرحلة الأولى على الصوت غير اللغوي (مظاهرات، ثم مقاومة مسلحة)، ولم يبدأ الصوت اللغوي إلا متأخرا بعض الشيء، وكان مستواه التصعيدي قويا، حيث رفض الحوار ودعا إلى التنحي، مستفيدا من التصعيد الذي تجلى في الصوت غير اللغوي. وأما صوت النظام فكان على العكس من ذلك، إذ بدأ قويا سواء على مستوى الصوت اللغوي أو غير اللغوي، ثم مر بمراحل متذبذبة، ولم يعكس خطا أحاديا سواء في التصعيد أو التهدئة.

وبتحليل صوت الطرف الثالث في النزاع، فقد استنتجت من العينة أن التصعيد مر بخمسة مستويات: (١) خطاب المراقب، (٢) خطاب المحاسب، (٣) خطاب المعاقب، (٤) خطاب المحارب، (٥) خطاب المنتصر. هذه المستويات الخطابية تمثل مراحل تصعيدية أيضاً، يتم في ضوئها تحليل الصوت اللغوي وغير اللغوي.

خطاب المراقب يحاول أن يقف موقفا محايدا من الأطراف، ويستخدم التعبيرات الوجدانية، كالشعور بالقلق إزاء الوضع، والتعبير عن مواساة ضحايا العنف، وتذكير أطراف النزاع بمسؤوليتها، ومناشدتها باحترام الحقوق، وقد يدين استخدام العنف دون أن يسمي طرفا.

وأبرز الوظائف التواصلية في خطاب المحاسب: استخدام لغة المحاسبة على الفعل، والتهديد بالعقوبة جراء التمادي في الفعل، والطلب الصريح بالانصياع. كما يتميز بكونه يسمي الطرف المدان بوضوح، ويحمله مسؤولية الانتهاكات، كما يضع فعله في إطار دولي، فالمجتمع الدولي يؤيده ويقف معه، وسيحاسب أيضاً معه... إلخ.

وتتمثل وظائف خطاب المعاقب في نزع شرعية الطرف الآخر، ومن ثم اتخاذ عقوبات تجاهه؛ لأنه أصبح معتديا على الشرعية، والعقوبات تعد تهديدا بالفعل وليس بالقول، لعل ذلك يثني الطرف المعاقَب عن موقفه، ويدفعه إلى الرضوخ للمطالب المفروضة عليه، ويسمي عقوبات محددة، ويصعد في استخدام لغة التهديد بصورة صريحة.

وأما خطاب المحارب، فيكون في مستويين، الأول: التمهيد للحرب (دق الطبول)، والثاني: الحرب. فالوظائف التواصلية في مرحلة التمهيد للحرب تتمثل في الالتزامات، وحشد الشرعية للحرب، والتحرك في ظل الشرعية الدولية، والإنذار الأخير ووضع شروط الاستسلام، وتحديد خطوات الفعل القادمة. وأما الوظائف التواصلية في خطاب الحرب فتتمثل في: الإعلان عن الحرب، والإعلان عن أهدافها، ومتى يمكن أن تتوقف، ووصف الفعل، وإطلاع الناس على سير الحدث، والحديث عن أن الفعل يسير ضمن الإطار المرسوم، ويحقق أهدافه، وإضفاء الشرعية المستمرة على الفعل، وتحميل الطرف الآخر مسؤولية الفعل، والنافذة المفتوحة للخصم، والتفتيت الممنهج لقوة الخصم.

أما خطاب المنتصر فتمثل في مجموعة من الاستراتيجيات: المغرور، والمستوعِب، والمنقذ، والناجح.

الفصل الثالث: الإطار الحجاجي

- المبحث الأول: الحجاج
- المبحث الثاني: الحوارية
- خاتمة الفصل

المبحث الأول: الحجاج

- المطلب الأول: مدخل نظري
- المطلب الثاني: الحجاج في خطاب طرفي النزاع
- المطلب الثالث: الحجاج في خطاب الطرف الثالث
- المطلب الرابع: دراسة عينة: الحجاج في قرار مجلس الأمن ١٩٧٣

المطلب الأول: مدخل نظري

أولاً - الحجاج فعل لغوي سلطوي:

الحجاج في حقيقته وظيفة من وظائف التواصل، حيث يهدف المرسل إلى إقناع المخاطب برسالة ما، وفي الوقت نفسه فهو أداة من أدوات السلطة؛ إذ يهدف المرسل إلى التأثير في المخاطَب، وتغييره بالقوة الناعمة. ومن ثم فهاتان المقولتان (الحجاج فعل لغوي، وفعل سلطوي)، هما الأساس الذي ينطلق منه التحليل الحجاجي.

(١) الحجاج فعل لغوي:

من المنظور اللغوي، يرى الفيلسوف الفرنسي أوزفالد ديكرو أن الحجاج فعل لغوي، فنحن "نتكلم عموماً بقصد التأثير"، واللغة بطبيعتها ذات وظيفة حجاجية، ومؤشرات هذه الوظيفة الحجاجية متمثلة في بنية الأقوال اللغوية نفسها، وفي تسلسلها داخل الخطاب؛ حيث إن الحجاج يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها حجج وبعضها نتائج. فالطابع الحجاجي للغة يقوم على المنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني (نقلا عن: العزاوي، ٢٠٠٦، ص ١٤).

وقد قام ديكرو بتطوير نظرية الفعل الكلامي، واقترح إضافة فعل الحجاج إليها، ويعرفه بأنه "فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات". ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره. (نقلا عن: العزاوي، ٢٠٠٦).

(٢) الحجاج فعل سلطوي:

ومن المنظور الفلسفي، فإن عديدا من الفلاسفة يعدون الحجاج عملية شرعنة، سواء لإضفاء الشرعية على موقف أو فكرة ما، أم لنزع الشرعية عنها. وبذلك فللشرعنة طريقان: الأول: نزع الشرعية عن مرجعيات مرفوضة، والثاني: إضفاء الشرعية على مرجعيات مرغوبة. فنزع الشرعية يعطي المتحدث مبررا لما يتخذه من إجراءات وأعمال ضد الطرف الآخر، وإضفاء الشرعية على

أقواله وتصرفاته يمنحه مبررا لما يقول أو يفعل. إذن يقوم المتحدث من خلال الشرعنة بعملين في الوقت نفسه، هدم لمرجعيات وبناء لمرجعيات أخرى. واستخدام الشرعنة في خطاب النزاع إنما هو صراع سلطوي رمزي بين أطراف النزاع، كل منهم يشرعن لمرجعيته التي يريد إقامتها على أنقاض المرجعيات الأخرى.

وقد رأى "انجلز" أن التبرير إحدى وظائف الأيديولوجيا، وأنه "يتوجه ليس إلى الفاعل السياسي، ولكن إلى المتعاطفين، والأنصار المحتملين" (سبيلا، وبنعبد العالي، ٢٠٠٦، ص٥٣). وأعتقد أن التبرير يتوجه أيضاً إلى الفاعلين السياسيين، كما في خطابات النزاع، حيث يبرر القائل الفعل أو الإجراء الذي يتخذه تجاه الآخر، وتبني على هذا التبرير أطرافٌ فاعلة ثالثة تحدد مواقعها في النزاع، ويعطيها التبريرُ شرعيةً لمواقفها.

فالحاجة إلى الشرعنة سببها الطابع الرسمي للسلطة، حيث تفترض وجود قواعد مؤسسية على السلطة الاجتماعية، كما يحدد ذلك القانون أو الأنظمة أو الحقوق والواجبات، التي تضع حدوداً لصناعة القرار المؤسسي. ومن ثم فكل أولئك الذين لا يمتلكون سلطة مطلقة يحتاجون عادة إلى تبرير أفعالهم، وحتى الدكتاتوريون (ذوو السلطات المطلقة) يحتاجون إلى ذلك أيضاً (van Dijk, 1998, p256).

ويرى ريكور أنه لا يمكن محو الشرعنة من الحياة الاجتماعية؛ لعدم وجود نظام اجتماعي يعمل بفعل القوة وحدها. ومن ثم يسعى كل نظام اجتماعي إلى الحصول على الموافقة ممن يحكمهم، وهذه الموافقة هي ما يضفي الشرعية على الحكم (ريكور، ٢٠٠٢، ص١٤).

ويكاد الفيلسوف الألماني ماكس فيبر يقصر وظيفة الأيديولوجيا على إضفاء الشرعية على السلطة القائمة -في مقابل اليوتوبيا التي تحاول أن تقدم حلولا بديلة لنظام القوة القائم (ريكور، ٢٠٠٢، ص٢٧٤). ويرى فيبر أن بنية القوة للدولة تعتمد على "ادعائها احتكار الاستخدام الشرعي للقوة المادية في فرض نظامها" (ريكور، ٢٠٠٢، ص٢٧٦).

ثانياً - إطار التحليل الحجاجي (الإطار الشجري الهرمي):

(١) نظرة عامة للإطار:

يقتضي تحليل الحجاج في الخطاب النظر في الحجاج بوصفه فعلاً لغوياً وسلطوياً، وعدم الاقتصار على أحدهما، ومن ثم فإن هناك مجموعة مهمة من الأسئلة على المحلل للإطار الحجاجي أن يجيب عنها، وهي:

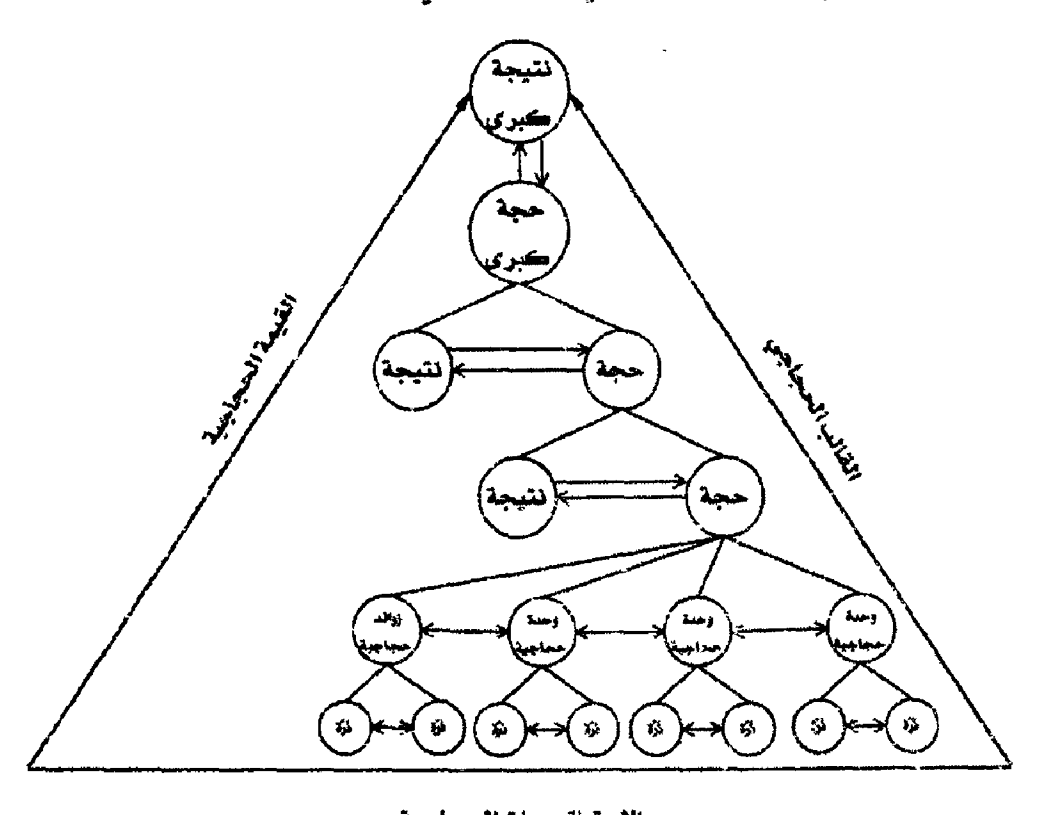
- ما العناصر الحجاجية؟ وكيف يتم الربط بينها؟ وكيف يكون تراتبها؟

- ما القالب الحجاجي؟ ولماذا تم اختياره؟ وما أثره في القيمة الحجاجية؟

- ما علاقة القيم التواصلية (المعرفية والتوجيهية) بالقيمة الحجاجية؟

- ما الاستراتيجيات الحجاجية التي اتبعها المرسل؟

ستكون هذه الأسئلة مرتكزات "الإطار الشجري الهرمي" لتحليل الحجاج، وهو إطار يقترحه الباحث، ويمكن تمثيل هذا الإطار في الشكل التالي:



شكل (١١): الإطار الشجري الهرمي لتحليل الحجاج في الخطاب

يطرح مفهوم "الإطار الشجري الهرمي" نوعين من العناصر، العناصر الداخلية (الشجرية)، والعناصر الخارجية (الهرمية).

العناصر الداخلية:

تتشابك العناصر الداخلية (الشجرية) في مجموعتين من العلاقات:

- العلاقات الرأسية: الذرّات تُكَوّن وحدة، والوحدات تُكَـوّن حجـة، والحجـة (أو الحجـج) تؤدي إلى نتيجة، والحجة والنتيجة تُكَوّن حجة لنتيجة أخرى... وهكـذا تتعـدد المستويات رأسيا؛ حتى نصل إلى الحجة الكبرى، والنتيجة الكبرى.

- العلاقات الأفقية (المستوى الحجاجي): الروابط بين العناصر الحجاجية، والتراتبيـة داخـل المستوى الحجاجي الواحد. فثمة ثلاثة أنواع من الروابط:

* الأول: الربط بين العناصر الحجاجية المتماثلة في المستوى الحجاجي نفسه، وقد رمزت إليه في الشكل بـ (←→ كأن تربط بين ذَرّتين، أو بين وحدتين، أو بين حجتين... إلخ.

* الثاني: الربط بين العناصر الحجاجية المختلفة في المستوى الحجـاجي نفـسه، وأقـصد بهـا الحجة والنتيجة، وقد رمزت إليها في الشكل بـ (⇄. والروابط هنا قد تكون سببية، أو استنتاجية، بحسب اتجاهها، هل تتجه من الحجة إلى النتيجة أو العكس.

* الثالث: الربط بين العناصر الحجاجية في المستويات الحجاجيـة المختلفـة. هـذه الـروابط تختص بالربط بين مـستوى حجـاجي ومـستوى آخـر، كـالربط بـين الـذّرات والوحـدة الحجاجية، أو الربط بين الوحدات الحجاجية والحجة، أو الربط بين الحجة ونتيجتها ومـا أدت إليه من حجة أخرى.

العناصر الخارجية:

وأما العناصر الخارجية (الهرمية)، فهي ثلاثة عناصر:

- القيمة الحجاجية.
- القالب الحجاجي، كقالب السرد، أو الحوار.. إلخ، والصيغ التعبيرية عن الحجاج.
- الاستراتيجيات الحجاجية.

تمثل القيمة الحجاجية الإطارَ المرجعي الـذي يحـدد مـسارات الحجـاج، في حـين أن القالـب الحجاجي يمثل الإطار الشكلي والتعبيري للحجاج في الخطاب، أمـا الاسـتراتيجيات الحجاجيـة فتمثل القاعدة التي يستند إليها المحاجج في خطابه، وفي ضوء هذا المثلث الهرمي يتم الكشف عـن العلاقات الحجاجية الداخلية في الخطاب.

❖ ❖ ❖

(٢) عناصر الإطار:

الإطار يتألف من عنصر داخلي وهو العلاقات الحجاجية (الرأسية والأفقية)، وثلاثة عناصر خارجية، وهي: القيمة الحجاجية، والقالب الحجاجي، والاستراتيجيات الحجاجية.

أ- العنصر الأول: العلاقات الحجاجية:

أ-١- العلاقات الرأسية:

العلاقات الرأسية للإطار الشجري الهرمي، تشتمل على: الذَّرَّة الحجاجية، والوحدة الحجاجية، والزوائد الحجاجية، والحجة، والنتيجة، والمستوى الحجاجي.

تمثل الذَّرَّة الحجاجية، العنصر الأولي للتحليل الحجاجي، فهي أصغر عنصر في المقولات الحجاجية. وهو عنصر غير مستقل بذاته، بخلاف الوحدة الحجاجية التي تتكون من ذرّة فأكثر، ثم تترابط الوحدات الحجاجية لتكون حجة. وبمجموعها تثبت نتيجة ما، ثم تتحول هذه النتيجة مع وحداتها الحجاجية لتكون حجة لنتيجة أكبر... إلخ.

وتمثل الذّرّات الحجاجية مستوى أوليا، فيما تمثل الوحدات الحجاجية مستوى ثانيا، وتمثل الحجج المستوى الثالث... إلخ، ومن ثم ينشأ مفهوم "المستوى الحجاجي"، وهو مفهوم مهم في تحديد نوعية الروابط بين العناصر الحجاجية، كما سيأتي معنا.

وتمثل الوحدة الحجاجية مع ذرّاتها الحجاجية أسرة حجاجية مستقلة، كما أن الحجة مع وحداتها الحجاجية تمثل أسرة حجاجية أكبر، وهكذا...

ومن أمثلة ذلك، ما جاء في قرار مجلس الأمن ١٩٧٣، الخاص بالشأن الليبي، في إحدى فقرات المقدمة: (وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين)، فالفعل التواصلي (وإذ يعرب عن القلق البالغ) هو نتيجة احتج لها منشئ القرار بحجة (الوضع المتدهور والعنف تجاه المدنيين)، وتتألف هذه الحجة من ثلاث وحدات حجاجية، هي: (١) تدهور الوضع، و(٢) تصاعد العنف، و(٣) الخسائر الفادحة في صفوف المدنيين. فهذه الأدلة تبرر إذن القلق البالغ.

وإذا تم النظر في كل وحدة حجاجية، فنجد أن الوحدتين الأوليين مركبان إضافيان، تم إضافة مصدر الفعل (تدهور، تصاعد) إلى الاسم المرتبط بكل منهما. والوحدة الثالثة وصفية (الخسائر الفادحة)، والصفة ذرّة حجاجية، زادت في الحجاج العاطفي، فهي ليست مجرد خسائر بل خسائر

فادحة، ثم الذرّة الحجاجية الأخرىٰ، وهي تسمية ضحايا العنف، وهم: المدنيون. ومن ثم فالوحدة الحجاجية الثالثة اشتملت علىٰ ذرّتين حجاجيتين. (الصفة، وتحديد المفعول). واشتملت الوحدة الحجاجية الأولىٰ علىٰ ذرتين حجاجيتين معجميتين، تمثل في استخدام لفظ (تدهور) بصيغة المصدر، وهذا يفصح عن الحال الذي وصل إليه الوضع، واستمرار التدهور.

وتمثل هذه الوحدات الحجاجية في مجموعها حجة واحدة، وهي أن ثمة عنفاً وخسائر في صفوف المدنيين، والنتيجة أن هذا يقلق مجلس الأمن قلقا بالغا. ثم إن هذه الحجة مع نتيجتها تتحول إلىٰ حجة أخرىٰ، فـ(قلق مجلس الأمن) حجة ضمن مجموعة من الحجج بشأن الانتهاكات الليبية ومسؤولية المجلس تجاهها، وهكذا حتىٰ تنتهي فقرات مقدمة القرار إلىٰ حجة كبرىٰ، ثم يأتي المتن بنتيجة كبرىٰ.

يرىٰ ديكرو أن الحجة عنصر دلالي يقدمه المتكلم لمصلحة عنصر دلالي آخر، وقد تكون فقرة أو نصا أو مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي... وقد تكون ظاهرة أو مضمرة (العزاوي، ٢٠٠٦، ص١٨).

غير أن الحجة – كما يتبين من خلال العرض السابق، ليست عنصرا دلاليا أوليا، بل هناك مستويان من العناصر تحتها، ومن ثم يمكن تعريف الحجة أنها: **مجموعة من العناصر الحجاجية التي تتألف إما من وحدات حجاجية فقط، أو من وحدات حجاجية وزوائد حجاجية**، وأقصد بالزوائد كل ما يستخدم لدعم الوحدات الحجاجية من إيضاح أو تكرار أو استطراد، وإيضاحها قد يكون بالتعريف أو الوصف أو الموازنة أو التصنيف أو ذكر الشواهد أو التمثيل.

فمثلا: في قرار مجلس الأمن ١٩٧٣ (وإذ يدين الانتهاكات الجسيمة والممنهجة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري، والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة).

هذه الفقرة حجاجية، تتألف من نتيجة (وهي إدانة المجلس الدولي)، وحجة، فالإدانة بسبب الانتهاكات الممنهجة لحقوق الإنسان في ليبيا. فحدوث هذه الانتهاكات حجة لما ترتب عليها من نتائج. وتتكون هذه الحجة من وحدتين حجاجيتين + زوائد حجاجية. الوحدتان هما (١) الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، (٢) الانتهاكات الممنهجة لحقوق الإنسان، فالواو ربطت بين وحدتين حجاجيتين، وتم الاستغناء عن إعادة الموصوف. وتمثل الصفة (الجسيمة، الممنهجة) ذرّة حجاجية تحدد طبيعة الانتهاكات، وتمثل تحديد المتعلق الانتهاكات (حقوق الإنسان) ذرّة حجاجية ثانية. والزوائد الحجاجية (بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري،

والتعـذيب، والإعـدام بـإجراءات مـوجزة)، فهـذا إيـضاح حجـاجي جـاء دعـما للوحـدتين الحجاجيتين، فهو أقرب ما يكون إلى التفسير، فهـذه الأمـور تـبرر اسـتخدام لفـظ (الانتهاكـات الجسيمة والممنهجة)، وفي الوقت نفسه تقدم أمثلة وشواهد، ويستخدم مصطلحات قانونية محددة ومعروفة في القانون الدولي: الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري...إلخ. وبهذا يمكن النظر في هذا الإيضاح بأنه حجاج داخلي، أو حجاج تمهيدي للحجة اللاحقـة. واسـتخدم الـرابط (بـما في ذلك)، ليربط بين الوحدات الحجاجية والأمثلة المذكورة لإيضاحها.

من خلال هذا المثال، وبقية الأمثلة التي سأتناولها في آخر المبحث عند تحليل قرار مجلس الأمن ١٩٧٣، يتبين أن النتيجة عنصر حجاجي مرن، فقد تكون نتيجة بالنسبة إلى حجة مـا، ثـم يحـدث تحول لمجموع النتيجة والحجة لتصبح حجة من مستوى أعلى تـؤدي إلى نتيجـة أخـرى، وهكـذا، بحسب السياق، والبنية العامة للحجاج.

إن الخطاب لا يتبع طريقة معينة في الانتقال بين العلاقات الرأسية، فقد يبدأ من الحجة ثم يتجه نزولا إلى وحداتها الحجاجية، ثم إلى ذراتها، ثم يعود إلى النتيجة. وقد يبدأ من النتيجة ثـم يتحـرك باتجاه الحجة... إلخ، ثم يصعد إلى حجة أخرى، وهكذا يتدرج في الصعود حتى يصل إلى النتيجـة الكبرى، أو العكس. فحركة الانتقال بين العنـاصر الحجاجيـة تتوقـف عـلى الاسـتراتيجية التـي يختارها منشئ الحجاج؛ لبناء قضيته التي يحاجج لأجلها.

أ-٢- العلاقات الأفقية:

تحليل العلاقات الأفقية للعناصر الحجاجيـة الداخليـة، يعنـى بـشيئين، الأول: الـروابط بـين العناصر الحجاجية، والثاني: تراتبية العناصر الحجاجية داخل المستوى الحجاجي الواحد.

أ-٢-١- الروابط الحجاجية:

تبين لنا من الشكل (١٢)، أنه تم استخدام ثلاثة أنواع من الروابط،

النوع الأول: الربط بين العناصر الحجاجية المتماثلة في المستوى الحجـاجي نفـسه، كـأن تـربط بـين ذرّتين، أو بين وحدتين، أو بين حجتين... إلخ. وكونها تربط بين (العناصر المتماثلة)، يعني أنها تربط بين حجج مثلا، أما الحجة والنتيجة فهي عناصر غير متماثلة، وكذلك الربط بين الوحـدات الحجاجيـة، أو الوحدات مع الزوائد، فهي متماثلة. وكونها تربط بين عناصر المـستوى الحجـاجي الواحـد، يعنـي أنهـا تربط بين ذرّة وأخرى، أو وحدة وأخرى، ولا تربط بين ذرّة ووحدة، أو وحدة وحجة... إلخ.

وهذه الروابط قد تكون روابط اتفاقية (مثل الواو، ثم، أولاً، ثانياً... الخ)، أو اختلافية (مثل: لكن، بالرغم، وعلى العكس من ذلك...الخ)[1].

فمثلاً، في المثال السابق: (وإذ يدين الانتهاكات الجسيمة والممنهجة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري، والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة)، فالواو ربطت بين الوحدتين الحجاجيتين: (١) الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، (٢) الانتهاكات الممنهجة لحقوق الإنسان، وتم الاستغناء عن إعادة الموصوف. كما ربطت الواو بين الزوائد الحجاجية: (الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري، والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة).

النوع الثاني: الربط بين العناصر الحجاجية المختلفة في المستوى الحجاجي نفسه، وأقصد بها الحجة والنتيجة. والروابط هنا قد تكون سببية، أو استنتاجية، بحسب اتجاهها، هل تتجه من الحجة إلى النتيجة أو العكس.

قد تكون هذه الروابط ظاهرة، وهو الغالب فيها، مثل: (لذلك، فإن، بسبب، لكي...إلخ).

وقد يستغنى عن الروابط ويقوم "المبدأ الحجاجي" مقامها، ومفهوم المبدأ الحجاجي طرحه ديكرو في نظريته الحجاجية، ويقصد بالمبادئ الحجاجية: قواعد عامة تجعل حجاجاً ما ممكنا، فهي مجموعة من المعتقدات والأفكار والمسلمات المشتركة بين مجموعة ما، تتميز بالعمومية، والنسبية، والتدرجية (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٣١). فمثلا: (زيد ما أحقره؛ أسديت له معروفا فاستغله في الإيقاع بي)، ينطلق هذا الحجاج من مبدأ حجاجي يمكن صياغته على النحو التالي: (إذا أسدى إليك المرء معروفا تكون مدينا له بالجميل) (المثال من: الراضي، ٢٠١١، ص٢٠٢).

وترتبط هذه المبادئ بأيديولوجية الجماعة؛ ولذلك قد ينطلق حجاجان مختلفان من المبادئ نفسها، فقد يرى شخصٌ ما أن الاجتهاد عامل من عوامل النجاح، وقد يعده آخر سبباً يفضي إلى التعب، ومن ثم فهو فشل، إذ النجاح في الراحة...الخ[2]. (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٣٢).

---

(١) أقصد بالروابط الاتفاقية: الروابط التي تشرك الكلام اللاحق في الحكم مع الكلام السابق، فالكلام يسير في اتجاه واحد. أما الروابط الاختلافية، فهي الروابط التي تثبت حكما مختلفا للكلام اللاحق عن الكلام السابق، أو تنفي الحكم السابق عن اللاحق، فالكلام يسير في خطين مختلفين.

(٢) وقد رأى بعض الباحثين أن إدراج المبادئ الحجاجية في الحجاجيات اللسانية أدى إلى تراجع دور الروابط والعوامل الحجاجية لدى ديكرو؛ فالحجاجية حاضرة في الجمل سابقاً من خلال المبادئ. ويقتصر دور العوامل والروابط على دور ثانوي، كتحديد الإمكانات الحجاجية (الراضي، ٢٠١١، ص٢١٧). فمثلا: (الكتاب مفيد؛ لكن ثمنه باهظ)، فثمة

النوع الثالث: الربط بين العناصر الحجاجية في المستويات الحجاجية المختلفة. وتختص هذه الروابط بالربط بين مستوى حجاجي ومستوى آخر، كالربط بين الذرات والوحدة الحجاجية، أو الربط بين الوحدات الحجاجية والحجة، أو الربط بين الحجة ونتيجتها وما أدت إليه من حجة أخرى.

وفي الحقيقة أن الربط هنا يتم عبر ما يمكن تسميته "التحول الحجاجي"، فمثلا في المثال السابق (وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين)، يتألف من الوحدات الحجاجية الثلاث (١. تدهور الوضع، ٢. وتصاعد العنف، ٣. والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين). وقد ربطت الواو بين الوحدات الحجاجية، فهي من (النوع الأول من الروابط). ثم إن الوحدات الحجاجية ألفت حجة، فما الرابط بين هذه الوحدات الحجاجية والحجة التي تألفت من مجموعها؟

الواو كما ذكرت ربطت بين الوحدات الحجاجية، ولكن لا يوجد رابط بين الوحدات والحجة المؤلفة منها، ولا يمكن أن يوجد رابط، الرابط هو التحول الحجاجي، بمعنى أن الوحدات الحجاجية تحولت إلى حجة يدركها الذهن، وقد يعبر عنها بحسب إدراكه لها، هذا التحول محله الانتقال من مستوى حجاجي إلى مستوى حجاجي أعلى منه.

أ-٢-٢-التراتب الحجاجي:

يخضع تراتب العناصر الحجاجية داخل المستوى الواحد "للسلم الحجاجي"، وهو من مقولات ديكرو، (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٠). فالسلم الحجاجي علاقة ترتيبية للحجج. وبتطبيقه في (الإطار الشجري الهرمي) يمكن القول إنه يربط تراتبيا بين العناصر الحجاجية داخل الأسرة الحجاجية الواحدة في مستوى حجاجي أفقي، فهو يربط بين أكثر من ذرّة، أو يربط بين أكثر من وحدة حجاجية، أو يربط بين أكثر من حجة، ولا يربط بين ذرّة ووحدة، أو بين وحدة حجاجية وحجة، أو بين حجة ونتيجة...إلخ.

حجاجان، الأول: الحجاج (الكتاب مفيد) يتجه إلى نتيجة مقدرة وهي (اشتر هذا الكتاب)، وهذا التأليف الحجاجي يتحقق بفضل المبدأ الحجاجي (بقدر ما يكون الكتاب مفيدا يستحق الاقتناء). والحجاج الثاني: (ثمن الكتاب باهظ)، ويتجه إلى النتيجة (لا تشتر الكتاب)، وهذا التأليف الحجاجي يتحقق بفضل المبدأ الحجاجي (بقدر ما يكون ثمن الكتاب باهظا لا يستحق الاقتناء). أما عمل الرابط هنا (لكن)، فقد اقتصر على الترجيح بين المكونين واختيار المسار الذي سيعتمد بوصفه قيمة حجاجية كلية للملفوظ، وهو الذي يأتي بعد الرابط، أي أنه يؤشر إلى المبدأ الذي سيعمل في هذا الملفوظ الحجاجي (الراضي، ٢٠١١، ص٢١٩). غير أنه لا يمكننا القول بتراجع دور الروابط الحجاجية؛ فهي مؤشر على مسار عملية الحجاج.

ويتضح مفهوم الربط التراتبي من خلال المثال: (الماء بارد، بل متجمد)[1]، فهنا حجتان، الأولى: برودة الماء، والثانية: تجمد الماء، والنتيجة هي: شدة برودة الماء. والحجتان تراتبيتان وفق السلم الحجاجي؛ حيث انتقل الحديث من الحجة الأقل دلالة على برودة الماء (بارد)، إلى الحجة الأكثر دلالة على برودته (متجمد). ولو عكست الحجتان لما كان مقبولا، لو قال: الماء متجمد، بل بارد. فوفقا للسلم الحجاجي لا يصح الانتقال من الحجة الأقوى إلى الحجة الأضعف، ولا سيما أن الحجة الأضعف متضمنة في الحجة الأقوى، فمن المعلوم أن تجمد الماء لا يكون إلا بعد برودته.

ب - العنصر الثاني: القيمة الحجاجية:

قلمت في الفصل السابق أن الوظائف التواصلية: أن تعرف، وأن تصدق، وأن تفعل. ولكل وظيفة قيمة، وهي على التوالي: معرفية، وحجاجية، وتوجيهية. عندما أقول: (اشتر هذا الكتاب؛ فهو رخيص)، فهذه المقولة تشتمل على قيم الوظائف التواصلية الثلاث، التوجيه (اشتر الكتاب)، والحجاج (لأنه رخيص)، والمعرفة (إخبارك بأن الكتاب رخيص)، فعبارة (فهو رخيص)، تحتوي على قيمتين: خبرية وحجاجية. ولو قلت: (هذا الكتاب رخيص)، فمثل هذه الجملة تحتوي أيضاً على ثلاث قيم: معرفية، وحجاجية، وتوجيهية. ودلالتها على التوجيه خفي؛ فالقائل لا يريد فقط الإخبار برخص ثمن الكتاب، بل يقدم حجة للسامع، فكأنه يقول طالما أن الكتاب رخيص، فمن الأفضل شراؤه.

تترابط هذه الوظائف في البنية الحجاجية، وينبني بعضها على بعض، فقد تنبني القيمة المعرفية على الحجاجية أو التوجيهية، أو العكس. فالمتكلم حين يفترض أمرا ما، أو يضعه أساساً ينبني عليه، أو يدلي برأي، فإنه في حقيقة الأمر يريد المخاطَب أن يعرف، وقد يرى أن الأمر مسلم به، وقد يحتج له، وقد يستند عليه في الاحتجاج لأمر آخر، وفي سياق ذلك يوجه المخاطَب إلى أمر ما.

والخطوة الأساس في تحليل الحجاج هي تحديد القيمة الحجاجية، فهناك قيمة حجاجية عامة تمثل الإطار المرجعي للخطاب، فهي مرجعية قيمية، وتوجه سيرورة الحجاج في الخطاب، بحيث نجد أن الحجج كلها تخدم هذه القيمة الحجاجية العامة. فالمرسل ينشئ خطابه، والقيمة الحجاجية واضحة لديه، وتمثل البوصلة التي توجه كلامه.

---

(١) هذا المثال من أمثلة د. محمد لطفي الزليطني.

ومفهوم القيمة الحجاجية لدى ديكرو: طريقة يجب أن يسلكها الخطاب لضمان استمراريته ونموه حتى يحقق في النهاية غايته التأثيرية (العزاوي، ٢٠٠٦، ص١٦). كما أن هناك قيماً حجاجية تفصيلية، وهذه تتعلق بما يسميه ديكرو (الإمكانات الحجاجية)، فقد بين ديكرو أن العوامل الحجاجية تقيد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، نحو: (تقريبا، يكاد، ما...إلا،...، كثيرا، قليلا، لريزل، إلخ). ومن شأن العامل الحجاجي أن يظهر القيمة الحجاجية التي توجه مسار قول ما. ففي قولنا مثلا، (الساعة تشير إلى الثامنة)، و(لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة)، هناك اختلاف في العامل الحجاجي أدى إلى اختلاف الإمكانات الحجاجية لكل قول. فالمثال الأول يمكن أن يضاف إليه: (الساعة تشير إلى الثامنة؛ إذن أسرع)، أو (لقد تأخرنا)، وهذه لا يمكن إضافتها في المثال الثاني، بل قيمته الحجاجية مختلفة (لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة؛ لا داعي للإسراع) (المثال من: العزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٨).

ج – العنصر الثالث: القالب الحجاجي:

القالب الحجاجي، هو الشكل العام للخطاب الذي تنمو فيه البنية الحجاجية، وتكبر، وتترابط علاقاتها، وتتفرع غصونها، حتى تصل إلى المستوى الحجاجي الأخير. ومن ثم ينظر المحلل إلى الشكل العام للخطاب، ليحدد القالب الحجاجي، ثم ينظر في الصيغ الحجاجية المستخدمة في هذا القالب.

هناك العديد من القوالب الحجاجية، كالسرد، والحوار، والبيانات، والقرارات... إلخ. وسأخصص المبحث القادم للحديث عن البعد الحواري في الخطاب، وهو شديد التعلق بالقالب الحجاجي خاصة، وبالحجاج عامة.

ويقدم السرد – باعتباره طريقة للحكي – حجاجا معينا يهدف الحاكي من خلاله أن يصل إلى نتيجة ما، وذلك من خلال تتابع الأحداث، وعرض الشخصيات، والتركيز في زاوية ما، وطريقة تقييم الحدث على لسانه أو لسان شخصيات القصة... إلخ. ولذلك تسرد القصة الواحدة بروايات مختلفة، بل متناقضة أحيانا، وكل راوٍ يحاول أن يبرر لوجهة نظر ما.

و يقوم السرد على دعامتين، الأولى: أن يحتوي على قصة، والثانية: أن يعين الطريقة التي تحكى بها القصة، فالقصة لا تتحدد بمضمونها فقط، بل بالطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون (لحمداني، ١٩٩١، ص٤٨). وقد وضع ثورندايك خطاطة بنيوية لنحو القصة (Story Grammar) (برنس، ٢٠٠٣، ص٢٢٠)، فهو يعتبر أن القصة مؤلفة من مجموعة من الوقائع على النحو التالي:

قصة = مكان وزمان المشهد [الشخصيات + الموقع + الزمن] + الموضوع [الواقعة + الهدف] + العقدة [مجموعة الوقائع (الهدف الأولي + المحاولة + النتيجة)] + الحل.

ومن ثم فالبنية السردية بوصفها بنية حجاجية يُنظر بواسطتها إلى الطريقة التي تتعاقب بها عناصر نحو القصة.

في المبحث الأخير سأتناول قرار مجلس الأمن ١٩٧٣، وأعرض من خلاله القالب الحجاجي في القرار، مبيناً بنيته وخواصه الحجاجية.

ويتعلق تحليل القالب الحجاجي أيضا بطريقة عرض العناصر الحجاجية، هل هو حجاج موجب أو سالب، فالحجاج الموجَب إيراد الحجج التي تخدم الأطروحة المراد إثباتها، والحجاج السالب هو بيان ضعف - أو تناقض - الحجج التي تخدم نقيض الأطروحة. وكذلك النظر في الصيغ الحجاجية المستخدمة في الخطاب: الإثبات، أو النفي، أو الشرط، أو الاستفهام... إلخ. ويمكن أن يقع الخطاب في مغالطات حجاجية من حيث النظر في الصياغة الحجاجية، كأن تكون الحجة إعادة صياغة للأساس، أو الأطروحة إعادة صياغة للحجة... إلخ، أو التوصل إلى أطروحة من حجة لا تؤدي إلى ذلك. (مصطفى، ٢٠٠٧). وخطاب النزاع يعنى بذلك كثيرا؛ حتى يهدم ما يبنيه الطرف الآخر من أطروحات. والمحلل يعنى بهذه القضايا في تحليله للقالب الحجاجي.

د - العنصر الرابع: الاستراتيجيات الحجاجية:

د-١ - عند ماكس فيبر وبورديو وفان دايك:

ذكرت سابقاً أن الحجاج فعل سلطوي، يقوم بالشرعنة المستمرة، سواء في إضفائها أو نزعها، ومن ثم فهي أداة سلطوية، تهدف إلى التأثير في الآخر، وتغييره بسلطة رمزية غير عنيفة. ونحن الآن بحاجة إلى الكشف عن استراتيجيات الحجاج.

يرى ماكس فيبر أن ادعاءات الشرعية تستند إلى ثلاث أرضيات (Weber, 1978, p215): الأولى: أرضية عقلية (السلطة القانونية)، تستند إلى اعتقاد بقانونية نماذج القواعد المعمول بها، وحق المسكين بزمام السلطة في إصدار الأوامر. والثانية: أرضية تقليدية (السلطة التقليدية)، تستند إلى الاعتقاد الثابت بقدسية التقاليد العريقة، وشرعية الذين يمارسون السلطة في ظلها. والثالثة: أرضية كاريزمية (السلطة الكاريزمية)، تستند إلى الإخلاص للقدسية الاستثنائية لشخص فرد ولبطولته أو شخصيته المثالية، وللنماذج المعيارية، أو النظام الذي يكشف عنه أو يأمر به.

وهذه الأرضيات متداخلة إلى حد ما، فكلها تكاد تكون ضمن سلطة مؤسسية واحدة، والحدود بينها غير واضحة، وهي أقرب ما تكون إطارا لادعاءات الشرعية في الحكم، واعتقاد المحكومين بتلك الشرعية.

ويرى بورديو أن الشرعنة إنما تتم عبر مأسسة العلاقة، بمعنى أن تجعل الشيء مؤسسيا رسميا، وبذلك تكسب علاقة الهيمنة شرعيتها، فمن خلالها تمارس سلطتها، فالشرعية أساسا هي شرعية الشكل، والسلطة هي سلطة المأسسة، ويرى أن سلطة التأسيس تكمن في قدرتها على التحكم في الواقع عبر استبدال تمثلات الواقع فتمسخ الاختلافات الاجتماعية إلى اختلافات طبيعية، (تجعلها أشياء) وتعدم اجتماعيتها، (بورديو، وباسرون، ٢٠٠٧، ص٦٨).

ورؤية بورديو هي مواصلة لخطه في مفهوم السلطة الذي يقوم على أن مشروعية الكلمات إنما تستمد من قائلها والحقل الذي يعمل في إطاره، وليس من الكلمات ذاتها. والحقيقة أن هذا هو وجه واحد من أوجه الشرعنة، كما يتبين بعد قليل عند عرض استراتيجيات الشرعنة لدى فان ليوين.

ويرى فان دايك أن إضفاء الشرعية أو نزعها له ست استراتيجيات، وهي: الانتماء، والفعل (ويتضمن الخطاب)، والأهداف، والمبادئ والقيم، والموقف الاجتماعي، والحصول على الموارد الاجتماعية. ولإيضاح ذلك أذكر أمثلته بخصوص نزع الشرعية (van Dijk, 1998, p259).

نزع شرعية الانتماء (مثلاً: هؤلاء لا ينتمون إلينا؛ فهم ليسوا من بلادنا)، ونزع شرعية الفعل (مثلاً: هؤلاء لا حق لهم في ما يقولون أو يفعلون؛ فهم يتهموننا بالعنصرية)، ونزع شرعية الأهداف (مثلاً: هؤلاء فقط يحق لهم الإفادة من نظامنا في الرعاية الاجتماعية)، ونزع شرعية المبادئ والقيم (مثلاً: هذه ليست قيمنا، وعليهم أن يتكيفوا مع ثقافتنا)، ونزع شرعية الموقف الاجتماعي (مثلاً: هؤلاء ليسوا لاجئين حقيقة، بل كسبة مرتزقة)، ونزع شرعية الحصول على الموارد الاجتماعية (مثلاً: ليس لهؤلاء أولوية في الحصول على عمل أو سكن، أو رعاية، أو تعليم...إلخ).

د-٢- استراتيجيات الشرعنة عند فان ليوين:

ما ذكره فان دايك أقرب ما يكون إلى العناصر أو التصنيفات المتعددة منه إلى الاستراتيجيات الحجاجية، ولعلنا نجد بغيتنا لدى فان ليوين (Van Leeuwen)، حيث يرى أن ثمة أربع استراتيجيات للشرعنة، (Leeuwen, 2008, p105). وهي:

(١- السلطان Authorization): الشرعنة بالاستناد إلى سلطان التقاليد والعادات والقانون والحقائق والأشخاص الذين أعطوا نوعا من السلطة المؤسساتية. وقد ذكر فان ليوين ستة أنواع لهذه الاستراتيجية، وهي: السلطة الشخصية (Personal Authority)، وسلطة الخبرة (Expert Authority)، وسلطة القدوة (Role Model Authority)، والسلطة غير الشخصية المتمثلة في القوانين والأنظمة (Impersonal Authority)، وسلطة التقاليد (The Authority of Tradition)، وسلطة الأغلبية (The Authority of Conformity).

(٢- التسويغ الأخلاقي Moral Legitimation): الشرعنة بالاستناد إلى الأنظمة القيمية. وذكر فان ليوين ثلاثة أنواع لهذه الاستراتيجية: التقييم بالقيم (Evaluation)، والتجريد (Abstraction)، أي تحويل الأفكار المحسوسة إلى مجردة، فبدلا من القول: ذهب الطفل إلى المدرسة لأول مرة، يقال: بدأ الطفل يعتمد على نفسه، والقياس (analogy)، وذلك بقياس الفعل إلى فعل آخر ممدوح أو مذموم.

(٣- التسويغ المنفعي Rationalization): الشرعنة بالاستناد إلى المنفعة من الفعال المؤسساتية (أهدافها واستخداماتها)، وإلى ضروب المعرفة التي صاغها المجتمع لاعتبار تلك الفعال صالحة معرفيا. وذكر فان ليوين أن لهذه الاستراتيجية نوعين، الأول: التسويغ الذرائعي (Instrumental)، ويشمل التسويغ بالأهداف أو الاستخدامات أو الإمكانيات أو النتائج أو الآثار، والثاني: التسويغ النظري (Theoretical)، ويشمل التسويغ العلمي أو التجريبي (من خلال التجربة)، بالتعريف أو التفسير أو التوقع.

(٤- التحويل الحكائي Mythopoesis): الشرعنة بواسطة السرد، الذي يتم من خلاله مكافأة الأعمال المشرعَنة ومعاقبة الأعمال غير المشرعَنة.

وقد اتكأ فارا وتيناري (Vaara, & Tienari, 2008) على استراتيجيات فان ليوين، وأضافا إليها استراتيجية خامسة، وهي: (التطبيع normalization)، بفصلها عن استراتيجية "السلطان"؛ لتأكيد أهمية الاستراتيجيات التي تجعل الفعل أو الموقف الخاص ظاهرة طبيعية أو اعتيادية، أو ظاهرة عامة.

إلا أني أرى أن استراتيجية التطبيع تدخل ضمن استراتيجية السلطان الاجتماعي. ويمكن تقسيم استراتيجية السلطان إلى: السلطان الشخصي (كاريزما، القدوة..)، والسلطان الاجتماعي

(التقاليد، والتطبيع، والأغلبية)، والسلطان المؤسسي (الأنظمة والقوانين، والمؤسسات)، والسلطان المعرفي (الخبرة والعلم). وقد جعل فان ليوين التسويغ العلمي ضمن التسويغ المنفعي، والأولى أن يكون تحت السلطان.

ويبدو لي أن نظرية (فان ليوين) بحاجة إلى إجراءين، الأول: استبعاد الاستراتيجية الرابعة منها (وهي استراتيجية السرد)؛ وذلك لأن هذه الاستراتيجية لا تتواءم مع الاستراتيجيات الأخرى التي تحلل فعل الحجاج في مضمون الخطاب وليس في بنيته، في حين يتعلق السرد بقالب الحجاج. والإجراء الثاني: إضافة استراتيجية أخرى إلى الاستراتيجيات الثلاث، وهي التسويغ العاطفي؛ فالعواطف مثلها مثل الاستراتيجيات الثلاث: السلطان، والمنفعة، والأخلاق، يستخدمها منشئ الخطاب في الحجاج، والمحلل بحاجة إليها للكشف عن الإطار الكامل للصورة الحجاجية في الخطاب.

د-٣- استراتيجة العواطف لدى بلانتين:

وبالنسبة إلى العواطف، فقد كان يُنظر إليها في دراسات الحجاج المنطقية على أنها من المغالطات التي تفسد الاستدلال، وتعد حجة من تعوزه الحجة الصحيحة، وأنها غير موضوعية... إلخ. إلا أن دوجلاس والتن تبنى موقفا مغايرا في كتابه "منزلة العواطف في الحجاج-١٩٩٢"، إذ قرر مبدئيا أن كثيرا من الحجاج في الحياة اليومية يستند إلى العاطفة، وأنها ذات أثر فعال، وقد يكون استعمالها مضللا خادعا، وقد يكون قويا سليما، بالنظر في سياقها، فالخطأ ليس جبلة مركوزة في استدعاء العاطفة في الحجاج. وقد عالج أربعة أنواع من الحجج القائمة على استدعاء العاطفة، وهي: استدعاء الخوف من خلال التهديد، واستدعاء الشفقة، واستدعاء الرأي العام، والحجج القائمة على المواجهة من خلال مهاجمة الشخص (عبيد، ٢٠١١، ص٢٥٠).

أما بلانتين (Plantin) - (عبيد، ٢٠١١، ص٢٦٢) - فقد عدّ العواطف في الحجاج موضوعا للحجاج نفسه، وإضفاء المشروعية عليها، أو نزعها عنها، واعتبر أن الجدل القائم بين أطراف الحجاج يدور حول العاطفة نفسها، إما لتبريرها، أو نقضها، فالعاطفة هنا نتيجة وليست حجة، والمتكلم يسعى إلى الحجاج لها. وما دامت العواطف كائنات لسانية-ثقافية فمن الممكن أن تكون موضع اعتراض. ومن ثم فمقاربته تعد العاطفة كائنا عبر عنه الخطاب، بغض النظر عن صدق المتكلم أو كذبه، والمحلل اللغوي لا يبحث عن الصدق أو الكذب في ذلك، ولكن ينظر في الوسائل اللغوية المعبرة عن هذه العواطف، والمسار الحجاجي الذي تنخرط فيه. ومن ثم فأول ما

يقوم به المحلل هو تحديد (الموضع النفسي) الذي يمثل مستقر العاطفة، ثم يتساءل بعد ذلك عن نوع العواطف المسندة إلى ذلك الموضع النفسي.

قد تكون الإجابة يسيرة حين يكون التعبير عن العاطفة صريحا ومباشرا، نحو: (لقد مات الطاغية؛ فدعونا نحتفل) ونحو: (لقد مات والدك؛ فلا يحق لك أن تذهب إلى العرس)، فالعاطفة هنا قد يُختلَف بشأنها: هل نعبر عن موت الطاغية بإقامة الأفراح أو لا. ومحل الخلاف هو أي عاطفة ينبغي إظهارها تجاه حدث ما. وقد يتم التعبير عن العواطف بألفاظ وأساليب غير صريحة، ولكنها تظل مباشرة، نحو: (يا له من رجل مسكين!)، فلفظ (مسكين)، وأسلوب التعجب يعربان عن العاطفة المرادة، وهي الشفقة، فكأنه يقول: أشفق عليه. (عبيد، ٢٠١١).

ولكن غالبا ما يتم التعبير عن العاطفة تعبيرا غير مباشر، ومهمة المحلل تحديد موضع العاطفة، نحو: (يموت أطفال في الصحراء جوعا وعطشا)، فهذا الملفوظ يبدو خالياً من العاطفة، ولكن علينا إدخال الرابط الحجاجي عليه (لكن)؛ لنكتشف أنه يعبر عن عاطفة الشفقة، فيصبح: (يموت أطفال في الصحراء جوعا وعطشا؛ لكنك لا تحرك ساكنا!!)، ومن ثم يمكن إدراج جمل أخرى بجوار هذه الجملة، من قبيل: عليك أن تشفق على هؤلاء الأطفال، أو: عليك أن تسعى لإنقاذهم، أو: هلاّ أسرعت إلى التبرع لهم... إلخ. (عبيد، ٢٠١١).

ويكشف بلانتين عن عدد من المواضع التي تقوم مقام الحجج المستخدمة لتبرير تلك العاطفة، ففي المثال خمسة مواضع، أولها: الشخص المتحدث عنه (مَن؟ أطفال)، وثانيها: الحدث الذي ينقله الموضوع (ماذا؟ الموت)، وثالثها: المكان الذي يجري فيه الحدث (أين؟ في الصحراء)، ورابعها: السبب الباعث على وقوع الحدث (لماذا؟ جوعا وعطشا)، وخامسها: تفادي ذلك السبب (هل يمكن السيطرة عليه وتفادي وقوعه؟). فكل موضع من هذه المواضع يسهم في توجيه الملفوظ نحو عاطفة الشفقة. فالمواضع تمثل الحلقة الرابطة بين العواطف.

والخلاصة أن ثمة أربع استراتيجيات حجاجية، لكل منها بعدان: بعد إضفاء الشرعية على ما يرغب فيه المرسل من مواقف وآراء، والبعد الآخر: نزع الشرعية عن ما لا يرغب فيه من مواقف وآراء. والاستراتيجيات هي: التسويغ بالسلطان، والتسويغ المنفعي، والتسويغ الأخلاقي، والتسويغ العاطفي. وفي العينة كثير من الأمثلة على هذه الاستراتيجيات، كما يتبين في بقية المبحث.

المطلب الثاني: الحجاج في خطاب طرفي النزاع

سأطبق الإطار التحليلي الحجاجي على مجموعتين من العينات، العينة الأولى: النزاع بين أمريكا والصين بشأن المعارض الصيني، والعينة الثانية: النزاع بين الحكومة اليمنية وشركة موانئ دبي بشأن ميناء عدن.

أولا - العينة الأولى: المعارض الصيني

عينة النزاع بين الطرف الأمريكي والطرف الصيني حول لجوء المعارض الصيني (شين غوانغشينغ) إلى السفارة الأمريكية في بكين، في ٢٣ إبريل ٢٠١٢م، وقد كان في بيته تحت إقامة جبرية، ففر إلى السفارة الأمريكية، واستمرت الأزمة بين الطرفين لمدة شهر، انتهت بسفر المعارض إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

(١) خطاب الطرف الصيني:

قال ليو ويمين، الناطق باسم وزارة الخارجية الصينية (٢٨/ ٠٤/ ٢٠١٢): "على الولايات المتحدة الكف عن خداع الرأي العام والكف عن التهرب عن مسؤوليتها بإلقائها على الآخرين. وإن الصين غير راضية أبدا من الموقف الأمريكي، وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين".

فيما يلي تحليل لمسار الحجاج في هذا المقتطف عن القيمة الحجاجية، والعلاقات الحجاجية، والاستراتيجيات الحجاجية، والقالب الحجاجي، وذلك وفقا للإطار الشجري الهرمي. وسأبدأ بتناول القيمة الحجاجية، ثم القالب الحجاجي، ثم العلاقات الحجاجية، ثم الاستراتيجيات الحجاجية.

أ- القيمة الحجاجية:

القيمة الحجاجية العامة لهذا التصريح، هي: "الدولة مسؤولة مسؤولية كاملة عن مواطنيها". وهي قيمة تنبني على حجاج سيادي قانوني، ومن ثم فاتجاه الحجاج هو رفض الموقف الأمريكي، كونه تدخلاً غير مقبول في شؤون الصين.

يفصح العامل الحجاجي (أبداً) في قوله (وإن الصين غير راضية أبداً) عن الموقف الصيني الغاضب الذي يرى أن في الموقف الأمريكي انتهاكا، فاستخدام لفظ (أبدا)، يدلّ على أن موقف الصين نهائي ولا يمكن التراجع عنه، وهذا يوجه القيمة الحجاجية نحو التصلب إزاء الحدث، ومن ثم فرض رؤيته على الطرف الآخر.

وأما قوله (على الولايات المتحدة الكف..)، فينبني على قيمة توجيهية، حيث جاء توجيها ظاهرا مباشرا صريحا للطرف الآخر.

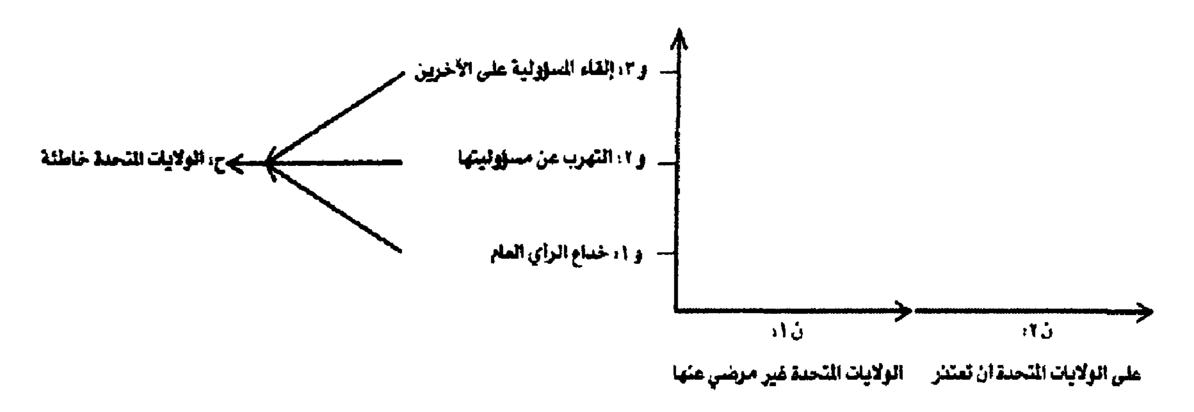
ب - القالب الحجاجي:

هذا الخطاب عبارة عن تصريح مقتضب للناطق باسم الخارجية الصينية، ومن ثم فقد جاء تصريحا مباشرا، بإدانة الطرف الآخر، وبيان خطئه، وبيان ما ينبغي عليه فعله، واستخدم لذلك لفظ التوجيه، فكرر (على الولايات المتحدة) مرتين، وكرر لفظ (الكف) مرتين، وعبر بوضوح عن سخط الصين. وهذا كله يهدف إلى إيصال رسالة واضحة تعلن الموقف الصيني تجاه الموقف الأمريكي. فالتصريح توجيهي.

ج - العلاقات الحجاجية:

تمثل المقولة السابقة طرحا حجاجيا مكونا من حجة ونتيجة، الحجة تمثلها مجموع الوحدات الحجاجية التي تكون العبارة الأولى (على الولايات المتحدة الكف عن خداع الرأي العام والكف عن التهرب عن مسؤوليتها بإلقائها على الآخرين)، وتتمثل النتيجة في العبارة الثانية (وإن الصين غير راضية أبدا من الموقف الأمريكي، وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين). والمبدأ الحجاجي الذي يربط بينهما هو: (من يخطئ في حق الآخرين فعليه أن يعتذر)، وقد أغنى المبدأ الحجاجي عن الرابط الحجاجي.

وبالنظر في الحجة المطروحة (على الولايات المتحدة الكف عن **خداع الرأي العام والكف عن التهرب عن مسؤوليتها بإلقائها على الآخرين**)، فهنا ثلاث وحدات حجاجية تكون بمجموعها حجة واحدة، وهي أن الولايات المتحدة لم تتصرف بمسؤولية، ولم تحترم سيادة الصين، ومن ثم فالنتيجة أنه لا يمكن أن ترضى الصين عنها، ثم تحولت هذه النتيجة مع حجتها إلى حجة أخرى، وهي أن على أمريكا لتحظى برضا الصين أن تعتذر لبكين. وفي الرسم التالي تمثيل لهذه الحجج وفقا للسلم الحجاجي:



شكل (١٢): العلاقات الحجاجية في أحد الأمثلة

استخدام لفظ (الكف) يعني أن هناك سلوكا مرفوضا لدى الطرف الآخر، وعليه أن يكف عنه، ومن ثم فذلك السلوك يمثل العنصر الحجاجي المستخدم، والوحدة الحجاجية الأولى هي أن أمريكا تخادع الرأي العام، وهذا أيضا فعل ذميم ولكنه مقبول إلى حد ما في عالم السياسة المبني على الوصول إلى الرأي العام ولو بطرق غير مشروعة؛ إلا أن ما لا يمكن قبوله هو التهرب من المسؤولية، وأشد شناعة أن يلقي الإنسان مسؤوليته على غيره. فلدينا إذن تراتب حجاجي في الوحدات الحجاجية، ويشكّل مجموعها الحجة الكبرى، وهي أن الولايات المتحدة مخطئة، وهي حجة بالنظر في النتيجة (الصين غير راضية عن أمريكا؛ لأنها أخطأت بتصرفها هذا). ويترتب على هذا أن للصين حقا في عدم الرضى عن الولايات المتحدة، ومن ثم فلا بد أن تقوم هذه الأخيرة بتصحيح خطئها والاعتذار لبكين.

وإذا نظرنا في الوحدة الحجاجية (خداع الرأي العام)، وجدنا ذرّتين حجاجيتين: الأولى لفظ (خداع)، حيث تفيد صيغة المصدر أن من يقوم بهذا الفعل قد اعتاد هذا السلوك حتى صار دأبًا له. والذرّة الثانية (الرأي العام)، فخداع الرأي العام يزيد في الدلالة على أن من يمارس الخداع خبير، فهو لا يخادع طرفا أو مجموعة، بل يخادع الرأي العام. ومصطلح (الرأي العام) مسلمة وجودية، والوحدة الحجاجية تفيد أن ثمة رأيا عاما، وأن ثمة من يمارس خداعه عليه. وكذلك القول في تحليل الوحدتين الحجاجيتين الأخريين. وقد استخدم الرابط الحجاجي (الواو)، للربط بين الوحدات، فهو رابط اتفاقي، بمعنى أن الوحدات الحجاجية تسير في اتجاه حجاجي واحد، وهو إثبات خطأ الولايات المتحدة الأمريكية.

د - الاستراتيجيات الحجاجية:

يستند البيان الرسمي الصيني إلى شرعيـة "السلطان" المتمثلة بالقـانون الـدولي، واعتبـار أن التدخل في شؤون الآخر هو انتهاك للسيادة. وانطلاقاً من هذه الشرعية القانونيـة تـرفض الـصين السلطة التي تمارسها أمريكا، وتطالبها بالاعتراف بذلك، وتأتي التعبيرات الساخطة حادة: الصين غير راضية بالمرة، وعلى أمريكا أن تعتذر. وأكدت الخارجية الصينية هـذه الشرعية حين أعلن المتحدث باسمها بعد أسبوع (٠٤/ ٠٥/ ٢٠١٢): "إذا كان (المنشق الصيني) يرغب بالدراسة في الخارج بإمكانه التقدم بطلب كأي مواطن صيني من خلال القنوات الرسمية المعتـادة". فالـصين تمارس سلطتها وتشرعنها بناء على مبدأ "السلطان"، وأن سيادتها على أرضها وعلى مواطنيها ذات شرعية قانونية، فهو كأي مواطن، ولو أراد أن يسافر فمثله مثل أي مـواطن، ولا يحتـاج الأمـر إلى تدخل دولة أخرى، أو منحها حماية له.

كما يستند الخطاب إلى استراتيجية (التسويغ الأخلاقي)، إذ ينزع عن أمريكا قيمها الأخلاقيـة، فهي (تخدع الرأي العام)، وهي (تتهرب عن مسؤوليتها، وتلقيها على الآخرين)، وهذه الأخـلاق لا تليق بدولة قائدة للعالم، ومن ثم فهو يهدم الأساس الأخلاقي للطرف الآخـر، ليـبرزه بـصورة القائد الزائف، المخادع، الذي لا يتحمل المسؤولية.

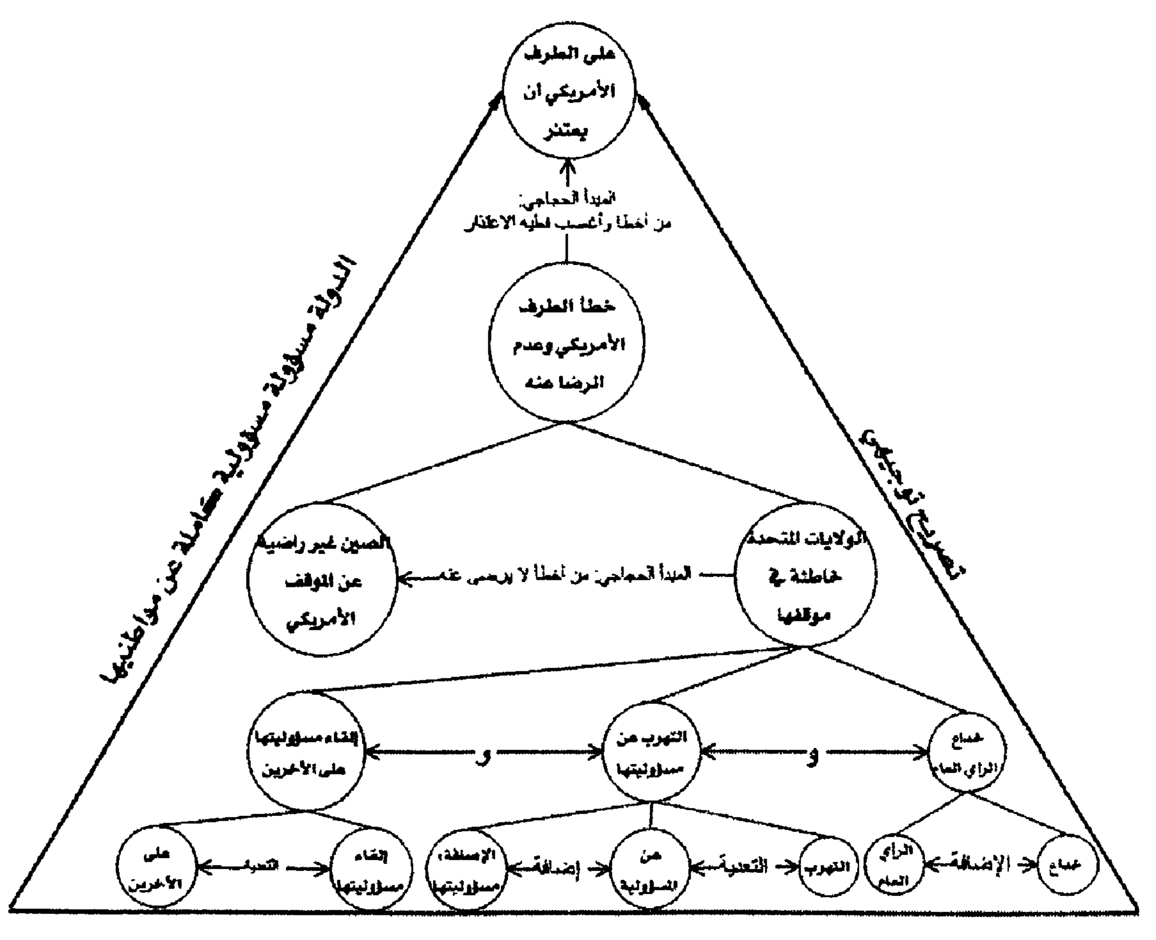
ويتجلى الحجاج العاطفي في الخطاب في ناحيتين، الأولى: التعبـير عـن العاطفـة تجـاه الـذات، والثانية: التعبير عن العاطفة تجاه الآخر.

أما العاطفة التي تجاه الآخر، فقد كانت هجومية تكاد تمس كرامة الولايات المتحدة الأمريكية، وهو اقتراب صريح، بالقول إنه "على الولايات المتحدة الكف عن خداع الرأي العام والكف عن التهرب عن مسؤوليتها بإلقائها على الآخرين". فالاسـتراتيجية المـستخدمة هجوميـة، تهـدف إلى النيل من الطرف الآخر، ووصفه بأنه مخادع وغير مسؤول، ومن ثم توجهـه إلى الكـف عـن هـذا السلوك المرفوض. وقد كانت هذه الاستراتيجية الانفعالية رد فعـل لمـا أقـدمت عليـه الولايـات المتحدة من إيواء مواطن صيني معارض في بكين نفسها.

وأما العاطفة التي تجاه الذات، فهي التعبير عن الغضب والاستياء "غير راضية أبداً"، ومن ثم فاستياء الصين من أمريكا سيكون له ثمنه في العلاقات التي بينهما، وقد حـددت الـصين لأمريكـا

المسلك الذي يجب أن تتوخاه لامتصاص هذا الغضب والاستياء، وتم التعبير عنها صراحة: "وإن على الولايات المتحدة أن تعتذر لبكين".

ويمكن تمثيل هذا التحليل بالشكل الشجري الهرمي على النحو التالي:



التسويغ بالسلطان والأخلاقي والعاطفي

شكل (١٣): تمثيل التحليل الحجاجي بالشكل الشجري الهرمي



(٢) خطاب الطرف الأمريكي:

(مثال: ١)

قالت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية فيكتوريا نولاند (٠٥/ ٠٥/ ٢٠١٢): "إن المُعارض الصيني عرضت عليه منحة للدراسة في جامعة أمريكية؛ ما يسمح له بالحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة بشكل طبيعي، وأن يصطحب أيضا زوجته وأطفاله. وأوضحت نولاند أن الحكومة الأمريكية ستمنح الأولوية الفورية لطلب تأشيرة تشن

غوانغتشينغ وأسرته. وقالت: إن بلادها تتوقع من السلطات الصينية أن توافق بشكل سريع على طلب غوانغتشينغ للحصول على تصريح للسفر".

(مثال: ٢)

قالت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية فيكتوريا نولاند في تصريح رسمي (٠٢/ ٠٥/ ٢٠١٢): "كان تشين يصر في كل مناسبة على البقاء في الصين ومواصلة دراسته والعمل لإصلاح بلاده، وكان عملنا الدبلوماسي منصبا على تحسين فرصه لتحقيق هذه الأهداف".

(مثال: ٣)

وأضافت كلنتون في مؤتمر صحفي ببكين (٠٥/ ٠٥/ ٢٠١٢): "أن تقدما تحقق من أجل أن يكون لتشين" المستقبل الذي يريده". وأكدت كليتون أن السفير الأمريكي في بكين اتصل يوم الجمعة بالمعارض الصيني، وأن طبيبا من السفارة زاره في المستشفى الذي يعالج فيه ببكين.

أ - القيمة الحجاجية:

القيمة الحجاجية لتصريحات الطرف الأمريكي: "من قيم الدولة مساعدة أي مواطن ولو كان مواطن دولة أخرى"، وهذه القيمة هي حجاج رافض للقيمة الحجاجية الصينية "الدولة مسؤولة مسؤولية كاملة عن مواطنيها"، فهي لا تنكر مسؤولية الدولة عن مواطنيها، ولكنها تنكر أن تكون من مسؤوليتها هي فقط، فالقيم والأخلاق تحتم على الدولة القائدة مساعدة مواطني الدول الأخرى. والتصريحات الأمريكية اللاحقة في هذه القضية مبنية على هذه المرجعية القيمية. وهذه المرجعية هي في الواقع حجاج مستند إلى التسويغ الأخلاقي، في حين استندت المرجعية الصينية إلى "التسويغ بالسلطان".

ب - القالب الحجاجي:

اتخذ هذا التصريح قالبا سردياً، فإذا نظرنا في بنيته السردية، فسنجد العناصر التالية:

تشين (هو الشخصية وهي الموضوع الأساس المحوري في الحدث)، والزمن (مستمر؛ فهو في كل مناسبة يعمل لمصلحة بلاده)، والزمن عبر عنه بصيغة (كان يصر)، فهو فعل مستمر في الماضي وما زال كذلك، ثم المجيء بـ(كل مناسبة)، وهو موجه زماني يأخذ دلالة (دائما). والمكان (الصين) ويعبر عن المكان بالدلالة العاطفية (بلاده)، فهي ليست مجرد مكان جغرافي، بل هي

بلاده التي ينتمي إليها، ويريد إصلاحها، ومن ثم فالمكان منسوب إلى الشخصية. والموضوع هو (إصرار الشخصية على البقاء في الصين للدراسة فيها وإصلاحها باعتبارها بلاده)، ومن ثم فهو موضوع وصفي يتعلق بالشخصية، ويقدم وصفا لها يدل على العزيمة والمقاومة والطموح. والتصريح يربط بين هذه العناصر بإبراز الشخصية ودوافعها وأهدافها مرتبطة بمكان ينتمي إليه وليس مجرد بقعة على الجغرافيا. وتأتي هذه البنية السردية لتكون حجة للموقف الأمريكي، الذي "انصب على تحسين فرص تشين، لتحقيق أهدافه". وجاءت النتيجة حلاً للعقدة، فهي إنقاذ وتقديم يد العون لمن يستحقه.

ج – العلاقات الحجاجية:

"كان تشين يصر في كل مناسبة على البقاء في الصين ومواصلة دراسته والعمل لإصلاح بلاده، وكان عملنا الدبلوماسي منصبا على تحسين فرصه لتحقيق هذه الأهداف".

يقوم هذا التصريح السردي على حجة سردية (كان تشين يصر في كل مناسبة على البقاء في الصين ومواصلة دراسته والعمل لإصلاح بلاده)، ونتيجة (وكان عملنا الدبلوماسي منصبا على تحسين فرصه لتحقيق هذه الأهداف)، والمبدأ الحجاجي الرابط بينهما، هو: (من عمل لإصلاح بلاده، فمن حقه أن يحظى بالدعم). وبالنظر في التراتبية الحجاجية وفقا للسلم الحجاجي، فإن التصريح جاء بثلاث وحدات حجاجية (كان تشين يصر في كل مناسبة على (١) **البقاء في الصين**، (٢) **ومواصلة دراسته**، (٣) **والعمل لإصلاح بلاده**)، وربطت بينها الواو، وهو رابط حجاجي اتفاقي (يجعل الكلام في اتجاه واحد). والمدلول الذي يراد الوصول إليه أن تشين استحق دعمنا لتحقيق أهدافه. وجاءت الوحدات الحجاجية تراتبية، فبقاؤه في الصين دليل على محبته وارتباطه ببلاده، ثم إصراره على مواصلة دراسته دليل على سعيه لتحسين فرصه في التعلم ليعود بمنفعتها على بلاده، وأما إصراره على العمل على إصلاح بلاده، فهي حجة أعلى؛ إذ إن هذا الأمر يتطلب مواجهة السلطات التي تقاوم الإصلاح، ومن ثم فهو أحق بالدعم.

د – الاستراتيجيات الحجاجية:

في المثال (١)، يقوض التصريح الأمريكي شرعية التصريح الصيني، فهو من جهة يُعَرّض بأن الصين لم تعامل المعارض الصيني بوصفه مواطناً، وإنما فعلت ذلك فقط ردة فعل على الموقف الأمريكي، ويأتي هذا في إطار التوقعات. ومن جهة أخرى يعطي الموقف الأمريكي شرعية

أخلاقية في طريقة تفاعلها مع حاجة المعارض الصيني، والسماح له بالحصول على التأشيرة بشكل طبيعي، واصطحاب زوجته وأطفاله معه، وترمي كل هذه التفاصيل إلى تأكيد أن الولايات المتحدة لا تخدع الرأي العام، ولا تتخلى عن مسؤوليتها، بل تنطلق من مسؤولية أخلاقية، تعطيها مبررا لموقفها.

وتضفي تصريحات الخارجية الأمريكية شرعية على الموقف الأمريكي، بتأكيد الجانب الأخلاقي القيمي الذي اتسم به ذلك الموقف. وتَبرُز "استراتيجية التسويغ الأخلاقي" واضحة في هذا الخطاب، فالفعل الأمريكي المؤسسي ينبع من قيم إنسانية وأمريكية، ويلتحم الموقف الدبلوماسي مع القيم المتوارثة، فعمل القيادة الأمريكية انصب على السعي إلى تحقيق أهداف الناشط الصيني، وهي أهداف نبيلة، فهدفه إصلاح بلاده، وليس تخريبها. ومن ثم فأمريكا تؤيد هذا الإصلاح.

ويظهر التسويغ العاطفي في تصريحات الطرف الأمريكي ظهوراً بيناً، والعواطف تمنح تسويغا للموقف الأمريكي، فهو موقف قائم على التعاطف مع المعارض الصيني. وفي تصريح الناطقة باسم الخارجية: "كان تشين يصر في كل مناسبة على البقاء في الصين ومواصلة دراسته والعمل على إصلاح بلاده"، هنا ذرّات عديدة تتسم بالشحن العاطفي، وتعتمد وصف هذا المعارض، الذي يحب بلاده ويصر على البقاء فيها ويعمل على إصلاحها. وتجيب هذه الصفات عن سؤال عاطفي: لماذا يستحق تشين دعمنا ومساندتنا وتعاطفنا؟ ومن ثم يكتسب الدعم الأمريكي لتشين شرعيته من شرعية موقف تشين أصلاً.

كما يلحظ في تصريح وزيرة الخارجية "أن تقدما تحقق من أجل أن يكون لتشين المستقبل الذي يريده" أن الموقف الأمريكي خرج بنتيجة، حيث تحقق تقدم في تحقيق المستقبل الذي يريده تشين، وهو مستقبل الإصلاح ومواصلة الدراسة. وهذا يجعل العاطفة التي حركت الموقف الأمريكي ذات بعد أخلاقي مرتبط بمساندة الآخرين على تحقيق أحلامهم، وطموحاتهم، ورعايتهم، والاهتمام بهم.

وبالموازنة بين الاستراتيجيات الحجاجية في تصريحات الطرفين، يمكن تسجيل الملحوظات التالية:

- حاول التصريح الأمريكي أن يعطل فعالية الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها الصينيون (استراتيجية السلطان)، التي اعتبرت الموقف الأمريكي تدخلا في شؤونها، فقدم الأمريكيون استراتيجية حجاجية أخرى (التسويغ الأخلاقي)، وبنوا عليها مرجعيتهم الرمزية، وموقفهم الإنساني، ونتج عن ذلك حضور قوي (للتسويغ العاطفي).

- كان التسويغ العاطفي في التصريح الصيني حادا، "الهجوم الصريح"، و"التعبير عن الغضب"، بينما انصرف التسويغ العاطفي في التصريح الأمريكي إلى تبرير التعاطف الذي أبداه الأمريكيون تجاه تشين، وهو تبرير انطلق من الحديث عن المعارض وطموحاته والمخاوف والتهديدات التي قد يتعرض لها لو لم تتدخل أمريكا. ومن ثم لم تكن التعبيرات عن العاطفة صريحة أو مباشرة.

❖ ❖ ❖

ثانياً: العينة الثانية: ميناء عدن

النزاع بشأن ميناء عدن بين الحكومة اليمنية وموانئ دبي.

(١) خطاب الطرف الإماراتي:

(مثال: ١)

قال القبطان فيصل القحطاني، نائب الرئيس الأول ومدير عام موانئ دبي العالمية منطقة الشرق الأوسط (٢٠/ ٤/ ٢٠١٢م): نتقدم بالتهنئة إلى باسيفيك إنترناشيونال لاينز وإلى سفينتها كوتا كاروم على زيارتها الأولى إلى ميناء عدن وإلى منطقة البحر الأحمر التي تعتبر من أكثر الممرات التجارية البحرية حيوية في العالم في وقتنا الراهن. إن رسو هذه السفينة الضخمة في الميناء يؤكد مجددا أهمية ودور موانئ دبي العالمية - عدن كبوابة للبضائع العابرة ذات كفاءة عالية وأهميتها للاقتصاد الوطني اليمني.

ونود أن نثني على فريق موانئ دبي العالمية - عدن على القدرات الهائلة التي أظهرها من خلال تفريغ حمولة سفينة بهذا الحجم بسلامة وكفاءة".

(مثال: ٢)

وقال آرثر فلين، مدير عام موانئ دبي العالمية-عدن (٢٠/ ٤/ ٢٠١٢م): تعتبر سفينة الشحن كوتا كاروم واحدة من أكبر السفن التي تقوم بزيارة محطتنا، ونود أن نشكر

باسيفيك إنترناشونال لاينز على الثقة التي وضعتها في قدرات وخدمات موانئ دبي العالمية - عدن.

لقد مكنا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية المُثبتة من استقبال مثل هذه السفينة الضخمة. نحن فخورون لأن فريقنا التشغيلي كان قادراً على إنجاز العمل بسلامة وخلال وقت ممتاز".

أ - القيمة الحجاجية:

تتمثل القيمة الحجاجية في هذين المثالين، في ما يلي: (رسو السفينة الضخمة في الميناء دليل على الكفاية التشغيلية له). هذه القيمة موجهة لسيرورة الحجاج في التصريح. والقيمة مستندة إلى التسويغ المنفعي، فالميناء يحقق المنفعة المناطة به، ويجذب السفن الضخمة.

ب - القالب الحجاجي والعلاقات الحجاجية:

وأما القالب الحجاجي في المثالين فيقوم على السرد، والموضوع الأساس هو (سفينة كوتا كاروم)، وسنرى التتابع السردي في كل مثال.

المثال الأول: تقديم التهنئة/ إلى السفينة/ على الزيارة الأولى/ لميناء عدن الممر الأكثر حيوية. هذا السرد في ظاهره تهنئة وترحيب بزيارة السفينة الأولى لميناء عدن، فالفعل الذي ابتدأت به العبارة هو التهنئة، وكأنها حققت إنجازا تستحق التهنئة من أجله، وبعبارة أخرى: كأن زيارة السفينة لميناء عدن إنجاز قامت به السفينة، ومن ثم جاءت تهنئتها على هذا الإنجاز.

هذه الجملة السردية أدت وظيفة تواصلية مكتملة؛ إلا إنها ضعيفة حجاجيا، فتهنئة شخص ما على النجاح لا يؤدي إلى النتيجة التي يرومها التصريح. فهو يريد أن يصل إلى النتيجة التالية: (إن رسو هذه السفينة الضخمة في الميناء يؤكد مجددا أهمية ودور موانئ دبي العالمية - عدن...)، وتحيل أهمية الميناء دلاليا إلى المبدأ الحجاجي: (ثقة كبرى الشركات بالميناء دليل على كفاية شركة التشغيل). فهو يستحضر الصوت الحجاجي الآخر الذي يقول إن الشركة المشغلة تفتقر إلى الكفاية. ولكن هل الجملة السردية الأولى (التهنئة) توصل إلى هذه النتيجة؟ إن التهنئة بالزيارة - كما قلت - تعني أن السفينة حققت نجاحا يستحق الإشادة، وفي العادة أن من يشيد بنجاح شخص ما يكون ذا سلطة تجعل إشادته مقبولة، كأن يشيد المدير أو الأستاذ بنجاح الطالب، ويهنئه

علىٰ ذلك؛ أما في مثالنا، فالذي يقدم التهنئة بمثابة الطالب الذي يشهد لأستاذه، وهذا يضعف الحجة. ولو أن التصريح خلا من جملة التهنئة لكان أقوىٰ حجاجيا.

وفي المثال الثاني، جاء التعاقب السردي علىٰ النحو التالي: (بيان أن السفينة من أكبر السفن/ الفعل الذي قامت به: زيارة الميناء/ شكر السفينة علىٰ الثقة التي أولتها لموانئ دبي).

يلحظ هنا أن التعاقب السردي مختلف عن المثال الأول، فالبؤرة التي يركز عليها التصريح هي السفينة وكونها من أكبر السفن، ومن ثم تشكّلت لدىٰ المتلقي صورة إكبار وإعجاب بهذه السفينة؛ فإذا انتقل إلىٰ الحدث (وهو زيارة السفينة لمحطتنا)، فسيصل المتلقي مباشرة إلىٰ النتيجة (وهي أن هذه السفينة وشركتها تولي المحطة ثقتها)، ومن ثم فالتصريح بالنتيجة ليس إلا تأكيدا حجاجيا، بمعنىٰ أنه أكد النتيجة ولم يؤسس عليها، وهذا لأن النسق السردي قد أوصل المتلقي إلىٰ هذه النتيجة. فالبنية السردية هنا أكثر نجاحا في الحجاج من المثال الأول، وخصوصا مع استخدام لفظ (أشكر)، ففعل الشكر هو الفعل المناسب في هذا السياق، وليس فعل التهنئة، إذ يتجه فعل الشكر من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ غالبا، وأما الإشادة فالعكس (غالباً).

كما يلحظ أن التصريح الأول شتت البؤرة، إذ بدأ بالتهنئة، ووجهها إلىٰ السفينة، وبين سبب التهنئة وهي الزيارة الأولىٰ، ثم بين مكان الزيارة (عدن) ثم قام باستطراد وصفي للمكان ليبين أهميته. ونتيجة لهذا، يجد المتلقي هنا نفسه مشتتا أمام نسق السرد، إذ يتساءل: ما الذي يريده القائل؟

أما التصريح الثاني فقد ركز البؤرة السردية، إذ بدأ حديثه عن السفينة الضخمة، ثم أشار إلىٰ زيارتها (لمحطتنا)، باختصار لم يستطرد في الوصف المكاني، واكتفىٰ بإضافة المحطة إلىٰ الضمير (نا)؛ ليجعل نفسه بارزا في الحدث، فهي (محطتنا) نحن، ومن ثم وضع انتسابا شرعيا بين زيارة السفينة والمكان الذي رست فيه. ثم قدم الشكر للسفينة علىٰ ثقتها. فتركيز البؤرة السردية في التصريح واضح، ويصل المتلقي إلىٰ النتيجة الحجاجية بيسر.

وفي الجزء الثاني من التصريح الأول حجاج آخر، في قوله: (ونود أن نثني علىٰ فريق موانئ دبي العالمية – عدن علىٰ القدرات الهائلة التي أظهرها من خلال تفريغ حمولة سفينة بهذا الحجم بسلامة وكفاءة)، فالحجة هنا أن العاملين أظهروا قدرات هائلة في تفريغ السفينة بسلامة وكفاية. والنتيجة هي كفاية العاملين. والمبدأ الحجاجي الرابط هو أن (القدرة علىٰ استقبال السفينة الضخمة دليل

على كفاية العاملين). وارتكزت العبارة على فعل الثناء على العاملين، والبؤرة التي تركز فيها هي كفاية العاملين، ومن ثم فالعبارة ذات كفاية حجاجية، اتسقت البنية السردية فيها مع الحجة المطروحة والنتيجة التي أثبتها.

وإذا انتقلنا إلى الجزء الثاني من التصريح الثاني، (لقد مكنا الميناء...)، فالحجة هنا والنتيجة، كالحجة والنتيجة في الجزء الثاني من التصريح السابق، إلا أن ما يختلف في ذلك هو البنية الحجاجية. ويمكن إيضاح ذلك على النحو التالي:

تتابع البنية السردية في التصريح الأول: (ونود أن نثني على فريق موانئ دبي العالمية-عدن على القدرات الهائلة التي أظهرها من خلال تفريغ حمولة سفينة بهذا الحجم بسلامة وكفاءة)

الثناء على الفريق/ بسبب قدراته وكفايته / القدرة على تفريغ السفينة.

البنية السردية في التصريح الثاني: (لقد مكنا الميناء ذي المياه العميقة الذي تُديره موانئ دبي العالمية إلى جانب الكفاءات التشغيلية المُثبتة من استقبال مثل هذه السفينة الضخمة. نحن فخورون لأن فريقنا التشغيلي كان قادراً على إنجاز العمل بسلامة وخلال وقت ممتاز)

بإمكانيات العاملين وكفايتهم/ استطعنا استقبال هذه السفينة.

إعلان الفخر/ لأن الفريق كان قادرا على الإنجاز

البنية الحجاجية في التصريح الأول انتقلت من الفعل الحجاجي الممهد (الثناء على الفريق) إلى النتيجة (القدرة والكفاية) إلى الحجة (القدرة على تفريغ السفينة الضخمة). فعل الثناء هنا ممهد للنتيجة التي استحقها الفريق، غير أن فعل الثناء أدى دورا انفصاليا، فالذي يثني هو المدير، والمثنى عليه هو الفريق، فثمة طرفان منفصلان.

أما البنية الحجاجية في التصريح الثاني، فليس فيها فعل حجاجي تمهيدي، بل انتقلت مباشرة من النتيجة إلى الحجة، ثم أردفها التصريح بجملة أخرى ذات حجاج مكتمل، ففيها النتيجة النهائية (نحن فخورون)، ثم الحجة (لأن فريقنا...)، والتحم فيه إعلان فخر المتحدث مع الفريق، بخلاف فعل الثناء.

ج – الاستراتيجيات الحجاجية:

الاستراتيجية الحجاجية التي يقوم عليها كلا التصريحين هي التسويغ المنفعي، فالمتحدث في كلا التصريحين يريد إثبات أهمية شركة موانئ دبي، وكفاية العاملين فيها، من خلال برهان عملي

يبين المنفعة التي تقدمها الشركة لكبريات الشركات العالمية. هذا هو الحجاج الأساس. وثمة استراتيجية حجاجية فرعية، وهي التسويغ العاطفي في استدعاء الفخر والاعتزاز بالعاملين لكفايتهم، ومن شأن هذا التسويغ أن يخدم الاستراتيجية الأساس؛ فكفاية العاملين تصب في مصلحة الشركة.

❖ ❖ ❖

(٢) خطاب الطرف اليمني:

قال وزير النقل اليمني (٢١/ ٠٤/ ٢٠١٢): (ملحوظة: تقسيم الفقرات وترقيمها من عندي)

> **(١) "إن الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن أعادت الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين".**
>
> **(٢) "إن شركة موانئ دبي أخلت بالتزاماتها ولم تنفذ الشروط المنصوص عليها في العقد، وعملت على وضع شروط وجزاءات أمام شركات الملاحة العالمية ويشكل عمل على تنفير شركات الملاحة العالمية".**
>
> **(٣) "لن نسمح بالعبث بميناء عدن، وهذه قضية سيادة وطنية لان عدن هي الميناء والميناء هو الجنوب والجنوب هو الوحدة الوطنية".**
>
> **(٤) "الشركة تسوق مبررات واهية لتتنصل عن التزاماتها في حين ان الميناء الذي تديره في جيبوتي يحقق تزايدا ملحوظا في نشاطه على حساب ميناء عدن".**
>
> **(٥) "سكوتنا لن يطول ولن يكون إلى ما لانهاية ولن نتنازل عن هذا الحق التاريخي لعدن ، ونأمل أن يكون الحل الدبلوماسي سريعا، فنحن أمام ضغط شعبي وحقوق مطلبية مشروعة ولن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى تدهور ميناء عدن وامتهان العمال فيها، وستتخذ كافة الإجراءات التي تضمن إعادة الاعتبار لميناء عدن وتاريخه وموقعه الاستراتيجي".**
>
> **(٦) "العمال في ميناء عدن يستلمون أقل من أي عمال في ٥٥ ميناء عالمي تديره شركة موانئ دبي، وهو ما يعد امتهانا للعامل اليمني، كما أن الشركة لم توفِ بالتزاماتها في تشغيل العمالة وتطوير الميناء".**

(٧) "إن إبرام اتفاقية تشغيل ميناء عدن مع شركة موانئ دبي كانت اتفاقية سياسية أكثر منها اقتصادية وهو ما يجعلنا نتريث ونفسح المجال أمام الحل الدبلوماسي، فهذه الاتفاقية كانت مجحفة بحق اليمن التي تعاني من الفقر والبطالة".

(٨) "إن ميناء عدن يعد من أفضل الموانئ العالمية وإن الحكومة عازمة على إعادة قيمته التاريخية والعالمية وخلق مناخات وجسور الثقة مع شركات الملاحة العالمية ، باعتباره احد اهم الموانئ العالمية التي يمكن ان تسهم في رفد الاقتصاد الوطني وتلبية الحقوق المشروعة لأبناء عدن واليمن بشكل عام".

هذا واحد من تصريحات وزير النقل اليمني بشأن النزاع مع شركة موانئ دبي، وقد قسمته إلى فقرات مرقّمة؛ حتى تسهل الإحالة إليها.

أ - القيمة الحجاجية:

يقوم التصريح على قيمة حجاجية عامة، وهي: "موانئ دبي فرطت في مسؤولياتها والتزاماتها تجاه ميناء عدن، والواجب الوطني والسيادي للدولة استعادة الميناء". ومن شأن هذه القيمة أن تحدد كافة مسارات الحجج التي اشتمل عليها التصريح. وهذه القيمة مبنية على الحجاج بالسلطان، فالحكومة تنطلق من سلطانها وسيادتها على أرضها، وحقها في تشغيل موانئها.

ب - القالب الحجاجي:

يكاد يقوم القالب الحجاجي العام على القالب الحواري الجدلي بين صوتين، صوت المتحدث وصوت الطرف الآخر، فهو لا يفتأ يسوق الحجة تلو الحجة لإضفاء المشروعية على ما يقوم به، وعلى شرعية مطالبته باستعادة الميناء، وفي الوقت نفسه يسوق الحجج لنزع المشروعية عن الطرف الآخر. وقد اشتمل التصريح على ثمان جمل حجاجية، (كل فقرة تعد جملة حجاجية مشتملة على حجة ونتيجة)، وذلك على النحو التالي:

١ - (إجراءاتنا أعادت الثقة للميناء).

٢ - (إجراءات الطرف الآخر أضرت بالميناء).

٣ - (لن نسمح بعبث الطرف الآخر بالميناء، لأنها قضية سيادية بالنسبة لنا).

٤ - (الطرف الآخر يقصد الإضرار بالميناء، بدليل ميناء جيبوتي).

٥ - (تحركنا على كافة المسارات؛ بسبب تدهور الميناء وامتهان العامل اليمني في يد الطرف الآخر).

٦ - (الطرف الآخر امتهن العامل اليمني، بدليل الأجر الذي يحصل عليه).

٧ - (الاتفاقية سياسية، وأدى ذلك إلى عبث الطرف الآخر بالميناء).

٨ - (الميناء ذو أهمية استراتيجية؛ لذلك فنحن سنتولى الاهتمام به).

يلحظ تعاقب الصوت الحجاجي على النحو التالي: ١- نحن، ٢- هم، ٣- نحن، ٤- هم، ٥- نحن، ٦- هم، ٧- هم، ٨- نحن. فالفقرة الأولى حجاج لمصلحة المتكلم الذي يبين أن إجراءات وزارته هي التي أعادت الثقة، وفي الفقرة الثانية ينزع المشروعية عن الطرف الآخر، إذ يبين أن إجراءات الطرف الآخر أضرت بثقة الشركات في الميناء... إلخ. وقد بدأ التصريح بالصوت الحجاجي المتعلق بالذات، وانتهى به، وكأنه يمثل دائرة حجاجية مترابطة، تؤسس في الأخير لمشروعية المطالبة باستعادة الميناء، فالحجاج كله يصب في مصلحة هذه الأطروحة.

كلا الفقرتين اعتمدتا على القالب الحواري السردي.

في الفقرة الأولى، تعاقبت العناصر السردية على النحو التالي: (إجراءات / اتخذتها وزارة النقل/ تجاه ميناء عدن / أعادت الثقة لبعض شركات الملاحة/ سيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة / خلال الشهرين الماضيين).

تتمحور البؤرة السردية هنا حول الفعل الذي قام به الفاعل، وهذا الفعل هو الحجة المسوقة في الفقرة، والنتيجة إعادة الثقة لبعض الشركات، ثم يستطرد التصريح استطرادا داعما للنتيجة فيذكر أن الشركات سيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة. السرد هنا يتجه تصاعديا، من الفعل إلى النجاح. فالفعل (المنسوب إليه) أعاد الثقة، وكأنه يريد القول إن إعادة الثقة لا تحتاج إلا إلى إجراءات يتخذها أي طرف بإخلاص، وستتحقق النتيجة.

في الفقرة الثانية، تعاقبت العناصر السردية على النحو التالي: (الطرف الآخر/ أخل بالتزاماته/ اتخذ إجراءات سيئة/ أدت إلى تنفير شركات الملاحة). فالبؤرة السردية هنا ارتكزت على الفاعل نفسه (الطرف الآخر)، حيث جاء التصريح بسرد مجموعة من الأوصاف الحجاجية التي تؤدي في النهاية إلى استنتاج أن هذا الطرف غير مؤهل للنهوض بالمسؤولية، ولذلك انطلق التصريح من

الفاعل إلى مجموعة من أفعاله التي أفضت كلها في الأخير إلى النتيجة السيئة: تنفير شركات الملاحة. فالسرد هنا يتجه تنازليا، من الفعل إلى الفشل.

ج - العلاقات الحجاجية:

سأكتفي لبيانها بتحليل الفقرتين الأوليين.

في الفقرة الأولى، كانت الحجة هي إجراءات الوزارة، وتمثلت النتيجة في إعادة الثقة لبعض شركات الملاحة. وتمثل الحجة وحدة حجاجية واحدة (الإجراءات التي اتخذتها وزارة النقل تجاه شركة موانئ دبي في عدن)، واشتملت هذه الوحدة على ثلاث ذرات حجاجية، الأول: (المصدر) الإجراءات المتخذة، والفاعل (وزارة النقل)، والواقع عليه الفعل (ميناء عدن)، وقد بينت هذه الذرات الحجاجية الفعل والفاعل والجهة المستفيدة من الفعل. ثم جاءت النتيجة، وهي (إعادة الثقة إلى بعض شركات الملاحة العالمية)، وتلاها استطراد تأكيدي يفسر النتيجة (وسيرت أكثر من ٣٧٧ سفينة إلى ميناء عدن خلال الشهرين الماضيين)، فتسيير الشركات للسفن هو من مظاهر الثقة في إجراءات وزارة النقل.

في الفقرة الثانية، اشتملت الحجة على ثلاث وحدات حجاجية: (إن شركة موانئ دبي ١- أخلت بالتزاماتها، ٢- ولم تنفذ الشروط المنصوص عليها في العقد، ٣- وعملت على وضع شروط وجزاءات أمام شركات الملاحة العالمية). ويتحول مجموع هذه الوحدات إلى الحجة: (بسبب إجراءات موانئ دبي الفاسدة...)، فإن النتيجة (تنفير شركات الملاحة العالمية). والفقرتان فيهما تقابل حجاجي، بين الذات والآخر.

أما المبدأ الحجاجي في الفقرتين، فيتمثل في أنه (بقدر الإجراءات الجيدة تكون الثقة، وبقدر الإجراءات السيئة تزول الثقة). ويتفق هذا المبدأ الحجاجي مع تصريح شركة موانئ دبي السابق، لكن الخلاف هو حول وجهة الأساس الحجاجي، فقد رأت شركة موانئ دبي أنها استحقت الثقة بجدارتها وكفاية عمالها. لكن تصريح الوزير يرى أن تلك الثقة التي تتحدث عنها شركة موانئ دبي إنما جاءت نتيجة لإجراءات وزارته، وليس الطرف الآخر، الذي لم يسهم إلا في تنفير شركات الملاحة.

في الفقرة الثانية تراتبت الوحدات الحجاجية، واتجهت من الأدنى إلى الأعلى: (إن شركة موانئ دبي: ١- أخلت بالتزاماتها، ٢- ولم تنفذ الشروط المنصوص عليها في العقد، ٣- وعملت على

وضع شروط وجزاءات أمام شركات الملاحة العالمية)، وتحولت هذه الوحدات إلى الحجة، وهي (فساد إجراءات موانئ دبي)؛ فالإخلال بالالتزامات فساد أخلاقي وقانوني أيضا، لكن الإخلال قد يكون متعمدا وقد يكون غير متعمد، إلا أنه إهمال بالدرجة الأولى، ثم إن عدم تنفيذ الشروط المنصوص عليها يعد فسادا أخلاقيا قانونيا، متعمدا، وليس مجرد إهمال. كما أن اتخاذ إجراءات مضرة، ينقل الفعل من مجرد الترك والإهمال إلى وجود الدافع المضر بالطرف الآخر، وبمصالحه، وهذا أشنع في الدلالة على الفساد.

د - الاستراتيجيات الحجاجية:

في تصريح وزير النقل اليمني عديد من الاستراتيجيات الحجاجية، سأشير إلى بعض منها.

في الفقرتين الأوليين تسويغ منفعي، فالثقة إنما تأتي حين تكون ثمة إجراءات تحقق النفع، وهذا ما قامت به الوزارة، فهو يضفي التسويغ المنفعي على إجراءات وزارته، وينفيها عن خصمه الطرف الآخر، ومن ثم فمؤسسة دبي لم يعد لديها إجراءات تنفع شركات الملاحة، بل إجراءاتها صارت مضرة.

وفي الفقرة الأخيرة كذلك استخدام لاستراتيجية التسويغ المنفعي، فما تقوم به الحكومة اليمنية إنما يهدف إلى إعادة الانتفاع بهذا المرفق المهم، وإعادة الدور الذي ينبغي أن يكون له بحيث يسهم في تعزيز الاقتصاد اليمني.

كذلك التسويغ بالسلطان، في الفقرة الثالثة، فالميناء قضية سيادية ترتبط بالوحدة الوطنية، وهي قضية تمس أمن المواطن اليمني، وفي طي هذا التسويغ تسويغ عاطفي، من خلال استدعاء الرأي العام اليمني، والإيحاء بأن هذه قضية وطنية، ومن ثم يضفي صاحب التصريح دور البطولة على نفسه، إذ هو يدافع عن قضية تخص كل يمني. وفي الفقرة الخامسة كذلك تسويغ بالسلطان في الإشارة إلى الحل الدبلوماسي، والحق التاريخي، والضغط الشعبي. وكذلك الفقرة السابعة التي تطعن في الشرعية القانونية للاتفاقية، فهي اتفاقية سياسية، تمت بتواطؤ بين موانئ دبي والحكومة اليمنية السابقة، وفيها في الوقت نفسه تعريض بفساد الطرف الآخر.

وفي الفقرة الرابعة، تسويغ أخلاقي، فموانئ دبي حققت نجاحا في ميناء آخر، وهذا النجاح إنما كان على حساب ميناء عدن، وهذا يطعن في أخلاقية الشركة التي ينبغي عليها أن تراعي المصلحة

العامة لليمنيين، لا مصلحتها الخاصة. وكذلك الفقرة السادسة فيها تسويغ أخلاقي من خلال الطعن في مسؤولية الشركة وامتهانها للعامل اليمني.

وفي الفقرة السادسة أيضاً تسويغ عاطفي من خلال إثارة الرأي العام، واستدعاء الشفقة على العاملين اليمنيين في الشركة، ومهاجمة الجانب اللاأخلاقي للشركة، وفي ذكر العدد (٥٥ ميناء)، ما يزيد القضية شحنا عاطفيا، ومن ثم فالنتيجة أن ما قامت به الوزارة هو عمل شرف وأخلاق ودفاع عن المظلومين.

المطلب الثالث: الحجاج في خطاب الطرف الثالث

هناك سؤال من المهم طرحه، ويتعلق بالاستراتيجيات الحجاجية في خطاب الطرف الثالث، وما إذا كانت تتصاعد بتصاعد الصوت اللغوي وغير اللغوي. وسأكتفي بمعالجة الاستراتيجيات الحجاجية.

في الفصل السابق تحدثت عن مستويات تصعيد الصوت لدى الطرف الثالث، سواء في مرحلة الحياد أو المساندة أو التبني. وهنا سأعود إلى تلك الأمثلة، وأنظر إليها في الإطار الحجاجي، لنرى ما إذا كانت الأصوات فيها تتصاعد بتصاعد الصوت في الخطاب؟ وسأكتفي بمثال على كل مستوى من المستويات.

أولاً - الحجاج في خطاب المراقب:

> **بيان الرئيس الأمريكي (١٨/ ٢/ ٢٠١١م): "إنني أشعر بقلق بالغ حيال التقارير التي تفيد بحدوث أعمال عنف في البحرين وليبيا واليمن. إن الولايات المتحدة تدين استخدام العنف من قبل حكومات ضد متظاهرين مسالمين في تلك البلدان وأي مكان آخر قد يسجل فيها عنف. ونعرب عن تعازينا لأسر وأصدقاء أولئك الذي لقوا مصرعهم خلال المظاهرات. إن الناس أينما كانوا يتمتعون بحقوق عامة معينة بما فيها حق التجمع سلميا. والولايات المتحدة تحث حكومات البحرين وليبيا واليمن على التحلي بضبط نفس في الرد على تظاهرات احتجاج سلمية وعلى احترام حقوق شعوبها".**

يبدو التسويغ العاطفي جليا في هذا الخطاب، فشعور الرئيس الأمريكي بالقلق له ما يبرره، والموضع النفسي يجيب عن السؤال: ماذا حدث؟ (حدوث أعمال عنف)، والسؤال أين؟ (في البحرين وليبيا واليمن)، وقد ذكرت هذه الدول لما يجري فيها من مظاهرات سلمية سيذكرها الخطاب أيضاً. والسؤال: مَن وراء العنف؟ (حكومات)، والسؤال: على مَن يقع العنف؟ (ضد متظاهرين مسالمين في تلك البلدان)، فهم ليسوا مسلحين، ولكنهم متظاهرون مسالمون، يجب ألا يقابلوا بالعنف، فالصفة (مسالمين) تحمل شحنة عاطفية قوية تبرر الشعور بالقلق. وهذه الأطروحات بدورها تبرر الشعور بالقلق لدى الطرف الأمريكي، وتبرر أن يتم التعبير عن هذا الشعور في إدانة (إن الولايات المتحدة تدين...)، وفي هذه العبارة تضامن من جهة مع من تضرروا، واستياء من جهة أخرى ممن استخدموا العنف. ويتجلى التضامن مرة أخرى في الإعراب

عن التعازي لأسر الضحايا. فالعبارات العاطفية تكاد تكون صريحة ومباشرة. ولا يقف الحجاج العاطفي عند هذا الحد، بل يقدم نموذجا انفعاليا لما ينبغي أن يقابل به هؤلاء (التحلي بضبط نفس)، إذن فعلى تلك الحكومات ضبط النفس، وعدم استخدام العنف ضد متظاهرين مسالمين.

وفي قوله: (إن الناس أينما كانوا يتمتعون بحقوق عامة معينة بما فيها حق التجمع سلميا) تسويغ بالسلطان، ذلك أن هذا الحق يكفله القانون الدولي، ويجب احترامه. ومن ثم فوجود تقارير باستخدام العنف يعطي مبررا لإدانة العنف. وهناك أيضا تسويغ أخلاقي في اعتبار أن هذه الأعمال تنبئ عن عدم احترام الحكومات لحقوق الشعوب، ومن ثم كان ذلك مبررا لحث الحكومات على الالتزام الأخلاقي تجاه شعوبها.

وفي تصريح وزيرة الخارجية بأننا: (... عبرنا عن اعتراضنا الشديد على استخدام القوة المميتة ضد المتظاهرين المسالمين) تسويغ عاطفي، يتجلى في الإفصاح عن الموقف الناشئ (اعتراض شديد)، فثمة اعتراض موصوف بالشدة، و(لماذا؟) لاستخدام القوة (أي قوة؟) القوة المميتة، (ضد من؟) ضد المتظاهرين (أيّ متظاهرين؟) المسالمين. إن كل كلمة في هذا التصريح مصطبغة بحجة عاطفية تبرر الموقف الأمريكي الذي يدين هذا الأمر.

والسمة العامة في خطاب المراقب هي استخدام استراتيجية الحجاج العاطفي، الذي يستدعي الشفقة والتضامن. واستراتيجية السلطان التي تعطي المسوغ القانوني لممارسة تلك المراقبة.

ثانياً: الحجاج في خطاب المحاسب:

سأقتصر هنا على تحليل تصريح الرئيس الأمريكي في (٢٣/ ٢/ ٢٠١١م)، فقد جاء فيه:

> **يتقدم الشعب الأميركي بأحر تعازينا لأسر وأحباء كل الضحايا الذين قتلوا أو أصيبوا. إن المعاناة وسفك الدماء فظيعين وغير مقبولين. وكذلك التهديدات والأوامر بإطلاق النار على المحتجين المسالمين والمزيد من معاقبة الشعب الليبي**

الحجاج العاطفي يحضر مرة أخرى في هذا الخطاب، فهنا تسويغ عاطفي، أولاً بالتصريح بالتعاطف (لمن؟) للضحايا، ولفظ "الضحايا" يحمل دلالة المظلومية، فهم قتلوا ظلما وعدوانا، ويدين في الوقت نفسه الفاعل، ثم يؤكد تلك الإدانة بوصف العنف بالفظاعة وأنه غير مقبول، ثم يزيد في استدعاء التعاطف من خلال بيانه بأن الفاعل ما زال مصرا على ارتكاب القتل وتهديد الآمنين... إلخ. وحتى لا يبدو الأمر وكأنه حجاج عاطفي فقط يعقبه بقوله (إن هذه الأعمال تشكل انتهاكا للأعراف الدولية ولكل معيار من معايير اللياقة العامة)، فثمة حجاج بالسلطان

وبالأخلاق، فهذه الأعمال مدينة ومنبوذة لكونها تنتهك الأعراف الدولية، ولكونها تنتهك القيم والأخلاق (وعليها [أي السلطات الليبية] أن تتحمل ثمن استمرار انتهاكها للحقوق الإنسانية). فمحاسبة السلطات الليبية يأتي بسبب أعمالها اللاأخلاقية.

يؤسس هذا الحجاج لأمرين، الأول أن فاعل الانتهاكات يجب أن يطاله الحساب، والثاني أن الحساب يجب أن يضطلع به المجتمع الدولي؛ إذ المنتهك ينتهك أعرافا دولية. وهذه النتائج مفهومة ضمنا من العبارات السابقة، إلا أن الرئيس الأمريكي ذكرها بصراحة في الفقرة التالية:

> **(ويتحتم على دول وشعوب العالم، في ظل وضع متفجر كهذا، أن تتحدث بصوت واحد، وهو ما كان محور تركيزنا. فبالأمس، بعث مجلس الأمن الدولي بالإجماع رسالة صريحة قال فيها إنه يشجب العنف في ليبيا ويدعم محاسبة مرتكبيه وإنه يقف إلى جانب الشعب الليبي).**

ومن ثم فرسالة مجلس الأمن أطروحة مؤسسة على الحجج السابقة. ثم زاد هذه النتيجة تفصيلا في الفقرة التي تليها:

> **(وبالمناسبة، تم إيصال هذه الرسالة عبر الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية والاتحاد الأفريقي ومنظمة المؤتمر الإسلامي ودول عديدة بصفة فردية. والأصوات بدأت ترتفع متضافرة من الشمال والجنوب في معارضة القمع ودعم حقوق الشعب الليبي)...**

إن هذا الاستطراد الحجاجي يكشف عن نفسية الطرف الأمريكي الذي يريد أن يحيط تصرفاته بشرعية دولية، فإدانته ليست صوته فقط، بل صوت العالم، وقلقه ليس خاصا به، ومن ثم سيكون هناك مبررا لأي خطوة عقابية يتخذها.

إن خطاب المحاسب يعتمد على الاستراتيجيات الحجاجية التي تبرر مواقفه تجاه الطرف الآخر، ومن ثم فيغلب عليه نزع الشرعية عن الطرف المحاسَب، ويؤدي التسويغ العاطفي والأخلاقي والتسويغ بالسلطان دورا مهما في هذا الخطاب؛ حتى يوجد المحاسِب أرضية مشتركة مع أطراف أخرى.

ثالثاً: الحجاج في خطاب المعاقب:

يستند خطاب المعاقب إلى مجموعة من الاستراتيجيات التي تهدف إلى تبرير إيقاع العقوبة. ومن الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب المعاقب:

تقويض شرعية الطرف الآخر، كما في تصريح **الرئيس الأمريكي (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م):**

صرح عندما تصبح الوسيلة الوحيدة لزعيم ما للبقاء في السلطة هي استخدام العنف الجماعي ضد أبناء شعبه نفسه، فإنه يكون عندئذ قد فقد شرعيته في الحكم.

فقوله (استخدام العنف الجماعي ضد أبناء شعبه)، عبارة حجاجية، يريد منها إثبات النتيجة (على القذافي الرحيل). والاستراتيجية الحجاجية المستخدمة في ذلك هي التسويغ العاطفي المتمثل في تحدي الآخر، بل تقويض شرعية وجوده. والسؤال الحجاجي: ما شرعية بقاء القذافي في الحكم؟ والجواب أنه ليس لديه إلا وسيلة واحدة هي استخدام العنف، وهو أمر شنيع، ثم وصف العنف أنه عنف (جماعي)، فالصفة أظهرت بشاعة العنف، ثم ضد من؟ (ضد أبناء شعبه). لقد استخدم التسويغ العاطفي كثيرا لإظهار بشاعة ممارسات الطرف الآخر.

ارتباط التسويغ العاطفي والأخلاقي، كثيراً، كما في تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية (٢٦/ ٢/ ٢٠١١م):

وتعمل الولايات المتحدة مع أصدقائنا وشركائنا أيضا من أجل حشد رد قوي وموحد من المجتمع الدولي لإخضاع مرتكبي هذه الانتهاكات غير المقبولة لحقوق الإنسان العالمية للمحاسبة.

فقولها (لإخضاع مرتكبي...إلخ) حجة لما سبق من القول، فهي تبرر سعي الولايات المتحدة لمعاقبة السلطة الليبية، حيث تصف قادة ليبيا أنهم (مرتكبوا انتهاكات)، وهي انتهاكات (غير مقبولة)؛ إذ هي انتهاكات (لحقوق الإنسان العالمية)، ومن ثم فالحجاج هنا يظهر قادة ليبيا وقد اعتدوا على القيم والأخلاق الإنسانية، وليس مجرد اعتداء ضد أبناء الشعب. وهكذا نلحظ انتقال الحجاج من التسويغ العاطفي إلى التسويغ الأخلاقي.

وكذلك في تصريح وزيرة الخارجية (٢٧/ ٢/ ٢٠١١م):

ستكون هناك محاسبة على الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وغيرها من فظائع تقترف ضد الشعب الليبي.

لفظ (الجرائم... التي تقترف) هو بؤرة الحجاج في هذا التصريح، فالمحاسبة إنما تكون لأن ثمة جرائم تقترف، وهذا تسويغ أخلاقي؛ والوزيرة الأمريكية تثبت هذه الجريمة اللاأخلاقية وتقيم عليها النتيجة، ثم ينتقل التسويغ معها خطوة أخرى إلى التسويغ العاطفي باستخدام ألفاظ أخرى تحمل شحنات عاطفية، فالجرائم ضد الإنسانية كلها، ولا شك أن جرما ضد الجميع أفظع من جرم ضد فئة معينة، ووصف الجرائم بـ(جرائم الحرب)، ثم استخدام لفظ (فظائع)، واستخدام لفظ (الشعب الليبي)، كلها تقدّم تلك الجرائم لا على أنها ضد مسلحين أو جماعات قتالية، ولكن ضد شعب.

وكانت نتيجة ذلك أن العالم أدان الجريمة وفرض العقوبة، ومن ثم وجد هناك مسوغ حجاجي جديد، وهو مسوغ قانوني، (استراتيجية السلطان)، فقرار مجلس الأمن (١٩٧٠) أعطى حجاجا قانونيا في فرض العقوبات. وقد صرحت وزيرة الخارجية بعد القرار بشأن فرض عقوبات على ليبيا، (٢٧/ ٢/ ٢٠١١م):

ومن الجلي أن قرار مجلس الأمن الدولي الذي أقر خلال فترة قياسية وأيدته بلدان غالبا ما كانت تؤيد على مضض اتخاذ مثل هذه التدابير، إنما يبعث برسالة قوية لا لبس فيها.

يتجلى الحجاج في هذا التصريح في قول الوزيرة: (**وأيدته بلدان غالبا ما كانت تؤيد على مضض اتخاذ مثل هذه التدابير**)، فهو حجاج صاعد وفق السلم الحجاجي، وتأييد تلك البلدان التي لا تؤيد في العادة مثل هذه التدابير يمثّل حجة أقوى من تأييد البلدان الأخرى، وذلك ما يجعل الرسالة الموجهة إلى السلطة الليبية أقوى. والتسويغ عاطفي يستدعي الرأي العام، بإظهار أن الجميع أيد، بمن فيهم أولئك الذين لا يؤيدون عادة، ومن ثم فعلى السلطة الليبية أن تدرك خطورة الرسالة القوية، وأنها أصبحت محاصرة. وهذا فعلا ما حدث؛ فحتى روسيا فرضت عقوبات على ليبيا وفقا للقرار.

حجة أخرى ركز فيها خطاب المعاقب، نجدها في تصريح وزيرة الخارجية (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م):

> **"يجب علينا جميعاً أن نعمل سوية لاتخاذ خطوات إضافية من أجل تقديم حكومة القذافي للمحاسبة والمساءلة، وتأمين المساعدة الإنسانية لمن هم في أمس الحاجة إليها، وتقديم الدعم للشعب الليبي وهو يسعى للانتقال إلى الديمقراطية.... تتلاقى قيمنا ومصالحنا سوية حول هذا الأمر. لأن دعم هذه العمليات الانتقالية لا يُشكّل ببساطة قضية تتعلق بالمثل العليا. إنما هي أيضاً ضرورة استراتيجية. فبدون القيام بخطوات ذات معنى تجاه إقامة حكم تمثيلي، وخاضع للمساءلة، وشفاف، ويترافق مع اقتصادات مفتوحة، سوف تتعاظم الفجوة بين الشعب وقادته ويتعمق عدم الاستقرار. فما كان ممكناً في القرن العشرين، لم يعد ممكناً بعد الآن مع قيام تكنولوجيات جديدة ومع القدرة التي أصبح يملكها الآن الناس في التواصل. وإن التشبث بأنظمة لا يمكن محاسبتها ولا تستجيب للمطالب المشروعة لشعوبها يشكل خطراً، ليس خطراً على القادة وحسب وإنما خطر على جميع مصالحنا أيضاً. وبصورة مغايرة لذلك، فقد أظهر التاريخ أن الديمقراطيات تكون أكثر استقراراً وأكثر سلاماً، وفي نهاية المطاف أكثر ازدهاراً ورخاء".**

يستند التصريح إلى استراتيجية التسويغ المنفعي، فالشعوب تريد الحرية والديمقراطية، ودعم هذه الإرادة "ضرورة استراتيجية"، وهذا ما يوجب الدعم الدولي لإرادة الشعب الليبي. فالمنفعة التي ينتظرها الشعب الليبي من المجتمع الدولي أن يدعم طموحه وسعيه إلى التغيير. ثم تنتقل الوزيرة خطوة أخرى في الحجاج، فتذكر المخاطر المترتبة على ترك الشعب الليبي دون مساعدة في تحقيق التغيير: (تتعاظم الفجوة بين الشعب وقادته، ويتعمق عدم الاستقرار)، وكلاهما خطران: فتعاظم الفجوة وعدم الاستقرار يهددان النظام العالمي، ويقوضان شرعية عالميته. وقد أكدت هذا بعبارة صريحة: (وإن التشبث بأنظمة لا يمكن محاسبتها ولا تستجيب للمطالب المشروعة لشعوبها يشكل خطراً، ليس خطراً على القادة وحسب وإنما خطرا على جميع مصالحنا أيضاً)، فهو خطر لن يمس القادة فقط، بل المصالح أيضاً. وفي الجملة المغايرة تعيد الربط الحجاجي مع الحجة السابقة (وبصورة مغايرة لذلك...) لتؤكد الوجه الإيجابي للحجة السابقة في حال قيام المجتمع الدولي بدوره.

يركز خطاب المعاقب كثيرا في ناحية الأضرار التي لحقت بأحد طرفي النزاع، لذلك فهو يقف مع الطرف المتضرر مساندا وداعما، ويعطي بذلك حجة أخلاقية وعاطفية تبرر له ما يتخذه من عقوبات ضد الطرف الفاعل. وفي التصريح التالي لوزيرة الخارجية (٢٨/ ٢/ ٢٠١١م)، كما في الأمثلة السابقة صورة واضحة لهذه الاستراتيجية:

> **ومع استمرار العنف في ليبيا يساورنا قلق بالغ على الوضع الإنساني. لهذا فإننا نعمل مع الأمم المتحدة ودول شريكة واللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر الليبي وغيرها من منظمات غير حكومية لإطلاق رد فعال ونشط. وكبداية خصصت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، مبلغ ١٠ ملايين دولار إضافي كمساعدات طارئة دعما لجهود منظمات تعمل ميدانيا لتلبية أمسّ حاجات الليبيين وغيرهم من عمال وافدين ومهاجرين علقوا في العنف والتشريد. كما أننا سنوفد على وجه السرعة فريقين من الخبراء في الشؤون الإنسانية إلى حدود ليبيا مع كل من تونس ومصر للمساعدة بشؤون النازحين ممن يفرون من وجه العنف.**
>
> **إن اهتمامنا الآني يتركز على الحاجة لإبقاء الإمدادات الطبية المرسلة كاملة ومتوفرة مخزوناتها. كما أن من دواعي قلقنا أن العنف الجاري قد يعطل شبكات التوزيع ويؤدي إلى شح في الغذاء. لهذا قمنا بجرد كل موارد معونات الغذاء الأميركية في المنطقة ونحن جاهزون لتحويل أو إرسال مخزونات غذاء غيرها إلى ليبيا لدى نشوء الحاجة. والآن مع تحركنا قدما على هذه الجبهات سنواصل استكشاف كل الخيارات الممكنة لإجراءات إضافية. وكما أسلفنا، لا شيء مستبعد عن طاولة (البحث) ما دامت الحكومة الليبية تواصل تهديد المواطنين الليبيين والإجهاز عليهم.**

تبرز الوزيرة الأمريكية هنا المعاناة الإنسانية، والحاجة إلى الغذاء والدواء، ودور الأمريكان في هذا الدعم، ودور منظمات المجتمع الدولي كذلك، وتذكر المنظمات الإنسانية (وهذه الاستراتيجية من عولمة الانتماء)، فأمريكا هنا تنتمي إلى المنظمات الإنسانية التي يعرف الجميع أفعالها الإنسانية. وهذه كلها حجج تؤكد أن دورهم إنساني، وأن النداء الإنساني يحتم عليهم اتخاذ هذه الإجراءات لنصرة المظلوم وعقاب من ظلمه، ومن ثم فـ(لا شيء مستبعد عن طاولة البحث ما دامت الحكومة الليبية تواصل تهديد المواطنين الليبيين والإجهاز عليهم)، وهي عبارة تنذر بمزيد من العقوبات نصرة للشعب الليبي المظلوم.

رابعاً: الحجاج في خطاب المحارب:

في خطاب الرئيس الأمريكي الذي دشن به الحرب (١٨/ ٣/ ٢٠١١م) تتضح معالم الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب الحرب.

تتمثل معالم الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب المحارب، في الاستمرار في استدعاء الحجاج القائم على العاطفة والأخلاق، حتى يعطي الحرب بعداً أخلاقيا.

ونجد في تصريح الرئيس الأمريكي أن البنية السردية الحجاجية تقوم على الحجاج الأخلاقي والعاطفي؛ حيث تتصاعد البنية السردية في وصف الأحداث، لتحمل مع كل مستوى تصعيدي شحنات حجاجية عاطفية وأخلاقية، تنتهي أخيرا بقانون دولي، أصبح مسوغا قانونيا لتنفيذ العقوبات، ثم الحرب:

> على مدى الأسابيع القليلة الماضية، شهد العالم تطور الأحداث في ليبيا بشعور من الأمل والقلق. ففي الشهر الماضي، خرج المتظاهرون إلى الشوارع في جميع أنحاء البلاد للمطالبة بحقوقهم الأساسية، وبحكومة تكون مسؤولة عن أعمالها وتستجيب لطموحاتهم. ولكن تمت مواجهتهم بقبضة من الحديد. في غضون أيام، أعلنت أجزاء كاملة من البلاد استقلالها عن النظام الوحشي، واختار أعضاء الحكومة الذين يعملون في ليبيا والخارج أن يقفوا في صفوف قوى التغيير. وكان من الواضح أن معمر القذافي قد خسر ثقة شعبه وشرعيته لقيادة بلده. وبدلاً من احترام حقوق شعبه، اختار القذافي طريق القمع الوحشي. تعرض المدنيون الأبرياء للضرب، والسجن، وفي بعض الحالات للقتل. وقُمعت الاحتجاجات السلمية بالقوة. وتعرضت المستشفيات للهجوم واختفى المرضى. وبدأت حملة من التخويف والقمع.

هذه الفقرة الأولى من خطاب الرئيس الأمريكي، وهي تقيم موازنة حجاجية بين متظاهرين مسالمين طالبوا بحقوقهم المشروعة، وآمالهم وطموحاتهم، ونظام وحشي يقمعهم ويواجههم بقبضة من حديد، فتعرضوا للتنكيل والتعذيب والقتل، وهم ضحايا أبرياء مدنيون، ويصل الحجاج (في هذه الفقرة) إلى أعلى مستوى تصعيدي بقوله (وتعرضت المستشفيات للهجوم واختفى المرضى). فهي عبارة تكشف عن بشاعة الجريمة والاعتداء، فحتى المستشفيات تعرضت للهجوم واختفى المرضى.

كان ذلك حجة قوية أجبرت المجتمع الدولي على التحرك، وهذا ما تم فعلا، وانتهى الأمر بقرار دولي، فالقرار الدولي أصبح مسوغا قانونيا لفرض الحظر الجوي، وبناء على هذا المسوغ وجهت إنذارات للقذافي؛ (ووُجهت تحذيرات كثيرة إلى القذافي كي يوقف حملة القمع التي يشنها وإلاّ فانه سيخضع للمساءلة). فالقرار الدولي هو نتيجة للحجة السابقة المتمثلة في وحشية نظام القذافي، مما استدعى أن يصدر المجتمع الدولي قانونا.

ثم يصبح القرار الدولي حجة، بعد أن كان نتيجة، فهو حجة يسوغ شن الحرب:

> **(في الأمس، واستجابة للدعوة التي وجهها الشعب الليبي وجامعة الدول العربية لاتخاذ إجراءات، أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً قوياً يطالب بوضع حد للعنف ضد المواطنين. وهو يفوض استخدام القوة مع التزام صريح باتخاذ جميع التدابير اللازمة لوقف أعمال القتل، ويشمل ذلك تطبيق منطقة حظر جوي فوق ليبيا. وهذا القرار يقوي أيضاً عقوباتنا ويعزز فرض تطبيق حظر تصدير السلاح لنظام القذافي).**

ينتقل الحجاج مرة أخرى إلى التسويغ بالسلطان، والتسويغ المنفعي. ففي الفقرة الثالثة يبدأ النص: (ومرة أخرى، اختار القذافي تجاهل إرادة شعبه والمجتمع الدولي)، فعبارة (مرة أخرى) رابط حجاجي يربط بين الحجج السابقة التي أظهرت عناد القذافي وانتهاكاته، وبين إصراره مرة أخرى على رفض الحجة القانونية الجديدة (الإرادة الدولية) المتمثلة في القرار. وللقذافي سجل تاريخي لهذا التحدي، من رعايته للإرهاب (فخلال عقود من الزمن...)، ومن ثم فالمجتمع الدولي أمام خيارين: إما أن يحافظ على تماسكه وهيبته وإما أن تصبح (كلمات المجتمع الدولي بمثابة عبارات جوفاء).

ويظهر التسويغ المنفعي ظهورا واضحا من خلال الحجة (الشعب الليبي يستحق دعم المجتمع الدولي لبناء الديمقراطية)، وقد سبق عرض هذه الحجة. غير أن الخطاب يكررها في أكثر من موطن، وفي الوقت نفسه يربط علاقة بين هذا التسويغ وبين أن أمريكا لم تتدخل، وإنما هذه رغبة الليبيين،

(أوضحنا دعمنا لمجموعة من القيم الأساسية، ودعمنا للتغيير السياسي والاقتصادي الذي تستحقه شعوب المنطقة. ولكن أريد أن أكون واضحاً: التغيير في المنطقة لن يُفرض ولا يمكن أن يُفرض من جانب الولايات المتحدة أو أي قوة أجنبية، إذ انه في نهاية المطاف، سوف يُدار على يد الناس في العالم العربي. إن تقرير مصيرهم هو من حقهم ومن مسؤوليتهم هم بالذات).

ومن ثم فالطرف الأمريكي لا يفرض الحرب أو التغيير، ولكنه يدعم التغيير الموجود أصلا، ويضع قوته لتحقيقه والحيلولة دون انتهاكه. وقد صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية بذلك: "إن الولايات المتحدة تشارك الشعب الليبي إصراره على ضرورة تنحي القذافي الآن". ومن ثم فأصبحت حماية القيم والنموذج مبررا للتدخل.

ثم يختم الرئيس الأمريكي خطابه بحجة عاطفية:

(اسمحوا لي أن أختتم بالقول إنه ليس هناك أي قرار آخر أواجهه بصفتي قائدكم الأعلى وأدرسه بعناية تامة مثل قرار طلب استخدام القوة العسكرية من رجالنا ونسائنا. ولا سيما في الوقت الذي يقاتل فيه جيشنا في أفغانستان ونخفض نشاطاتنا في العراق، مما يجعل هذا القرار أكثر صعوبة. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقف مكتوفة الأيدي في مواجهة الأعمال التي تقوض السلم والأمن العالميين)،

فوفقا للسلم الحجاجي، يريد الرئيس الأمريكي أن يقول: أن اتخاذ قرار الحرب صعب، بل هو أصعب قرار يتم اتخاذه؛ إذ فيه مواجهة للموت، ورغم إدراكه لهذه الصعوبة إلا أنه اتخذ قرار الحرب اضطرارا، فكأن الأمر الذي اتخذ أوجب اتخاذه أمر يستحق، فالمحافظة على (السلم والأمن العالميين) أهم من الحفاظ على حياة الجنود.

إن الخطابات المنتمية كالمثال السابق لنموذج "خطاب المحارب" كثيرة، وما يغلب عليها هو استخدام "استراتيجية التسويغ بالسلطان"، والسلطان في هذه الحالة هو القانون الدولي. واستخدام هذه الاستراتيجية يعطي مبررا للحرب من جهة، ويحافظ على تماسك المجتمع الدولي من جهة أخرى؛ فالمجتمع الدولي قد يختلف على القيم والعواطف، وعلى زاوية النظر إليها، لكنه سيتفق إلى حد بعيد حول قرار دولي اتخذه "مجلس الأمن"، وأصبح نافذاً على جميع الدول.

خامساً: الحجاج في خطاب المنتصر:

يستند المنتصر إلى استراتيجية التسويغ الأخلاقي، فهو يظهر بطولاته وإنجازاته ونجاحه، كأنها هي انعكاس لما يحمله من قيم وكفاية مكنته من تحقيق ما يصبو إليه. وفي خطاب الرئيس الأمريكي في (٢٨/ ٣/ ٢٠١١م) دليل بيّن على ذلك، فهو يتحدث عن الجنود بأنهم (تحركوا بسرعة فائقة وقوة؛ وبسببهم، وبفضل دبلوماسيينا المخلصين، تم تشكيل ائتلاف وأنقذت أرواح لا تحصى)؛ فالحركة السريعة الفائقة والقوية... هي حجج لنتائج مفادها أن هذه الكفاية هي التي مكنت من تحقيق النصر.

وهناك التسويغ المنفعي: (نحن بطبيعة الحال نتردد في استخدام القوة لحل الكثير من المشاكل العالمية. ولكن عندما تتعرض مصالحنا وقيمنا للخطر تقع على كاهلنا مسؤولية العمل) واستخدام الرابط الحجاجي (لكن)، ليتقل من حالة حجاجية إلى حالة أخرى، فالحالة الأولى أن ثمة ترددا في استخدام القوة، هذه الحالة الحجاجية تنتهي بعد الرابط (لكن)، فهو يريد أن يقول إنه عندما تتعرض المصالح والقيم للخطر فإنه لا بد من الإقدام والحسم، وهذا ما تم فعلاً.

كذلك التسويغ العاطفي، يبدو واضحاً في خطاب المنتصر، فضمير (نا) (مصالحنا وقيمنا)، وأيضا لفظ الخطر (تتعرض للخطر) الذي يستدعي مشاعر الخوف لدى المتلقي، والهدف من ذلك إيجاد حالة عاطفية لدى المتلقي ليشعر أنه مشارك وأن واجبه المشاركة في المسؤولية.

> **يقول الرئيس الأمريكي: لم تتصرف الولايات المتحدة وحدها في هذا الجهد. فبدلا من ذلك انضم إلينا ائتلاف يزداد قوة وكثرة. فهو يضم أقرب حلفائنا – من دول مثل المملكة المتحدة وفرنسا وكندا والدانمارك والنرويج وإيطاليا وإسبانيا واليونان وتركيا – وكلهم حاربوا إلى جانبنا لعقود. ويضم شركاء عربا مثل قطر والإمارات العربية المتحدة اللتين اختارتا الاضطلاع بمسؤوليتها عن حماية الشعب الليبي.**

الحجاج هنا عاطفي أيضا، يقوم على استدعاء الرأي العام، فالرئيس الأمريكي يريد القول إنه ليس وحده من أقدم على الفعل، ولكن كل العالم معه. والجملة الأخيرة (اختارتا الاضطلاع بمسؤوليتها عن حماية الشعب الليبي)، عبارة تصنيفية حجاجية، فهو ومن أيده يضطلعون بمسؤولياتهم في الحماية، والذي لم يقف معه ليس كذلك. كما أنه يؤكد نتيجة أخرى رددها باستمرار، وهي أن هذه مسؤولية عالمية، وأن أمريكا لا تعمل بانفراد، خلافا لما قيل عنها من قبل... إلخ.

المطلب الرابع: دراسة عينة:
الحجاج في قرار مجلس الأمن ١٩٧٣

تناولت في الفصل السابق الإطار التواصلي لهذا القرار، وفي هذا الفصل سأخصص الحديث للإطار الحجاجي فيه، وفقا للإطار الشجري الهرمي: القيمة الحجاجية، والقالب الحجاجي، والعلاقات الحجاجية، واستراتيجيات الحجاج. وسأقتصر على تحليل مقدمة القرار (انظر الملحق رقم ١).

أولاً - القيمة الحجاجية:

تتمثل القيمة الحجاجية في أن (مجلس الأمن يمثل المجتمع الدولي، ويحق له محاسبة ومعاقبة من ينتهك السلم والاستقرار الدولي). هذه القيمة هي إطار عام لحركة الحجاج في القرار، وكل الأسس الحجاجية تتكئ على هذه القيمة. وهناك عبارات في المقدمة تشير صراحة إلى هذه القيمة، فالأفعال التسويغية (إذ يرى، وإذ يقرر، وإذ يتصرف) تعبر عن هذه القيمة التي يمنحها المجلس لقراراته.

ثانياً - القالب الحجاجي للقرار:

البنية العامة للقرار، كما تناولتها في الفصل السابق، تتكون من مقدمة ومتن، المقدمة حجة، والمتن نتيجة. وقد اشتملت المقدمة على ثمان وعشرين فقرة، تتضمن العديد من الحجج، سأتناولها في الأسطر القادمة.

وتبدأ حجية القرار مع العنوان، الذي اشتمل على التسمية (القرار)، والفاعل (مجلس الأمن)، ومن ثم فهو قرار دولي، ويحمل حجته القانونية؛ كون من اتخذه هو مجلس الأمن، ولقد أصبح هذا القرار سندا قانونيا للحلفاء الذين شنوا الحرب على الأجواء الليبية.

وقد بُني القرار في فقرات، كل فقرة منها تبدأ بفعل تواصلي، يقرر حجة ما (في المقدمة)، أو نتيجة ما (في المتن). والأفعال كلها مضارعة مسندة إلى المجلس (وإذ يشير، وإذ يعرب، وإذ يدين....الخ)، فهو الفاعل المهيمن الذي يظهر في كل فقرة من فقرات القرار.

فقرات المقدمة اشتملت على العديد من الحجج، المصنفة بحسب أفعالها التواصلية (تحدثت في الفصل السابق عن الأفعال التواصلية)، فهناك أفعال الإشارة التي ترتبط بقرارات وبيانات سابقة للمجلس أو لغيره، وحجيتها أنها تمثل إطارا تاريخيا قانونيا لما سيتم اتخاذه في القرار من إجراءات، فهو قرار غير منبت الصلة بما سبقه، بل هو موصول بمختلف المحافل والمنظمات الدولية. وأفعال الإشادة، هي اعتماد لحجاج آخر، وهي ترتبط في هذا بأفعال الإشارة، فكلاهما صوت آخر يحتج به، ويؤطر في القرار، ليظهر انطباعا بأن هناك إجماعا دوليا على ذلك.

الأفعال الالتزامية، وكذلك الاستنكارية عادة ما يرتبطان باستراتيجيات التسويغ الأخلاقي والعاطفي، ويمهدان لاستراتيجيات التسويغ القانوني، حيث تكون هذه الالتزامات والاستنكارات تمهيدا لإجراءات قانونية، تبنى على الالتزامات من جهة، واستنكار ما يفعله الطرف (الجاني) من جهة أخرى.

وأشرت آنفا إلى أن الأفعال التسويغية، تعد حججا مسوغة بشكل صريح، لاتخاذ القرار، وأن القرار يأتي في إطار قانوني، فهي مسوغات قانونية، بخلاف الأفعال الالتزامية والاستنكارية، التي غالبا ما تكون مسوغات أخلاقية وعاطفية.

ثالثاً - العلاقات الحجاجية:

خلاصة الحجج التي في مقدمة القرار، على النحو التالي: (ملحوظة: فقرات المقدمة غير مرقمة في القرار)

الفقرات ١، ٢: إشارة إلى قراره السابق الذي فرض فيه مجموعة من العقوبات على السلطات الليبية، ومن ثم فحيثيات وحجج ذلك القرار تنسحب مباشرة إلى هذا القرار، ولا سيما أن السلطات الليبية لم تمتثل لذلك القرار.

الفقرات ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩: هذه الفقرات تقيم حججا من خلال وصف الحدث الذي تقوم به السلطات الليبية، فهي تسمي الفاعل، وتسمي الفعل، عنفا وانتهاكات ترقى إلى مرتبة جرائم ضد الإنسانية، وتضع هذه الحجج في سياق إدانتها واستنكارها وتحمل السلطات الليبية المسؤولية عنها.

الفقرات ١٠، ١١: ينتقل بالحجاج إلى مجلس الأمن، باعتباره مسؤولا وملتزما أمام المجتمع الدولي بتقديم العون للشعب الليبي، وإيقاف الانتهاكات المذكورة في الفقرات السابقة. فالحجة هنا هي المسؤولية الدولية تجاه الأحداث.

الفقرات ١٢، ١٣، ١٤، ١٥: إشارة إلى منظمات دولية أدانت العنف وطالبت بوقفه، وحددت الفاعل، وحددت مقترحاتها لوقف العنف (جامعة الدول العربية طلبت فرض الحظر الجوي). الحجة هنا أن مختلف منظمات المجتمع الدولي تدين الانتهاكات وتدعو مجلس الأمن إلى تحمل مسؤوليته، وهذه حجة داعمة للحجة السابقة.

الفقرات ١٦، ١٧: حجاج بالفعل، حيث تشير الفقرتان إلى أن المجلس فعلا قد قام بدورٍ ما إزاء الوضع، لمحاسبة المنتهكين. ومن ثم فيبدو أن ما قام به غير كاف لإيقاف الانتهاكات. وهذه الحجة داعمة أيضا للحجة السابقة، المتعلقة بمسؤولية المجلس تجاه الأحداث.

الفقرات ١٨، ١٩، ٢٠: يعود القرار فيها مرة أخرى إلى وصف جانب آخر من الانتهاكات، وهي معاناة اللاجئين والأجانب الذين فروا، ودعوة المجتمع الدولي إلى دعم الجهود.

الفقرة ٢١: يصف جانبا آخر من جوانب الانتهاكات، وهو استعانة السلطات الليبية بالمرتزقة.

الفقرة ٢٢: رؤيته بأن فرض الحظر الجوي مهم في حماية المدنيين، ومن ثم فهو يقول: يمكن حماية المدنيين ووقف العنف من خلال هذه العقوبة.

الفقرة ٢٣: تأكيد القلق على وضع الأجانب الذي ما زالوا في ليبيا.

الفقرات ٢٤، ٢٥، ٢٦: تأكيد لدور الحل السلمي في ليبيا، وأن المجلس يدعم الحل السلمي، وأنه يلتزم بسيادة ليبيا واستقلالها ووحدتها. وهذه حجة احترازية، حتى لا يفهم من القرار أنه إعلان حرب.

الفقرة ٢٧: مسوغ تقريري للقرار، بأن الحالة الليبية تهدد السلام والأمن الدوليين.

الفقرة ٢٨: مسوغ قانوني، بأن المجلس يتصرف وفقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

وبالنظر مرة أخرى في هذه الحجج يمكن القول إن المقدمة اشتملت على حجتين عامتين، هما:

١) انتهاكات السلطة الليبية لحقوق الإنسان، واعتداؤها على الأعراف الدولية، وتحديها للإرادة الدولية، وتهديدها للأمن الدولي، واستمرارها في ممارسة تلك الانتهاكات.

٢) مسؤولية مجلس الأمن الدولي في وقف العنف ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات، وصلاحياته في تحديد مدى التدخل، واتخاذ القرار بذلك.

ثم جاء متن القرار بتسع وعشرين فقرة، تعد نتائج تفصيلية لهذه الحجج. والبنية العامة للنتيجة: (المجلس فرض إجراءات -وفقا لمسؤوليته- من شأنها أن توقف العنف والانتهاكات وتؤدي إلى محاسبة المسؤولين عنها).

المبدأ الحجاجي العام للقرار: أي طرف يقوم بانتهاكاتٍ ضد حقوق الإنسان، ويهدد السلم والأمن الدولي، فينبغي أن يعاقب.

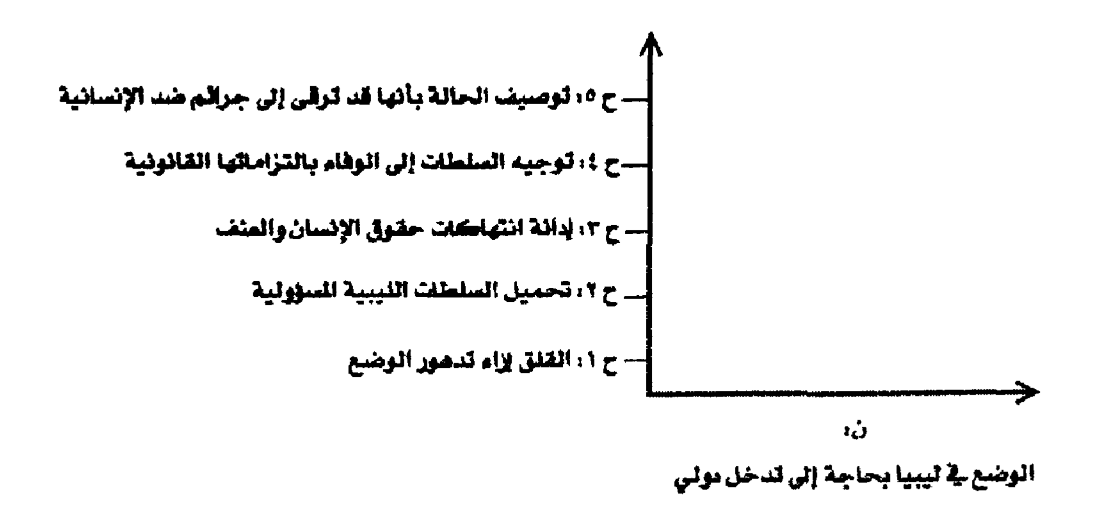
سأقف وقفة تفصيلية مع الفقرات ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، لأبين فيها: القيم التواصلية وكيف تم بناء الحجاج فيها، وتراتبية الحجج.

> وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين،
>
> وإذ يكرر تأكيد مسؤولية السلطات الليبية عن حماية السكان الليبيين،
>
> وإذ يؤكد من جديد أن أطراف النزاعات المسلحة تتحمل المسؤولية الأساسية عن اتخاذ جميع الخطوات الممكنة لكفالة حماية المدنيين،
>
> وإذ يدين الانتهاكات الجسيمة والممنهجة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة،
>
> وإذ يدين كذلك أعمال العنف والتخويف التي ترتكبها السلطات الليبية ضد الصحافيين والعاملين في وسائط الإعلام والأفراد المرتبطين بهم،
>
> وإذ يحث هذه السلطات على الوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي على النحو المبين في القرار ١٧٣٨ (٢٠٠٦)،
>
> وإذ يرى أن الهجمات الممنهجة الواسعة النطاق التي تُشن حاليا في الجماهيرية العربية الليبية على السكان المدنيين قد ترقى إلى مرتبة جرائم ضد الإنسانية،

هذه الفقرات بمجموعها تقيم حجاجا من خلال وصف الحدث وتسمية الفاعل، وإدانة ما يقوم به، وتحميله المسؤولية. ويسير البناء الحجاجي لها على النحو التالي:

يتصاعد الحجاج، بدءا بالتعبير عن القلق إزاء تدهور الوضع (وهذه حجة عاطفية)، ثم تحميل السلطات الليبية المسؤولية (وهي حجة أخلاقية)، ثم إدانة الانتهاكات لحقوق الإنسان وأعمال

العنف (وهذه حجة قانونية أخلاقية)، ثم توجيه السلطات إلى الوفاء بالتزاماتها القانونية (وهذه حجة قانونية أخلاقية منفعية -إذ تتمثل منفعة مؤسسة الدولة في حماية مواطنيها، وتوجيه السلطة الليبية إلى حماية المواطنين يعني أنها لا تحميهم؛ فالتوجيه يعني أن الصفة مفقودة)، وتوصيف الحالة بأنها قد ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية (وهذه حجة قانونية أخلاقية عاطفية منفعية، إذ ينـدرج بعدها القانوني في الإشارة إلى القانون الجنائي الدولي، وبعدها الأخلاقي في كون مرتكبيها أقدموا على جرائم؛ وأما بعدها العاطفي فيتجلى في الإشارة إلى الضحايا، فيما تتمثل الحجة المنفعية في الإشارة إلى واجب المؤسسة الدولية في إيقاف هذه الجريمة).



شكل (١٤): السلم الحجاجي (تطبيقاً على مثال)

وبالنظر في هذه الحجج – وفقاً للسلم الحجاجي - نجد أن ثمة تصاعدا في عرض الحجج، كما نجد أن ثمة تصاعدا في الوظائف التواصلية (إعراب عن القلق، تحميل المسؤولية، إدانة، توجيه الخطاب المباشر إلى الطرف الآخر، الحجة التسويغية الوصفية للحالة).

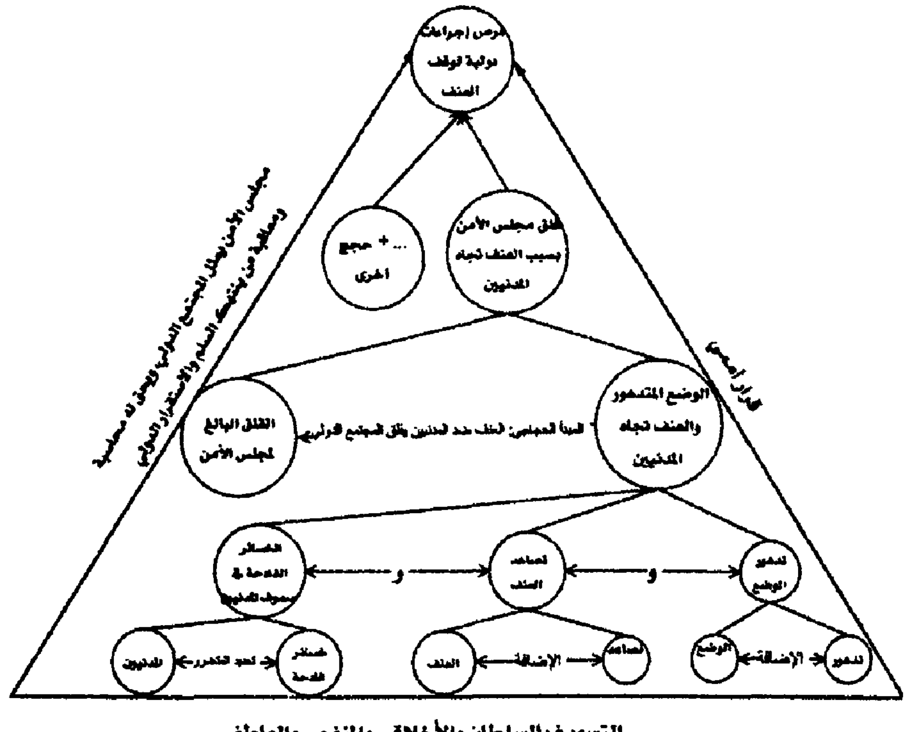
تؤدي جميع هذه الحجج إلى النتيجة التي يريدها المجلس، وهي أن الوضع في ليبيا بحاجة إلى تدخل دولي، وفقا للمبدأ الحجاجي (المجتمع الدولي عليه مسؤولية أخلاقية قانونية تجاه الجرائم ضد المدنيين)، فإذا ثبت أن هناك جرائم ارتكبت ضد المواطنين، وأن الفاعل معروف، فالنتيجة أن مسؤولية المجتمع الدولي إيقاف هذه الجرائم، ومحاسبة الفاعلين. وهذا المبدأ يعكس السلطة الدولية المهيمنة، ولا سيما تلك السلطة التي تحدد الانتهاكات والجرائم والمجرمين، وفق رؤيتها هي، وليس بالضرورة وفقا لما عليه الحال في الواقع.

واستخدام الصفة (البالغ)، في الفقرة الثالثة، في قوله (يعرب عن القلق البالغ)، يرفع درجة القلق، ويوحي بأن هذا القلق قد يتحول من مجرد عاطفة إلى فعل، وهذا ما كان بالفعل، حيث جاءت الفقرة التالية لتدين ما يحدث.

لا نكاد نجد ذكرا للروابط الحجاجية، باستثناء (الواو)، الذي يربط بين الفقرات كلها، ويربط بين الحجج داخل كل فقرة؛ مما يوحي بأن هنا اتجاها حجاجيا واحدا، والخطاب فقط يجمع الأدلة التي تصب في مصلحة هذا الاتجاه، ومن ثم كان (الواو) هو الرابط المناسب بين الحجج. كما أن مجموع فقرات المقدمة كلها يربط بينها (وإذ)، ثم الفعل المضارع التواصلي الذي يعبر عن حالة تواصلية لدى مجلس الأمن، مما يجعل كل فقرة مسوقة مساق الحجة، مرتبطة بالفقرة التي قبلها والتي بعدها، حتى تكتمل الحجج، ثم يأتي المتن بناء على هذه الحجج المسوقة. وهناك بعض الروابط الحجاجية الداخلية، كما في الفقرة الثالثة (إزاء)، فهي تعادل (بسبب).

وأما العوامل الحجاجية، فنجد منها في الفقرة الأخيرة استخدام عبارة (قد ترقى)، فالقرار لم يقل إنها ترقى فعلا، ولفظ (قد) يجعل الفعل في دائرة الشك، هل حصل أو لم يحصل، ولعل ذلك يعكس بعض السجال في أروقة المجلس بين الأطراف الدولية المختلفة حول توصيف الحالة، بين من يرى أنها ترقى، ومن لا يرى ذلك، فاستخدمت (قد) كمخرج مفتوح التأويلات، وفي الوقت نفسه يمكن الإفادة منه والبناء عليه في ما يتخذ لاحقاً من قرارات ضد السلطات الليبية.

سبق – في المدخل النظري – أن حللت العلاقات الحجاجية في الفقرة الثالثة، مبينا الوحدات والذرات الحجاجية التي فيها. والخلاصة أن الفقرة الثالثة عبارة عن حجة، اشتملت على نتيجة وحجة، والحجة اشتملت على ثلاث وحدات حجاجية، والوحدة الحجاجية الثالثة اشتملت على ذرّتين حجاجيتين. ثم إن الفقرة كلها هي حجة ضمن مجموعة من الحجج تمثلها الفقرات المذكورة (من ٣ – ٩)، وهذه الفقرات هي حجة من ضمن حجج تمثل المقدمة، ونصل إلى البنية الحجاجية للمقدمة، التي تتلخص في حجتين، كما قدمت قبل قليل. وهذا شكل يوضح العلاقات الحجاجية في الفقرة الثالثة من مقدمة القرار، والتي تنص على: (**وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين**)



شكل (١٥): تمثيل تحليل إحدى فقرات قرار مجلس الأمن بالشكل الشجري الهرمي

رابعاً - الاستراتيجيات الحجاجية:

بالنظر في الحجتين اللتين اشتملت عليهما مقدمة القرار، يمكن القول إن الاستراتيجيات الحجاجية الأربع استخدمت على النحو التالي: الحجة الأولى، استخدم معها التسويغ العاطفي والأخلاقي، والحجة الثانية استخدم معها التسويغ بالسلطان والمنفعي. وسأوضح ذلك في ما يلي.

استخدم (التسويغ العاطفي) لعرض حجم الانتهاكات وفداحة العنف، المستخدم من قبل السلطات الليبية، كما في الفقرة الثالثة (وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين) فالألفاظ: (تدهور الوضع)، و(تصاعد العنف)، و(الخسائر الفادحة) كلها ألفاظ ذات حجاج عاطفي، ترسم للمتلقي صورة مأساوية عن الحدث، وكلها تجيب عن (ماذا؟)، ثم لفظ (في صفوف المدنيين)، يجيب عن السؤال: (من الضحية؟) فالضحية هم مدنيون مسالمون. ومن ثم فالمجلس يعرب عن (القلق البالغ) فهو يفصح عن عاطفة القلق، ويستثير الشفقة لدى المتلقي، ليعبر عن موقف ينتصر للضحية، وينصف المظلوم. وكذلك الفقرة ١٨ (وإذ يكرر تأكيد قلقه إزاء معاناة اللاجئين والعمال الأجانب الذين اضطروا للفرار من العنف الحاصل في الجماهيرية العربية الليبية)، فالحديث عن (معاناة

اللاجئين) يستدعي الشفقة، ويوجب موقفا عاطفيا ما، وقد أعرب المجلس عن موقفه العاطفي بإبداء القلق إزاء هذه الحال.

وإذا ما تطرقنا إلى التسويغ الأخلاقي، فهناك نقطة من المهم التنبيه لها، إذ فيها يكمن الفرق بين التسويغ العاطفي والتسويغ الأخلاقي.، فالتسويغ العاطفي عادة ما يتجه إلى الحديث عن المفعول، (الضحية، المظلوم، صاحب المعاناة، وما كابده من معاناة). أما التسويغ الأخلاقي فيتجه عادة إلى الفاعل، ويستدعي ما لديه من قيم أخلاقية، ومدى التزامه بالقيم، مما يفضي إلى إضفاء الشرعية عليه أو نزعها عنه.

وبناء على هذا الفارق، نرى في الفقرة الرابعة مثالا جيدا على التسويغ الأخلاقي، فهي تحمّل السلطات الليبية المسؤولية، ومن ثم تتجه إلى الفاعل وما يتحمله من مسؤوليات أخلاقية. وكذلك الفقرة الثامنة التي تحث السلطات الليبية على الوفاء بالتزاماتها، والفقرة ٢١، التي يدين فيها المجلس استخدام السلطات الليبية للمرتزقة. فهذه كلها حجج أخلاقية تأتي في القرار لتنزع الشرعية عن السلطات الليبية، وتضعها أمام طائلة المحاسبة.

وأما (التسويغ بالسلطان) فيتمثل في استناد المجلس إلى القانون الدولي الذي يضع مجموعة من الحجج، يستمدها من بيانات ومواقف يعرضها لمنظمات أخرى، وقرارات سابقة لمجلس الأمن نفسه، تتيح له المجال للتذكير بما لديه من صلاحية التصرف وفقاً لميثاق الأمم المتحدة. فهذه كلها حجج قانونية، يسوغ بها المجلس قراره بناء على ما لديه من سلطات.

وأما (التسويغ المنفعي) فيمكن تلخيصه في أن منفعة المجتمع الدولي - كمؤسسة دولية - تتمثل في الحفاظ على النظام العالمي واستقراره، وصد أي تهديد يستهدف سلمه وأمنه. ومن ثم فالدول ستنظر في موقف المؤسسة الدولية وما إذا كانت قادرة على تحقيق المنفعة المناطة بها، وإلا فستفقد ثقتها في هذه المؤسسة. وقد برز هذا التسويغ في العديد من فقرات المقدمة، كالفقرات ١٠، و١١، و١٦، و١٧، و٢٧.

المبحث الثاني: الحوارية

- المطلب الأول: مدخل نظري
- المطلب الثاني: تحليل نماذج من خطاب النزاع

المطلب الأول: مدخل نظري

أولاً - مفهوم البعد الحواري:

البعد الحواري في الخطاب هو استدعاء لصوت الآخر الحقيقي أو المتخيَّل (كمن يتخيل وجود معارض لما يقوله فيرد عليه مسبقا)، وحجاجه، ومن ثم يتم التعامل معه، إما بقبوله، وإما برفضه، وإما بمحاولة حله، وإما الإعراض عن صوت الآخر، والتركيز في المشترك.

ومن ثم فالبعد الحواري يرتبط بالحجاج؛ بل يعد من المسلمات في القياس أن الخطاب حواري، بمعنى أنه ما من خطاب إلا وفيه متكلم ومستمع، أحدهما عارض والآخر معترض، والغالب أن يكون المتكلم عارضا والمستمع معترضا (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٧٩).

وقد أدرج ديكرو (وأنسكومبر أيضاً)، البعد الحواري في نظريتهما، حيث رأيا أن استدعاء المبادئ الحجاجية وإعمالها إنما هي تدخلات المتكلمين الآخرين وأصواتهم المتنوعة، وتتم هذه التدخلات تحت إشراف المتكلم وتوجيهه، فهو كالمخرج المتحكم في مسرح الحركة التلفظية؛ إذ يتصرف في أصوات المتكلمين لحسابه الخاص، ويدفعهم إلى سَوق وإعمال المبادئ بالوجه الذي يفيد غايته ويحقق مقصده (الراضي، ٢٠١١، ص٢٢٠). فمثلا: (زيد تقي؛ لكنه كسول)، يستدعي صوتين حجاجيين، الأول: بقدر ما تكون التقوى تكون الإيجابية، ومن ثم يستحق المهمة. فكأن المتكلم يعارض هذه النتيجة عبر صوت حجاجي آخر، هو: بقدر ما يكون الكسل تقل الإيجابية، ومن ثم لا يستحق المهمة.

والسؤال الذي أعنى به في هذا المبحث، هو: ما مدى حضور البعد الحواري في خطاب النزاع؟ وما استراتيجيات الاختلاف أو بناء الأرضية المشتركة؟

يرى فيركلاف أن الحوارية تتدرج في النص من "التناص" إلى "المسلمات"، وقد اقترح خمسة سيناريوهات متدرجة لتقييم درجة حضور البعد الحواري في النص، وهي: (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٩٤).

١) الانفتاح على الاختلاف، وقبوله، والاعتراف به، والخوض فيه.

٢) التشديد على الاختلاف، والنزاع والجدل، والصراع على المعنى والقواعد والسلطة.

٣) محاولة حل الاختلاف أو تخطيه.

٤) تحييد الاختلاف، والتركيز في المشترك والتضامن.

٥) الإجماع: تطبيع الاختلاف.

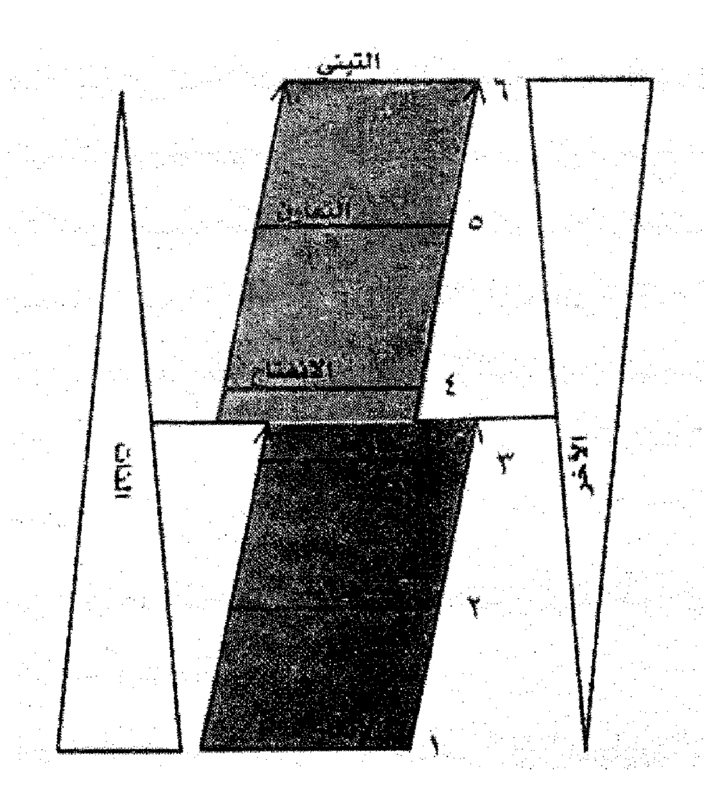


ثانياً - إطار التحليل للبعد الحواري:

يتضمن هذا الإطار مقترحا للسلم الحواري، وبيان للتساؤلات الأساس في تحليل الحوارية.

(١) السلم الحواري:

الشكل التالي يبين "السلم الحواري" الذي يقترحه الباحث لدراسة البعد الحواري في الخطاب:



شكل (١٦): نموذج السلم الحواري لتحليل البعد الحواري

يتألف السلم الحواري من ست درجات تبدأ بالدرجة الأولى، وهي (الإنكار)، وحتى الدرجة السادسة (التبني)، وتمثل الدرجات الثلاث (الإنكار، والتجاهل، والمقاومة) مستويات الرفض

(وهي هنا باللون الأحمر)، ثم هناك انكسار في السلم باتجاه مستويات القبول (باللون الأخضر)، وهي (الانفتاح، والتفاعل، والتبني)، وعلى جانبي السلم يمثل اتجاه المثلثين درجة حضور الآخر والذات في الخطاب، ويمثل المثلث على اليمين صوت الآخر، الذي ينحسر كلما اتجهنا إلى أسفل، ويمثل المثلث على اليسار حضور الذات، حيث ينحسر المثلث كلما اتجهنا إلى أعلى. ومن ثم فالإنكار يقابله التبني، والتجاهل يقابله التفاعل، والمقاومة يقابلها الانفتاح.

- الإنكار: (الآخر غير موجود)، منشئ الخطاب يلغي وجود الآخر، ولو أظهر الصوت الآخر فيظهره في إطار الإجماع، بمعنى يظهر وكأنه لا يوجد اختلاف، وأن ثمة إجماعا، فلا وجود للآخر المختلف. ولهذا يركز منشئ الخطاب في الصوت الآخر الداعم، أو يختار منه ما يدعم، أو يوجه ما يختار منه لمصلحته... كما يعتمد منشئ الخطاب على إظهار المسلمات المشتركة.

- التجاهل: (الآخر لا يستحق عنائي)، يعترف منشئ الخطاب إلى حد ما بوجود الآخر، ولكنه يتجاهله، ويرى أنه لا يستحق أن يلتفت إليه. ولا يظهر أن ثمة اختلافا أو اتفاقا معه.

- المقاومة: (الآخر موجود، وعلي أن أقضي عليه)، في هذا المستوى يحضر الصوت الآخر (لدى منشئ الخطاب)، ولكن منشئ الخطاب يشنع على الصوت في الرفض، بمهاجمته، أو مهاجمة صاحبه، أو الازدراء به، فهو في الحقيقة يعترف بوجود الآخر، ولكنه يرى أنه وجود مرفوض.

- الانفتاح: (أنا جزء فقط من المشهد، والآخر جزء منه). ثمة اعتراف من منشئ الخطاب بوجود الآخر، واعتراف بحقه في أن يكون جزءا من المشهد، ولكنه لا يتفاعل معه، بل يشرعن له من وجهة نظر صاحب الصوت، ومن ثم يمنحه الحق في أن يكون حاضرا مع صوته (أي: صوت منشئ الخطاب) جنبا إلى جنب.

- التعاون: (أنا والآخر معاً نرسم المشهد)، في هذا المستوى يحضر الصوت الآخر لدى منشئ الخطاب، ويناقش المنشئُ الصوتَ الآخرَ نقاشا موضوعيا، قد يصل إلى حل وسط، بتبني بعضه، أو تحويله إلى قاعدة يمكن الاشتراك فيها...إلخ. فمنشئ الخطاب ينطلق من اعتبار أنه والآخر معاً يرسمان المشهد، قد يتنازل هو للآخر، ويرى أن الآخر يمكنه أيضاً أن يتنازل له في سبيل الوصول إلى حل وسط.

- التبني: (الآخر كل المشهد)، في هذا المستوى يحضر الصوت الآخر لدى منشئ الخطاب، ويؤيد المنشئُ الصوتَ الآخرَ تأييداً قويا، بل يتبناه.

وتمثل هذه المستويات إطاراً تحليلياً لحضور صوت الآخر في الخطاب، كما أنه يمكن تطبيقها أيضا عند التفاعل مع أفكار الآخرين، والتدرج في التعامل معها، من إنكار لوجود فكرة ما إلى تبنيها.

وتساعد درجات السلم الحواري على تحليل قوة التناص في الخطاب أو ضعفه، بدءاً بالدرجة الثالثة (المقاومة) إلى الدرجة السادسة (التبني). أما المسلمات فإنها تضعف البعد الحواري، وتفرض لغتها بوصفها مسلمة لا تقبل الاختلاف، بل تجعل الأشياء بديهية، وهي تعمل أساسا في الدرجة الأولى من السلم (التطبيع).

❖ ❖ ❖

(٢) أسئلة الحوارية:

ثمة قضيتان تتعلقان بالحوارية، وهما:

أ - الأولى: أنماط الاستتار في النص.

ب - والثانية: الاقتباسات.

أ - أنماط الاستتار في النص:

هناك مجموعة من أنماط الاستتار في النص، وتعد هذه الأنماط معاني مستترة داخل النص، وتمثل أرضية مشتركة بين المتكلم والسامع. وقد ميز فارشوارن (Verschueren) بين أربعة أنماط، وهي: الافتراضات المسبقة، والمستلزمات المنطقية، والتضمينات السياقية الحوارية المعتادة، والتضمينات السياقية الحوارية غير المعتادة (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص١٢٧).

بالنسبة إلى الافتراضات (المسلمات) فقد ميز فيركلاف بين ثلاثة أنواع أساس، وهي:

- المسلمات الوجودية (موضوعها وجود الشيء، نحو: التماسك الاجتماعي)، فهذه العبارة تعني أن التماسك الاجتماعي شيء موجود، وأن هناك تسليما بوجوده.

- والمسلمات الخبرية (موضوعها الإخبار عن الشيء، مثل: التماسك الاجتماعي يحتاج إلى تكاثف المجتمع)، فالمبتدأ (التماسك الاجتماعي)، تم الإخبار عنه بأنه (يحتاج إلى تكاتف

المجتمع)، فهذه مسلمة خبرية، تجعل من هذا الخبر (احتياج التماسك إلى تكاتف المجتمع) أمرا مسلما به.

- والمسلمات القيمية (موضوعها الجيد أو المطلوب، نحو: التماسك الاجتماعي مهدد بغياب المساواة). فهذه العبارة تبين أن التماسك الاجتماعي قيمة إيجابية، وأن ثمة تهديدا لهذه القيمة تتمثل في غياب المساواة، ومن ثم فهناك مسلمة أخرى قيمية، وهي أن غياب المساواة قيمة غير جيدة.

وأما المستلزمات المنطقية، فهي معان مستترة يمكن استنتاجها منطقيا من سمات لغوية، نحو: (زيد متزوج منذ عشرة أعوام)، فهذا يستلزم أنه لا يزال متزوجا (لاستخدام صيغة: "متزوج"، و"منذ")، ونحو: (زيد فقير، لكنه شريف)، يستلزم التوقع بألا يكون الفقراء شرفاء (لاستخدام: "لكن" التي تفيد الاستدراك).

وأما التضمينات السياقية الحوارية المعتادة، فهي معان يمكن استنتاجها وفق مبادئ التعاون التي نصّ عليها غرايس، وهي مبادئ تفترض أن الناس يتعاونون في تواصلهم وفق أربعة قواعد: قاعدة الكم (أعط من المعلومات الكم الذي يتطلبه السياق)، وقاعدة النوع (قل الحقيقة)، وقاعدة الملاءمة (قل ما يلائم)، وقاعدة الأسلوب (كن واضحا). ففي قولنا مثلاً: (هل هناك ما يستحق المشاهدة في دبي؟) يمكن أن نستنتج بناء على قاعدة النوع أن السائل لا يعرف كثيراً عن دبي.

وأما التضمينات السياقية الحوارية غير المعتادة، فتنتج عن خرق لإحدى قواعد التعاون السابقة، فمثلاً، لو كتب أستاذ جامعي في رسالة توصية أكاديمية لمرشّح لمنصب أكاديمي، العبارة التالية فقط: (إنه لائق المظهر ودقيق في مواعيده)، فظاهرها أن الرسالة غير ملائمة، ولكن إذا افترض المخاطَب أن المتكلم يتعاون معه، فسيدرك أن المرشّح لا يملك الإمكانات التي تؤهله للمنصب، فكل ما يمتلكه مظهر وانضباط في الموعد، والوظيفة الأكاديمية تتطلب كفاية أكاديمية.

وأضيف إلى أنماط الاستتار في النص: الاستبعادات، وهي الأصوات التي يستبعدها النص، فيتجاهلها.

ومن ثم فتحليل الخطاب يضع نصب عينيه هذه القضايا: المسلمات، والمستلزمات المنطقية، والتضمينات السياقية الحوارية المعتادة وغير المعتادة، وأخيرا الاستبعادات.

ب – الاقتباسات

هي تناصّ مباشر بين النص والأصوات الأخرى، والتناص هو حوار بين صوت المؤلف والأصوات الأخرى، ويقرر فيركلاف أن التناص يقوي البعد الحواري، ومن ثم – كما يقول باختين – فاللغة التي لا تملك بعدا حواريا لغة سلطوية أو مطلقة، أما اللغة الحوارية فهي اللغة النسبية التي تقبل الأصوات الأخرى (فيركلاف، ٢٠٠٩، ص٩٦).

ثمة ثلاثة أسئلة أساس تتعلق بالتناص، تعنى بتحليل: الصوت المقتَبَس، وطريقة الاقتباس، وتأطير الاقتباس. وقد أفدت في صياغة هذه الأسئلة من (فيركلاف، ٢٠٠٩)، مع ما ذكرته في المدخل النظري في هذا المبحث، وتوصلت إلى هذه القائمة.

١) ما الصوت المقتَبَس: صوت الاتفاق أم الاختلاف؟

٢) طريقة الاقتباس: (كيف تظهر تلك الأصوات في النص- هل باقتباس حرفي، أو اقتباس حرّ، أو بطريقة سردية؟ وهل ينسبها صاحب الخطاب أو لا ينسبها، وكيف ينسبها؟)

٣) تأطير الاقتباس:

أ – كيف كان الصوت المقتَبَس في نصه الأصلي؟

ب – تأطير الاقتباس بالنسبة إلى صاحب النص:

i – كيف تم تأطير الصوت المقتَبَس في النص الجديد؟ هل معه، أو ضده، أو في درجة محايدة؟

ii – هل أحضر منشئ الخطاب الصوتَ المقتَبَسَ لمقاومته، أو للانفتاح عليه، أو للتفاعل معه، أو لتبنيه؟

ج – تأطير الاقتباس في ضوء الأصوات الأخرى: (كيف تناوبت الأصوات في النص؟)

المطلب الثاني: تحليل نماذج من خطاب النزاع

سأحلل الأبعاد الحوارية في مجموعة من خطابات النزاع. وهذه العينة هي تصريحات متبادلة بين الحكومة المصرية والحكومة التركية، بشأن النزاع حول ما حدث في مصر يوم ٣ يوليو ٢٠١٣م، بعد إعلان وزير الدفاع المصري إنهاء حكم الدكتور محمد مرسي.

(١)

وزير الخارجية التركي أوغلو (٤/ ٧/ ٢٠١٣م) "لا يمكن الإطاحة بأحد من منصبه إلا من خلال الانتخابات وهي إرادة الشعب، من غير المقبول الإطاحة بحكومة جاءت إلى السلطة من خلال انتخابات ديمقراطية عبر وسائل غير مشروعة، بل والأكثر من هذا انقلاب عسكري".

(٢)

رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان (٩/ ٧/ ٢٠١٣م): "أي طريق يُتبع خلافًا لصناديق الاقتراع، لإزاحة السلطات المنتخبة، يعتبر طريقًا غير شرعي وغير قانوني. ممكن أن تكون السلطة مخطئة في إجراءاتها، إلا أن الديمقراطية تستوجب انتظار المدة المحددة، ومن ثم الذهاب إلى صناديق الاقتراع لمحاسبة المذنبين. الانقلابات بجميع أشكالها وأنواعها تجلب الضرر دائماً، وبغض النظر عمن تطيح به فهي قاتلة لمستقبل الديمقراطيات".

(٣)

بيان الخارجية المصرية (٩/ ٧/ ٢٠١٣م):

" استدعى مساعد الوزير للشئون الأوروبية السفير حاتم سيف النصر سفير تركيا فى القاهرة، حيث أعرب عن عميق أسف وزارة الخارجية لظهور بعض الأصوات فى تركيا خلال الأيام الماضية بدعاوى تطالب مجلس الأمن الدولى وغيره من الجهات الإقليمية بالتدخل فيما تشهده مصر من تطورات داخلية بحتة، كما تنتهج أسلوباً تصعيدياً مع عدد من الدول لمحاولة حشدها فى اتجاه مشابه تجاه مصر.

وتعتبر جمهورية مصر العربية أن هذه الأصوات والمحاولات لا تعكس فقط فهماً مغلوطاً لما مرت به- ولا زالت- الساحة السياسية فى مصر، وإنما تعكس أيضاً تدخلاً فى الشأن الداخلى المصرى، كما تؤكد جمهورية مصر العربية فى هذا الإطار التزامها الكامل بالأعراف الدولية فيما يتعلق بحق التظاهر والتعبير عن الرأى بالأساليب السلمية على غرار ما شهدته ميادين مصر يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

هذا، وتؤكد مصر حرصها على الحفاظ على علاقاتها الطيبة مع مختلف الدول الصديقة وتأمل فى قيام تركيا بإعادة النظر فى هذا الموقف الذى لا يصب فى مصلحة الشعبين والعلاقات التاريخية بين البلدين على المدى الطويل".

(٤)

رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان (١٤/ ٧/ ٢٠١٣م): "رئيس مصر الحالي بالنسبة إليّ هو مرسي لأن شعبه هو الذي انتخبه، وفي حال لم ننظر إلى الأمر بهذا الشكل، نكون نتجاهل الشعب المصري. وإن تجاهل رغبة الشعب المصري يعني تجاهلنا لأنفسنا، لأننا في تركيا نحترم إرادة الشعب.. ولكنّا احترمنا نظام الانقلاب لو وصل إلى السلطة بعد فوزه في الانتخابات"

واعتبر أردوغان أن الجيش ليس من واجبه إدارة البلاد، مشيرًا إلى أن دور الجيش الوحيد هو حماية حدود البلاد. وتساءل "ما هو الهدف من الانتخابات؟" مشيرًا إلى أن "نتائج الانتخابات تحدّد الحكومة التي تنتخب وفقًا لإرادة الشعب، وهي التي تدير البلاد". وقال إن "الحكومة قد تنجح أو تفشل"، معتبرًا أنه في حال فشلها، يمكن محاسبتها في الانتخابات المقبلة. ولفت أردوغان إلى أن بعض الدول الأجنبية لم تموّل حكومة مرسي خلال العام الماضي، غير أنه أشار إلى أنها تعهّدت بأكثر من ١٦ مليار دولار لنظام "الانقلاب" في مصر. وإذ وجّه أردوغان انتقادات للجيش المصري على عزله رئيسًا منتخبًا ديمقراطيًا، جدّد أردوغان القول إن تركيا عانت من عواقب وخيمة من انقلابات الماضي، وإنها لا ترغب برؤية الشعب المصري يعاني عواقب الانقلاب عينها".

وقال إن "قلوبنا تخفق مع الشعب المصري.. ومع المتظاهرين في ساحتي التحرير، ورابعة العدوية"، معربًا عن اعتقاده بأن المتظاهرين في ساحة التحرير لا يعلمون الحقيقة. وأضاف إنه "لحظة يعرفون الحقيقة، سينضمون إلى إخوتهم في ساحة رابعة العدوية".

(٥)

المستشار الإعلامي لرئيس الجمهورية المصري المؤقت أحمد المسلماني (١٦/ ٧/ ٢٠١٣م): "تصريحات تركيا غير مناسبة وتعتبر تدخلاً في الشأن الداخلي المصري"، "وعلى أنقرة احترام إرادة الشعب المصري الذي خرج في ٣٠ يونيو - حزيران، وعلى أنقرة أن تعلم وتنتبه أنها تتكلم عن دولة كبيرة مثل مصر، فمصر لها تاريخ ولن تقبل تدخل تركيا في شؤونها". "ومصر لم تتدخل فيما حدث في ميدان تقسيم بتركيا من مظاهرات ضد نظام الحكم هناك، ومن ثم فعلى تركيا ألا تتدخل في شؤون مصر".

(٦)

بيان وزارة الخارجية المصرية (١٦/ ٧/ ٢٠١٣م):

أعرب المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية بدر عبد العاطي عن الاستياء الشديد تجاه تكرار مثل هذه التصريحات، والتي إلى جانب أنها تمثل تدخلاً صريحاً في الشأن المصري فإنها أيضاً تنم عن عدم إدراك أو المام دقيق بحقيقة التطورات على أرض الواقع في البلاد وتمثل تحدياً لإرادة الشعب الذي خرج بالملايين للشارع للمطالبة بحقوقه المشروعة.

ودعا المتحدث باسم وزارة الخارجية المسئولين الأتراك بأن يجعلوا العلاقات التاريخية والمصالح المشتركة بين البلدين فوق الاعتبارات الداخلية والمصالح الحزبية الضيقة، مذكراً بمبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول استناداً إلى ميثاق الأمم المتحدة ومبدأ المعاملة بالمثل. والذي طالما راعته مصر في تعاملها مع الشأن التركي.

(٧)

رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان (١٨/ ٧/ ٢٠١٣م):

أوضح رئيس الوزراء التركي في هذه الكلمة التي نشرت شبكة "سي سي ان تركيا" الخميس فقرات منها على موقعها الالكتروني أن البرادعي طلب أن يتباحث معه هاتفيا، فقال أردوغان: "كيف يمكن أن أتحدث معك؟ أنت لم تنتخب وعينت من قبل قادة الانقلاب". وقال: "إنهم لا يحبون ما أقوله ويشعرون بالانزعاج يقولون أن بعض التصريحات والتقديرات جاءت بسبب عدم معرفة كافية بالواقع. ويقولون أننا نستطيع التناقش في ذلك هاتفيا".

ونشر في تغريدات له على تويتر (٢٧/ ٧/ ٢٠١٣م):

- إن الذين سكتوا عند الإجهاز على الإرادة الشعبية في مصر يقفون الآن صامتين على قتل الشعب.

- أين أوروبا والاتحاد الاوروبي مما يحصل، أين ذهبت مبادئ اوروبا، أين اولئك الذين كانوا يقدمون دروسا في الديمقراطية.
- أين الذين اثاروا البلبلة على استخدام الشرطة التركية المياه والغازات المسيلة بشكل مشروع اين هم الآن من المجازر التي ترتكب في مصر
- ايها العالم الإسلامي إن إخوانكم في مصر يقتلون، ويقتل الضمير والحقوق والعدالة، فمتى سترون كل هذا متى ستعون ان دماء إخوانكم تراق.
- اولئك الذين لم يقفوا وقفة مشرفة واحدة ضد أعداء بلادهم وشعوبهم يتظاهرون بالشجاعة ضد شعوبهم وما هذا إلا عجز وجبن وظلم.
- حتى لو صمت الجميع فإننا لن نصمت، لقد قتل الديمقراطية والإرادة الشعبية في مصر والآن يقتل الشعب، نحن سوف نسمع هذا للعالم كله"
- أكثر ما احزنني أولئك الذين كانوا يحتفلون بالألعاب النارية في ميدان التحرير بينما كان ٢٠٠ من إخوانهم يقتلون، يا ترى من هؤلاء!!!
- أسأل الله ان يرحم شهداء مصر، تركيا دولة شقيقة لمصر لكن ليس للظالمين.

(٨)

بيان الخارجية المصرية (٣٠/ ٧/ ٢٠١٣م):

ذكر مصدر مسئول أن مساعد وزير الخارجية للشئون الأوروبية قد استدعى سفير تركيا بالقاهرة لإبلاغه بان التصريحات الأخيرة للمسئولين الأتراك تجاوزت كل الأعراف الدبلوماسية والاحترام المتبادل بين الدول وتمثل تدخلا صريحا فى الشأن المصري.

أضاف المصدر أنه تم خلال المقابلة ابلاغ السفير التركى كذلك أنه اذا كانت مصر حريصة على علاقاتها مع تركيا فان هذا الحرص أيا ما يكون يتعين ان يقابل بحرص مماثل من الجانب التركي أعلاء للمصالح المشتركة العليا بين البلدين وفوق المصالح الحزبية الضيقة.



يرمي تحليل هذه النصوص إلى معرفة البعد الحواري فيها، وذلك بالكشف عن: أنماط الاستتار والاقتباسات.

أولا - تحليل الخطاب التركي:

(١) أنماط الاستتار في الخطاب التركي:

يستخدم الخطاب التركي مجموعة من المسلمات:

من المسلمات الوجودية: (الإرادة الشعبية)، وهذه يسلم بها كل الأطراف المتنازعة، ثم يختلفون في تفسيرها، ففي الخطاب التركي تُفسَّر على أنها إرادة الشعب الذي انتخب مرسي رئيسا، وفي خطاب الحكومة المصرية تُفسَّر على أنها إرادة الشعب الذي خرج في مظاهرات ٣٠ يونيو. ومن هذه النقطة يتفرع الخلاف. أردوغان يقول (لقد قتل الديمقراطية والإرادة الشعبية في مصر والآن يقتل الشعب)، فهو يتحدث عن تلك الإرادة الشعبية التي قتلها الانقلاب - وفقا لتعبيره - ثم قتل الشعب، وهذه العبارة ذات مسلمات قيمية، سأتناولها بعد قليل.

ومن المسلمات الخبرية: "الإطاحة بالحكومة المنتخبة لا تكون إلا عبر الانتخابات، وأن أي وسيلة أخرى تعد غير مشروعة". وهذه مسلمات خبرية، يضعها الخطاب ثم يبني عليها نتائج أخرى. وهذه المسلمة في الخطاب التركي لا تسلم بها الحكومة المصرية التي ترى أن ثمة طريقا آخر لإزاحة الحكومة المنتخبة، وهي الثورة الشعبية، باعتبار أن الثورة هي التي أطاحت بالرئيس مرسي وليس الانقلاب، في حين يرفض الخطاب التركي ذلك ويرى أن ذلك ليس إلا انقلابا. وتنبني على هذه المسلمة الخبرية كل خطابات الحكومة التركية تقريباً، وما اتخذته من مواقف تجاه الحكومة المصرية الناشئة بعد أحداث ٣ يوليو.

ومن المسلمات القيمية في الخطاب التركي: "الانقلابات بجميع أشكالها وأنواعها تجلب الضرر دائماً، وبغض النظر عمن تطيح به فهي قاتلة لمستقبل الديمقراطيات"، فالانقلاب ذو قيمة ضارة بالمجتمع، فهو يهدد المجتمع ويجلب الضرر ويقتل الديمقراطيات. وهذا تسليم ضمني بأن الديمقراطيات كائن يجب الحفاظ عليه حياً، والوقوف في وجه ما يهدد حياته، فهذه مسلمة قيمية تفيد بأن الديمقراطية قيمة إيجابية، وأن الانقلاب قيمة سلبية؛ لأن الانقلاب يسحق الديمقراطية.

كما توجد مجموعة من المستلزمات المنطقية في الخطاب التركي، منها: استخدام لفظ "الإطاحة بالرئيس"، مما يعني أن ثمة وسائل غير مشروعة تم استخدامها، وعادة يقترن لفظ الإطاحة بالانقلاب العسكري، فلا يقال: أطاح الشعب برئيسه في الانتخابات، بخلاف لفظ: أسقط، أو عزل... فهذه ألفاظ قد تحمل دلالات قانونية أو شرعية، أما لفظ "الإطاحة" فلا يحمل إلا دلالة

العنف والانقلاب. ويؤكد ذلك قول أردوغان (رئيس مصر الحالي بالنسبة إليّ هو مرسي)، فهو يستلزم عدم الاعتراف البتة بالحكومة المصرية الحالية، ولا برئيسها (عدلي منصور)، فهو إنكار واضح لوجود تلك الحكومة. وفي ظل هذه الصورة فإن رفض أردوغان التحدث مع البرادعي وقوله له (كيف يمكن أن أتحدث معك؟ أنت لم تنتخب وعينت من قبل قادة الانقلاب) أمر يمكن فهمه، فهو ينكر وجود البرادعي بوصفه نائباً لرئيس يعدّه غير موجود أصلا بالنسبة إلى الدبلوماسية التركية.

ويلحظ أن الخطاب التركي يستبعد الصوت الآخر (صوت الحكومة المصرية)، وهذا انطلاقا من إنكاره لوجودها الشرعي، ومن ثم فهو يستبعد أي صوت لها، وحتى الاقتباسات كما نرى لا تتحاور مع هذا الصوت. باستثناء قول أردوغان "إنهم لا يحبون ما أقوله ويشعرون بالانزعاج يقولون أن بعض التصريحات والتقديرات جاءت بسبب عدم معرفة كافية بالواقع". فأردوغان أظهر صوت الآخر (الحكومة المصرية) في خطابه، ولكنه أظهرهم في موقف المنزعج الكاره لما يقوله أردوغان، حيث يرون أنه "لا يعرف الواقع معرفة تامة". وهذا الصوت هو كذلك في النص الأصلي – كما سنرى. ما عدا هذا الصوت يكاد يكون هناك استبعاد لأي أصوات أخرى.

(٢) الاقتباسات في الخطاب التركي:

يندر ظهور صوت الاختلاف في الخطاب التركي. ويظهر بقلة، ومن المواطن التي ظهر فيها قول أردوغان:

> **(قد تكون السلطة مخطئة في إجراءاتها، إلا أن الديمقراطية تستوجب انتظار المدة المحددة، ومن ثم الذهاب إلى صناديق الاقتراع لمحاسبة المذنبين)**

فأردوغان هنا يتحاور مع صوت الاختلاف، وهو أن ما حدث كان نتيجة لأخطاء مرسي وحكومته، فهو لا يلغي الصوت المعترض، بل يحاوره، ولكنه يرى أن تلك الأخطاء لا تفضي إلى الإطاحة بالحكومة، بل محاسبة الحكومة عبر الصندوق الانتخابي.

والصوت المختلف هنا يؤطره أردوغان بمجموعة من الإطارات، أولها عدم نسبته إلى طرف بعينه، بل إطلاقه كافتراض قد يرد من أي جهة، وذلك يجعله صوتا افتراضيا يقبل النقاش، وثانيها إطار الإمكانية (قد تكون)، وهذا الإطار لا يعني التسليم بما يقوله الآخر، بل هو يأتي به على افتراض التسليم بوجوده، ثم يستخدم لفظ (مخطئة) في وصف السلطة، ولا يستخدم لفظ

(الفشل) ونحوه، فالخطأ يمكن أن يقع من أي جهة، ولا يعني ذلك أنه فشل، ثم يستخدم لفظ (إجراءات)، فالخطأ في الإجراءات يمكن احتماله، بعكس الخطأ في الاستراتيجيات أو السياسات الكبرى...

إذن فحضور الصوت المختلف جاء مخالفاً لحضوره في النص الأصلي الذي يرى أن (الحكومة فشلت في حكم البلد)، وهذه مسلمة خبرية وليست إمكانية، ووفقا لهذه المسلمة فإن ما حدث كان فشلاً وليس خطأ، وهو فشل في الحكم والحفاظ على أمن البلاد، وليس في الإجراءات.

وبالعودة إلى خطاب أردوغان، فإنه يستخدم الرابط (إلا أن...)، وهذا يعني أنه يرى أن الصوت المختلف الذي أورده قابل للنقض، فالديمقراطية (تستوجب الانتظار)، ومن ثم فما قام به (الجيش المصري) ليس من الديمقراطية في شيء. ومن شأن الصوت المختلف هنا أن يفرز تساؤلين، الأول: هل ما قام به الجيش المصري صحيح؟ والثاني: هل ما قام به الجيش المصري خطأ؟ فجاء خطاب أردوغان (إلا أن..) ليوجه الخطاب نحو التساؤل الثاني، وهو أن الديمقراطية تستوجب الانتظار ثم الصندوق.

هذا (الصوت المختلف) صرح به أردوغان في خطاب آخر (الحكومة قد تنجح أو تفشل، وفي حال فشلها، يمكن محاسبتها في الانتخابات المقبلة)، فأردوغان هنا أحضر الصوت المختلف بشكل يكاد موافقا للصوت في نصه الأصلي، فهو يستخدم لفظ الفشل في مقابل النجاح، ولكنه يحاور هذا الصوت فيقرر أن محاسبة حكومة مرسي في حال الفشل لا تكون إلا عبر الصندوق.

وهناك اقتباس لصوت آخر يبدو أكثر اعتدالا، فحين يقول أردوغان "قلوبنا تخفق مع الشعب المصري.. ومع المتظاهرين في ساحتي التحرير، ورابعة العدوية"، فهو يتحاور مع الصوت الذي في رابعة العدوية وهو الصوت المؤيد لمرسي، (صوت الاتفاق)، وصوت متظاهري التحرير وهو الصوت المعارض لمرسي، (صوت الاختلاف). فهو يعتبر أن الصوتين معا يمثلان الشعب المصري، فهو يعترف بصوت الاختلاف باعتباره صوتَ الشعب، وليس صوت الحكومة، لأنه ينكر وجود صوت الحكومة أصلاً. ولكن هذا الاعتراف بالصوت الآخر جاء هنا بوصفه طرفاً مخدوعا، فهو شعب مخدوع لا يعرف الحقيقة، وحين يعلمها أبناء الشعب فـ"سينضمون إلى إخوتهم في ساحة رابعة العدوية". فقد أتى أردوغان بالصوت المختلف معه ليدعم به صوت الاتفاق، حيث إن معرفةَ الحقيقة ستقود الشعب إلى ساحة رابعة، وهذا إنكار تامّ للآخر الذي

يعرف ويعي، فمثلما أنكر أردوغان الوجود الشرعي للآخر (الحكومة)، فقد أنكر البعد المعرفي للآخر (المتظاهرون في التحرير).

ولا تقتصر الاقتباسات في عالم السياسة على ما يقوله الآخر، بل تشمل ما يسكت عنه أيضاً، فالسكوت يمثل موقفاً يستخدمه الآخرون، ونجد أردوغان يهاجم الساكتين على ما حدث في مصر، وقد بدا ذلك بالاستلزام المنطقي في قوله (رئيس مصر الحالي بالنسبة إليّ هو مرسي لأن شعبه هو الذي انتخبه، وفي حال لم ننظر إلى الأمر بهذا الشكل، نكون نتجاهل الشعب المصري)، فهذا الخطاب يستلزم منطقيا أن من لم ينظر إلى الأمر على هذا النحو فإنه يتجاهل الشعب المصري، ومن ثم فالساكتون في الحقيقة يتجاهلون الشعب المصري وإرادته.

وقد ظهر هذا التضمين بوضوح وبألفاظ صريحة، كما في تغريدات أردوغان (٢٧/ ٧/ ٢٠١٣م) بعد أحداث القصر الجمهوري التي راح ضحيتها العشرات، التي كانت صريحة في مهاجمة الساكتين، وقد سمى بعضهم، كـ(أوروبا والاتحاد الأوروبي)، وذكر أفعال بعضهم (الذين اثاروا البلبلة...)، (الذين لم يقفوا وقفة مشرفة واحدة...)... إلخ. وقد جاءت هذه الاقتباسات في الجملة في إطار استنكار، وإطار ساخر من التناقض في المواقف وازدواجية المعايير. وفي هذه الاقتباسات اعتراف بوجود الآخر، ولكنها تقاومه، وترفض مواقفه، وتحاول استفزازه.

وإذا نظرنا إجمالاً في الخطاب التركي، وجدنا أن البعد الحواري فيه ضعيف جداً، فهو ينكر الوجود (الشرعي) للآخر، ولا يعترف به، ويهاجم النتائج المترتبة على وجوده (الذي يعتبره غير شرعي). وبناء عليه، يمكن تصنيف الخطاب التركي وفقا للسلم الحواري تجاه حكومة مصر ضمن مستوى (الإنكار).

ثانيا - الخطاب المصري:

(١) أنماط الاستتار في الخطاب المصري:

يستند الخطاب المصري إلى مجموعة من المسلمات، منها: "الإرادة الشعبية"، وقد تحدثت عنها. كما يستند إلى مجموعة من المبادئ الدولية، منها: عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، والأعراف الدولية، كحق التظاهر والتعبير عن الرأي. وهناك مسلمات قيمية "إعلاء للمصالح المشتركة العليا بين البلدين وفوق المصالح الحزبية الضيقة"، فالمصالح المشتركة ينبغي إعلاؤها،

وهذا تسليم قيمي بأن هذه المصالح المشتركة أمر إيجابي ومرغوب، ويتم ذلك بموازنته بـ"المصالح الحزبية الضيقة"، فهي مرفوضة، وقد جاء الرفض أولاً من وصفها بالضيقة، وثانيا من طلب الاستعلاء عليها، وثالثا من موازنتها بشيء جيد، وهو المصالح المشتركة.

وتظهر، في الخطاب المصري، مجموعة من التضمينات السياقية الحوارية المعتادة، ففي بيان الخارجية المصرية (٩/ ٧/ ٢٠١٣م): "كما تؤكد جمهورية مصر العربية في هذا الإطار التزامها الكامل بالأعراف الدولية فيما يتعلق بحق التظاهر والتعبير عن الرأي بالأساليب السلمية على غرار ما شهدته ميادين مصر يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣"، فهناك تضمينان في هذا البيان، استنادا إلى قاعدة النوع، أولهما: أن تأكيد مبدأ الالتزام بالأعراف الدولية يأتي ردا على من يتهم الحكومة المصرية بعدم التزامها بذلك. والتضمين الآخر أن المظاهرات المؤيدة لمرسي في ساحة رابعة وغيرها لا تلتزم السلمية، فالحكومة تحترم المظاهرات السلمية التي على غرار المظاهرات التي كانت يوم ٣٠ يونيو، أما المظاهرات الأخرى فهي لا تلتزم السلمية، ومن ثم لا تحترمها الحكومة المصرية.

وفي بيان الخارجية المصري: "اذا كانت مصر حريصة على علاقاتها مع تركيا فان هذا الحرص أيا ما يكون يتعين ان يقابل بحرص مماثل من الجانب التركي إعلاء للمصالح المشتركة العليا بين البلدين وفوق المصالح الحزبية الضيقة"، فوفقا لقاعدة الملاءمة، هناك إيحاء بأن الحكومة التركية تهتم بالمصالح الحزبية الضيقة وليس بالمصالح العليا المشتركة.

(٢) الاقتباسات في الخطاب المصري:

تظهر الاقتباسات في الخطاب المصري بوضوح، فالخطاب المصري يقتبس صوت الاختلاف التركي، من قبيل: "تصريحات تركيا"، "ظهور بعض الأصوات في تركيا خلال الأيام الماضية بدعاوى تطالب مجلس الأمن الدولي وغيره من الجهات الإقليمية بالتدخل فيما تشهده مصر من تطورات داخلية بحتة"، "التصريحات الأخيرة للمسئولين الأتراك تجاوزت..."... إلخ.

فالخطاب المصري هنا يقتبس الصوت التركي، وينسبه إلى الحكومة التركية، أو المسؤولين الأتراك، وهو يقتبسه بهدف محاجته ومقاومته، فيرد على ذلك الصوت بأنه إما تجاوز الحدود، أو أنه يتدخل في الشأن الداخلي لدولة أخرى، أو أنه ينم عن جهل بالواقع... كما يحذر من عواقبه؛ لأنه سيؤدي إلى توتر العلاقات الطيبة بين البلدين.

يتبين أن الخطاب المصري تجاه حكومة تركيا يمكن تصنيفه وفقا للسلم الحواري ضمن مستوى (المقاومة). فهو يحاول الدفاع عن نفسه، وعن وجوده الشرعي، ويرفض مقولات الطرف التركي، ويحاور ذلك الصوت بإظهار أخطائه والتحذير من عواقب تبنيه.

كما يندرج الخطاب المصري في جانب منه ضمن مستوى "الانفتاح"، وهي محاولة من الجانب المصري لإثناء الجانب التركي عن مواقفه، ويظهر ذلك مثلا في قول مستشار الرئيس المؤقت: "ومصر لم تتدخل فيما حدث في ميدان تقسيم بتركيا من مظاهرات ضد نظام الحكم هناك، ومن ثم فعلى تركيا ألا تتدخل في شؤون مصر"، فهو يقول: نحن لا نتدخل في شؤونكم وعليكم ألا تتدخلوا، والميدان يسعنا جميعا. كما يستخدم الخطاب المصري بعض تقنيات "التعاون"، كما في بيان الخارجية: "اذا كانت مصر حريصة على علاقاتها مع تركيا فان هذا الحرص أيا ما يكون يتعين ان يقابل بحرص مماثل من الجانب التركي أعلاء للمصالح المشتركة العليا بين البلدين وفوق المصالح الحزبية الضيقة". إلا أن المستوى الغالب هو "المقاومة"، وذلك نظراً إلى الموقف الهجومي الذي اعتمده الجانب التركي.

خاتمة الفصل

عنيت في هذا الفصل بتحليل الحجاج في خطاب النزاع، وفق إطار مقترح (الإطار الشجري الهرمي)، ويحلل أربعة عناصر حجاجية، هي: العلاقات الحجاجية، والقالب الحجاجي، والقيمة الحجاجية، والاستراتيجيات الحجاجية.

والخطوة الأساس في تحليل الحجاج هي تحديد القيمة الحجاجية، فهناك قيمة حجاجية عامة تمثل الإطار المرجعي للخطاب، فهي مرجعية قيمية، توجه سيرورة الحجاج في الخطاب، بحيث تخدم الحجج كلها هذه القيمة الحجاجية العامة، فالمرسل ينشئ خطابه، والقيمة الحجاجية واضحة لديه، وتمثل البوصلة التي توجه كلامه. وتنبني القيمة الحجاجية على الوظائف التواصلية الأخرى (المعرفية، والتوجيهية). فالقيمة الحجاجية، هي مرجعية قيمية تمثل الإطار العام للحجاج، فهي المقابل الحجاجي للقالب، القالب يمثل الشكل العام للخطاب، والقيمة تمثل المضمون العام للخطاب، فهي تيار حجاجي يسري في جميع أجزاء الخطاب.

بتحليل القيمة الحجاجية في خطابات النزاع، يتبين أنها قد تكون قيمة منبنية على حجاج سيادي قانوني، أو مستندة إلى التسويغ الأخلاقي، أو العاطفي، أو المنفعي، وتتنازع خطابات النزاع القيمة الحجاجية،

وبتحليل القوالب الحجاجية، يتبين أنها قد تكون تصريحات توجيهية مقتضبة، تعبر تعبيرا مباشرا عن الموقف، وتحدد المطلوب بوضوح. وقد تكون قوالب سردية، أو حوارية، أو غير ذلك.

وبتحليل العلاقات الحجاجية، تبين أنها تؤدي دورها في الكشف عن الترابط بين العناصر الحجاجية في المستويات المختلفة، بدءا بالذّرّة، ثم الوحدة، ثم الحجة. وتبين أن الذّرّة الحجاجية هي العنصر الأولي للتحليل الحجاجي، وأن الوحدة الحجاجية تتألف من مجموعة من الذّرات، وأن الحجة ليست عنصرا دلاليا أولياً، بل هناك مستويان من العناصر تحتها، ومن ثم فالحجة مجموعة من العناصر الحجاجية التي تتألف إما من وحدات حجاجية فقط، أو من وحدات حجاجية وزوائد حجاجية.

كذلك اتبعت العلاقات الحجاجية تراتبية حجاجية وفقا للسلم الحجاجي، متدرجة من الحجة الأقل إلى الحجة الأعلى، في عامة الأمثلة التي تم تحليلها.

وبتحليل الاستراتيجيات الحجاجية، فقد تبين أن خطاب النزاع يستخدم كافة الاستراتيجيات الحجاجية الأربع: التسويغ بالسلطان، والتسويغ المنفعي، والتسويغ الأخلاقي، والتسويغ العاطفي. ويسعى كل طرف إلى تقويض استراتيجيات الطرف الآخر، وهدمها، وطرح استراتيجيات حجاجية أخرى.

وعلى سبيل المثال، ففي تحليل النزاع بين الصين وأمريكا بشأن المعارض الصيني، يتبين ما يلي:

- القيمة الحجاجية لتصريحات الطرف الأمريكي: "من قيم الدولة مساعدة أي مواطن ولو كان مواطن دولة أخرى"، وهذه القيمة هي حجاج رافض للقيمة الحجاجية الصينية "الدولة مسؤولة مسؤولية كاملة عن مواطنيها". وهذه المرجعية هي في الواقع حجاج مستند إلى التسويغ الأخلاقي، في حين استندت المرجعية الصينية إلى "التسويغ بالسلطان".

- حاول التصريح الأمريكي أن يعطل فعالية الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها الصينيون (استراتيجية السلطان)، التي اعتبرت الموقف الأمريكي تدخلا في شؤونها، فقدم الأمريكيون استراتيجية حجاجية أخرى (التسويغ الأخلاقي)، وبنوا عليها مرجعيتهم الرمزية، وموقفهم الإنساني، ونتج عن ذلك حضور قوي (للتسويغ العاطفي).

- كان التسويغ العاطفي في التصريح الصيني حادا، "الهجوم الصريح"، و"التعبير عن الغضب"، بينما انصرف التسويغ العاطفي في التصريح الأمريكي إلى تبرير التعاطف الذي أبداه الأمريكيون تجاه تشين، وهو تبرير انطلق من الحديث عن المعارض وطموحاته والمخاوف والتهديدات التي قد يتعرض لها لو لم تتدخل أمريكا. ومن ثم لم تكن التعبيرات عن العاطفة صريحة أو مباشرة.

وبتحليل عينة النزاع بين الحكومة اليمنية ومؤسسة موانئ دبي بشأن ميناء عدن، يتبين ما يلي:

القيمة الحجاجية في خطاب الطرف الإماراتي تستند إلى التسويغ المنفعي، وربط الميناء بالمنفعة المناطة به،

استند القالب الحجاجي في خطاب الطرف الإماراتي إلى السرد، أما في خطاب الطرف اليمني فقد استند إلى القالب الحواري الجدلي بين صوتين، صوت المتحدث وصوت الطرف الآخر، فهو

لا يفتأ يسوق الحجة تلو الحجة لإضفاء المشروعية على ما يقوم به، وعلى شرعية مطالبته باستعادة الميناء، وفي الوقت نفسه يسوق الحجج لنزع المشروعية عن الطرف الآخر.

وجاءت الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب الطرف الإماراتي مبنية على التسويغ المنفعي، فالمتحدث يريد إثبات أهمية شركة موانئ دبي، وكفاية العاملين فيها، من خلال برهان عملي يبين المنفعة التي تقدمها الشركة لكبريات الشركات العالمية. وأما في خطاب الطرف اليمني فقد استند على الربط بين التسويغ بالسلطان، والتسويغ المنفعي، كما اشتمل خطابه على الاستراتيجيات أخرى.

(الحجاج في خطاب الطرف الثالث):

وبتحليل الحجاج في خطاب الطرف الثالث، تبين ما يلي:

السمة العامة في خطاب المراقب هي استخدام استراتيجية الحجاج العاطفي، الذي يستدعي الشفقة والتضامن. واستراتيجية السلطان التي تعطي المسوغ القانوني لممارسة تلك المراقبة.

أما خطاب المحاسب فيعتمد على الاستراتيجيات الحجاجية التي تبرر مواقفه تجاه الطرف الآخر، ومن ثم فيغلب عليه نزع الشرعية عن الطرف المحاسَب، ويؤدي التسويغ العاطفي والأخلاقي والتسويغ بالسلطان دورا مهما في هذا الخطاب؛ حتى يوجد المحاسِب أرضية مشتركة مع أطراف أخرى.

في حين يستند خطاب المعاقب إلى الاستراتيجيات التي تهدف إلى تبرير إيقاع العقوبة، ومن ذلك: تقويض شرعية الطرف الآخر، وربط التسويغ العاطفي بالأخلاقي، وإبراز التسويغ بالسلطان والمنفعي، والتركيز في ناحية الأضرار التي لحقت بأحد طرفي النزاع، لذلك فهو يقف مع الطرف المتضرر مساندا وداعما، ويعطي بذلك حجة أخلاقية وعاطفية تبرر له ما يتخذه من عقوبات ضد الطرف الفاعل.

وأما خطاب المحارب فتتمثل معالم الاستراتيجيات الحجاجية فيه: في الاستمرار في استدعاء الحجاج القائم على العاطفة والأخلاق، حتى يعطي الحرب بعداً أخلاقيا. وكذلك التسويغ بالسلطان، ولا سيما القانوني؛ لمنح الحرب شرعية قانونية.

وأما المنتصر فيستند إلى استراتيجية التسويغ الأخلاقي، فهو يظهر بطولاته وإنجازاته ونجاحه، كأنما هي انعكاس لما يحمله من قيم وكفاية مكنته من تحقيق ما يصبو إليه.

(الحوارية في الخطاب):

ثم حللت الأبعاد الحوارية في بعض عينات النزاع، وبينت أنها تتدرج وفقا للسلم الحواري في ستة مستويات: الإنكار، والتجاهل، والمقاومة، والانفتاح، والتعاون، والتبني. ويتم تحليلها بالنظر في أنماط الاستتار في الخطاب، والاقتباسات.

وقد أظهرت نتائج تحليل العينة، ظهور البعد الحواري في خطابات النزاع. وبتحليل عينتين من خطاب النزاع (النزاع بين الحكومة التركية والمصرية بشأن ما حدث في ٣ يوليو، ومن خلال التحليل تبين ما يلي:

البعد الحواري في الخطاب التركي ضعيف جداً، فهو ينكر الوجود (الشرعي) للآخر (الحكومة المصرية)، ولا يعترف به، ويهاجم النتائج المترتبة على وجوده (الذي يعتبره غير شرعي). وبناء عليه، يمكن تصنيف الخطاب التركي وفقا للسلم الحواري تجاه حكومة مصر ضمن مستوى (الإنكار).

في حين أن الخطاب المصري تجاه حكومة تركيا يمكن تصنيفه وفقا للسلم الحواري ضمن مستوى (المقاومة)، وذلك نظراً إلى الموقف الهجومي الذي اعتمده الجانب التركي. فالخطاب المصري يحاول الدفاع عن نفسه، وعن وجوده الشرعي، ويرفض مقولات الطرف التركي، ويحاور ذلك الصوت بإظهار أخطائه والتحذير من عواقب تبنيه. كما يندرج الخطاب المصري في جانب منه ضمن مستوى "الانفتاح"، وهي محاولة من الجانب المصري لإثناء الجانب التركي عن مواقفه.

الخاتمة

تمحورت مشكلة هذه الدراسة حول تساؤل رئيس: ما الأطر الإدراكية والتواصلية والحجاجية في خطاب النزاع في القضايا الدولية؟ ومن ثم فإن الجوانب التي عنيت الدراسة بها، تمثلت فيما يلي:

الأول: المرجعيات الإدراكية التي يستند إليها أطراف النزاع، وتتمثل في دوافعهم وقيمهم وأهدافهم وتوقعاتهم، فهي مرجعيات تكشف عن جذور النزاع وخلفياته.

والثاني: التواصل بين أطراف النزاع، والاستراتيجيات التي يسلكونها في تواصلهم.

والثالث: القضايا التي يتحاور بشأنها أطراف النزاع، وكيفية إثبات حججهم وعرضها، وكيفية جدال حجج الأطراف الأخرى.

وقد درست جميع هذه الجوانب من خلال ثمان عينات من قضايا النزاع الدولي، وهي: (النزاع بين الحكومة اليمنية والإيرانية بشأن التدخل الإيراني في اليمن، والنزاع بين الحكومة اليمنية وشركة موانئ دبي بشأن ميناء عدن، والنزاع بين حكومتي الصين وأمريكا بشأن الناشط الصيني (شين غوانغشينغ)، والنزاع بين أمريكا والصين بشأن الاستراتيجية الأمريكية في آسيا، والنزاع بين أمريكا والصين بشأن قيمة اليوان، والنزاع بين الحكومة التركية والحكومة المصرية الحالية بشأن ما حدث في مصر في ٣ يوليو ٢٠١٣م، والنزاع بين الأطراف الدولية بشأن التدخل الدولي في ليبيا، والنزاع بشأن إنتاج الفلم المسيء المسمى: براءة المسلمين). واشتملت العينة على (٤٢٧ خطاباً). جمعتها من المواقع الرسمية للأطراف، وما لم يُتحْ منها جمعته من المواقع الإخبارية على الإنترنت.

ومن ثم فقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأطر الإدراكية للغة النزاع الدولي، وكذلك التعرف على استراتيجياته التواصلية، والحجاجية، ومن ثم الإسهام في تحسين مستوى التواصل البشري.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١ - من وجهة النظر الإدراكية، تبين أن أطراف النزاع يستخدمون مجموعة من الاستراتيجيات، يمثلون من خلالها الذات والآخر، وهي: الانتماء، والفعل، والملكية، والأهداف، والدوافع، والقيم، والتصورات والمعتقدات. فآلية التصنيف في خطاب النزاع تجعل من الانتماءات التي تمارسها الذات انتماءات شرعية، بينما انتماءات الآخر (تحالفاته مثلا) غير شرعية، كما تُصنَّف طبيعة الفعل إلى صواب أو خطأ، وتصنف نتائج الفعل إلى إيجابية وسلبية. ويحاول كل طرف من أطراف النزاع أن يثبت امتلاكه لمؤهلات الفعل، وتجريد الطرف الآخر منها. ويرى كل طرف من أطراف النزاع أن أهدافه واضحة، تحقق النفع العام، أما أهداف الطرف الآخر فمشبوهة ومضرة.

٢ - كما أظهرت النتائج أن كل خطاب من خطابات النزاع تؤطر مرجعيته استعارات مفهومية لا تنطبق بالضرورة على خطابات أخرى. فخطاب القذافي مثلاً، تؤطره ثلاث استعارات: استعارة الذات (أنا ليبيا، وليبيا مجد العالم)، واستعارة الآخر: (من أنتم؟)، واستعارة الطرف الثالث: (المجتمع الدولي شخص شرير). وكل استعارة تؤطر القيم والدوافع والأهداف والتوقعات.

٣ - كما بينت النتائج اختلاف الإطار السردي من خطاب طرف إلى آخر، بحسب اختلاف الأحداث الرئيسة، واختلاف المفاهيم والأولويات والمواقف. وكذلك اختلاف منظور الزمن والمكان من خطاب طرف إلى آخر، فـ(ميناء عدن) مثلاً في منظور الحكومة اليمنية يؤطره المنظور التاريخي، أما في منظور شركة موانئ دبي فإن المكان وصفي مرتبط بالمنفعة الآنية. ويختلف تمثيل المكان والزمان من حيث: الموضوع، والفاعلية، والربط، والحركة.

٤ - وأما من وجهة النظر التواصلية، فبينت النتائج أن الأطراف المتنازعة تستخدم في خطاب النزاع أربع استراتيجيات تعبيرية، وهي: التوجيه الظاهر المباشر الصريح (كالأمر والنهي والتحذير والتهديد والتحفيز)؛ والتوجيه الظاهر المباشر غير الصريح (كالتوقع الصريح والتوقع الوصفي والتوقع التهكمي، والشرط، والتوجيه المؤطر)؛ والتوجيه الظاهر غير المباشر (وذلك إما بتوجيه الذات من خلال الالتزام أو الوعد، أو توجيه أطراف أخرى غير الطرف الثاني)؛ والتوجيه الخفي، غير الظاهر (وذلك من خلال النموذج القيمي أو العلمية أو رفض نموذج الآخر).

٥ - كما بينت النتائج أن الأطراف المتنازعة تتبنى آليتين لإعادة صياغة نماذج الهوية والتنميط، وهما: العولمة: (تحويل أحد الأطراف نموذجَه إلى العالمية)، والثانية: التوجيه (استلاب نموذج الآخر، وإعادة صناعته). وبتحليل خطاب النزاع، تبين أن ثمة خمس استراتيجيات قصدية تستخدم في (آليتي العولمة والتوجيه)، وهي: عولمة/ توجيه الانتماء، وعولمة/ توجيه الفعل، وعولمة/ توجيه المصير، وعولمة/ توجيه القيم، وعولمة/ توجيه الإدراك (المعرفة والاعتقادات والرغبات).

٦ - وبتحليل صوت الطرف الثالث في النزاع، استنتجت من العينة أن التصعيد يمر بخمسة مستويات: (١) خطاب المراقب، (٢) خطاب المحاسب، (٣) خطاب المعاقب، (٤) خطاب المحارب، (٥) خطاب المنتصر. وتمثل هذه المستويات الخطابية مراحل تصعيدية أيضاً، يتم في ضوئها تحليل الصوت اللغوي وغير اللغوي.

٧ - وأخيراً، فمن وجهة النظر الحجاجية، بينت النتائج أن (القيمة الحجاجية) توجه سيرورة الحجاج، وتمثل المضمون العام للخطاب، في حين أن (القالب الحجاجي) يمثل الشكل العام للخطاب. وأما (العلاقات الحجاجية) فتؤدي دورا مهما في الربط بين العناصر الحجاجية.

٨ - وبتحليل الاستراتيجيات الحجاجية، تبين أن خطاب النزاع يستخدم كافة الاستراتيجيات الحجاجية الأربع: التسويغ بالسلطان، والتسويغ المنفعي، والتسويغ الأخلاقي، والتسويغ العاطفي. ويسعى كل طرف إلى تقويض استراتيجيات الطرف الآخر، وهدمها، وطرح استراتيجيات حجاجية أخرى.

٩ - كما بينت النتائج أن خطابات النزاع تتباين في درجة انفتاحها على محاورة الآخر، ويتدرج هذا الانفتاح وفقا للسلم الحواري في ستة مستويات: الإنكار، والتجاهل، والمقاومة، والانفتاح، والتعاون، والتبني.

وأما التوصيات والمقترحات فهي:

١ - تعاني المكتبة العربية من قصور في مراجع اللسانيات الإدراكية، ويرى الباحث ضرورة وجود جهد مؤسسي في ترجمتها، وإثراء المكتبة العربية بهذا الجانب المهم.

٢ - ضرورة تركيز الجهود في دراسة لغة السلام ولغة الحرب، والإسهام في أن تكون اللغة أداة للسلام، وتسهم في تحسين مستوى التواصل البشري.

٣ - أهمية أن يكون لأطراف النزاع محللو خطاب، بحيث يؤسسون لأرضية مشتركة بين الأطراف.

٤ - إنشاء مركز متخصص لدراسات خطابات النزاع، بحيث يكون بيت خبرة للمؤسسات الإعلامية والسياسية والتجارية.

٥ - دراسة خطاب النزاع على صعيد المؤسسات الدولية، والنظر في مدى تأثيره في سير الأحداث.

٦ - البحث في إمكانية إيجاد مؤشرات تتيح إمكان التنبؤ بنتائج النزاع، من خلال تحليل خطاب النزاع.

٧ - إجراء مزيد من الدراسات حول مستويات التصعيد وارتباطها بالتصعيد الخطابي.

٨ - إجراء مزيد من الدراسات حول تحليل خطاب الطرف الثالث في النزاع.

٩ - التعمق في دراسة خطابات النزاع من المنظور الإدراكي.

١٠ - دراسة قضية واحدة من قضايا النزاع، من نشوئه حتى حله، وتتبع المتغيرات الخطابية.

المراجع

أولا: المراجع العربية

- أوستين. (١٩٩١). *كيف ننجز الأشياء بالكلام*. ترجمة قنيني، عبد القادر. المغرب: أفريقيا الشرق.

- برنس، جيرالد. (٢٠٠٣). *المصطلح السردي*. ترجمة خزندار، عابد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٨٧).

- بعلبكي، رمزي. (١٩٩٠). *معجم المصطلحات اللغوية*. بيروت: دار العلم للملايين.

- بورديو، بيار. وباسرون، جون كلود. (٢٠٠٧). *إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم*. ترجمة د. تريمش، ماهر. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٧٠).

- تودوروف، تزفيتان. (١٩٩٦). *ميخائيل باختين – المبدأ الحواري*. ترجمة صالح، فخري. ط٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٨٤).

- جابر، جابر عبد الحميد. وكفافي، علاء الدين (١٩٨٨). *معجم علم النفس والطب النفسي*. القاهرة: دار النهضة العربية.

- الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠٤). *دلائل الإعجاز*. تحقيق: شاكر، محمود محمد. ط٥. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- جوزيف، جون. (٢٠٠٧). *اللغة والهوية*. ترجمة خراقي، عبد النور. سلسلة عالم المعرفة، ٣٤٢. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- خليفة، عبد اللطيف محمد. (١٩٩٢). *ارتقاء القيم – دراسة نفسية*. سلسلة عالم المعرفة، ١٦٠. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- راجح، أحمد عزت. (١٩٦٨). *أصول علم النفس*. ط٧. مصر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- الراضي، رشيد. (٢٠١١). مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو. *مجلة عالم الفكر*، ٢ (٤٠). (٢٣٨ - ٢٦٩).
- ريكور، بول. (٢٠٠٢). *محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا*. ترجمة رحيم، فلاح. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- زايد، أحمد. (٢٠٠٦). *سيكولوجية العلاقات بين الجماعات*. سلسلة عالم المعرفة، ٣٢٦. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الزليطني، محمد. (٢٠١٤). من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب. *مجلة الخطاب*، الجزائر، ع (١٧)، (٩-٣٦).
- الزناد، الأزهر. (٢٠١٠). *نظريات لسانية عَرفنية*. تونس: دار محمد علي للنشر، وناشرون آخرون.
- سبيلا، محمد. وبنعبد العالي، عبد السلام. إعداد وترجمة لنصوص فلسفية مختارة. (٢٠٠٦). *الأيديولوجيا – دفاتر فلسفية*. ط ٢. المغرب: دار توبقال للنشر.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٨). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: شمس الدين، أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- شارودو، باتريك. ومنغنو، دومينيك. (٢٠٠٨). معجم *تحليل الخطاب*. ترجمة المهيري، عبد القادر، وصمود، حمادي. تونس: المركز الوطني للترجمة. (العمل الأصلي نشر في عام ٢٠٠٢).
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). *استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية*. ليبيا: دار الكتاب الجديد.
- الصبان، محمد بن علي. (١٩٩٧). *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*. بيروت: دار الكتب العلمية.

- عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- عبيد، حاتم. (٢٠١١). منزلة العواطف في نظريات الحجاج. مجلة *عالم الفكر*، ٢ (٤٠). (٢٣٨ - ٢٦٩).
- العجمي، فالح بن شبيب. (٢٠٠٧). دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية. *مقاربات في اللغة والأدب*، الرياض: جامعة الملك سعود، (٢). (٧١ - ١١٧).
- العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦). *اللغة والحجاج*. المغرب: العمدة في الطبع.
- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٨). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.
- غيرتز، كليفورد. (٢٠٠٩). *تأويل الثقافات*. ترجمة د. بدوي، محمد. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٧٣).
- فوكو، ميشال. (١٩٩٠). *المراقبة والمعاقبة – ولادة السجن*. ترجمة مقلد، علي. بيروت: مركز الإنماء القومي.
- فيركلاف، نورمان. (٢٠٠٩). *تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي*. ترجمة د. وهبه، طلال. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في عام ٢٠٠٣).
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (٢٠٠٢). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: شمس الدين، إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- القوسي، خالد. (٢٠١٢). *السلطة الرمزية في الخطاب السياسي المعاصر: دراسة تحليلية*. رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير. (١٩٩٩). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: شمس الدين، محمد حسين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- لايكوف، جورج. وجونسون، مارك. (٢٠٠٩) *الاستعارات التي نحيا بها*. ترجمة جحفة، عبد المجيد. ط٢. المغرب: دار توبقال للنشر.
- لايكوف، جورج. (٢٠٠٥) *حرب الخليج – أو الاستعارات التي تقتل*. ترجمة جحفة، عبد

المجيد. وسليم، عبد الإله. المغرب: دار توبقال للنشر.

- الحمداني، حميد. (١٩٩١). *بنية النص السردي*. بيروت: المركز الثقافي العربي للنشر والطبع والتوزيع.
- مصطفى، عادل. (٢٠٠٧). *المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- موشلر، جاك. وريبول، آن. (٢٠١٠). *القاموس الموسوعي للتداولية*، ترجمة مجموعة من الباحثين، إشراف: المجدوب: عز الدين. تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا.
- ميكشيللي، اليكس. (١٩٩٣). *الهوية*. ترجمة د. وطفة، علي. دمشق: دار الوسيم.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (د. ت). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. تحقيق: عبد الحميد، محمد محي الدين. بيروت: المكتبة العصرية.
- هوبر، أندرياس. (د.ت). *الدوافع والشخصية*، ترجمة: رضوان، سامر جميل. مقال منشور على شبكة العلوم النفسية العربية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Boroditsky, L. (2011). How Languages Construct Time. In Dehaene & Brannon (Eds.). *Space, time and number in the brain: Searching for the foundations of mathematical thought.*(Pp. 333–341). San Diego, CA: Academic Press.
- Brown, P. & Levinson, S. (1987). *Politeness: Some Universals In Language Usage.* Cambridge: Cambridge University Press.
- Butler, J. & Laclau, E. & Zizek, S. (2000). *Contingency, Hegemony, Universality-Contemporary Dialogues on the Left.* London • New York: VERSO.
- Casasanto, D. (2010). Space For Thinking. In: Evans, V. & Chilton, P. (Eds.). *Language, Cognition And Space: State Of The Art And New Directions.* (Pp453-478). London: Equinox Publishing.
- Cienki, A. (2007). Frames, Idealized Cognitive Models, And Domains. In Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (Eds.). *The Oxford Handbook Of Cognitive Linguistics.* (Pp. 170-187). USA: Oxford University Press.
- Cohen, R. (1990). *Culture and conflict in Egyptian–Israeli relations: A dialogue of the deaf.* Bloomington: Indiana University Press.
- Dirven, R., Polzenhagen, F., & Wolf, H. (2007). Cognitive Linguistics, Ideology, and Critical Discourse Analysis. In Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (Eds.). *The Oxford Handbook Of Cognitive Linguistics.* (Pp. 1222-1240). USA: Oxford University Press.
- Evans, V. (2007a). *A Glossary of Cognitive Linguistics.* Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Evans, V. (2007b). How we conceptualise time: language, meaning and temporal cognition. In Bergen, B., Evans, V. & Zinken, J. (Eds.). *The Cognitive Linguistics Reader.* (Pp. 733-765). London: Equinox.
- Fauconnier, G. (2007). Mental Spaces. In Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (Eds.). *The Oxford Handbook Of Cognitive Linguistics.* (Pp. 351-376). USA: Oxford University Press.
- Fink. , & Edward. , & Deborah. , & Wang. (2006). Quantitative Methods for Conflict Communication Research, with Special Reference to Culture. In Oetzel, J. G. & Toomey, S. (Eds.). *The SAGE Handbook of Conflict Communication.* Thousand Oaks, CA: SAGE. SAGE Reference Online. Web. 28 Jan. 2012.
- Flyvbjerg, B. & Richardson, T. (1998). In Search Of The Dark Side Of Planning Theory. Paper Presented To The Planning Theory Conference. Oxford Brookes University, April.
- Furlong, G. T. (2005). *The Conflict Resolution Toolbox: Models and Maps For Analyzing, Diagnosing, And Resolving Conflict.* Canada: John Wiley & Sons.
- Gay, W. C. (2008). The Language Of War And Peace. In Kurtz, L. R. (Eds.). *Encyclopedia Of Violence, Peace, & Conflict.* (2). (Pp. 1115-1127). 2nd edition. Netherlands: Elsevier Inc.
- Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (2007). Introducing Cognitive Linguistics. In Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (Eds.). *The Oxford Handbook Of Cognitive Linguistics.* (Pp. 25-47). USA: Oxford University Press.
- Goffman, E. (1986). *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience.* USA: Northeastern University Press.

- Goldsmith, D. (2009). Politeness Theory. (Eds.). *Encyclopedia of Communication Theory*. (Pp. 755-58). Thousand Oaks, CA: SAGE. SAGE Reference Online. Web. 28 Jan. 2012.
- Goodman, R. (2005). International institutions and the mechanisms of war: a review of solving the war puzzle—beyond the democratic peace. *The American Journal of International Law*, 99 (2). (507–15).
- Grady, J. E. (2007). Metaphor. In Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (Eds.). *The Oxford Handbook Of Cognitive Linguistics*. (Pp. 188-213). USA: Oxford University Press.
- Harvey, D. (1996). *Justice, Nature, and the Geography of Difference*. Oxford: blackwell.
- Institute of Peace. (2008). *conflict analysis*. USA: Institute of Peace Press.
- Jacquemet, M. (2006). Verbal Conflict. In Brown, K. (Eds.). *Encyclopedia of Language & Linguistics*. (Pp. 400-406). 2nd edition. Netherlands: Elsevier Ltd.
- Jeong, H. (2008). *Understanding Conflict And Conflict Analysis*. SAGE Publications Ltd.
- Jeong, H., & Michael, E. (2008). Theories Of Conflict. In Kurtz, L. R. (Eds.). *Encyclopedia Of Violence, Peace, & Conflict*. (3). (Pp. 2105-2113). 2nd edition. Netherlands: Elsevier Inc.
- Kakavá, C. (2001). Discourse And Conflict. In Schiffrin, D., Tannen, D., & Hamilton, H. E. (Eds.). *The Handbook Of Discourse Analysis*. (Pp. 650-670). New Ed edition. UK & USA: Blackwell Publishers Ltd.
- Kaufman, S., Elliott, M., & Shmueli, D. (2003). Frames, framing, and reframing. In Burgess, G., & Burgess, H. (Eds.). *Beyond Intractability*. Colorado: University of Colorado, Conflict Research Consortium, Web: http://www.beyondintractability.org/node/2467.
- Krauss, R. M. , & Morsella, E. (2006). Communication and Conflict. In Deutsch, M., Coleman, P. T., & Marcus, E. C. (Eds.). *The Handbook Of Conflict Resolution: Theory And Practice*. (Pp. 144-157). 2nd edition. San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Kuo, S. (1992). *Conflict And Its Management In Chinese Verbal Interactions: Casual Conversations And Parliamentary Interpellations*. Unpublished ph. D. Thesis, Georgetown University.
- Kyrou, C. N. , & Rubinstein, R. A. (2008). Cultural Anthropology Studies Of Conflict. In Kurtz, L. R. (Eds.). *Encyclopedia Of Violence, Peace, & Conflict*. (1). (Pp. 515-521). 2nd edition. Netherlands: Elsevier Inc.
- Lakoff, G. (1990). *Women, Fire, and Dangerous Things*. Chicago And London: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. (1993). The Contemporary Theory Of Metaphor. In: Ortony, A. (Eds.). *Metaphor And Thought*. 2nd Edition. (Pp.202-251). Cambridge: Cambridge University Press.
- Lakoff, G. (2009). *The Political Mind: A Cognitive Scientist's Guide to Your Brain and Its Politics Paperback*. New York: Penguin Books.
- Leeuwen, T. V. (2008). *Discourse and Practice- New Tools for Critical Discourse Analysis*. New York: Oxford University Press.
- Levinson, S. (2004). Space In Language And Cognition: Explorations In Cognitive Diversity, 2nd edition. Cambridge: Cambridge University Press.
- Majid, A., Bowerman, M., Kita, S., Haun, D. & Levinson, S. (2004). Can language restructure cognition? The case for space. *Trends in Cognitive Sciences*. 8(3), (Pp. 108-

114). doi:10.1016/j.tics.2004.01.003.

- Malek, C. (2011). *International Conflict.* Colorado: University of Colorado. Conflict Research Consortium, Web: http://www.beyondintractability.org/bi-essay/conflicts-disputes/.
- Mason, S., & Rychard, S. (2005). *Conflict Analysis Tools.* Bern: Swiss Agency for Development and Cooperation.
- Matos, F. G. (2006). Language, Peace, And Conflict Resolution. In Deutsch, M., Coleman, P. T., & Marcus, E. C. (Eds.). *The Handbook Of Conflict Resolution: Theory And Practice.* (Pp. 158-175). 2nd edition. San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- McHale, B. (2013). Speech Representation. In Hühn, P., et al. (Eds.). *The Living Handbook Of Narratology.* Hamburg: Hamburg University.

  URL = http://www.lhn.uni-hamburg.de/article/speech-representation
- Mefalopulos, P. & Kamlongera, C. (2004). *Participatory Communication Strategy Design.* 2nd edition. Rome: SADC Centre of Communication for Development.
- Menkel-Meadow, C. (2003). Conflict Theory. In Christensen, K. , & Levinson, D. (Eds.). *Encyclopedia of Community.* (Pp. 324-328). Thousand Oaks, CA: SAGE. SAGE Reference Online. Web. 11 Jan. 2012.
- Michael, B. (2010). Narrative Analysis. In Cooper, H. (Eds.). *APA handbook of research methods in psychology.* Washington, DC: APA Press.
- Mortensen, C.D. (2008). Linguistic Constructions Of Violence, Peace, And Conflict. In Kurtz, L. R. (Eds.). *Encyclopedia Of Violence, Peace, & Conflict.* (2). (Pp. 1143-1154). 2nd edition. Netherlands: Elsevier Inc.
- Nicotera. , & Maydan. (1995). Thinking about Communication and Conflict. In Nicotera. , & Maydan. (Eds.). *Conflict and Organizations: Communicative Processes.* New York: State University of New York Press.
- Pederson, E., Danziger, E., Wilkins, D. G., Levinson, S. C., Kita, S. & Senft, G. (1998). Semantic typology and spatial conceptualization. *Language,* 74(3), (Pp.557-589).

  Cite as: http://hdl.handle.net/11858/00-001M-0000-0013-2ABA-E
- Putnam, L. (2006). Definitions and Approaches to Conflict and Communication. In Oetzel, J. G. & Toomey, S. (Eds.). The SAGE Handbook of Conflict Communication. Thousand Oaks, CA: SAGE. SAGE Reference Online. Web. 28 Jan. 2012.
- Ramscar, M., Matlock, T. & Dye, M. (2009). Running down the clock: the role of expectation in our understanding of time and motion. *Language and Cognitive Processes.*

  0 (0), (Pp1-27). US: Psychology Press.
- Redmond, B. F. (2013). *Expectancy Theory.* In website: wikispaces.psu.edu.

  wikispaces.psu.edu/display/PSYCH484/4.+Expectancy+Theory
- Richardson, T. & Jensen, O. (2003). Linking Discourse and Space: Towards a Cultural Sociology of Space in Analysing Spatial Policy Discourses. *Urban Studies,* 40 (1). (Pp.7-22).
- Rothman, J. (1997). *Resolving Identity-Based Conflict in Nations, Organizations, and Communities.* San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Ruben, B. (1978). Communication and conflict: A system-theoretic perspective Quarterly. *Journal of Speech,* 64. (202–210).
- Ryan, M. (Winter 2010). Narratology and Cognitive Science: A Problematic Relation. *Style,* 44 (4) (469-495).

- Suurmond, J. M. (2005). *Our Talk And Walk Discourse Analysis And Conflict Studies.* Netherlands: Netherlands Institute Of International Relations.
- Thomas, K. (1976). Conflict and conflict management. In Dunnette, M. D. (Eds.). *Handbook of industrial and organizational psychology.* (Pp. 889-936). Chicago: Rand McNally.
- Vaara, E. , & Tienari, J. (2008). A Discursive Perspective On Legitimation Strategies In Multinational Corporations. *Academy Of Management Review*, 33 (4). (985-993).
- van Dijk, T. A. (1989). Social Cognition and Discourse. In Giles, H. & Robinson, R.P. (Eds.). *Handbook of social psychology and language.* (Pp. 163-183). Chichester: Wiley.
- van Dijk, T. A. (1998). *Ideology A Multidisciplinary Approach.* I\London: SAGE Publications.
- Weber, M. (1978). *Economy And Society.* Berkeley • Los Angeles • London: University of California Press.
- Zupnik, J. Y. (1995). *Analysis Of Conflict Discourse: Evidence From Israeli-Palestinian 'Dialogue' Events.* Unpublished ph. D. Thesis, Boston University.

مسرد المصطلحات

اتخاذ القرار الجماعي	group decision making
الاتفاق	Agreement
الاتفاق الاجتماعي	social judgement
اتفاق عام	Consensus
اتفاقيات تجريبية	trial agreements
اتفاقيات طويلة المدى	long-lasting agreements
اتفاقيات مشروطة	contingent agreements
إثنوغرافية الكلام	ethnography of speaking
أحادي التفكير	single-minded
احترام التعايش	respectful coexistence
احترام الذات	self-esteem
احتكار السلطة	monopolization of power
الاحتياجات	needs
الاختلاف	disagreement
الاختلاف المستمر	sustained disagreement
إخضاع	Subjecting
آداب الخطاب	discourse ethics
إدارة النزاع	conflict conducting
إدراك	consciousness
الادعاءات الحجاجية	argumentative claims
الادعاءات المعرفية	knowledge claims
أدلة متناقضة	contradictory evidence

Inclusion	الإدماج
instruments of force	أدوات القوة
cultural interactional rules	الأدوار التفاعلية الثقافية
body-centric	الارتكاز النسبي للجسم في العالم
de-framing	إزالة التأطير
annoyance	الإزعاج
sources of conflict	أسباب النزاع
substitution	الاستبدال
persuasive strategies	استراتيجيات إقناعية
communicative strategies	الاستراتيجيات التواصلية
'Out-of-frame' strategies	استراتيجيات الخروج من الإطار
defensive strategies	الاستراتيجيات الدفاعية
contextual strategies	الاستراتيجيات السياقية
Off-record strategies	استراتيجيات الطلب غير المباشر
oppositional strategies	الاستراتيجيات المعارضة
offensive strategies	الاستراتيجيات الهجومية
Indirectness strategies	الاستراتيجيات غير المباشرة
post-conflict strategies	استراتيجيات ما بعد حل النزاع
Aggravated strategies	استراتيجيات مستفزة
mitigated strategies	إستراتيجيات مُلطّفة
contending Strategy	استراتيجية النزال
submission	الاستسلام
First-order metaphors	استعارات المرتبة الأولى
second-order metaphors	استعارات المرتبة الثانية
Conflict metaphors	استعارات النزاع

social stability	الاستقرار الاجتماعي
autonomy	الاستقلالية
presuppose	استلزام
dropping remarks	إسقاط التصريحات
Style	الأسلوب
integrative model	الأسلوب التكاملي
Communicative style	الأسلوب التواصلي
distributive model	الأسلوب التوزيعي
intensify a conflict	اشتداد النزاع
forms of opposition	أشكال المعارضة
social origins	الأصول الاجتماعية
social instability	الاضطراب الاجتماعي
emotional disturbance	اضطرابات انفعالية
Political disturbance	اضطرابات سياسية
"Into-the-Sea" Framing	إطار "الإلقاء بالخصم في البحر"
Absolute	الإطار المرجعي التجريدي
Intrinsic	الإطار المرجعي الذاتي
Relative	الإطار المرجعي النسبي
participation framework	إطار المشاركة
interpretation frameworks	أطر التفسير
interdependent parties	أطراف مترابطة
reframing	إعادة التأطير
Paraphrase	إعادة السبك
Relexicalization	إعادة الصياغة
reproduce authority	إعادة إنتاج السلطة

reframe the interaction	إعادة تأطير التفاعل
recognition	الاعتراف
Give in	اعتراف بالهزيمة
social conventions	الأعراف الاجتماعية
Informativity	الإعلامية
Crucial assumption	افتراض حاسم
Common-sense assumptions	الافتراضات المسبقة
subsequent actions	الأفعال اللاحقة
implication	اقتضاء
Exclusion	الإقصاء
backgrounding	إقصاء إلى الخلف
persuasion	الإقناع
coercion	إكراه
physical coercion	الإكراه البدني
power games	ألعاب السلطة
suppression	الإلغاء
mechanism of power	آلية السلطة
disruptive potential	الإمكانية التعطيلية
repeated retaliation	الانتقام المتكرر
Counter retaliation	الانتقام المضاد
affiliation	الانتماء
annihilation	اندثار
withdrawal	الانسحاب
Moral orders	الأنظمة الأخلاقية
living systems	الأنظمة الحية

self-reflexive	الانعكاس الذاتي
sequential patterns	الأنماط المتعاقبة
structural patterns	أنماط بنيوية
Communication patterns	أنماط تواصلية
conflict termination	إنهاء النزاع
conversational breakdown	انهيار المحادثات
Declines of conflict	انهيار النزاع
Dual Concern	الاهتمام المزدوج
speakers' interactional goals	الأهداف التفاعلية للمتكلمين
interactive goals	أهداف تفاعلية
mutually exclusive injunctions	أوامر متناقضة
preferences	الأولويات
grand state ideologies	أيديولوجيات الدولة البراقة
eye gaze	إيماء العين
gesture	إيماء اليد أو الرأس
rhetoric of agitation and control	بلاغة التحريض والسيطرة
coalition building	بناء التحالفات
macrostructures	البنى العليا
institutional and societal structures	البنى المجتمعية والمؤسسية
meaning structures	بُنى المعنى
normative structures	البنى المعيارية
dominant social structure	البنية الاجتماعية المهيمنة
fabric of everyday life	بنية الحياة اليومية
Structure of Authority	بنية السلطة
logical structure	البنية المنطقية

angry statements	البيانات الغاضبة
deceptive statements	البيانات المضللة
authoritative statements	بيانات سلطوية
inner psychological environments	البيئات النفسية الداخلية
speaking environment	البيئة الكلامية
counter-framing	التأطير المضاد
predisposition	التأهب
interpretation	تأويل
reciprocity	التبادل
Social Exchange	التبادل الاجتماعي
Exchanges	التبادلات
power asymmetry	تباين السلطة
argumentative sequences	التتابعات الحجاجية
abstraction	التجريد
avoidance	التجنب
avoidance of talk	تجنب التحدث
alignments of the participants	تحالفات المشاركين
emancipation	التحرر
Stand-off	التحفظ (في العلاقات الاجتماعية)
quest for peace	تحقيق السلام
Arbitration	التحكيم
foucauldian discourse analysis	تحليل الخطاب الفوكوي
narrative analysis	التحليل السردي
discourse-switch	التحول الخطابي
Conflict Transformation	تحويل النزاع

Nominalizations	التحويل إلى اسم
Anti-conflict biases	تحيزات مضادة للنزاع
Personalization	التخصيص
third-party intervention	تدخل طرف ثالث
flow of information	تدفق المعلومات
hierarchy	التراتبية
social hierarchy	التراتبية الاجتماعية
dominance hierarchy	تراتبية الهيمنة
inaction	التراخي
verbal dueling	تراشق كلامي
arrangements	ترتيبات
Recurrence	ترداد
misrepresentation	التزييف
Nomination	التسمية
Settlement	التسوية
compromise	التسوية
dispute settlement	تسوية المنازعات
collaboration	التشارك
discursive formations	التشكلات الخطابية
escalation	التصعيد
Unilateral Escalation	التصعيد من جانب واحد
Bilateral Escalation	التصعيد من جانبين
categorization	التصنيف
perceptions	التصورات
narrow the differences	تضييق الخلافات

antagonism	التعادي
Incompatibility	التعارض
divergence of interest	تعارض المصالح
cooperation	التعاون
emotional expression	تعبير عاطفي
nonverbal expression	التعبير غير الكلامي
euphemisms	التعبيرات الملطفة
Formulaic expressions	تعبيرات مأثورة
Polyphony	تعدد الأصوات
multiculturalism	التعددية الثقافية
status assertion	تعزيز المكانة
cognitive complexity	التعقيد الإدراكي
Impersonalization	التعميم
speech style shift	تغيير أسلوب الكلام
change topics	تغيير الموضوع
interaction	تفاعل
online interaction	التفاعل الافتراضي
language interaction	التفاعل اللغوي
Verbal Interaction	التفاعل اللفظي
group interactions	تفاعل المجموعات
verbal interaction	تفاعل كلامي
institutionalized social interactions	التفاعلات الاجتماعية المؤسسية
final bargaining	التفاهم النهائي
inequality	التفاوت
negotiation	التفاوض

accounts	التفسيرات
trading preferences	التفضيلات التجارية
social disintegration	التفكك الاجتماعي
zero sum thinking	تفكير صفري المجموع
adjudication	التقاضي
social conventions	التقاليد الاجتماعية
making concessions	تقديم امتيازات
second assessments	التقييمات الثانوية
emotional valence	التكافؤ العاطفي
contextualization tactics	التكتيات التسييقية (تسييق: أي وضعها في سياق)
stylistic tactics	التكتيكات الأسلوبية
discursive communicative tactics	التكتيكات التواصلية الخطابية
repetition	التكرار
reciprocal redundancy	التكرار التبادلي
contrastive repetition	التكرار التقابلي
partial repeats	التكرار الجزئي
manipulation	التلاعب
coherence	التماسك (المعنوي)
social cohesion	التماسك الاجتماعي
conversational coherence	التماسك التحادثي
Presentation	تمثيل
representation	التمثيل الإدراكي
yielding	التنازل
Intertextuality	التناص

Intertextuality	التناص
dissonance	التنافر
interpersonal dissonance	تنافر خارجي
intrapersonal dissonance	تنافر ذاتي
alternation	تناوب
dispreferred-action turn shape	تناوب الشكل في الحدث غير المفضل
Turn-taking	تناوب الكلام
turn prefaces	تناوب المقدمات
oppositional turns	التناوبات المتناقضة
coordination	التنسيق
disclaimer	تنصل
social organization	التنظيم الاجتماعي
sequential organization	التنظيم التتابعي
organization of arguments	تنظيم الحجج
appeasement	التهدئة
irony	التهكم
Constructive Communication	التواصل البناء
Inter communication	التواصل المتبادل
computer-mediated communication	تواصل حاسوبي
tension	توتر
dialectical tensions	توترات جدلية
Directives	توجيهات
direct delivery of information	التوصيل المباشر للمعلومات
accommodation	التوفيق

dispute	الجدال
Dialectics	جدلية
conventionalized	جعل تقليديا
advocacy groups	جماعات التأييد
speech community	جماعة لغوية
gender	الجنس
human needs	الحاجات البشرية
conflictual state	الحالة النزاعية
Positive Face	حب المصانعة
argument	الحجاج
rhetorical argument	الحجاج البلاغي
Oppositional argument	الحجاج المعارض
withholding information	حجب المعلومات
arguments	الحجج
symbolic action	الحدث الرمزي
purposeful action	الحدث الغرضي
triangular speech event	حدث كلامي ثلاثي
precipitating event	حدث مفاجئ
just war	الحرب العادلة
relative deprivation	الحرمان النسبي
need deprivation	الحرمان من الحاجة
individual freedom	الحرية الشخصية
variable-sum	حساب المتغير
preservation of honor	الحفاظ على الاحترام
realities	الحقائق

Absolute truth	الحقيقة المطلقة
objective fact	حقيقة موضوعية
conflict resolution	حل النزاع
permanent solutions	حلول دائمة
material incentives	الحوافز المادية
Conceptual maps	خرائط مفاهيمية
Structural Properties	خصائص بنيوية
disorderly discourse	الخطاب غير المنضبط
counter-discourse	خطاب مضاد
cognitive schema	الخطاطة الإدراكية
controversy	الخلاف
Critical language study	الدراسة النقدية للغة
humor	الدعابة
Counter defense	الدفاع المضاد
push-pulls of conflict	دفع وجذب النزاع
conflict spiral	دوامة النزاع
subjectivity	الذاتية
Cohesion	الربط (اللفظي)
neural binding	الربط العصبي
economic well-being	الرفاه الاقتصادي
symbol	الرمز
Symbolism	الرمزية
double binds	روابط مزدوجة
objective reason	سبب موضوعي
sparring of the battle	سجال المعركة

sarcasm	السخرية
narration	السرد
local narrative	السرد المحلي
marginalized narrative	السرد المهمش
foundational narratives	السرديات التأسيسية
tangential narratives	السرديات التماسية
contextual narratives	السرديات السياقية
resultant narratives	السرديات الناتجة
communicative peace	السلام التواصلي
authority	السلطة
power of redesignation	سلطة إعادة التسمية
symbolic power	السلطة الرمزية
absolute power	السلطة المطلقة
institutional authority	السلطة المؤسسية
extralinguistic power	السلطة غير اللغوية
symbolic behavior	السلوك الرمزي
broker	سمسار
misunderstanding	سوء الفهم
accusatory question	سؤال اتهامي
sovereignty	السيادة
pragmatic context	السياق التداولي
communicative context	السياق التواصلي
High context	سياق عالي
Low context	سياق منخفض
dominance	السيطرة

شبه منطقي	quasilogic
شتيمة نمطية (عبارات تستخدم للشتيمة، مثل: يا غبي)	Ritual insult
شخصنة الجدال	personalization of an argument
شعائري	Ritualistic (adj)
شعيرة	Ritual
صراع	struggle
الصراع الاجتماعي	social conflict
الصراع السياسي	political struggle
الصراع الطبقي	class struggle
صفوف المعارضة	opposing classes
الصمت	Silence
صنع القرار العام	public decision making
الصورة النمطية	stereotype
الصورة النمطية	Stereotype
صورة غير قابلة التصديق	ımplausible image
صيغ المعارضة المأثورة	formulaic opposition markers
صيغ رمزية	symbolic forms
صيغة مجازية	metaphorical form
صيغة مجردة	abstract form
ضمير الغائب	third-party pronouns
ضمير المتكلم	first-person pronouns
الضوابط السائدة	current controls
الطبقة المتوسطة	middle-class
الطبقية الاجتماعية	social stratification

strategic nature	الطبيعة الاستراتيجية
selective nature	الطبيعة الانتقائية
the humanizing nature of language	طبيعة الأنسنة للغة
verbal ways	الطرق الكلامية
impasse	طريق مسدود
requests	الطلبات
requests for clarification	طلبات التوضيح
rationalized world	عالم منطقي
explicit expressions	عبارات صريحة (غير متحفظة)
distributive justice	العدالة في التوزيع
antagonistic	عدائي
aggressiveness	العدوانية
role-reversal	عكس الدور
harmonious relations	العلاقات التوافقية
asymmetric power relations	علاقات السلطة غير المتماثلة
discursive psychology	علم النفس الخطابي
Narrative psychology	علم النفس السردي
everyday action	العمل اليومي
process of discourse	عملية الخطاب
physical violence	العنف الجسدي
collective violence	العنف الجماعي
possible negative consequences	العواقب السلبية المحتملة
contextual factors	عوامل سياقية
communication barriers	عوائق التواصل
nonconfrontational	غير تصادمي

Activated	الفاعل
compliance gaining	فرض الإذعان
historical differences	الفروق التاريخية
social space	فضاء اجتماعي
Embodied action	الفعل الجسدي
loss of face	فقدان ماء الوجه
verbal immediacy	الفورية اللفظية
win-win	فوز-فوز
disputable	قابل للنزاع
resolution	قرار الحل
Intentionality	القصدية
inversion	القلب (التقديم والتأخير)
rules of compromise	قواعد التسوية
stereotyping	قولبة
analogy	القياس
indigenous values	القيم الفطرية
native values	القيم الوطنية
equivalent value	القيمة المكافئة
indexical constraints	قيود تأشيرية
cultural constraints	قيود ثقافية
contextual constraints	قيود سياقية
Negative Face	كراهية المواجهة
lectal competence	الكفاية الاستعمالية
Cultural competence	الكفاية الثقافية
Argumentative competence	الكفاية الحجاجية

strife	كفاح
rhetorical speech	الكلام البلاغي
reported speech	الكلام غير المباشر
Ethnolinguistics	اللسانيات الأثنولوجية
sociolinguistic	اللسانيات الاجتماعية
Interactional sociolinguistics	اللسانيات الاجتماعية التفاعلية
linguistics proper	اللسانيات الأصلية
peace linguistics	لسانيات السلام
Linguistics of Conflict	لسانيات النزاع
intense language	اللغة الكثيفة
stalemate	مأزق
Next turn repair initiator (NTRI)	المبادر بإصلاح الدور التالي
unfair norms	المبادئ الجائرة
norm of harmony	مبدأ التوافق
Access Principle	مبدأ الوصول
Subjected	المتأثر
cross-discipline	متعدد التخصصات
human interactors	المتفاعلون
disputants	المتنازعون
social spheres	المجالات الاجتماعية
conflict -free society	مجتمع خالٍ من النزاع
support groups	المجموعات المؤيدة
subordinate groups	مجموعات خاضعة
superior groups	مجموعات نافذة
newsgroup	مجموعة إخبارية

casual conversation	المحادثة العارضة
computer simulation	محاكاة الكمبيوتر
conflict talk	محدثات النزاع
adjudicators	المحَكَّمون
joking	المزاح
Parliamentary Interpellations	مساءلات البرلمان
Beneficialized	المستفيد
discourse-level	المستوىٰ الخطابي
political participation	المشاركة السياسية
sources of power	مصادر السلطة
state interests	مصالح الدولة
self-interests	المصالح الذاتية
underlying interests	المصالح الكامنة
incompatible interests	المصالح المتعارضة
conciliation	المصالحة
Face-Saving	المصانعة
credibility	مصداقية
self-interest	المصلحة الذاتية
harassment	المضايقات
content and style	المضمون والأسلوب
demands	المطالبات
Social meaning	معنىٰ اجتماعي
face value	المعنىٰ الظاهري
objectivation	المعنىٰ المرجعي
Expressive meaning	معنىٰ تعبيري

Referential meaning	معنىً مرجعي
hyperbole	المغالاة
fallacy	مغالطة
paradoxes	المفارقات
excessive interruptions	المقاطعات المفرطة
uncooperative interruption	المقاطعة غير المتعاونة
Acceptability	المقبولية
short utterances	المقولة القصيرة
Status	المكانة
the social setting	المكانة الاجتماعية
communicative practices	الممارسات التواصلية
exercise power	ممارسة السلطة
the exercise of power	ممارسة السلطة
competition	المنافسة
argumentation	المناقشة
Sociable argumentation	المناقشة الودية
functionalist approaches	المناهج الوظيفية
moral reasoning	المنطق الأخلاقي
oracular reasoning	المنطق المبهم
Passivation	المنفعل
ethnomethodology	منهجية النظام الاجتماعي
dominant	مهيمن
confrontation	مواجهة
Face-Threatening Acts	المواجهة
scarce resources	الموارد النادرة

discursive resources	موارد خطابية
authenticity	الموثوقية
manipulative subjects	موضوعات يتلاعب بها
agonistic stance	موقف عدائي
Situationality	الموقفية
Non-Native Speaker	الناطق الأجنبي
Native Speaker	الناطق الأصلي باللغة
political elite	النخبة السياسية
conflict	النزاع
Contingent Conflict	النزاع الاحتمالي
Moral conflict	النزاع الأخلاقي
intercultural conflict	نزاع الثقافة المتبادلة
targeted offensive conflict	النزاع الدفاعي المستهدف
untargeted offensive conflict	النزاع الدفاعي غير المستهدف
International conflict	النزاع الدولي
False Conflict	النزاع الزائف
dormant conflict	النزاع الساكن
affective conflict	النزاع العاطفي
Public Conflict	النزاع العام
Latent Conflict	النزاع الكامن
verbal conflict	النزاع الكلامي
Para-conflict	النزاع المتصوَّر
displaced conflict	النزاع المستبدَل
targeted offensive conflict	النزاع الهجومي المستهدف
Veridical Conflict	نزاع حقيقي

internal conflict	نزاع داخلي
intracultural conflict	النزاع ضمن-ثقافي
Multicultural Conflict	النزاع متعدد الثقافات
Misattributed Conflict	النزاع مع الطرف الخطأ
verbal family conflict	النزاعات الأسرية اللفظية
intractable conflicts	النزاعات المستعصية
destructive conflicts	نزاعات مدمرة
productive conflicts	نزاعات منتجة
Social Order	النظام الاجتماعي
Negotiated order	نظام التفاوض
Exchange theories	نظريات التبادل
Structure of Authority	نظرية "بنية السلطة"
European social theory	النظرية الاجتماعية الأوروبية
Strategic choice theory	نظرية الاختيار الاستراتيجي
readiness theory	نظرية الاستعداد
speech act theory	نظرية الأفعال الكلامية
Poststructuralist Discourse Theory	نظرية الخطاب ما بعد البنيوي
Face Theory	نظرية المناورة
Political Realism	النظرية الواقعية السياسية
opponent's resistance point	نقطة مقاومة الخصم
syntactical pattern	النمط النظمي
The temporal sequence model	نموذج التسلسل الزمني
heuristic-systematic model	النموذج التنظيمي الاستدلالي
differing identities	هويات مختلفة
collective identity	الهوية الجماعية

hierarchical structure	الهياكل التراتبية
Hegemony	الهيمنة
one's reality	واقع الشخص
realist politics	الواقعية السياسية
sociability	الوداد
mediation	الوساطة
formal mediation	الوساطة الرسمية
ordinary mediation	الوساطة غير الرسمية
coercive means	وسائل قهرية
physical means	وسائل مادية
mediators	الوسطاء
go-between	وسيط
organizational functions	الوظائف التنظيمية
Collective consciousness	الوعي الجماعي
Self-consciousness	الوعي الذاتي
deescalate	وقف التصعيد
in-group and out-group loyalties	الولاءات داخل المجموعة وخارجها

الملاحق

الملحق ١: قرار مجلس الأمن ١٩٧٣ (٢٠١١/٣/١٧م)، بشأن فرض الحظر الجوي على ليبيا

القرار ١٩٧٣ (٢٠١١)

الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته ٦٤٩٨، المعقودة في ١٧ آذار/مارس ٢٠١١

إن مجلس الأمن،

إذ يشير إلى قراره ١٩٧٠ (٢٠١١) المؤرخ في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠١١،

وإذ يعرب عن استيائه لعدم امتثال السلطات الليبية لمضمون القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)،

وإذ يعرب عن القلق البالغ إزاء تدهور الوضع وتصاعد العنف والخسائر الفادحة في صفوف المدنيين،

وإذ يكرر تأكيد مسؤولية السلطات الليبية عن حماية السكان الليبيين،

وإذ يؤكد من جديد أن أطراف النزاعات المسلحة تتحمل المسؤولية الأساسية عن اتخاذ جميع الخطوات الممكنة لكفالة حماية المدنيين،

وإذ يدين الانتهاكات الجسيمة والممنهجة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي، والاختفاء القسري والتعذيب، والإعدام بإجراءات موجزة،

وإذ يدين كذلك أعمال العنف والتخويف التي ترتكبها السلطات الليبية ضد الصحافيين والعاملين في وسائط الإعلام والأفراد المرتبطين بهم،

وإذ يحث هذه السلطات على الوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي على النحو المبين في القرار ١٧٣٨ (٢٠٠٦)،

وإذ يرى أن الهجمات الممنهجة الواسعة النطاق التي تُشن حاليا في الجماهيرية العربية الليبية على السكان المدنيين قد ترقى إلى مرتبة جرائم ضد الإنسانية،

وإذ يشير إلى الفقرة ٢٦ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) الذي أعرب فيها مجلس الأمن عن استعداده للنظر في اتخاذ تدابير مناسبة أخرى، حسب الاقتضاء، لتيسير ودعم عودة إلى الجماهيرية العربية الليبية وتزويد هذه الأخيرة بالمساعدة الإنسانية وما يتصل بها من أشكال العون الأخرى،

وإذ يعرب عن تصميمه على كفالة حماية المدنيين والمناطق الآهلة بالسكان المدنيين وضمان مرور إمدادات الإغاثة الإنسانية بسرعة وبدون عوائق وتأمين سلامة العاملين في المجال الإنساني،

وإذ يشير إلى إدانة جامعة الدول العربية، والاتحاد الأفريقي، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، للانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي التي ارتكبت ولا تزال ترتكب في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يحيط علماً بالبيان الختامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المؤرخ ٨ آذار/ مارس ٢٠١١، وببيان مجلس السلام والأمن للاتحاد الأفريقي المؤرخ ١٩ آذار/ مارس ٢٠١١ الذي أنشئت بموجبه لجنة مخصصة رفيعة المستوى معنية بليبيا،

وإذ يحيط علماً أيضاً بقرار مجلس جامعة الدول العربية الصادر في ١٢ آذار/ مارس ٢٠١١ الداعي إلى فرض منطقة حظر للطيران على الطيران العسكري الليبي، وإقامة مناطق آمنة في الأماكن المعرضة للقصف الجوي كإجراء وقائي يسمح بحماية الشعب الليبي والمواطنين الأجانب المقيمين في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يحيط علماً كذلك بنداء الأمين العام في ١٦ آذار/ مارس ٢٠١١ لوقف إطلاق النار فوراً،

وإذ يشير إلى قراره إحالة الوضع في الجماهيرية العربية الليبية القائم منذ ١٥ شباط/ فبراير ٢٠١١ إلى المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية،

وإذ يشدد على ضرورة محاسبة المسؤولين عن الهجمات التي تستهدف السكان المدنيين، والبحرية، أو المشاركين فيها، بما فيها الهجمات الجوية،

وإذ يكرر تأكيد قلقه إزاء معاناة اللاجئين والعمال الأجانب الذين اضطروا للفرار من العنف الحاصل في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يرحب باستجابة الدول المجاورة، وبالخصوص تونس ومصر، لتلبية احتياجات أولئك اللاجئين والعمال الأجانب،

وإذ يدعو المجتمع الدولي إلى دعم تلك الجهود،

وإذ يعرب عن استيائه لاستمرار استخدام المرتزقة من جانب السلطات الليبية،

"وإذ يرى أن فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية يُشكّل عنصراً هاماً في حماية المدنيين وسلامة إيصال المساعدة الإنسانية وخطوة حاسمة في سبيل وقف الأعمال العدائية في ليبيا،

وإذ يعرب عن قلقه أيضاً تجاه سلامة المواطنين الأجانب وحقوقهم في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يرحب بتعيين الأمين العام للسيد عبد الإله محمد الخطيب مبعوثا خاصا له إلى ليبيا، وإذ يدعم الجهود التي يبذلها من أجل إيجاد حل دائم وسلمي للأزمة في الجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يعيد تأكيد التزامه القوي بسيادة واستقلال وسلامة الأراضي والوحدة القومية للجماهيرية العربية الليبية،

وإذ يقرر أن الحالة في الجماهيرية العربية الليبية ما زالت تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين،

وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة،

١ - **يطالب** بالإرساء الفوري لوقف إطلاق النار والإنهاء التام للعنف ولجميع الهجمات على المدنيين وللاعتداءات المرتكبة في حقهم؛

٢ - **يشدد** على الحاجة إلى تكثيف الجهود الرامية إلى إيجاد حل للأزمة يستجيب للمطالب المشروعة للشعب الليبي **ويحيط علما** بقرار الأمين العام إرسال مبعوثه الخاص إلى ليبيا وبقرار مجلس السلام والأمن التابع للاتحاد الأفريقي بإرسال لجنته المخصصة الرفيعة المستوى إلى ليبيا دف تيسير إجراء حوار يفضي إلى الإصلاحات السياسية اللازمة لإيجاد حل سلمي دائم؛

٣ - **يطالب** السلطات الليبية بالوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الدولي، بما في ذلك القانون الإنساني الدولي، والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي للاجئين، واتخاذ جميع التدابير لحماية المدنيين وتلبية احتياجاتهم الأساسية، وضمان المرور السريع دون عراقيل للمساعدات الإنسانية؛

حماية المدنيين

٤ - **يأذن** للدول الأعضاء التي أخطرت الأمين العام، وهي تتصرف على الصعيد أو عن طريق منظمات أو ترتيبات إقليمية، وبالتعاون مع الأمين العام، باتخاذ جميع الإجراءات الضرورية، بصرف النظر عن أحكام الفقرة التاسعة من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)، لحماية المدنيين والمناطق المأهولة بالسكان المدنيين المعرضين للتهديد بالهجوم عليها في الجماهيرية العربية الليبية، بما في ذلك بنغازي، مع استبعاد وجود قوات احتلال أجنبية بأي شكل من الأشكال على أي جزء من الأراضي الليبية، **ويطلب** من الدول الأعضاء المعنية إبلاغ الأمين العام فوراً عن التدابير التي تتخذها وفقاً للتفويض الذي تمنحه لها هذه الفقرة والتي يتوجب إبلاغها فوراً إلى مجلس الأمن؛

٥ – يقر بالدور المهم الذي تؤديه جامعة الدول العربية في المسائل المتصلة بصون السلم والأمن الدوليين في المنطقة، ويطلب إلى الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية أن تتعاون مع الدول الأعضاء الأخرى في تنفيذ الفقرة ٤، واضعا في اعتباره الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة؛

منطقة حظر الطيران

٦ – يقرر فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي للجماهيرية العربية الليبية من أجل المساعدة على حماية المدنيين؛

٧ – يقرر كذلك ألا ينطبق الحظر المفروض بموجب الفقرة ٦ على الرحلات الجوية التي يكون غرضها الوحيد غرضا إنسانيا، من قبيل إيصال المساعدة أو تيسير إيصالها، بما في ذلك الإمدادات الطبية، والأغذية، والعاملين في المجال الإنساني، والمساعدات ذات الصلة بها، أو إجلاء الرعايا الأجانب من الجماهيرية العربية الليبية، كما لا ينطبق على الرحلات الجوية المسموح بها بموجب الفقرتين ٤ أو ٨ أو الرحلات الأخرى التي تعتبر ضرورية من قِبَل الدول العاملة بموجب الإذن المخول وفق الفقرة ٨ لتكون لصالح الشعب الليبي على أن يتم تنسيق الرحلات الجوية هذه بواسطة أية آلية تنشأ بموجب الفقرة ٨؛

٨ – يأذن للدول الأعضاء التي أخطرت الأمين العام الأمين العام لجامعة الدول العربية، العاملة على المستوى الوطني أو من خلال منظمات أو ترتيبات إقليمية، باتخاذ جميع التدابير الضرورية لفرض الالتزام بحظر الطيران بموجب الفقرة ٦ أعلاه، حسب الضرورة، ويطلب من الدول المعنية بالتعاون مع جامعة الدول العربية التنسيق الوثيق مع الأمين العام بشأن التدابير التي تتخذها لتطبيق هذا الحظر، بما في ذلك إنشاء آلية مناسبة لتنفيذ أحكام الفقرتين ٦ و٧ أعلاه؛

٩ – يدعو جميع الدول الأعضاء، العاملة على المستوى الوطني أو من خلال منظمات وترتيبات إقليمية، أن تقدم المساعدة، بما في ذلك أي موافقات لازمة للتحليق لأغراض تتعلق بتنفيذ الفقرات ٤ و٦ و٧ و٨ أعلاه؛

١٠ – يطلب من الدول الأعضاء المعنية أن تنسق بشكل وثيق مع بعضها البعض ومع الأمين العام بشأن التدابير التي تتخذها لتنفيذ الفقرات ٤ و٦ و٧ و٨ أعلاه، بما في ذلك التدابير العملية لرصد والموافقة على الرحلات الجوية التي يسمح بها لتقديم المساعدات الإنسانية أو للإجلاء؛

١١ - يقرر أن تبلغ الدول الأعضاء المعنية الأمين العام والأمين العام لجامعة الدول العربية فوراً بالتدابير التي تتخذها في ممارسة السلطة المخولة بموجب الفقرة ٨ أعلاه، بما في ذلك تقديم المفهوم العام للعمليات؛

١٢ - يطلب إلى الأمين العام إبلاغ المجلس فوراً بأي إجراءات تتخذها الدول الأعضاء المعنية في ممارسة السلطة الممنوحة لها بموجب الفقرة ٨ أعلاه، وتقديم تقرير إلى مجلس الأمن خلال ٧ أيام، وبعد ذلك في كل شهر حول تنفيذ هذا القرار، بما في ذلك معلومات حول أي انتهاكات لحظر الطيران المفروض بموجب الفقرة ٦ أعلاه؛

تنفيذ الحظر المفروض على الأسلحة

١٣ - يقرر أن تستبدل الفقرة ١١ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) بالفقرة التالية: "يطلب إلى جميع الدول الأعضاء، ولا سيما دول المنطقة العاملة على المستوى الوطني أو من خلال منظمات أو ترتيبات إقليمية، بهدف ضمان التنفيذ الصارم للحظر المفروض على الأسلحة المنصوص عليه بموجب الفقرتين ٩ و١٠ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)، أن تفتش في أراضيها، بما في ذلك الموانئ والمطارات وفي عرض البحر، السفن والطائرات المتوجهة إلى أو الخارجة من الجماهيرية العربية الليبية، إذا كانت لدى الدول المعنية معلومات توفر أسباباً معقولة للاعتقاد بأن الشحنات تحتوي على مواد يحظر توريدها أو بيعها أو نقلها أو تصديرها بموجب الفقرة ٩ أو الفقرة ١٠ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) بصفتها المعدلة بموجب هذا القرار، بما في ذلك تأمين عناصر مرتزقة مسلحة، ويطلب إلى جميع الدول التي تحمل علمها هذه السفن والطائرات ان تتعاون مع عمليات التفتيش تلك ويأذن للدول الأعضاء باستخدام جميع التدابير بما يتناسب مع الظروف المحددة للقيام بعمليات التفتيش تلك"؛

١٤ - يطلب إلى الدول الأعضاء التي تتخذ إجراءات بموجب الفقرة ١٣ أعلاه في أعالي البحار أن تنسق عن كثب مع بعضها البعض ومع الأمين العام ويطلب كذلك إلى الدول المعنية إبلاغ الأمين العام واللجنة المشكلة وفقاً للفقرة ٢٤ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) ("اللجنة")، على الفور بالتدابير المتخذة في ممارسة السلطة المخولة بموجب الفقرة ١٣ أعلاه؛

١٥ - يطالب أي دولة عضو، سواء كانت تعمل على المستوى الوطني أو من خلال منظمات وترتيبات إقليمية، عندما تجري عملية تفتيش وفقاً لأحكام الفقرة ١٣ أعلاه، أن تقدم فوراً تقريراً أولياً خطياً إلى اللجنة يتضمن، على الأخص، شرحاً للأسس التي اعتمدت لإجراء التفتيش،

والنتائج التي تم الحصول عليها من عملية التفتيش هذه، وما إذا كان هناك تعاون أم لا، وما إذا تمّ العثور على مواد يحظر نقلها، ويطالب كذلك الدول الأعضاء بأن تقدم إلى اللجنة، في مرحلة لاحقة، تقريراً خطياً لاحقاً يتضمن التفاصيل ذات الصلة بعملية التفتيش، والمصادرة، والتخلص منها، والتفاصيل ذات الصلة بعملية النقل، بما في ذلك وصف البنود، ومصدرها، والمكان المتوجهة إليه، في حال لم تكن هذه المعلومات واردة في التقرير الأولي؛

١٦ - يعرب عن استيائه لاستمرار تدفق المرتزقة إلى الجماهيرية العربية الليبية ويطلب من جميع الدول الأعضاء أن تفي بدقة بالتزاماتها بموجب أحكام الفقرة ٩ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) لمنع تأمين العناصر المرتزقة المسلحة إلى الجماهيرية العربية الليبية؛

حظر الرحلات الجوية

١٧ - يقرر أن ترفض جميع الدول السماح لأي طائرة مسجلة في الجماهيرية العربية الليبية أو يملكها أو يشغلها مواطنون ليبيون أو شركات ليبية بأن تقلع من أراضيها أو تهبط فيها أو تحلّق فوقها ما لم تكن اللجنة قد وافقت بصورة مسبقة على هذه الرحلة الجوية أو كانت في حالة هبوط اضطراري؛

١٨ - يقرر أن ترفض جميع الدول السماح لأي طائرة بأن تقلع من أراضيها أو تهبط فيها أو تحلق فوقها في حال كانت لديها معلومات توفر أسباباً معقولة للاعتقاد بأن الطائرة تنقل بنوداً يحظر توريدها أو بيعها أو نقلها أو تصديرها بموجب أحكام الفقرتين ٩ و١٠ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) بصيغته المعدلة بموجب هذا القرار، بما في ذلك تأمين العناصر المرتزقة المسلحة، ما عدا في حالة الهبوط الاضطراري؛

تجميد الأصول

١٩ - يقرر أن ينطبق تجميد الأصول المفروض بموجب أحكام الفقرات ١٧، ١٩، ٢٠ و٢١ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) على جميع الأموال، وغيرها من الأصول المالية والموارد الاقتصادية الموجودة في أراضيها، التي تمتلكها أو تسيطر عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة السلطات الليبية، وفقاً لما تقرره اللجنة، أو أفراد أو هيئات تعمل نيابة عنها أو بموجب توجيهاتها أو هيئات تعمل نيابة عنها أو بموجب توجيهاتها، أو هيئات تتملكها أو تسيطر عليها، وفقاً لما تقرره اللجنة، ويقرر أيضاً انه يجب على جميع الدول التأكد من منع مواطنيها أو أي أفراد أو هيئات موجودة داخل أراضيها من تسليم أي أموال، أو أصول مالية، أو موارد اقتصادية أو لمصلحة السلطات الليبية، وفقاً لما تقرره اللجنة، أو إلى أفراد أو هيئات تعمل بالنيابة عنها أو وفق لتوجيهاتها أو إلى هيئات تمتلكها أو تسيطر عليها، وفقاً

لما تقرره اللجنة، ويوعز إلى اللجنة أن تحدد مثل هذه السلطات الليبية، أو الأفراد، أو الهيئات خلال مهلة ٣٠ يوماً من تاريخ تبني هذا القرار، وحسب الاقتضاء بعد ذلك؛

٢٠ - يؤكد تصميمه على كفالة إتاحة الأصول التي يتم تجميدها عملا بالفقرة ١٧ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) لشعب الجماهيرية العربية الليبية ولصالحه، في مرحلة لاحقة، وفي أسرع وقت ممكن؛

٢١ - يقرر أن تطالب جميع الدول مواطنيها، والأفراد الخاضعين لسلطتها، والشركات المشكلة في أراضيها أو الخاضعة إلى سلطتها أن تمارس اليقظة عند التعامل مع هيئات مشكلة في الجماهيرية العربية الليبية أو خاضعة لسلطتها ومع أي أفراد أو هيئات يعملون نيابة عنها وبتوجيه منها، أو هيئات تملكها أو تسيطر عليها في حال توفرت لدى هذه الدول معلومات توفر أساساً معقولاً للاعتقاد بأن مثل هذه الأعمال يمكنها أن تساهم في ممارسة العنف واستعمال القوة ضد المدنيين؛

تحديد الأسماء

٢٢ - يقرر أن يخضع الأفراد المدرجة أسماؤهم في المرفق الأول للقيود المفروضة في الفقرتين ١٥ و١٦ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) ويقرر كذلك بأن الأفراد والهيئات الذين أدرجت أسماؤهم في المرفق الثاني سوف يخضعون لقرار تجميد الأصول المفروض في الفقرات ١٧، و١٩، و٢٠، و٢١ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)؛

٢٣ - يقرر أن تنطبق أيضا التدابير المحددة في الفقرات ١٥ و١٦ و١٧ و١٩ و٢٠ و٢١ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) تنطبق أيضاً على الأفراد والهيئات التي يحدد المجلس أو اللجنة بأنهم انتهكوا أحكام القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)، ولا سيما الفقرتين ٩ و١٠ منه، أو ساعدوا آخرين على القيام بذلك؛

فريق الخبراء

٢٤ - يطلب إلى الأمين العام أن يُشكِّل لفترة أولية تحدد بسنة واحدة، بالتشاور مع اللجنة، مجموعة من الخبراء يصل عددهم إلى ثمانية (لجنة الخبراء) تعمل بإشراف اللجنة لتنفيذ المهمات التالية:

أ - مساعدة اللجنة في تنفيذ مسؤولياتها ومهماتها المحددة في الفقرة ٢٤ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) وفي هذا القرار؛

ب - جمع ودراسة وتحليل المعلومات الواردة من الدول ومن هيئات الأمم المتحدة المختصة ومن المنظمات الإقليمية والأطراف المعنية الأخرى المتعلقة بتنفيذ الإجراءات المنصوص عليها في القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) وهذا القرار، وخاصة حالات عدم الامتثال؛

ج - تقديم توصيات حول الإجراءات التي قد ينظر فيها المجلس أو اللجنة أو الدولة من اجل تحسين تنفيذ التدابير ذات الصلة؛

د - تقدم لجنة الخبراء إلى المجلس تقريراً مؤقتاً حول عملها خلال مدة لا تتجاوز ٩٠ يوماً من تاريخ تشكيلها ومن ثم تقريراً نهائياً خلال مدة لا تتجاوز ٣٠ يوماً قبل انتهاء مدة تفويضها يحتوي على استنتاجاتها وتوصياتها؛

٢٥ - **يحث** جميع الدول وهيئات الأمم المتحدة المختصة والأطراف المعنية الأخرى على التعاون الكامل مع اللجنة ومع لجنة الخبراء، ولا سيما تقديم أي معلومات متوفرة لديهم حول تنفيذ التدابير المنصوص عليها في القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) وهذا القرار، وخاصة حالات عدم الامتثال؛

٢٦ - **يقرر** أن تسري ولاية اللجنة المبينة في الفقرة ٢٤ من القرار ١٩٧٠ (٢٠١١) على التدابير المنصوص عليها في هذا القرار؛

٢٧ - **يقرر** أن تتخذ جميع الدول، بما فيها الجماهيرية العربية الليبية، التدابير اللازمة لضمان عدم وقوع أي مطالبة ضد السلطات الليبية أو ضد أي فرد أو هيئة في الجماهيرية العربية الليبية، أو أي فرد يقوم بالمطالبة من خلال أو لصالح أي فرد أو هيئة، فيما يتعلق بأي عقد أو معاملة أخرى حيث تأثر أداءه أو أداءها بسبب التدابير التي اتخذها مجلس الأمن بموجب القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)، وهذا القرار والقرارات ذات الصلة؛

٢٨ - **يؤكد** من جديد اعتزامه إبقاء أعمال السلطات الليبية تحت المراجعة المستمرة ويشدد على استعداده في أي وقت لمراجعة التدابير التي فرضها هذا القرار والقرار ١٩٧٠ (٢٠١١)، بما في ذلك تعزيز أو تعليق أو رفع تلك التدابير، حسب الاقتضاء، استناداً إلى مدى امتثال السلطات الليبية بهذا القرار ١٩٧٠ (٢٠١١)؛

٢٩ - **يقرر** استمراره في المتابعة النشطة لهذه المسألة.

الملحق ٢: خطاب الرئيس الأمريكي (٢٦/٩/٢٠١٢م)، بشأن أحداث بنغازي

السيد الرئيس، السيد الأمين العام، زملائي المندوبين، السيدات والسادة: أود أن أبدأ اليوم بإخباركم عن أميركي يُدعى كريس ستيفنز.

ولد كريس في مدينة تسمى غراس فالي، بولاية كاليفورنيا، وهو ابن محامٍ وموسيقية. عندما كان شابًا انضم كريس إلى فيلق السلام، ودرّس اللغة الإنجليزية في المغرب. وصار يحب ويحترم شعوب شمال أفريقيا والشرق الأوسط، وكان من المقدر له أن يحمل معه ذلك الالتزام طوال حياته. وكدبلوماسي، عمل من مصر إلى سوريا، ومن المملكة العربية السعودية إلى ليبيا. وكان معروفًا بحبه للتجول مشيًا في شوارع المدن حيث كان يعمل - يتذوق الأطعمة المحلية، ويقابل أكبر عدد من الناس يمكنه مقابلتهم، ويتحدث باللغة العربية، ويستمع وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

توجه كريس إلى بنغازي في الأيام الأولى للثورة الليبية، ووصل إليها على متن سفينة شحن. وكممثل لأميركا، ساعد أفراد الشعب الليبي وهم يتعاملون مع النزاع العنيف، فاعتنى بالجرحى، وصاغ رؤية لمستقبل يتم فيه احترام حقوق جميع الليبيين. وبعد الثورة، دعم ميلاد الديمقراطية الجديدة، فيما كان الليبيون يُجرون الانتخابات، ويبنون مؤسسات جديدة، ويبدأون بالتحرك قُدمًا بعد عقود طويلة من الحكم الدكتاتوري.

أحب كريس ستيفنز عمله واعتزّ بالبلد الذي يخدمه، وشهد الكرامة في الذين قابلهم. وقبل أسبوعين، انتقل إلى بنغازي لمراجعة خطط إنشاء مركز ثقافي جديد وتحديث أحد المستشفيات. وهناك تعرض المجمع الأميركي للهجوم. وسوية مع ثلاثة من زملائه، قُتل كريس في المدينة التي ساعد على إنقاذها. كان عمره ٥٢ سنة.

إنني أسرد لكم هذه القصة لأن كريس جسّد أفضل ما في أميركا. وتمامًا كما فعل زملاؤه في السلك الدبلوماسي بنى جسورًا عبر المحيطات والثقافات، وكان منخرطًا بعمق في نطاق التعاون

الدولي الذي تمثله الأمم المتحدة. تصرّف بتواضع، ولكنه أيضًا دافع بقوة عن مجموعة من المبادئ – والإيمان أن بإمكان الأفراد أن يكونوا أحرارًا في تقرير مصيرهم الخاص، والعيش بحرية، وكرامة، وعدالة، وإتاحة الفرص.

كانت الهجمات على المدنيين الأميركيين في بنغازي هجمات على أميركا. ونحن نكنّ الامتنان للمساعدة التي تلقيناها من الحكومة الليبية ومن الشعب الليبي. لا ينبغي أن يكون هناك أدنى شك في أننا لن نألو جهدًا في تعقب القتلة وتقديمهم للعدالة. كما أقدر أيضًا أن في الأيام الأخيرة، اتخذ القادة في بلدان أخرى في المنطقة – من بينها مصر، وتونس، واليمن – خطوات حاسمة لتأمين سلامة منشآتنا الدبلوماسية، ودعوا إلى الهدوء. وكذلك فعلت السلطات الدينية في جميع أنحاء العالم.

ولكن أرجوكم أن تدركوا، أن الهجمات التي نُفذت خلال الأسبوعين الماضيين ليست مجرد اعتداء على أميركا. إنها هي أيضًا اعتداء على المثل العليا نفسها التي تأسست عليها الأمم المتحدة – أي تلك الفكرة أن باستطاعة الناس حل خلافاتهم سلميًا، وأن باستطاعة الدبلوماسية أن تحل محل الحرب، وأنه في عالم مترابط كهذا، لدينا جميعًا مصلحة في العمل في سبيل توفير فرص وأمن أكثر لمواطنينا.

فإذا كنا جادين بشأن المحافظة على هذه المثل، فلن يكون كافيًا مجرد وضع المزيد من الحراس أمام سفارة، أو إصدار بيانات الأسف، وانتظار انحسار موجة الغضب. إذا كنا جادين بشأن هذه المثل العليا، علينا أن نتكلم بصدق عن الأسباب العميقة لهذه الأزمة – لأننا نواجه خيارًا بين القوى التي من شأنها أن تدفعنا للانفصال عن بعضنا البعض، وبين الآمال التي نتشارك فيها سوية.

واليوم، يتعين علينا إعادة التأكيد على أن مستقبلنا سوف يحدده أناس مثل كريس ستيفنز – ولا يحدده قتلته. واليوم، علينا أن نعلن بصوت عالٍ أن هذا العنف والتعصب لا مكان لهما بين أممنا المتحدة.

لقد مر أقل من سنتين على إضرام بائع متجول في تونس النار في نفسه احتجاجًا على الفساد الظالم في بلاده، فأشعل ما أصبح يعرف باسم الربيع العربي. ومنذ ذلك الحين، بات العالم مفتونًا بالتحولات التي حدثت، ودعمت الولايات المتحدة قوى التغيير.

لقد ألهمتنا الاحتجاجات التونسية التي أطاحت بأحد الطغاة، لأننا أدركنا أن معتقداتنا تماثل طموحات الرجال والنساء الذين خرجوا إلى الشوارع.

وأصررنا على التغيير في مصر، لأن دعمنا للديمقراطية وضعنا في نهاية المطاف إلى جانب الشعب.

ودعمنا عملية انتقال القيادة في اليمن، لأن الوضع القائم الفاسد لم يعد يخدم مصالح الشعب.

كما تدخلنا في ليبيا إلى جانب تحالف واسع النطاق، وبتفويض من مجلس الأمن الدولي، لأننا كنا نملك القدرة على وقف ذبح الأبرياء، وانطلاقا من إيماننا بأن تطلعات الشعب كانت أقوى من أي طاغية.

وبينما نجتمع هنا الآن، نعلن مجددًا أن نظام بشار الأسد يجب أن ينتهي لكي يتسنى وقف معاناة الشعب السوري وكي يبزغ فجر جديد في سوريا.

لقد اتخذنا هذه المواقف لأننا نؤمن بأن الحرية وتقرير المصير لا يقتصران على ثقافة واحدة. وهذه ليست مجرد قيم أميركية أو قيم غربية – إنها قيم عالمية. وحتى مع احتمال حدوث تحديات ضخمة تأتي مع التحول إلى الديمقراطية، فإنني على اقتناع بأنه في نهاية المطاف فإن حكومة الشعب، والتي اختارها الشعب، ومن أجل الشعب سوف يكون من الأكثر احتمالا لها أن تحقق الاستقرار، والازدهار، والفرص الفردية التي تصلح كأساس لتحقيق السلام في عالمنا.

وهكذا، دعونا نتذكر أن هذا هو موسم للتقدم. فللمرة الأولى منذ عقود، صوت التونسيون، والمصريون، والليبيون لقادة جدد في انتخابات كانت ذات مصداقية، وتنافسية، ونزيهة. ولم تقتصر هذه الروح الديمقراطية على العالم العربي. فخلال العام الماضي، شهدنا عمليات انتقال سلمية للسلطة في ملاوي والسنغال، وانتخاب رئيس جديد في الصومال. وفي بورما، أطلق الرئيس سراح سجناء سياسيين وفتح مجتمعًا كان مغلقًا، وتم انتخاب منشقة شجاعة لعضوية البرلمان، وبات الناس يتطلعون قُدمًا للمزيد من الإصلاحات. وفي جميع أنحاء العالم، أصبح الناس يُسمعون أصواتهم، ويصرّون على كرامتهم المتأصلة، وعلى حقهم في تقرير مستقبلهم.

ومع ذلك تذكرنا الاضطرابات التي حصلت في الأسابيع الأخيرة بأن المسار إلى الديمقراطية لا ينتهي بطرح صوت في صندوق الاقتراع. قال نيلسون مانديلا ذات مرة: "أن يكون الإنسان

حرًا لا يعني مجرد تحرره من الأغلال التي تقيده، بل أن يعيش بطريقة تحترم وتعزز حرية الآخرين".

تتطلب الديمقراطية الحقيقية عدم الزج بالمواطنين في السجن بسبب ما يؤمنون به، والتمكن من إنشاء شركات أعمال تجارية دون دفع رشوة. تعتمد الديمقراطية على حرية المواطنين في التعبير عن أفكارهم والتجمع دون خوف، وعلى سيادة القانون والإجراءات القانونية الصحيحة التي تضمن حقوق جميع الناس.

وبعبارات أخرى، فإن الديمقراطية الحقيقية - الحرية الحقيقية - هي عمل شاق. يتعين على من هم في السلطة مقاومة إغراء اتخاذ إجراءات صارمة ضد معارضي الرأي. ففي الأوقات الاقتصادية الصعبة، من المرجح إغراء البلدان- من الممكن إغراء البلدان بحشد الناس حول أعداء معروفين في الوطن وفي الخارج، بدلا من التركيز على العمل المضني لتحقيق الإصلاح.

وعلاوة على ذلك، سوف يكون هناك دائمًا من يرفض التقدم الإنساني - حكام طغاة يتشبثون بالسلطة، ومصالح فاسدة تعتمد على استمرار الوضع القائم، ومتطرفون يؤججون نيران الكراهية والانقسام. لقد شاهدنا ذلك بدءًا من أيرلندا الشمالية إلى جنوب آسيا، ومن أفريقيا إلى الأميركتين، ومن البلقان إلى حوض المحيط الهادئ، لقد شهدنا الاضطرابات التي يمكن أن ترافق الانتقال إلى نظام سياسي جديد.

وفي بعض الأوقات، تنشأ النزاعات على طول خطوط التصدع للعرقية أو القبلية، وكثيرًا ما تنشأ عن الصعوبات في التوفيق بين التقاليد والعقيدة نظرًا للتنوع والتكامل المتبادل في العالم المعاصر. في كل بلد، هناك أولئك الذين يجدون تهديدًا من المعتقدات الدينية المختلفة، وفي كل ثقافة، ينبغي على محبي الحرية أنفسهم أن يسألوا عن مدى استعدادهم للتسامح تجاه حرية الآخرين.

هذا هو ما رأيناه يجري على قدم وساق خلال الأسبوعين الأخيرين، بسبب شريط فيديو فجّ ومثير للاشمئزاز أثار الغضب في جميع أنحاء العالم الإسلامي. والآن لقد أوضحت تمامًا أن حكومة الولايات المتحدة لا علاقة لها على الإطلاق بهذا الفيديو، وأعتقد أنه ينبغي على جميع الذين يحترمون إنسانيتنا المشتركة رفض رسالته.

إنه فيلم مهين ليس للمسلمين فحسب، إنما لأميركا أيضًا - لأنه كما توضحه هذه المدينة خارج هذه الجدران، نحن بلد يرحب بالناس من كل عرق ومن كل دين. نحن نشكل موطنًا للمسلمين الذين يمارسون عباداتهم عبر أرجاء بلدنا. نحن لا نحترم حرية الدين فحسب - إنما أيضًا لدينا قوانين تحمي الأفراد من التعرض للأذىٰ بسبب مظهرهم أو بسبب ما يؤمنون به. إننا ندرك السبب الذي جعل الناس يشعرون بالإساءة من هذا الفيديو لأن الملايين من مواطنينا من بينهم.

إنني أعرف أن هناك بعض الذين يتساءلون لماذا لا يمكننا مجرد حظر عرض هذا الفيديو. الجواب علىٰ ذلك مكرس في قوانيننا: دستورنا يحمي الحق في ممارسة حرية التعبير.

هنا في الولايات المتحدة، هناك منشورات لا تعد ولا تحصىٰ مثيرة للإساءة. وأنا مسيحي مثل غالبية الأميركيين، ومع ذلك، فإننا لا نحرم التجديف ضد أقدس معتقداتنا. وكرئيس لهذا البلد، وكقائد أعلىٰ للقوات المسلحة، أقبل أن يقوم الناس بوصفي بأقبح التسميات في كل يوم (ضحك)- وسوف أدافع دائمًا عن حقهم في القيام بذلك.

لقد حارب الأميركيون وضحوا بحياتهم في جميع أنحاء العالم لحماية حق جميع الناس في التعبير عن آرائهم، وحتىٰ الآراء التي يختلفون بعمق حولها. لا نفعل ذلك لأننا ندعم خطاب الكراهية، بل لأن آباءنا المؤسسين أدركوا أنه من دون مثل هذه الحمايات، من الممكن تهديد قدرة كل فرد في التعبير عن آرائه الخاصة، وممارسة شعائره الدينية. نفعل ذلك لأنه في مجتمع متنوع، يمكن لجهود تبذل لتقييد حرية الكلام أن تتحول بسرعة إلىٰ أداة لإسكات النقاد، واضطهاد الأقليات.

إننا نفعل ذلك لأنه نظرًا لقوة الإيمان في حياتنا، والعواطف التي يمكن لها أن تشعل الاختلافات الدينية، فإن السلاح الأقوىٰ ضد خطاب الكراهية يشمل عدم كبحه، إنما الإكثار منه - أصوات التسامح التي تحشد صفوفها ضد التعصب والتكفير، وتُعلي قيم التفاهم والاحترام المتبادل.

والآن أدرك أنه ليس كل البلدان الممثلة في هذه الهيئة تتشارك في هذا المفهوم الخاص حول حماية حرية التعبير. إننا ندرك ذلك. ولكن في العام ٢٠١٢، في وقت يستطيع فيه أي إنسان لديه هاتف محمول أن ينشر وجهات نظر عدائية حول العالم بنقرة زر واحدة، أصبحت فكرة أن بإمكاننا مراقبة تدفق المعلومات فكرة عفا عليها الزمن. والسؤال هنا، هو إذن، كيف يجب أن تكون ردة فعلنا علىٰ ذلك؟

حول هذا يتعين علينا الاتفاق: ليس هناك أي كلام يبرر العنف الغاشم ليست هنـاك كلـمات تبرر قتل الأبرياء. ليس هناك فيلم فيديو يبرر الهجوم على سفارة. وليس هناك افتراء يـوفر ذريعـة للناس لكي يحرقوا مطعمًا في لبنان، أو تدمير مدرسة في تـونس، أو التـسبب في المـوت والـدمار في باكستان

في هذا العالم الحديث ومع وجود التقنيات الحديثة، فإن الرد بالنسبة لنا وفق تلك الطريقة عـلى خطاب الكراهية سوف يمكّن أي شخص منخـرط في مثـل هـذا الخطـاب مـن خلـق حالـة مـن الفوضى في جميع أنحاء العالم، إننا نعطي قوة لأسوأ الناس بيننا إذا كانت هـذه هـي الطريقـة التـي سوف نرد بها.

وعلى نطاق أوسع، تخبرنا الأحداث الحاصلة خلال الأسبوعين الماضيين أيضًا عـن ضرورة أن نقوم جميعًا بمعالجة التوترات بين الغرب والعالم العـربي الـذي يتحـرك قُـدمًا نحـو الديمقراطيـة معالجة مخلصة.

والآن، اسمحوا لي بأن أكون واضحًا: تمامًا كما أنه لا يمكننا حل كل مشكلة في العالم، فلم ولن تسعى الولايات المتحدة إلى فرض نتائج عمليات التحول الديمقراطي في الخارج. ونحن لا نتوقع أن تتفق معنا الدول الأخرى حول كل مسـألة، كـما أننـا لا نفـترض أن العنـف الـذي حـصل في الأسابيع الماضية، أو خطاب الكراهية الذي نطق به بعض الأفـراد يمثـل وجهـات نظـر الغالبيـة الساحقة من المسلمين، وبالمثل لا تمثل آراء الناس الذين أنتجوا هذا الفيديو آراء الأميركيين. ومـع ذلك، أعتقد بالفعل أن من واجب جميع القادة في جميع البلدان أن يـشجبوا علنًـا وبـشدة بـالعنف والتطرف.

لقد حان الوقت لتهميش أولئك الذين يستخدمون كراهية أميركـا، أو الغـرب، أو إسرائيـل، بمثابة مبدأ تنظيمي أساسي للسياسة- حتى عنـدما لا يلجـأون مبـاشرة إلى العنـف. لأن ذلـك لا يفعل سوى أنه يمنح غطاءً، ويقدم في بعض الأحيان ذريعة لأولئك الذين يلجأون إلى العنف.

هذا النمط في السياسة – نمط يحرض الشرق ضد الغرب، والجنوب ضد الـشمال، والمـسلمين ضد المسيحيين، والهندوس، واليهود – لا يستطيع أن يحقق وعد الحرية. إنه لا يقـدم للـشباب إلا الأمل الكاذب. إن حرق العلم الأميركي لن يفعل شيئًا من أجل توفير التعليم لطفل ما. والتدمير الكامل لمطعم لا يملأ معدة فارغة. ومهاجمة سـفارة لـن يخلـق وظيفـة واحـدة. هـذا الـنمط مـن

السياسات يجعل فقط من الصعوبة بمكان تحقيق ما يجب علينا القيام به معًا وهو: تعليم أطفالنا، وإيجاد الفرص التي يستحقونها، وحماية حقوق الإنسان، وتوسيع نطاق وعد الديمقراطية.

وليكن مفهومًا أن أميركا لن تنسحب أبدًا من العالم. سوف نقدم للعدالة أولئك الذين يلحقون الأذى بمواطنينا وأصدقائنا، وسوف نقف بثبات مع حلفائنا. وإننا على استعداد للدخول في شراكة مع البلدان حول العالم لتعميق الروابط التجارية والاستثمارية، وفي مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والطاقة والتنمية – جميع الجهود التي يمكن أن تشعل فتيل النمو الاقتصادي لجميع الشعوب وتؤمّن الاستقرار للتغيير الديمقراطي.

ولكن هذه الجهود تعتمد على روح المصلحة المتبادلة والاحترام المتبادل. ولن تكون أية حكومة، أو شركة، أو مدرسة، أو منظمة غير حكومية واثقة من العمل في بلد يتعرض شعبه للخطر. ولكي تكون الشراكات فعالة يجب أن يكون مواطنونا آمنين وأن يتم الترحيب بجهودنا.

إن السياسة التي لا ترتكز سوى على الغضب – المبنية على أساس تقسيم العالم بين "نحن" و"هم" – لا تعيد إلى الوراء التعاون الدولي وحسب، إنما هي أيضًا تقضي في نهاية المطاف على أولئك الذين يتسامحون تجاهها. لدينا جميعًا مصلحة في التصدي لهذه القوى.

دعونا نتذكر أن المسلمين عانوا الكثير على يد المتطرفين. ففي اليوم نفسه الذي قُتل فيه دبلوماسيونا في بنغازي، جرى اغتيال ضابط شرطة تركي في إسطنبول قبل أيام قليلة من زفافه، وقتل أكثر من ١٠ يمنيين في حادث تفجير سيارة مفخخة في صنعاء، وكان العديد من الآباء ينتحبون على أطفالهم الأفغان بعد مقتلهم على يد مهاجم انتحاري في كابول.

إن الاندفاع تجاه عدم التسامح والتعصب والعنف قد يكون مركّزًا في البداية على الغرب، ولكن مع مرور الوقت لن يصبح من الممكن كبحه. إذ يتم استخدام الاندفاع نفسه تجاه التطرف لتبرير الحرب بين السنة والشيعة، وبين القبائل والعشائر. إن ذلك لا يقود إلى القوة ولا إلى الازدهار إنما إلى الفوضى. ففي أقل من عامين، شهدنا احتجاجات أغلبها سلمية لتحقيق المزيد من التغيير في بلدان ذات أغلبية مسلمة مما شهدناه في عقد من العنف. ويدرك المتطرفون ذلك لأنهم لا يملكون أي شيء يقدمونه من أجل تحسين حياة الناس، فالعنف هو الطريق الوحيد للمحافظة على أهميتهم. إنهم لا يبنون، أنهم يدمرون فقط.

لقد حان الوقت للتخلي عن الدعوة إلى العنف وسياسات التفرقة. وفي كثير من الموضوعات والقضايا المتعددة، إننا نواجه خيارًا بين وعود المستقبل، أو سجون الماضي. وإننا لا نقوى على تحمل ارتكاب الخطأ فيها. علينا اغتنام هذه اللحظة. وأميركا تقف على أهبة الاستعداد للعمل مع جميع الذين هم على استعداد لاحتضان مستقبل أفضل.

لا ينبغي أن يكون المستقبل ملكًا لأولئك الذين يستهدفون المسيحيين الأقباط في مصر - يجب أن يطالب بهذا المستقبل أولئك الذين هتفوا في ميدان التحرير، "مسلم ومسيحي، إيد واحدة." ينبغي ألا يعود المستقبل إلى أولئك الذين يتحرشون بالنساء - يجب أن يتم صياغته من الفتيات اللاتي يلتحقن بالمدارس واللواتي يساندن عالمًا تستطيع فيه بناتنا تحقيق أحلامهن تمامًا كأبنائنا.

يجب ألا يكون المستقبل ملكًا لتلك الشرذمة الصغيرة من الفاسدين الذين يسرقون موارد أي بلد - يجب أن يفوز به الطلاب، ورواد الأعمال، والعمال، وأصحاب شركات الأعمال التجارية الذين يسعون في سبيل تحقيق الازدهار لجميع الناس. الرجال والنساء في أميركا يقفون إلى جانبهم، هذه هي الرؤية التي سوف ندعمها.

يجب ألا يكون المستقبل ملكًا لأولئك الذين تطاولوا على نبي الإسلام. ولكن لكي يكونوا جديرين بالثقة، يتوجب على الذين يستنكرون ذلك الافتراء أن يُدينوا أيضًا الكراهية التي نراها في صور يسوع المسيح التي دُنّست، أو الكنائس التي دمرت، أو المحرقة التي ينكرون حصولها.

دعونا ندين التحريض ضد المسلمين الصوفيين وزوار العتبات المقدسة من الشيعة. لقد حان الوقت لاحترام كلمات غاندي: "التعصب هو في حد ذاته شكل من أشكال العنف وعقبة أمام نمو روح الديمقراطية الحقة". (تصفيق). وسوية ينبغي علينا أن نعمل من أجل إيجاد عالم تكون فيه اختلافاتنا مصدر قوة لنا، وليست أداة تحديد من نحن. هذا هو ما تجسده أميركا، وهذه هي الرؤية التي سوف ندعمها.

وبين الإسرائيليين والفلسطينيين ينبغي ألا يعود المستقبل لأولئك الذين يديرون ظهورهم لاحتمالات إحلال السلام. دعونا نترك خلفنا أولئك الذين يتعشون على النزاعات، أولئك الذين يرفضون حق إسرائيل في الوجود. الطريق صعب وعسير، ولكن المصير واضح - دولة يهودية آمنة ودولة فلسطينية مستقلة ومزدهرة. نظرًا لإدراكها أن مثل هذا السلام يجب أن ينشأ من خلال

اتفاق عادل بين الطرفين، فإن أميركا سوف تسير بجانب من هم على استعداد للقيام بتلك الرحلة.

وفي سوريا، يجب أن لا يكون المستقبل ملكًا لديكتاتور يرتكب المجازر بحق شعبه. فإذا كان هناك سبب يدعو للاحتجاج بصوت عالٍ في العالم اليوم، للاحتجاج السلمي، فإنه قضية هذا النظام الذي يعذب الأطفال ويطلق الصواريخ على المباني السكنية. ويجب علينا أن نبقى منخرطين لتأمين ما بدأ مع مواطنين يطالبون بحقوقهم لن ينتهي في دوامة من العنف الطائفي.

ومعًا، يجب أن نقف مع أولئك السوريين الذين يؤمنون برؤية مختلفة - سوريا موحدة تحتضن الجميع، حيث لا يحتاج الأطفال إلى الخوف من حكومتهم، وحيث يكون لجميع السوريين رأي في الكيفية التي يُحكمون بها - السنة، والعلويين، والأكراد، والمسيحيين. هذا ما تمثله أميركا. هذه هي النتيجة التي سوف نعمل من أجلها- مع العقوبات والعواقب التي تترتب على أولئك الذين يضطهدون شعوبهم، ومع المساعدة والدعم لأولئك الذين يعملون للصالح العام. لأننا نعتقد أن السوريين الذين يتبنون هذه الرؤية سوف تكون لهم السلطة والشرعية لتولي زمام القيادة في البلاد.

وفي إيران، إننا نرى إلى أين يؤدي مسار العنف ومبدأ الإفلات من المساءلة. إن الشعب الإيراني له تاريخ رائع وعريق، والعديد من الإيرانيين يرغبون في التمتع بالسلام والازدهار جنبًا إلى جنب مع جيرانهم. ولكن بينما تقيّد الحكومة الإيرانية حقوق شعبها، تواصل تلك الحكومة دعم الديكتاتور في دمشق، وتدعم الجماعات الإرهابية في الخارج. ومرة تلو الأخرى، فشلت الحكومة في انتهاز الفرصة لإثبات أن برنامجها النووي لأغراض سلمية، وفي الوفاء بالتزاماتها تجاه الأمم المتحدة.

اسمحوا لي بأن أكون واضحًا. إن أميركا ترغب في حل هذه القضية بالوسائل الدبلوماسية، ونحن نعتقد أنه لا يزال هناك متسع من الوقت ومجال للقيام بذلك. ولكن هذا الوقت ليس بلا حدود. نحن نحترم حق الدول في الحصول على الطاقة النووية السلمية، ولكن واحدة من أغراض الأمم المتحدة هو رؤية أننا نُسخّر تلك الطاقة من أجل السلام. ولا تظنوا أن إيران المسلحة نوويًا ستكون تحديًا يمكن احتواؤه، إنها سوف تهدد بالقضاء على إسرائيل، وتهدد أمن

دول الخليج، واستقرار الاقتصاد العالمي. وستغامر بإثارة سباق تسلح نـووي في المنطقـة، وانهيـار معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. هذا هو السبب في قيام ائتلاف من الدول يُخضع الحكومـة الإيرانية للمساءلة. وهذا هو السبب في أن الولايات المتحدة سوف تفعل كلما بوسعها لمنـع إيـران من الحصول على سلاح نووي.

نحن نعرف من تجاربنا المؤلمة أن الطريق إلى الأمن والرخـاء لا تكمـن خـارج حـدود القـانون الدولي واحترام حقوق الإنسان. هذا هو السبب الذي نشأت من أجلـه هـذه المؤسـسة مـن تحـت أنقاض النزاعات. وهذا هو سبب انتصار الحرية على الطغيان في الحرب الباردة. وهذا هو الدرس المستفاد من العقدين الماضيين أيضًا.

يُبـين لنـا التـاريخ أن الـسلام والتقـدم لا يتحققـان إلا لأولئـك الـذين يتخـذون الخيـارات الصحيحة. فقد مرت الدول في جميع أجزاء العالم بهذا الطريق الصعب. أوروبا باتت موحدة بعـد المعركة الأكثر دموية في القـرن العـشرين، وأصـبحت موحـدة، وحـرة، وتعـيش في سـلام. مـن البرازيل إلى جنوب أفريقيا، ومـن تركيـا إلى كوريـا الجنوبيـة، ومـن الهنـد إلى إندونيـسيا، قامـت الشعوب من مختلف الأعراق والأديان والتقاليد بانتشال الملايـين مـن هـوة الفقـر، بـالترافق مـع احترام حقوق المواطنين والوفاء بمسؤولياتها كدول.

وبسبب التقدم الذي شهدته خلال حياتي، والتقدم الذي شهدته خلال أربـع سـنوات تقريبًـا كرئيس، لا يزال يحدوني الأمل بالنسبة للعالم الذي نعيش فيـه. فـالحرب في العـراق قـد وضـعت أوزارها. وعادت القوات الأميركية إلى أرض الوطن. لقـد بـدأنا مرحلـة انتقاليـة في أفغانـستان، وسوف تنهي أميركا وحلفاؤنـا حربنـا في الموعـد المحـدد في العـام ٢٠١٤. وقـد ضـعف تنظـيم القاعدة، ولم يعد أسامة بن لادن على قيد الحياة. واتحدت الدول معًا لتأمين سلامة المـواد النوويـة، وأميركا وروسيا يخفضان ترسانتيهما. وقد شهدنا خيارات الصعبة - مـن نايبيـداو إلى القـاهرة إلى أبيدجان - لوضع المزيد من السلطة في أيدي المواطنين.

وفي هذا الوقت من التحدي الاقتصادي، حان للعالم توسيع نطاق الازدهار سوية. من خـلال مجموعة الدول العشرين، أنشأنا شراكة مع البلدان الصاعدة للمحافظة على سـير العـالم في طريـق الانتعاش الاقتصادي. واصلت أميركا أجندة التنميـة التـي سـوف تغـذي النمـو وتكـسر حلقـة

التبعية، وعمِلت مع الزعماء الأفارقة لأجل مساعدتهم في إطعام شعوبهم. وقد أُنشئت شراكات جديدة لمكافحة الفساد وتعزيز الحكومات المنفتحة والشفافة، وبُذلت التزامات جديدة من خلال الشراكة المستقبلية لضمان تمكين النساء والفتيات من المشاركة الكاملة في الحياة السياسية والسعي من أجل إيجاد الفرص. وفي وقت لاحق من هذا اليوم، سوف أناقش جهودنا لمكافحة آفة الاتجار بالبشر.

جميع هذه الأشياء تمنحني الأمل. ولكن ما يجعلني أكثر تفاؤلا ليس أعمالنا نحن، ليست تصرفات القادة – إنما الشعوب التي رأيتها. أفراد القوات الأميركية الذين خاطروا بحياتهم وضحوا بأطرافهم من أجل غرباء في النصف الآخر البعيد من العالم، والطلاب في جاكرتا أو سيول التواقون لاستخدام معارفهم لفائدة البشرية، والوجوه في ساحة في براغ أو في برلمان غانا الذين يرون الديمقراطية في إعطاء أصواتهم لأجل طموحاتهم، والشباب في أحياء ريو الفقيرة، وفي مدارس مومباي الذين تلمع عيونهم بالوعد القادم. هؤلاء الرجال والنساء والأطفال ومن كل عرق ومعتقد يذكرونني بأن مقابل كل غاضب تُعرض صورته على شاشة التلفزيون، هناك البلايين في مختلف أنحاء العالم لديهم آمال مشتركة وأحلام متشابهة. وهم يخبروننا بأن هناك نبضات قلوب إنسانية مشتركة.

يتحول الكثير من الاهتمام في عالمنا إلى ما يفرقنا. وهذا ما نراه في نشرات الأخبار. وهذا ما يستهلك مناقشاتنا السياسية. ولكن عندما نجرد كل ذلك، نرى الناس في كل مكان يتوقون للحرية من أجل تقرير مصيرهم وكرامتهم، تلك الكرامة التي تأتي من العمل، والراحة التي تأتي من الإيمان، والعدالة التي تتواجد عندما تقوم الحكومات بخدمة شعوبها – وليس العكس.

وستقف الولايات المتحدة الأميركية دائمًا إلى جانب هذه الطموحات، وإلى جانب شعبنا نفسه، وإلى جانب الشعوب في جميع أنحاء العالم. كان هذا هو الغرض من تأسيس بلدنا. وهذا ما يُظهره تاريخنا. وهذا ما عمل في سبيله كريس ستيفنز طوال حياته.

واليوم أتعهد لكم بهذا: بعد فترة طويلة من جلب هؤلاء القتلة إلى العدالة، سوف يبقى تراث كريس ستيفنز حيًّا في حياة الناس التي لامسها – في عشرات الآلاف الذين ساروا ضد العنف في شوارع بنغازي، وفي الليبيين الذين وضعوا على صفحاتهم على موقع فيسبوك صورة كريس بدلا من صورهم، وفي لافتات كتب عليها، ببساطة، "كريس ستيفنز كان صديقا لجميع الليبيين".

ينبغي أن يعطينا هؤلاء الأمل. ينبغي أن يذكروننا بأنه طالما نعمل من أجل العدالة، فإن العدالة سوف تأخذ مجراها، وبأن التاريخ يعمل لصالحنا، وبأن الموجة المتصاعدة من الحرية لن تعكس مسارها أبدًا.

وشكرًا جزيلا لكم.

الملحق ٣: خطاب وزيرة الخارجية الأمريكية (٢٠١٢/٩/١٢م) بشأن مقتل السفير الأمريكي في بنغازي

هوجم يوم أمس المركز الدبلوماسي للولايات المتحدة في بنغازي، ليبيا. لقد اعتدىٰ متشددون مدججون بالسلاح علىٰ مجمع السفارة وأشعلوا النار في مبانيه. اشتبكت قوات الأمن الأميركية والليبية مع المهاجمين. وقُتل أربعة أميركيون. وكان من بينهم شون سميث، وهو مسؤول إدارة المعلومات في السلك الخارجي، وسفيرنا لدىٰ ليبيا كريس ستيفنز. ونحن الآن نحاول الاتصال بأقرباء الشخصين الآخرين.

هذا هجوم ينبغي أن تهتز له ضمائر الناس من جميع الأديان وفي جميع أنحاء العالم. إننا ندين بأشد العبارات هذا العنف غير المبرر، ونصلي من أجل عائلات وأصدقاء وزملاء الذين فقدناهم.

في كل يوم، يُعرّض الدبلوماسيون وخبراء التنمية الأميركيون حياتهم للخطر في جميع أنحاء العالم في سبيل خدمة بلادنا وقيمنا، لأنهم يؤمنون بأن الولايات المتحدة يجب أن تكون قوة من أجل السلام والتقدم في العالم، وبأن هذه التطلعات تستحق السعي في سبيلها والتضحية من أجلها. إنهم يمثلون إلىٰ جانب رجالنا ونسائنا في القوات المسلحة، أفضل تقاليد أمة تتصف بالشجاعة والبسالة والكرم.

في بهو هذا المبنىٰ، مبنىٰ وزارة الخارجية، نُقشت أسماء أولئك الذين قضوا نحبهم وهم يقومون بواجباتهم علىٰ الرخام. إنها تتفطر قلوبنا علىٰ كل واحد منهم. والآن، وبسبب هذه المأساة، أصبح لدينا أبطال جدد لتكريمهم والمزيد من الأصدقاء لتعزيتهم.

وقع كريس ستيفنز في حب الشرق الأوسط عندما كان متطوعًا شابًا في فيلق السلام، يدرِّس اللغة الإنجليزية في المغرب. انضم إلىٰ السلك الدبلوماسي، وتعلم اللغات، وفاز بأصدقاء لأميركا في أماكن بعيدة، وجعل من آمال الآخرين آماله.

وفي الأيام الأولىٰ من الثورة الليبية، طلبتُ من كريس أن يكون مبعوثنا لدىٰ المعارضة المتمردة. وصل علىٰ متن سفينة شحن إلىٰ ميناء بنغازي وبدأ في بناء علاقاتنا مع الثوار في ليبيا. خاطر بحياته

في وضع حد للطاغية، ثم ضحى وهو يسعى لمساعدة بناء ليبيا الأفضل. إن العالم يحتاج إلى المزيد من أمثال كريس ستفينز. لقد تحدثت مع شقيقته آن صباح هذا اليوم، وقُلت لها إن العديد من الدول ستتذكره باعتباره بطلا من (الأبطال).

وكان شون سميث أحد قدامى المحاربين في القوات الجوية. وقد أمضى عشر سنوات في العمل كمسؤول عن إدارة المعلومات في وزارة الخارجية، وتمّ تعيينه في لاهاي، وجاء إلى ليبيا في مهمة مؤقتة قصيرة. كان الزوج المخلص لزوجته هيذر، التي تحدثت إليها في هذا الصباح. وكان والد لطفلين هما سامانثا ونيثن اللذين سيشبان وهما يشعران بالفخر والاعتزاز على بالخدمات (الجليلة) التي قدمها والدهما لبلادنا، خدمة أخذته من بريتوريا إلى بغداد، وأخيرًا إلى بنغازي.

إن المهمة التي أتت بكريس وشون وزملائهما إلى ليبيا هي مهمة نبيلة وضرورية، ونحن وشعب ليبيا نكرم ذكراهم من خلال الاستمرار والتقدم بها. وهذا ليس بالأمر السهل.

يتساءل اليوم العديد من الأميركيين – وفي الواقع أنا أيضًا سألت نفسي – كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كيف يمكن أن يحدث هذا في دولة ساعدنا في تحريرها، في مدينة ساعدنا في إنقاذها من الدمار؟ إن هذا السؤال يعكس مدى تعقيد العالم، وفي بعض الأحيان، مدى الإرباك الممكن أن يثيره.

ولكن يجب أن تكون رؤيتنا واضحة، حتى في أحزاننا. قامت بهذا الهجوم مجموعة صغيرة همجية– وليس الشعب أو الحكومة الليبية. كان كريس وفريقه يُستقبلون استقبال الأصدقاء والشركاء في أي مكان يذهبون إليه في ليبيا، هذه الدولة التي مزقتها الحرب وخربها الطغيان. وعندما وقع الهجوم يوم أمس، وقف الليبيون وقاتلوا دفاعًا عنا. وأصيب البعض منهم. نقل الليبيون جثة كريس إلى المستشفى، وساعدوا في إنقاذ ونقل أميركيين آخرين إلى بر الأمان. والليلة الماضية، عندما تحدثت مع الرئيس الليبي (رئيس المؤتمر الوطني الليبي العام)، أدان بشدة أعمال العنف وتعهد ببذل كل جهد ممكن لحماية أبناء شعبنا وملاحقة المسؤولين.

لن تكون الصداقة بين بلدينا، التي وُلدت من النضال المشترك، ضحية أخرى من ضحايا هذا الهجوم. لا تزال ليبيا الحرة والمستقرة تصب في مصلحة أميركا وفي مصلحة أمنها، ونحن لن ندير ظهورنا لذلك، ولن نستكين إلى أن يتم العثور على المسؤولين عن هذه الهجمات وتقديمهم لمواجهة العدالة. إننا نعمل بشكل وثيق مع السلطات الليبية للتحرك بشكل سريع ومؤكد. إننا

نعمل أيضًا مع شركائنا حول العالم لحماية السفارات والقنصليات الأميركية الأخرى والمواطنين الأميركيين.

سيكون هناك المزيد من الوقت للتفكير في وقت لاحق، ولكن اليوم، لدينا عمل يتوجب علينا القيام به. لا توجد أية أولوية أعلى من حماية رجالنا ونسائنا أينما كانوا يعملون. إننا نعمل على تحديد الدوافع والأساليب الدقيقة للذين نفذوا هذا الهجوم. حاول البعض تبرير هذا السلوك الشرير، سوية مع الاحتجاج الذي جرى أمام سفارتنا في القاهرة يوم أمس، كرد على نشر مواد تحريضية على شبكة الانترنت. إن التزام أميركا بالتسامح الديني يرجع إلى بداية قيام دولتنا. ولكن اسمحوا لي أن أتحدث بوضوح - لا يوجد أي مبرر لهذا على الإطلاق. إن مثل هذا العنف ليس طريقة للتعبير عن احترام الدين أو الإيمان. وطالما أن هناك أناسًا يقتلون الأبرياء باسم الله، فإن العالم لن يعرف السلام الحقيقي والدائم.

وإنه من المؤسف حقا أن هذا الهجوم حدث في ١١ أيلول/ سبتمبر. إنه يوم ذكرى تعني الكثير لجميع الأميركيين. إننا نتذكر في ذلك اليوم من كل عام أن عملنا لم ينتهِ بعد، وأن وظيفة وضع حد للعنف والتطرف وبناء عالم آمن ومستقر لا تزال مستمرة. ولكن يوم ١١ أيلول/ سبتمبر يعني أكثر من ذلك. إنه يوم نتذكر فيه الآلاف من الأبطال الأميركيين، والروابط التي تجمع سائر الأميركيين، أينما كانوا على وجه هذه الأرض، والقيم التي ترعانا خلال كل عاصفة. واليوم سوف نتذكر شون، وكريس، وزملاءهم.

فليباركم الله، ويبارك الله الآلاف من الأميركيين العاملين في كل ركن من أركان العالم الذين جعلوا هذا البلد أكبر قوة للسلام والازدهار والتقدم، قوة دافعت دائمًا عن كرامة الإنسان - أعظم قوة عرفها العالم على الإطلاق. وليبارك الله دائمًا الولايات المتحدة الأميركية.

وشكرًا لكم.

الملحق ٤: بيان هيئة كبار العلماء حول الفيلم المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم (٢٠١٢/٩/١٣م)

"لقد تابعت هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف مسلسل الإساءات المتكررة إلى الإسلام ورموزه ومقدساته، من تدنيس المصاحف وحرقها، إلى العدوان على المساجد وهدمها، وحتى الإساءة إلى الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، الذي جاء إلى العالمين مصدقًا بما سبق من الكتب، ومؤمنًا بكل النبوات والرسالات.

كما تابعت هيئة كبار العلماء ردود الأفعال الحكيمة منها والغاضبة، التي تواجه هذه الإساءات في وطن العروبة وعالم الإسلام، وتود الهيئة بهذه المناسبة أن تتوجه إلى شعوب الأمة الإسلامية، وإلى كل عقلاء العالم بهذه الكلمات:

أولًا: إن مصدر هذه الإساءات ليسوا هم الناس العاديون، سواء في الغرب أو الشرق، وإنما المصدر هي مؤسسات الهيمنة الاستعمارية، التي يجاهدها الإسلام لكسر شوكة هيمنتها واستعمارها واستغلالها في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ومع هذه المؤسسات السياسية الصهيونية وأجهزة الإعلام التي ترتزق من الكذب وصناعة الصور الزائفة عن الرموز والمقدسات الإسلامية.

ثانيًا: إن ردود الفعل الإسلامية يجب أن تتسم بالحكمة، وأن تزيد من إيضاحها لحقائق الإسلام ومقدساته ورموزه، وأن تبتعد عن أخذ البريء بذنب المُسيء.

ثالثًا: يجب أن يتحلى العقل المسلم بالوعي والرؤية الموضوعية لحقيقة هذا المشكل القديم والجديد بل والمتجدد، فتزييف صورة الإسلام ورموزه ومقدساته أمر قديم، بدأ مع ظهور الإسلام، بل هو سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، تحدث عنها القرآن الكريم عندما قال: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين).

وقد أثبت التاريخ أن تصاعد هذه العداوة للإسلام والتزييف لصور رموزه ومقدساته قد كان، ولا يزال، مرتبطًا بصعود الإسلام وزيادة انتشاره، كما هو حادث الآن، فيما وراء عالم الإسلام.

لذلك، فإن هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف تناشد مؤسسات العلم الإسلامي بالتداعي لدراسة ظاهرة العداء والإساءة للإسلام ورموزه ومقدساته، لتحديد مصادرها، والعوامل التي تغذيها وتحركها، والسبل الفكرية التي تدفع السيئة بالحسنة (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

كما توصي الهيئة بزيادة الجهود التي تُعَرف بحقيقة الإسلام، وبالتواصل مع الجاليات والمراكز الإسلامية في الغرب، لإيصال هذه الحقيقة إلى البلاد التي تصدر منها هذه الإساءات، وستبادر الهيئة إلى ذلك.

كما تدعو الهيئة جماهير الأمة الإسلامية إلى الحرص على ألا يتجاوز الغضب المشروع لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، حدود الآداب والشمائل الإسلامية، وذلك حتى لا نأخذ البريء بذنب المُسيء، ولا نُسيء إلى الوحدة الوطنية لشعوب أمتنا، فنحقق دون أن ندري مقاصد الأعداء من وراء هذه الإساءات الخبيثة".

الملحق ٥: البيان الختامي لمنظمة التعاون الإسلامي (٢٠١٢/٩/٢٩م)

ومما ورد في البيان مما يتعلق بقضية الفلم المسيء:

٤٨ – جدد الاجتماع تصميم المشاركين على مكافحة قوى التعصب وكراهية التنوع، وعلى عزمهم الأكيد على تعزيز ثقافة السلام واحترام التعايش في ظل التنوع. ودعا الاجتماع الناس كافة، على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم وخلفياتهم الثقافية إلى الاحتفاء بالتنوع بوصفه وسيلة للتعايش السلمي بروح من التفاهم والتسامح والاحترام المتبادل.

٤٩ – أعرب الاجتماع عن أسفه لسوء استخدام أية ديانة لاقتراف أعمال الكراهية والتحريض والعنف. ودعا الاجتماع الناس على اختلاف مشاربهم إلى ضمان سيادة لغة الوسطية، وإلى تجنب جميع أشكال التعصب والتطرف والإرهاب وإلى تشجيع التسامح والتفاهم والاحترام المتبادل.

٥٠ – أكد الاجتماع أن جميع حقوق الإنسان هي في طبيعتها حقوق عالمية غير قابلة للتجزئة ومترابطة ولا يمكن الفصل بينها، آخذا في الاعتبار أهمية الخصوصيات الوطنية والإقليمية ومختلف الخلفيات التاريخية والثقافية والدينية. وشدد الاجتماع على ضرورة أن يتعامل المجتمع الدولي مع جميع قضايا حقوق الإنسان بطريقة موضوعية ومحايدة وغير انتقائية. كما دعا إلى ضرورة اعتبار حقوق الإنسان جميعها بمفهومها الشامل ومن جميع جوانبها المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي إطار التعاون والتضامن الدوليين والقانون الدولي لحقوق الإنسان وصكوك القانون الدولي لحقوق الإنسان ذات الصلة.

٥١ – أعرب الاجتماع عن جزعه وانشغاله إزاء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا والإساءة المنهجة للإسلام والتمييز ضد المسلمين، وأدان بشدة الأحداث المعادية للإسلام والمسلمين مثل إحراق المصحف وحظر بناء المآذن والتهجم على الأنبياء والشخصيات المقدسة، ومنع استخدام الرموز الدينية وفرض حظر عليها، وغيرها من التدابير التمييزية.

٥٢ – عبر الاجتماع عن إدانته لإنتاج وعرض الفيلم المسيء لشخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من قبل مجموعة غير مسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية، واستنكر بشدة أعمال العنف التي وقعت ضد عدد من البعثات الدبلوماسية حول العالم والتجاوزات غير المسؤولة

والتي راح ضحيتها بعض العاملين في هذه البعثات؛ وشدد الاجتماع على ضرورة عدم الانجراف وراء من يروجون أو يخططون لإنتاج مثل هذه الأفلام الرخيصة لإثارة حفيظة المسلمين ومشاعرهم.

٥٣ – دعا الاجتماع الدول الأعضاء كافة والمجتمع الدولي إلى ضرورة التصدي لإنتاج وترويج المواد الإعلامية التي تسيء إلى الديانات السماوية المقدسة ورموزها، وذلك عبر المؤسسات والآليات الدولية، وعلى ضرورة احترام التنوع الديني والثقافي في العالم، مشدداً على المبادئ التي تضمنتها مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود للحوار بين أتباع الديانات والثقافات والتي تبناها مؤتمر مدريد للحوار عام ٢٠٠٨ بعدم الإساءة للديانات ورموزها.

٥٤ – دعا الاجتماع الأمم المتحدة وأمينها العام إلى الاضطلاع بمسؤولياتها بالتصدي للتجاوزات غير المسؤولة في إنتاج المواد الإعلامية المسيئة للديانات ورموزها، وذلك من خلال تجريم مثل هذه الأعمال المسيئة للديانات ورموزها.

٥٥ – ناشد الاجتماع المجتمع الدولي لبذل الجهود من أجل منع التحريض على الكراهية والتمييز ضد المسلمين، واتخاذ تدابير فعالة للقضاء على الإساءة للأديان والتنميط السلبي للأشخاص على أساس دينهم أو معتقدهم أو عرقهم. وطلب الاجتماع من الأمين العام مواصلة مبادرات المنظمة للتصدي بفاعلية للحملات والدعاية المعادية للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال المناقشات والمداولات في مختلف المحافل الدولية. ودعا الاجتماع إلى خلق وعي عالمي بالانعكاسات الخطيرة لتنامي مثل هذه الحملات والدعاية على السلم والأمن الدوليين، وناشد كذلك المجتمع الدولي لإبداء إرادته السياسية الجماعية لمعالجة هذه المسألة على نحو عاجل.

٥٦ – رحب الاجتماع، في هذا الصدد، باعتماد مجلس حقوق الإنسان بتوافق الآراء للقرار رقم ١٨/١٦ الذي رعته منظمة التعاون الإسلامي تحت عنوان "مكافحة التعصب والقولبة النمطية السلبية والوصم والتمييز والتحريض على العنف وممارسته ضد الناس بسبب دينهم ومعتقدهم" في الدورة السادسة عشرة لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في مارس ٢٠١١، وما أعقب ذلك من اعتماد لقرار مماثل، مرة أخرى بتوافق آراء المجتمع الدولي، في الدورة السادسة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة؛ ووصف الاجتماع ذلك بأنه خطوة هامة إلى الأمام تؤكد

الأهمية البالغة للتنوع الثقافي والتمسك باحترامه. وطلب الاجتماع من المجموعتين الإسلاميتين في نيويورك وجنيف معالجة الفجوات التي تعتري تنفيذ هذين القرارين الهامين أثناء مناقشة هذه المسألة في الجمعية العامة ومجلس حقوق الإنسان، بما في ذلك عبر صياغة صك دولي ملزم قانونا لتعزيز احترام جميع الأديان والقيم الثقافية ومنع التعصب والتمييز والتحريض على الكراهية ضد أية مجموعة أو أتباع أي دين من الأديان.

٥٧ - أولى الاجتماع أهمية قصوى لتعزيز الحق في حرية التعبير وحمايته، كما نصت عليها صكوك القانون الدولي لحقوق الإنسان. وأكد الاجتماع كذلك أن القانون الدولي لحقوق الإنسان ينص على أن ممارسة الحق في حرية التعبير تنطوي على واجبات ومسؤوليات خاصة، وبالتالي فهي قد تخضع لبعض القيود التي نص عليها القانون والضرورية لاحترام حقوق الآخرين وسمعتهم، وحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة والأخلاق العامة. وشدد الاجتماع كذلك على ضرورة منع سوء استخدام حرية التعبير وحرية الصحافة بغرض الإساءة للإسلام وباقي الديانات السماوية.

٥٨ - أعرب الاجتماع عن ارتياحه للتدابير الملائمة التي اتخذها مرصد الإسلاموفوبيا في الأمانة العامة وكذا الأمين العام شخصيا في رصد أعمال الإساءة والتصدي لها. وأشاد الاجتماع بالمرصد لإصدار تقريره السنوي حول الإسلاموفوبيا. وطلب من الدول الأعضاء تحمل مسؤولياتها في التعامل مع الأحداث التي يرصدها المرصد.

٥٩ - دعا الاجتماع المجتمع الدولي، بما في ذلك الأمم المتحدة، والاتحاد الأوربي، ومؤتمر التفاعل وتدابير بناء الثقة في آسيا، والمجلس الأوربي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوربا، وتحالف الحضارات، وغيرها من المنظمات ذات الصلة إلى الانخراط مع منظمة التعاون الإسلامي لصياغة موقف مشترك للقضاء على التعصب.

Abstract

This study is an attempt to determine the cognitive, communicative and argumentative aspects of the discourse of conflict in international issues, as represented by a corpus of data going back to the years 2011-2012. For this end, 427 sample texts were selected and analyzed from a cognitive, communicative and argumentative point of view.

It includes an introduction, and three chapters. In the introduction, the general theoretical and conceptual framework was outlined, in addition to the background studies related to the subject and the methodological approach to be adopted in the analysis of the corpus selected.

Chapter one was concerned with analyzing the discourse of conflict in the light of cognitive theory and its four main components, namely: the representation of the social actor, the frame of reference adopted by the various actors (their motives, goals, values and expectations), the narrative frame, and the representation of space and time.

Chapter two dealt with the language of conflict from a communicative perspective, while chapter three discussed the argumentative and dialogical features in the discourse of conflict.

The major conclusions reached may be outlined as follows:

- Discourse strategies of the parties to the conflict vary according to the different cognitive perspectives through which each side represents the self and the other, as well as the values, motivations, goals and expectations which govern his action and determine his views of events, concepts, priorities and attitudes. They also determine the way in which the different participants represent time and space;

- The linguistic voice in the discourse of conflict balances with non-linguistic voice, whether with regard to both sides of the conflict, or to a third party;

- Participants in a conflict adopt expressive as well as intentional strategies, in addition to special techniques and stereotypes for reframing their own identity as well as their opponents', namely: globalization (with each side converting his model into a universal one), and directing (with each side reframing his opponent's model);

- The results also showed, on the argumentative level, that the discourse of conflict uses all four argumentative strategies, namely: authorization, rationalization, moral legitimation, and emotions. Each participant endeavors to undermine and demolish his opponent's strategies, and impose his own arguments;

- Finally, from a dialogical point of view, conflict discourses vary in their way of addressing the other, and this on six levels, namely: denial, ignoring, resistance, openness, collaboration, and adoption.

In conclusion, this study recommends the establishment of a specialized center for the Study of Conflict Discourses, to act as a house of experience for media, political and trade institutions. It also recommends further specialized studies related to international and non-international conflict discourses.

Key words: language of conflict, discourse of conflict, discourse analysis, cognitive linguistics, argument, pragmatics, international issues, dialogical principal, parties to a conflict, narrative frame, and reference frame.

Inv:788

Date:16/2/2016

هذا الكتاب

لقد نزعت اللسانيات البنيوية، من خلال نظرتها إلى اللغة على أنها أداة تعبير منفصلة عن السياق، إلى اعتبار الملفوظات مجرد نتاج للنظام الذي يولّدها وتنبني عليه. ولهذا، كانت مهمة التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي في إطار البنيوية هي رصد مختلف الوحدات التابعة لها والقواعد التي تنظمها، للوقوف على دورها في بناء ذلك النظام.

في المقابل، تدعونا المقاربة التداولية، بمختلف اتجاهاتها، إلى إعادة النظر في هذا التصوُّر الذي يرى في اللغة مجرد أداة للإبلاغ، وتنبهنا إلى أن صياغة أفكارنا ونقلها عن طريق اللغة إنما هما حصيلة استراتيجيات معيّنة على مستوى الإنتاج والتأويل ينخرط فيها المشاركون في عملية التواصل ليصبح كل منهم طرفاً مؤثراً في مقامات تفاعلية تحكمها شروط معلومة. ذلك لأن كل خطاب وفق هذا المنظور إنما يتم إنتاجه وتفسيره في علاقته بسياقه المباشر، وفي علاقته بخطابات وسياقات أخرى تتعاوره وتحدد وظيفته وتمنحه قيمته في سياقه الاجتماعي التواصلي المعلوم.

في هذا السياق، تأتي هذه الدراسة الجادّة للغة النزاع لتبرز دور اللغة بوصفها ليس فقط أداة إبلاغ وتواصل بل أيضاً أداة للفعل والتوجيه والحوار والمناورة والسيطرة، وكذلك بوصفها أداة لتمثيل الخصم المنازَع، لتقزيمه وتهميشه، في مقابل الأنا المنازِع لتفخيمه وتعظيمه، وإضفاء الشرعية على سلوكه ومواقفه وآرائه. وبهذا تتجلّى سمة اللغة في واقعها الفعليّ الحيّ، بوصفها بنية إدراكية حجاجية اجتماعية متحيزة، وأنها وعاء لما يريد كل من أطراف الخطاب إظهاره للآخرين، ولما يبطنه في نفسه تجاههم.

د. محمد لطفي الزليطني


9 789933 536336



